مُدن تراثيّة

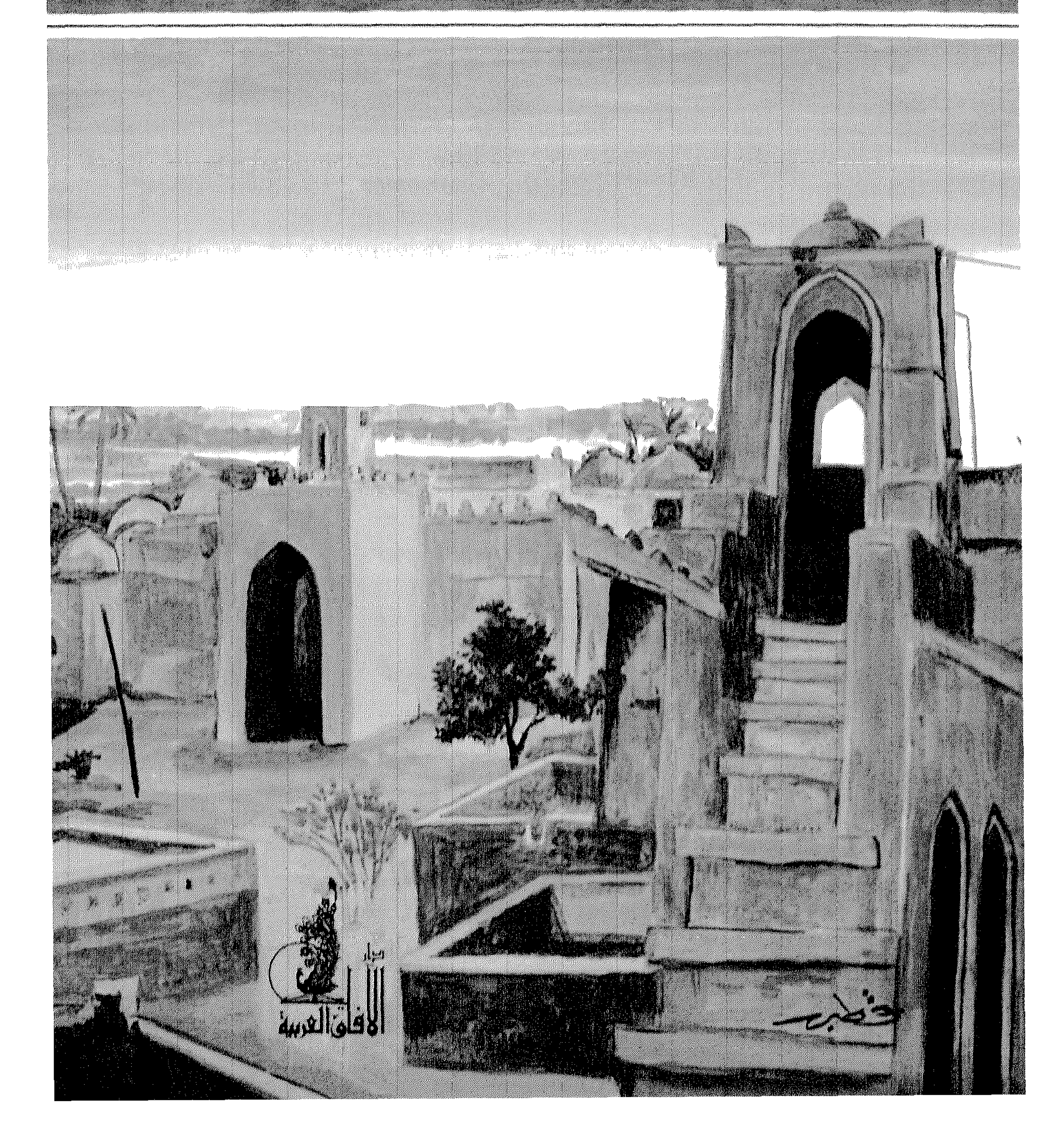
٥

مدينة

حيس اليمنيّة

تاريخها وآثارها الدينيّة

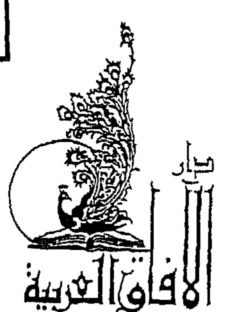
عبد الله عبد السلام الحداد



مدينة حيس اليمنية

تاريخها وآثارها الدينية

عبد الله عبد السلام الحداد



الطبعة الأولى

١٤١٩هـ / ١٩٩٩

رقم الإيداع	٩٨/١٦١٩٤
I. S. B. N الترقيم الدولي	977-5727-27-8



القاهرة - ٥٥ شارع محمود طلعت من شارع الطيران

مدينة نصر - ت : ٢٦١٠١٦٤

الإهداء

إلى من أنا بضعة منهما وفاءً وبراً لما قدما
إلى والدىّ العزيزين من ببرهما أنال المغنما
أطال الله فى عمرهما

إلى من تحملوا معى مشاق الغربة والسهر
زوجتى ....
أولادى ....
مازن ، رفيدة ، محمد ، مصطفى

إلى إخوانى الذين وجدتهم وقت الحاجة

إلى هؤلاء جميعاً أهدى هذا الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

شهدت بلاد اليمن حضارات عدة متتالية منذ عصر ما قبل الإسلام ، وكان أهلها فى طليعة من دخل فى الإسلام وفى طليعة الفاتحين لمشرق العالم الإسلامى ومغربه ، وقد كان ذلك سبباً فى ازدهار حضارته الإسلامية المتمثلة فى المنشآت المعمارية الدينية والمدنية والعسكرية والتجارية المنتشرة فى مختلف مدن اليمن وقراها ، فضلاً عن الفنون الإسلامية بمختلف أنواعها ، والتى واكبت الفن الإسلامى منذ نشأته وخلال مراحل تطوره ، وقد كان الإزدهار الحضارى الإسلامى فى اليمن يمثل امتداداً لمسيرتها الحضارية فى عصور ما قبل الإسلام .

ولأن اليمن ما تزال تزخر بالكثير من العمائر الإسلامية بمختلف أنواعها يصعب معها حصرها فى كتاب واحد فقد اكتفيت بدراسة العمائر الدينية - المساجد والمدارس - بمدينة حيس كنموذج للعمائر الدينية المنتشرة فى أرجاء اليمن .

والكتاب فى أساسه كان رسالة ماجستير بعنوان (مساجد ومدارس مدينة حيس اليمنية منذ عهد الدولة الرسولية وحتى نهاية عصر الدولة الطاهرية ، ٦٢٦ ـ ٩٢٣ هـ / ١٢٢٩ ـ ١٥١٧م، دراسة أثرية معمارية) حصلت بموجبها على درجة الماجستير بتقدير ممتاز من كلية الآثار جامعة القاهرة سنة ١٩٩٥ م ، وكانت تحت إشراف عالمين جليلين هما : الأستاذ الدكتور : مصطفى عبد الله شيحة ، والأستاذ الدكتور : حسنى محمد حسن نويصر ، أستاذ الآثار الإسلامية بالكلية ، حيث حظيت برعايتهما وعطفهما واستفدت من علومهما ومنهجهما الكثير وإليهما يرجع الفضل فى إرشادى وتوجيهى ، ولم يبخل أى منهما بعلمه ووقته وجهده ونصائحه ، ولما تمت إعارة الأستاذ الدكتور مصطفى شيحة إلى السعودية ، ظل الأستاذ الدكتور حسنى نويصر خير ناصح ومعين ، وقام بمراجعة الرسالة فى جميع مراحلها وظهرت بصماته واضحة فيها ولقى فى سبيل ذلك كثيراً من المتاعب التى أثمرت هذا البحث الذى أرجو أن أكون قد تمكنت به من تسليط الضوء على جزء من آثار اليمن الإسلامية التى ظلت مجهولة لفترات طويلة .

كما أشكر الأستاذين الجليلين الأستاذ الدكتور رأفت محمد النبراوى ، والأستاذ الدكتور محمد سيف النصر أبو الفتوح (رحمة الله) اللذان تفضلا بمناقشة الرسالة والحكم عليها ، فلهما منى كل الشكر والتقدير ، وأسأل الله أن يجزيهما عنى خير الجزاء .

والله الموفق

عبد الله الحداد

مقدمة

تقع مدينة حيس وسط سهل تهامة الذى يحتل الجزء الغربى من اليمن ويمتد من عدن جنوباً حتى حدود المملكة العربية السعودية شمالاً . [شكل ١] ، والمدينة تعود فى نشأتها إلى عصر ما قبل الإسلام كما ذكر الهمدانى « ت ٣٥٠ هـ » فى كتابه « صفة جزيرة العرب »[١] لكنها لم تظهر على مسرح الأحداث فى العصر الإسلامى إلا منذ أواخر دولة بنى زياد[٢] (٢٠٤ ـــ ٤٠٥ هـ)/ (١٩/ ٨٢٠ـ ٨٢/ ١٠١٥ م) .

ورغم أن مدينة حيس من المدن المتوسطة إلا أنها كانت ذات أهمية سياسية واقتصادية ، حيث هيىء لها موقعها على بعد ٨٥ كم شمال مدينة تعز العاصمة الرئيسية للدولة الرسولية ، و ٣٥ كم جنوب مدينة زبيد العاصمة الشتوية ، أن تصبح محطة لاستراحة السلاطين أثناء ذهابهم إلى زبيد أو عودتهم منها ، فضلاً عن كونها محطة على طريق الحج المتجهة إلى مكة والمعروفة بطريق الجادة السلطانية[٣] .

هذا من الناحية السياسية ، أما من الناحية العسكرية فإن مدينة حيس تضم قلعة عسكرية كانت ترابط فيها بشكل دائم فرقة من الجيش تقوم بحماية المدينة من غارات القبائل المجاورة ، بالإضافة إلى أن القلعة تصبح مركزاً لتجميع الجند لاسترداد مدينة زبيد فى حالة ما إذا استولى عليها الأعداء[٤] .

---

(١) الهمدانى ، الحسن بن أحمد بن يعقوب ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق ، محمد بن على الأكوع ، مركز الدراسات والبحوث اليمنى ، صنعاء ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٤م، ص ٢٠٤.

(٢) عمارة اليمنى ، نجم الدين عمارة بن على اليمنى ، تاريخ اليمن المسمى المفيد فى أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها ، تحقيق ، محمد بن على الأكوع ، المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع ، صنعاء ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٥م، ص ٨٧.

(٣) ابن الديبع ، عبد الرحمن بن على (ت ٩٤٤هـ)، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ، تحقيق ، محمد بن على الأكوع ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، ص ٣٢٨ـ ٣٣٠.

(٤) الخزرجى ، على بن الحسن (ت٨١٢هـ) ، العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية ، جزءان ، تحقيق ، محمد بن على الأكوع ، نشر مركز الدراسات والبحوث اليمنى ، صنعاء ، دار الآداب ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م، ص ٣٤ ، ٣٥.

أما من الناحية الاقتصادية : فقد كانت حيس تعتبر من أهم مراكز صناعة الأوانى والتحف الفخارية والخزفية نظراً لتوفر التربة الطينية الجيدة فى وديان حيس وكذلك توفر الأكاسيد المعدنية فى الجبال الواقعة إلى الشرق من المدينة ، وهذان العنصران ـ التربة والأكاسيد المعدنية ـ هما المادتان الأساسيتان فى صناعة الفخار والخزف .

وقد بلغت هذه الصناعة قمة ازدهارها وتطورها خلال عصرى الدولتين الرسولية (٦٢٦ ـ ٨٥٨ هـ/ ١٢٢٩ ـ ١٤٥٤ م) والطاهرية (٨٥٨ ـ ٩٢٣ هـ/ ١٤٥٤ ـ ١٥١٧ م) ويشهد على ذلك أن منتجاتها الخزفية كانت من ضمن هدايا سلاطين بنى رسول إلى نظرائهم سلاطين الدولة المملوكية فى مصر[١] ، هذا بالإضافة إلى العديد من الصناعات المتنوعة الأخرى .

ولذلك قام سلاطين الدولتين الرسولية والطاهرية ، ببناء العديد من المنشآت الدينية والمدنية والاجتماعية والعسكرية : كالمساجد والمدارس والخانقاوات والقصور والقلاع ، والتى شيدت وفق طرز معمارية متنوعة يتناسب كل نوع منها مع الوظيفة التى بنى من أجلها فضلاً عن تناسب مواد وطرق بنائها وتخطيطاتها المعمارية مع البيئة المحيطة بالمدينة والتى تتكون من سهول ساحلية ممطرة ، حارة صيفاً معتدلة شتاءاً ، تتوفر فيها التربة الطينية الجيدة اللازمة لصناعة مواد البناء بنفس القدر الذى تندر فيه الأحجار والأخشاب الجيدة ، مما حدا بالمعماريين إلى الاعتماد كلية على الطوب المحروق (الآجر) فى عملية البناء ، سواء فى الجدران أو التغطيات .

ونظراً لأن المنشآت المعمارية بمدينة حيس لم يتم دراستها من قبل فقد وقع الاختيار عليها لدراستها ، بهدف إبراز مميزاتها وخصائصها التاريخية والأثرية .

وحيثُ إن المدينة تزخر بالعديد من المنشآت الدينية التى يزيد عددها على خمسة وعشرين مسجداً ومدرسة فضلاً عن العمائر المدنية والعسكرية مما لا يمكن ـ مع كثرتها ـ الإلمام بها ودراستها فى كتاب واحد ، فقد اكتفيت بدراسة المساجد والمدارس الباقية فيها من العصرين الرسولى والطاهرى وعددها اثنا عشر أثراً ما بين جامع ومسجد ومدرسة .

---

(١) انظر ، هذه المنتجات فى ، الخزرجى ، العسجد المسبوك فيمن ولى اليمن من الملوك ، مخطوط مصور ، وزارة الإعلام والثقافة ، الجمهورية اليمنية ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ، ص ٣٠٦ ، Robert B. Mason & Edward J.Keall: Provenance Of Local Ceramic Industry and the characterizaion of Imports: Petrography of pottery from medieval yemen: antiquity. Volume 62, numper 236 septamber 1988, P.460.

وقد اعتمدت فى انجاز هذه الدراسة على العديد من المصادر والمراجع حيث كانت المنشآت الأثرية ـ المساجد والمدارس ـ المصدر الأول والأساسى لهذه الدراسة حيث قمت بعدد من الزيارات تم فيها رسم المخططات المعمارية للمساجد والمدارس وكذلك تصويرها ووصفها من خلال المشاهدة على الطبيعة .

تليها فى الأهمية المصادر التاريخية وخاصة تلك التى ما تزال مخطوطة ومنها :

* مؤلفات الخزرجى ، على بن الحسن (ت ٨١٢ هـ) ومنها : كتاب : « المسجد المسبوك فيمن ولى اليمن من الملوك » ، كتاب : « طراز أعلام الزمن فى طبقات أعيان اليمن ، وكتاب « الكفاية والإعلام فيمن ولى اليمن فى الإسلام » .

• أما المصادر المطبوعة فكان من أهمها :

* كتاب : ابن حاتم : بدر الدين محمد بن حاتم (ق ٧ هـ / ١٣ م) ، « السمط الغالى الثمن فى أخبار الملوك من الغز باليمن » .
* كتاب : الجندى : محمد بن يوسف (ت ٧٣٢ هـ) ، « السلوك فى طبقات العلماء والملوك (جزءان) » .
* كتاب : الخزرجى : « العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية (جزءان) » .
* كتب : ابن الديبع : عبد الرحمن بن على (ت ٩٤٤ هـ) ، ومنها : كتاب « بغية المستفيد فى تاريخ مدينة زبيدة » ، كتاب : « الفضل المزيد على بغية المستفيد فى تاريخ مدينة زبيد» ، وكتاب « قرة العيون فى أخبار اليمن الميمون» .

وقد استفدت من هذه المصادر فى عمل الدراسة التاريخية ، وتراجم العديد من الشخصيات المذكورة فى الدراسة وخاصة السلاطين والعلماء وكبار رجال الدولة الذى ينسب إليهم بناء بعض مساجد ومدارس حيس ، أو أنهم كانوا من العاملين بها .

أما بالنسبة للمراجع التى اعتمدت عليها فى الدراسة فهى على نوعين :

• مراجع تاريخية ومن أهمها :

* كتابا الدكتور محمد عبد العال أحمد وهما : « الأيوبيون فى اليمن مع مدخل تاريخ اليمن الإسلامى إلى عصرهم » ، « بنورسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية فى عهدهما » .

* كتاب عبد الرحمن بعكر : « كواكب يمانية فى سماء الإسلام » .

• مراجع متخصصة ومن أهمها :

* كتاب : القاضى اسماعيل الأكوع : « المدارس الإسلامية فى اليمن » .

* مؤلفات وأبحاث الدكتور / مصطفى عبد الله شيحه ، ومنها : كتاب : « مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية فى الجمهورية اليمنية » ، « دراسة مقارنة بين المدرسة المصرية والمدرسة اليمنية » ، بحث نشر ضمن كتاب : « تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية » .

* أبحاث الدكتور محمد سيف النصر أبو الفتوح ومنها : « نظرة عامة على تخطيطات المدارس اليمنية » بحث منشور فى مجلة الإكليل ١٩٨٥ م .

* رسالة الماجستير المقدمة من الباحث : عبد الله إبراهيم الراشد بعنوان : « المنشآت المعمارية الرسولية فى اليمن » .

* رسالة الدكتوراه المقدمة من الباحث : فاروق أحمد حيدر بعنوان : « التعليم فى اليمن فى عهد دولة بني رسول خلال القرنين السابع والثامن الهجريين » .

* كتاب الدكتور / أحمد فكرى : « مساجد القاهرة ومدارسها (ثلاثة أجزاء) .

* مؤلفات الدكتور / فريد شافعى ، ومنها : « العمارة العربية فى مصر الإسلامية فى عصر الولاة » ، « العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها » .

وقد استفدت من هذه المراجع فى عمل الدراسة الخاصة بالعامل الثقافى الذى ساعد على نمو وتطور مدينة حيس وكذلك فى عمل الدراسة التحليلية والمقارنة للتخطيطات والعناصر المعمارية والزخرفية .

• وأما المراجع الأجنبية التى اعتمدت عليها فكان من أهمها :

* رسالة الدكتوراه المقدمة من الباحثة نهى صادق بعنوان Patronage : and arvchitecture in rasulid yemen 626 - 858 , A.H / 1229 - 1454 , A.D .

* تقارير البعثة الألمانية فى اليمن للسنوات ١٩٧٨ م ، ١٩٧٩ م ، ١٩٨٦ م .

وخاصة الجزء المتعلق بالآثار الإسلامية والذى أعدته الباحثة الألمانية Barbara Finster .

* تقارير البعثة الإيطالية فى اليمن للسنوات من ٨٤ ـ ١٩٨٧ م والمنشورة بعنوان :

Archaeological Activities in The Yemen .

* مؤلفات الدكتور / Cresweel ومنها كتاب Ashort Accaunt of early muslim architecture ، وكتاب The muslim Architecture of Egypt .

بالإضافة إلى العديد من المصادر والمراجع التاريخية والمتخصصة العربية منها والأجنبية والتى وضعت فى قائمة خاصة بها فى نهاية الكتاب .

ورغم ذلك فقد واجهت العديد من الصعوبات التى حالت فى بعض جوانب الكتاب من دراستها دراسة متعمقة ، ومن أهم هذه الصعوبات :

١ ـ قلة المصادر والمراجع التاريخية التى تحدث عن المدينة فى الفترة التى تناولتها الدراسة بالإضافة إلى أن المراجع التى ذكرت المدينة أوردت ذلك فى إشارات مقتضبية عن مرور أو إقامة السلاطين فيها لعدة أيام أو اتخاذها محطة عسكرية أو أن أحد العلماء درس أو مات فيها .

٢ ـ ندرة المراجع المتخصصة التى تتناول آثار حيس والتى لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة سواء فى مجال العمارة أو الفنون الأخرى .

٣ ـ الإهمال لآثار المدينة مما عرض الكثير منها للسقوط والتشقق بسبب الأمطار والزلازل وإذا ما امتدت إلى بعضها يد الإصلاح فإنه يتم على حساب العناصر المعمارية والزخرفية الأصلية ، مما أدى إلى ضياع معالم معظم المنشآت الدينية وخاصة النصوص التأسيسية والذى أدى بدوره إلى صعوبة معرفة العصر الذى تنتمى إليه .

٤ ـ اختفاء وثائق الوقف الخاصة بالمساجد والمدارس جعل من مهمة معرفة أسماء المنشئين والوظائف التى كانت تقوم بها المساجد والمدارس وكذلك أسماء ووظائف العاملين بها أمراً بالغ الصعوبة .

٥ ـ عدم وجود مخططات معمارية لمساجد ومدارس حيس فيما عدا الجامع الكبير والذى وضعته الباحثة بربارا فنستر فى البحث السابق ذكره ، وإن كان التخطيط تشوبه بعض الأخطاء والنواقص ولذلك قمت بوضع تخطيط جديد للمسجد كما هو عليه حالياً بالإضافة إلى عمل تصور للتخطيط الأصلى للجامع عند الإنشاء فضلاً عن عمل تخطيطات معمارية للمساجد والمدارس التى درست فى هذا الكتاب .

وبعد فقد اشتلمت الدراسة على مقدمة وفصل تمهيدى وثلاث أبواب وخاتمة ، تضمنت المقدمة بيان أهمية الموضوع والجهود التى بذلك فيه ، وخصص الفصل التمهيدى لدراسة تاريخ اليمن ، فى حين خصص الباب الأول بفصوله الثلاثة لدراسة تاريخ مدينة حيس والعوامل التى ساعدت على نموها وتطورها وكذلك نشأة المدرسة اليمنية ، أما الباب الثانى فقد خصصته للدراسة الوصفى لمساجد ومدارس حيس وقسمته إلى ثلاثة فصول ، والباب الثالث خصصته للدراسة التحليلية لتخطيطات المساجد والمدارس وعناصرها المعمارية والزخرفية ، وقسم إلى ثلاثة فصول ، بينما تضمنت الخاتمة أهم النتائج التى تم التوصل إليها .

الفصل التمهيدى

تاريخ اليمن خلال عصرى الدولتين الرسولية والطاهرية

٦٢٦-٩٢٣هـ/ ١٢٢٩-١٥١٧م

موقع اليمن الجغرافى فى [شكل ١] :

تقع اليمن فى الركن الجنوبى الغربى لشبه الجزيرة العربية فيما بين خطى عرض ١٢ْ ، ١٩ْ شمالاً [(١)] ، يحدها من الشمال العربية السعودية ومن الجنوب خليج عدن وبحر العرب ومن الشرق سلطنة عُمان ومن الغرب البحر الأحمر [(٢)] .

وهذا الموقع الإستراتيجى المهم لليمن ، عند نقطة تقترب فيها قارة آسيا من قارة أفريقيا ، جعلها حلقة اتصال بين هاتين القارتين ، كما أن موقعها على بحرين مهمين هما البحر الأحمر والبحر العربى ، جعل لها ثقلاً فى حقل الملاحة البحرية والتجارة الدولية فى تلك الفترة [(٣)] ، عن طريق تحكمها فيها براً وبحراً ، حيث جنى حكام اليمن أرباحاً طائلة كانت دعامة الرخاء الذى نعم به اليمنيون زمناً طويلاً [(٤)] ، كما أن موقعها هذا كان له شأن كبير على حركة التأثير والتأثر بمن حولها من الدول كمصر والحبشة والهند والصين .

---

(١) محمد محمد متولى (دكتور)، محمود أبو العلا (دكتور) ، جغرافية شبه جزيرة العرب ، الجزء الثالث، جغرافية اليمن الشمالى ، مكتبة الأنجلو مصرية ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٨، ص ١ .

(٢) هذه الحدود هى ما تمثله حدود اليمن اليوم ، أما الحدود التى كانت عليها اليمن فترة الدراسة فكانت على النحو التالى ، كان يحد اليمن شمالاً حلى بن يعقوب ، ونستدل على ذلك بما حدث أثناء مطاردة القوات المملوكية بقيادة سيف الدين طتبغا والشريف أبو الغيث بن أبى نمى للشريفين رميثه وحميضه أميرا مكة من قبل السلطان الرسولى ، حيث وصلت القوات المملوكية إلى حدود بلدة حلى بن يعقوب ورفض أميرها دخول المدينة قائلاً (هذه أول بلاد صاحب اليمن ولا تدخلها إلا بمرسوم من السلطان الملك الناصر وعاد على عقبيه) أما المناطق شمال بلدة حلى بن يعقوب ، فقد كانت موضع نزاع مستمر بين الدولتين الرسولية فى اليمن والمملوكية فى مصر ، بغية السيطرة على المقدسات الإسلامية فى مكة والمدينة ، اللتان كانتا تدخلان حينًا تحت سيادة الدولة المملوكية ، وحينًا آخر تحت السيادة الرسولية ، وأما الحدود الشرقية فقد كانت تمتد حتى بحر فارس - الخليج العربى - بما فى ذلك عمان . وفى فترة لاحقة لعصر الهمدانى استقلت المناطق شرق حضرموت - اقليم ظفار وعمان - بسبب الصراع بين الدويلات الحاكمة فى اليمن ، وظلت تلك المناطق مستقلة حتى استولى عليها السلطان المظفر يوسف بن عمر بن على بن رسول سنة ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م ، وبقيت تحت السيادة الرسولية لمدة (٢٥٠) عامًا عندما تمكنت قبيلة آل كثير من طرد بقايا الرسوليين سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م من اقليم ظفار . (انظر) ، الهمدانى ، الصفة ص ٩٠ ، الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ، جـ١ ، ص ١٨١ ، ١٨٨ ، ٣٣٥ ، القلقشندى ، أبو العباس أحمد (ت ٨٢١هـ/ ١٤٨١م) ، صبح الأعشى فى صناعة الانشا ، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية ، وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، ١٩٢٢م ، جـ٥ ، ص ٦ ، كوستا ، باولو ، دراسة لمدينة ظفار (البليد) ، نشر وزارة التراث القومى والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م ، الصفحات ، ٦٢ ، ٦٨ .

(٣) فاروق أحمد حيدر ، التعليم فى اليمن فى عهد دولة بنى رسول خلال القرنين السابع والثامن الهجريين ، رسالة دكتوراه لم تنشر كلية التربية ، جامعة عين شمس ، ص ٢٠ ، ٢٤ .

(٤) محمد متولى وآخرون ، المرجع السابق ، ص ٢٣ .

تاريخ اليمن قبيل قيام الدولة الرسولية :

انقسمت اليمن قُبيل الفتح الأيوبى لها إلى عدة دويلات وزعامات قبلية ، فكانت : دولة بنى مهدى فى زبيد [1] - وسط تهامة - ، وكان الأشراف السليمانيون [2] فى شمال تهامة ، ودولة بنى زريع فى عدن [3] ، ودولة بنى حاتم فى صنعاء [4] ، ودولة الأئمة الزيدية فى صعدة [5] ، فضلاً عن سيطرة بعض الزعامات القبليه على أجزاء متفرقة وسط اليمن ، وعندما جاء الأيوبيون بقيادة تورانشاه بن أيوب سنة (٥٦٩ هـ) / (٣/ ١١٧٤ م) [6] قضوا على معظم تلك الدويلات والزعامات كالأشراف السليمانيين ودولة بنى مهدى ودولة بنى زريع [7] ، وقد ساعد ذلك على استقرار الحالة السياسية فى اليمن لفترة من الزمن ، إلا أن عودة تورانشاه إلى مصر ووفاته سنة (٥٧٦هـ) / (٨٠/ ١١٨١ م) دفع نوابه على اليمن للإستئثار بالسلطة كل بما تحت يده ، ثم حاول كل منهم الاستيلاء على ما فى يد الآخر مما أدى

---

(١) دولة بنى مهدى، نسبة إلى على بن مهدى، نشأ فى قرية العنبرة على ساحل زبيد، اتخذ من الزهد والورع وسيلة لجمع الناس حوله منذ سنة ٥٣١هـ/ ١١٥٩م فلما تجمع لدية خلق كثير هاجم الدولة النجاحية فى زبيد وقضى عليها سنة ٥٥٤هـ/ ١٥٥٩م، وكان ابن مهدى حنفى المذهب فى الفروع، خارجى فى الأصول. (انظر)، عصام الدين عبد الرؤوف الفقى (دكتور) ، اليمن فى ظل الإسلام منذ فجره وحتى قيام دولة بنى رسول، دار الفكر العربى، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م ص ١٩٨ / ٢٠٤، محمد عبد العال أحمد (دكتور)، الأيوبيون فى اليمن، مع مدخل تاريخ اليمن الإسلامى إلى عصرهم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م، ص ٧٠.

(٢) الأشراف السلمانيون، نسبة إلى موسى بن عبدالله بن الحسين بن الحسن بن على بن أبى طالب، وكانوا قد تغلبوا على مكة وأسسوا بها دولة السليمانيين سنة ٣٠١هـ/ ٩١٣م وفى سنة ٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م هزمهم الهواشم وطردوهم منها فنزحوا إلى اليمن ونزلوا فى القسم الشمالى من تهامة الذى عرف بعد ذلك باسم الخلاف السليمانى، (انظر)، محمد عبد العال أحمد، الأيوبيون فى اليمن، ص ١٨.

(٣) دولة بنى زريع فى عدن، نسبة إلى زريع بن العباس بن المكرم، قامت سنة ٤٦٧هـ/ ١٠٧٤، فى عدن وأول ملوكها هو سبأ بن أبى السعود بن زريع، وفى عهد ابنه محمد باعت السيدة بنت أحمد الصليحى آخر ملوك الدولة الصليحية أملاك الدولة الصليحية إليه. (انظر)، عصام الدين الفقى، المرجع السابق، ص ١٩٧، ١٩٨.

(٤) دولة بنى حاتم فى صنعاء، نسبة إلى حاتم بن الغشم الهمدانى، قامت سنة ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م، واستمرت حتى قضى عليها طغتكين بن أيوب سنة ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م. (انظر)، عصام الدين الفقى، المرجع السابق، ص ٢٠٠ - ٢١٤.

(٥) دولة الأئمة الزيدية فى صعدة، نسبة إلى الإمام زيد بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب، ومؤسس هذه الدولة هو ، الإمام الهادى إلى الحق يحى بن الحسين بن القاسم الرسى ينتهى نسبة إلى على بن أبى طالب، وكان أول خروجه إلى اليمن سنة ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م إلى مدينة صعده، (انظر)، عصام الدين الفقى، المرجع السابق، ص ١١٤.

(٦) (انظر) تاريخ الدولة الأيوبية فى اليمن بالتفصيل فى كتاب، محمد عبد العال أحمد، الأيوبيون فى اليمن.

(٧) محمد عبد العال أحمد ، الأيوبيون فى اليمن ، ص ١١٤ .

إلى نشوب صراع شديد بينهم أعاد اليمن مرة أخرى إلى حالة من عدم الاستقرار ، وأمام هذا الصراع بين نواب تورانشاه خشى صلاح الدين الأيوبى من خروج اليمن من السيطرة الأيوبية فأرسل حملة بقيادة وإلى القاهرة صارم الدين خطلُبا بن موسى ولكن الحملة لم تحقق أهدافها نظراً لوفاة خطلُبا (١) ، فأرسل صلاح الدين حملة ثانية بقيادة أخيه سيف الإسلام طغتكين بن أيوب سنة (٥٧٩ هـ) / (٣/ ١١٨٤) قضى فيها على نواب أخيه تورانشاه وأعاد البلاد إلى المظلة الأيوبية مرة أخرى (٢) ، فضلاً عن استيلائه على مناطق جديدة حيث تمكن من القضاء على دولة بنى حاتم فى صنعاء واستيلائه عليها سنة (٥٨٥ هـ) / (٨٩ / ١١٩٠ م) (٣) ، ولكن وفاة طغتكين سنة (٥٩٣هـ / ١١٩٧ م) وقيام ابنه المعز اسماعيل بالأمر ، وخروجه عن المذهب السنى وعن طاعة الدولة الأيوبية والخلافة العباسية وانتسابه إلى بنى أمية وادعائه الخلافة ؛ أدت إلى اضطراب أحوال الأيوبيين فى اليمن مرة أخرى ، وهذا الإضطراب لم ينتهى بمقتله على يد جنده من الأكراد سنة (٥٩٨ هـ) (١ / ١٢٠٢ م) (٤) بل ازدادت الأحوال سوءاً فى عهد خليفته الناصر أيوب بن طغتكين الذى مات مسموماً سنة (٦١١ هـ / ١٢١٤ م) على يد وزيره بدر الدين غازى بن جبريل (٥) مما أحدث فراغاً فى الحكم - إذ لم يكن فى اليمن أحد من بنى أيوب - إلى أن تم التعرف على سليمان بن شاهنشاه بن تقى الدين عمر الأيوبى (٦) ونصب سلطاناً سنة (٦١١ هـ / ١٢١٤ م) (٧) إلا أن سوء سيرته زادت الأحوال اضطراباً فإنتشرت الفوضى فى جميع أنحاء البلاد .

---

(١) محمد عبد العال أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر ، وعلاقات اليمن الخارجية فى عهدها ٦٢٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٣١ - ١٥١٧ م . دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٩ م ، ص ٣٠ ، ٣٣ .

(٢) عصام الدين الفقى ، المرجع السابق ، ص ٢١٠ - ٢١٢ .

(٣) عصام الدين الفقى ، المرجع السابق ، ص ١٢١ ، محمد عبد العال أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٣٤ ، و (انظر) ذلك بالتفصيل عند ، محمد عبد العال أحمد ، الأيوبيون فى اليمن ، الفصل الخامس .

(٤) محمد عبد العال أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٣٤ ، ٣٥ ، و (انظر) ذلك بالتفصيل عند ، محمد عبد العال أحمد ، الأيوبيون فى اليمن ، الفصل السادس .

(٥) قدم إلى مكة فى زى صوفى من الفقراء فاستدعته أم الناصر أيوب ونصبته سلطاناً . (انظر) ، عصام الدين الفقى ، المرجع السابق ، ص ٢٢٧ ، محمد عبد العال أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٧٠ .

(٦) محمد عبد العال أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٣٥ ، و (انظر) ذلك بالتفصيل عند ، محمد عبد العال أحمد، الأيوبيون فى اليمن ، الفصل السابع .

(٧) محمد عبد العال أحمد، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٣٦ ، و(انظر) ذلك بالتفصيل عند، محمد عبد العال أحمد، الأيوبيون فى اليمن، الفصل الثامن .

وأمام هذه الفوضى جهز الملك الكامل الأيوبى فى مصر ابنه المسعود يوسف على رأس حملة سنة (٦١٢ هـ/ ١٢١٥ م) لاقرار الأوضاع فى اليمن ، وقد تمكن المسعود من اعادة الأوضاع إلى طبيعتها وضم إليه مكة واستمر فى الحكم حتى وفاته سنة (٦٢٦ هـ/ ١٢٢٩م) فكان آخر ملوك بنى أيوب فى اليمن[١] .

تاريخ الدولة الرسولية : (٦٢٦ ـ ٨٥٨ هـ / ١٢٢٩ ـ ١٤٥٤ هـ)

ينتسب بنى رسول إلى شمس الدين على بن رسول [٢] والذى قدم إلى اليمن مع أولاده الأربعة [٣] ضمن إحدى الحملات الأيوبية [٤] ، وكان أول ظهور لبنى رسول على مسرح الأحداث اليمنية [٥] عندما قام طغتكين بن أيوب (٥٧٩ ـ ٥٩٣ هـ) (٣/ ١١٨٤ ـ ١١٩٧ م) بتولية شمس الدين على بن رسول نائباً عنه فى مدينة حيس [٦] وأعمالها [٧] ، وفى عهد الأتابك [٨] سنقر (٥٩٨ ـ ٦٠٨ هـ/ ١٢٠٢ ـ ١٢١١ م) أتابك الملك الناصر أيوب بن

---

(١) بنو رسول ، نسبة إلى جدهم رسول واسمه محمد بن هارون بن أبى الفتح ينتهى نسبة إلى جبلة بن الأيهم الغسانى وكان محمد بن هارون مقربًا من الخليفة العباسى (لم تصرح المصادر والمراجع باسم هذا الخليفة ولا تاريخ حكمه) ، ويعمل عنده كرسول إلى من يحب من الملوك بما يريد من الأمور السرية على لسانه من غير كتاب ويرجع بالجواب إليه على لسانه من غير كتاب ، فعرف محمد بن هارون بهذه المنزلة وأطلق عليه اسم رسول الخليفة وخفى على الكثير من الناس اسمه ، وعندما انتقل رسول (محمد بن هارون) إلى مصر عينه الملك الكامل أمير أخور فهو أشهر من وليها . (انظر) ، الخزرجى ، العسجد المسبوك ، ص ١٩٠ ، ولمناقشة صحة نسب بنى رسول إلى الغساسنة فى الشام (انظر) ، محمد عبد العال أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٤٠ ـ ٥٢ ، حسن الباشا (دكتور) ، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية . ثلاثة أجزاء ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، جـ١ ، ص ١٧٥ .

(٢) هم ، بدر الدين الحسن ، فخر الدين أبا بكر ، شرف الدين موسى ، نور الدين عمر . (انظر) ، الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ، جـ١ ، ص ٣٨ .

(٣) هناك اختلاف حول مجئ بنى رسول إلى اليمن فالخزرجى يقول أنهم جاءوا مع تورانشاه ولكنه فى كتاب آخر يقول أنهم جاءوا مع طغتكين بن أيوب سنة ٥٧٩هـ ، ٣/ ١١٨٤م ، (انظر) ، الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ، جـ١ ، ص ٢٨ ، الكفاية والإعلام فيمن ولى اليمن فى الإسلام ، مخطوط ، مصور ميكروفيلم رقم ٢٢٠٦ ، دار الكتب المصرية ، ص ٧١ .

(٤) لمعرفة ظهور بنى رسول فى اليمن قبل قيام دولتهم . (انظر) ، محمد عبد العال أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٨٣ ـ ٨٨ .

(٥) حيس ، هى موضوع الدراسة .

(٦) الأفضل عباس بن السلطان المجاهد على الرسولى ، العطايا السنية والمواهب الهنية فى المناقب اليمنية ، مخطوط ، مصور ميكروفيلم رقم ٣٣٢ ، معهد المخطوطات العربية ، ص ٣٠ ، ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٢٠٠ .

(٧) الأتابك ، من ألقاب الوظائف الفخرية ، وتتألف من أطا بمعنى أب ، وبك بمعنى أمير وتعنى الوالد الأمير ، أو الأب الأمير ، وكانت مهمة الأتابك الوصاية على أولاد السلطان ورعايتهم وتربيتهم وأول من تلقب بها الوزير السلجوقى نظام الملك سنة ٤٦٥ هـ ، حسن الباشا ، الفنون الإسلامية والوظائف ، جـ١ ، ص ٣ .

(٨) حصن حب ، حصن من عزلة سير فى بعدان من لواء إب . (انظر) ، إبراهيم أحمد المقحفى ، معجم المدن والقبائل اليمنية ، دار الكلمة ، صنعاء ، ١٩٨٥م ، ص ١٠٤ .

طتغكين نقله منها وولاه على حصن حب (١) واقطع ابنه بدر الدين الحسن بن على بن رسول منطقة ريمة (٢) واقطع ابنه الآخر فخر الدين أبو بكر وصاب (٣) ثم قام الناصر أيوب باقطاع(٤) بدر الدين الحسن : حرض والهلية (٥) .

ومن هنا يتضح أن بنى رسول أصبحوا من المقربين إلى حكام اليمن الأيوبيين مما مكنهم من لعب دور أكبر بعد ذلك ـ وخاصة بدر الدين الحسن ـ فى تولية سليمان بن تقى الدين شاهنشاه ملكاً على اليمن بعد مقتل الناصر أيوب بن طغتكين ، وكنوع من رد الجميل قام سليمان باقطاع بدر الدين صنعاء .

وفى عهد الملك المسعود يوسف بن السلطان الملك الكامل (٦١٢ ـ ٦٢٦ هـ) / (١٥ / ١٢١٦ ـ ٢٨ / ١٢٢٩ م) لعب بنورسول دوراً بارزاً فى تثبيت ملكة (٦) فازدادوا مكانة عنده وعين بدر الدين الحسن أستاذ داره (٧) سنة (٦١٤ هـ) / (١٧/ ١٢١٨ م) ، ثم ولاه صنعاء سنة (٦١٨ هـ / ١٢٢١ م) وجعلها اقطاعة (٨) ، وعين أخاه نور الدين عمر بن على بن رسول والياً على الحصون الوصابية (٩) ، ثم ولاه سنة (٦١٩ هـ) على مكة (١٠) .

---

(١) ريمة ، اسم لعدة مناطق باليمن أشهرها ريمة الأشابط وريمة جبلان على بعد ٧٠كم جنوب شرق الحديدة وهى تتبع لواء صنعاء ، وريمة المناخى ، جبل يطل على المذيخرة مقر إمارة بنو جعفر المناخى ، وحصن ريمة من عزلة بنى السياغ من أعمال الحيمة الداخلية ، (انظر) ، إبراهيم المقحفى ، معجم المدن ، ص ١٨٧ ، ١٨٨ .

(٢) وصاب ، نسبة إلى وصاب بن سهل بن زيد الجمهور بن حمير الأكبر ، تقع إلى الغرب من صنعاء بحوالى ١٨٢كم وهو ينقسم حاليًا إلى ناحيتين ، ووصاب العالى ووصاب السافل ، (انظر) ، ابن حاتم ، بدر الدين محمد بن حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل اليامى الهمدانى ، السمط الغالى الثمن فى أخبار الملوك من الغز باليمن ، تحقيق ركس سميث ، ١٩٧٣ م ، ص ١٠٥ ، الوصابى ، وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الحبيشى (ت ٧٨٢ هـ) ، تاريخ وصاب الإعتبار في التواريخ والآثار ، تحقيق عبد الله محمد الحبشى ، مركز الدراسات والبحوث اليمنى ، صنعاء ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٩ ص ١١٧ ، إبراهيم المقحفى ، معجم المدن ، ص ١٦٥ .

(٣) ابن حاتم ، السمط الغالى ، ص ١٤٨ .

(٤) حرض ، وادى مشهور شمال غرب حجة ينسب إلى حرض بن خولان بن عمر بن مالك بن حمير ، تقع على ضفافه مدينة حرض . (انظر) ، إبراهيم المقحفى ، معجم المدن ، ص ١١٦ ، أما الهلية فغير معروفة وربما كانت بالقرب من حرض .

(٥) (انظر) تفاصيل تاريخ حكم المسعود عند ، محمد عبد العال أحمد ، الأيوبيون فى اليمن ، الفصل الثامن .

(٦) أستاذ دار ، أو استادار ، بمعنى سيد الدار ، وهى وظيفة عرفت فى العصر العباسى مهمتها ، الإشراف على دار الخليفة أو السلطان ، والعمل على مراعاة الآداب فيها . (انظر) . حسن الباشا ، الفنون الإسلامية والوظائف ، جـ١ ، ص ٤١ .

(٧) ابن حاتم ، السمط الغالى ، ص ١٧٣ .

(٨) الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ، جـ١ ، ص ٢٣ .

(٩) ابن حاتم ، السمط الغالى ، ص ١٧٥ .

(١٠) الأفضل عباس ، العطايا السنية ، ص ٣٠ ، الخزرجى ، العسجد المسبوك ، ص ١٨٤ ، العقود اللؤلؤية ، جـ١ ، ص ٢٣ .

وعندما توجه المسعود إلى مصر سنة (٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م) عين نور الدين عمر أتابكاً للعسكر ونائباً له على اليمن[1] فكان له ولبقية إخوانه دور كبير فى إخماد الفتن وقمع الخارجين والتصدى لجميع الأخطار التى تعرضت لها البلاد أثناء غياب المسعود ، فبزغ نجمهم وذاع صيتهم ، فأوغروا بذلك صدور حسادهم الذين وشوا بهم إلى الملك المسعود عندما عاد إلى اليمن سنة (٦٢٤ هـ / ١٢٢٧ م) واتهموهم بالعمل على الاستقلال بالبلاد [2] ، فاستشعر المسعود خطر بنى رسول على ملكه ولاحظ أن قوتهم ترجع إلى تكاتفهم وتعاضدهم فقام بالقبض على بدر الدين الحسن وفخر الدين أبا بكر وشرف الدين موسى وبعث بهم مقيدين إلى مصر وأبقى على نائبه نور الدين عمر لما كان بينهما من مودة ، وعينه أستاذ داره وأتابك عسكره [3] .

وفى سنة (٦٢٦ هـ) / (٢٨ / ١٢٢٩ م) عين المسعود : نور الدين عمر نائباً عنه فى اليمن وتوجه عائداً إلى مصر ، ولكن الأجل وافاه فى مكة أثناء توجهه إلى مصر فى نفس العام[4] .

قيام الدولة الرسولية سنة : (٦٢٦ هـ) / (٢٨ / ١٢٢٩ م) :

بعد وفاة المسعود الأيوبى فى مكة سنة (٦٢٦ هـ) / (٢٨ / ١٢٢٩ م) أخذ نائبه على اليمن نور الدين عمر بن على بن رسول يمهد لاستقلاله عن الدولة الأيوبية فى مصر ، فقام بعزل نواب الأيوبيين على أقاليم وحصون اليمن واحداً تلو الآخر وعين مكانهم نواباً ممن يثق بهم[5]، ولما توثقت له البلاد خلع طاعة بنى أيوب واستقل بالملك سنة (٦٢٨ هـ) /

---

(١) محمد عبد العال أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٣٦ ، ٣٧ .

(٢) ابن حاتم ، السمط الغالى ، ص ١٩٣ ، الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ، جـ١ ، ص ٤٠ .

(٣) ابن حاتم ، السمط الغالى ، ص ١٩٤ ، ١٩٥ .

(٤) الخزرجى ، العسجد المسبوك ، ص ٢٢٦ ، العقود اللؤلؤية ، جـ١ ، ص ٤٦ .

(٥) ساعدت الظروف السياسية للدولة الأيوبية فى مصر والشام آنذاك على استقلال بنى رسول فى اليمن إذ أن الصراع بين أفراد البيت الأيوبى كان على أشده فاستقل كل منهم بما تحت يده بعد وفاة السلطان العادل ، ودخل الأخوة فى صراع فيما بينهم حتى أنهم تحالفوا مع الأعداء ضد بعضهم فتحالف المعظم مع الخوارزمية وتحالف الكامل مع فريدريك حتى أنه سلمه بيت المقدس مقابل مساعدته له ، (انظر) ، محمد عبد العال أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٩١ ، ٩٨ .

(٣٠/ ١٢٣١ م) [١] وتلقب بالمنصور واتخذ تعز ـ عاصمة الأيوبيين فى اليمن ـ عاصمة لدولته وضرب السكة سنة (٦٣٠ هـ) / (٣٢/ ١٢٣٣ م) ودعى له على منابر اليمن [٢] وبعث سنة (٦٣١ هـ/ (٣٣/ ١٢٣٤ م) بهدية إلى الخليفة العباسى المستنصر فى بغداد [٣] ، وطلب منه تشريفه بالنيابة وتقليداً بالسلطنة [٤]، فوصل التقليد بالتشريف سنة (٦٣٢ هـ) / (٣٤/ ١٢٣٥ م) وبذلك استكمل نور الدين مظاهر استقلاله عن الدولة الأيوبية وحكم اليمن تحت مظلة الخلافة العباسية مباشرة .

وتبعاً لنظرية نقل المعركة إلى أرض العدو أسهل وسيلة للدفاع قام السلطان المنصور عمر ينقل المعركة مع الأيوبيين ـ بعيداً عن أرض اليمن ـ إلى بلاد الحجاز تأميناً لسلامة دولته [٥]، فاستولى على الحجاز سنة (٦٢٩ هـ) / (٣١/ ١٢٣٢ م) [٦] والتى أصبحت بمثابة خط دفاعى متقدم لحماية اليمن ، وبذلك دخلت مكة فى الصراع الدائر بين الدولتين الرسولية والأيوبية باعتبارها قلب الإسلام وقبلته ، ولم تحسم السيطر لأى من الطرفين المتصارعين فكانت تارة يستولى عليها الأيوبيين وتارة أخرى يستولى عليها الرسولين إلى أن تمكن السلطان المنصور عمر من حسم أمر تبعيتها لصالح الدولة الرسولية فى حملة قادها بنفسه سنة (٦٣٩هـ)/ (٤١/ ١٢٤٢ م) [٧]، وبذلك استطاع إيقاف الخطر بعيداً عن أرض اليمن وتفرغ داخلياً للقيام بحملات دورية ضد القوى الداخلية التى تهدد ملكه وأهمها القوة الزيدية التى تسيطر على المناطق الشمالية والشرقية من البلاد ، وذلك حتى مقتله سنة (٦٤٧ هـ) / (٤٩/ ١٢٥٠ م) .

---

(١) الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ، جـ١ ص ٥٤ ، العسجد المسبوك ، ص ٢٢٩ .

(٢) المستنصر ، أبو جعفر منصور بن الظاهر محمد بن الناصر أحمد (حكم ٦٢٣ ـ ٦٤٠هـ/ ١٢٢٦ ـ ١٢٤٢م) وإليه تنسب المدرسة المستنصرية فى بغداد ، (انظر) ، ابن حاتم ، السمط الغالى ، ص ٢٠٦ ، ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٣٠٣ ، محمد عبد العال أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٩٩ .

(٣) الخزرجى ، العسجد المسبوك ، ص ١٩٥ ، محمد عبد العال أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٩١ .

(٤) محمد عبد العال أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٦٢ .

(٥) عبدالله إبراهيم الراشد ، المنشآت المعمارية الرسولية فى اليمن ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م ، ص ١٧ .

(٦) ابن حاتم ، السمط الغالى ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

(٧) محمد عبد العال أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ١٠٠ ، ١٠١ ، عبد الله الراشد ، المنشآت المعمارية ، ص ١٨ .

الدولة الرسولية بعد وفاة مؤسسها :

١ ـ السلطان المظفر يوسف بن السلطان المنصور : (٦٤٧ ـ ٦٩٤ هـ) / (٤٩/ ١٢٥٠ ـ ٩٤ / ١٢٩٥ م)

كان السلطان المنصور قُبيل مقتله سنة ((٦٤٧ هـ) قد مال إلى تولية ابنه الأصغر الملك المفضل سلطاناً استجابة لرغبة زوجته أم المفضل والتى كانت قد غلبتْ عليه حتى جعلته يقوم بإبعاد ابنه الأكبر المظفر يوسف من ولاية العهد وتوليته مدينة المهجم [١] ، واستحلف العسكر لولده الأصغر المفضل ، مما أثار حفيظة المظفر ضد أبيه وهم بالخروج من المهجم إلى بغداد للشكوى للخليفة العباسى المستعصم [٢] بما أقدم عليه والده ، ولكن مقتل السلطان المنصور[٣] المفاجئ على يد مماليكه فى مدينة الجند [٤] سنة (٦٤٧ هـ) / (٤٩/ ١٢٥٠ م) وما تلى ذلك من ظهور مؤشرات على تفكك الدولة ومنها : ميل الأمراء المماليك إلى ابن عمه فخر الدين بن الحسن بن على بن رسول وإلى فشال [٥] حيث لقبوه بالمعظم وحلفوا له وحاصروا زبيد ، وكذلك استيلاء ابن عمه الآخر أسد الدين محمد ـ أخو فخر الدين ـ وإلى صنعاء وأعمالها على ما تحت يده ، واستيلاء أخوته المفضل والفائز ابنى المنصور عمر على الحصون والمدائن والمعاقل والخزائن ، وقيام الإمام أحمد بن الحسين بالإمامة واستيلائه على معظم البلاد العليا وحصونها [٦] .

كل ذلك أثنى عزم المظفر عن الخروج إلى بغداد وقام بجمع العسكر ومن انضم إليه من

---

(١) المهجم ، مدينة خربة فى تهامة ، تقع على ضفاف وادى سردد ، وكانت عاصمة القسم الشمالى من تهامة حتى تهدمها فى القرن ١٢هـ/ ١٨م . (انظر) ، إبراهيم المقحفى ، معجم المدن ، ص ٤٢١ .

(٢) الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ، جـ١ ، ص ٨٣ ـ ٨٧ .

(٣) سبب مقتل السلطان ، يذكر الخزرجى أن السلطان أراد انتزاع إقطاع صنعاء من يد ابن أخيه أسد الدين محمد بن الحسن بن على بن رسول ويجعلها لابنه المظفر فعز ذلك على أسد الدين فعامل المماليك على قتل عمه فقتلوه فى ٩ ذى القعدة سنة ٦٤٧هـ/ ١٥ فبراير ١٢٥٠م . (انظر) ، الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ، جـ١ ص ٨١ ، العسجد المسبوك ، ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، محمد عبد العال أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ١١٥ .

(٤) الجَنَد ، مدينة تقع على بعد ٢٢كم شمال شرق تعز سميت باسم جند بن شهران بن المعافر ، وهى مدينة قديمة بنى بها أول مسجد فى اليمن على يد الصحابى الجليل معاذ بن جبل فى العام الثامن للهجرة وكانت الجند أحد أقسام اليمن قبل الإسلام وبعده ، حيث كانت تعرف باسم مخلاف الجند ، (انظر) ، إبراهيم المقحفى ، معجم المدن ، ص ٩٥ .

(٥) فشال ، بلدة خربة فى تهامة من أعمال وادى رمع شمال مدينة زبيد موضعها الآن قرية الحسينية . (انظر) ، إبراهيم المقحفى ، معجم المدن ، ص ٢١٦ .

(٦) الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ، جـ١ ، ص ٨٧ ، ٨٨ ، العسجد المسبوك ، ص ٢١١ .

عرب تهامة والجبال وخرج من المهجم أواخر سنة (٦٤٧ هـ) / (٤٩/ ١٢٥٠ م) واستولى على زبيد وقبض على فخر الدين ، وفى أوائل سنة (٦٤٨ هـ) / (٥٠/ ١٢٥١ م) استولى على باقى أجزاء تهامة وعدن وحصون بلاد المعافر مثل : حصن يمين ومنيف [١] ، وكان أكبر نجاح حققه المظفر فى هذا العام : عقد صلح مع ابن عمه أسد الدين وإلى صنعاء [٢] .

وفى هذه الأثناء كان المفضل والفائز وأمهما بنت جوزه قد لجأوا إلى حصن الدملوة [٣] خوفاً من المظفر مما مكن الأخير من الإستيلاء على العاصمة تعز بسهولة سنة (٦٤٨ هـ) / (٥٠/ ١٢٥١ م) [٤] وحاصرهم بالحصن حتى اضطرهم إلى عقد صلح اعترفا بموجبه بالمظفر سلطاناً مقابل إقطاع أخيه المفضل « أبين » [٥] وإقطاع أخيه الفائز ، حيس وموزع [٦] على أن يظل حصن الدملوة مسكناً لهما ولوالدتهما وأن يجعل أخته الدار الشمسى وابنه الأشرف عمر رهائن فى الحصن ، ورغم ذلك فقد تمكن المظفر من الإستيلاء على الحصن سنة (٦٥٠ هـ) / (١٢٥٢ م) بحيلة ديرها مع أخته وابنه [٧] وفرض على أخويه المفضل والفائز وأمهما الإقامة فى ذى هزيم [٨] ثم أسكنهم حيس [٩] .

---

(١) بلاد المعافر ، الاسم القديم لبلاد الحجرية حاليًا ، تنسب إلى المعافر بن يعفر بن السكسك بن وائل بن سبأ ، تقع جنوب مدينة تعز وتضم عدد من الحصون من أهمها حصن يمين شمال ذبحان بمسافة ٨كم ، وحصن منيف فى ذبحان أيضًا وهو المقصود هنا وإن كان هناك عدد من الحصون فى اليمن تحمل نفس الإسم . (انظر) ، إبراهيم المقحفى ، معجم المدن ، ص ٣٩٤ ، ٤١٥ ، ٤٧٧ .

(٢) ابن حاتم ، السمط الغالى ، ص ٢٥٥ ـ ٢٧١ ، الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ، جـ١ ، ص ٨٨ ـ ٩٤ ، محمد عبد العال أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ١٩٩ ـ ١٢٢ .

(٣) حصن الدملوة ، حصن منيع فى الصلو من بلاد المعافر (الحجرية) . (انظر) ، إبراهيم المقحفى ، معجم المدن ، ص ١٦٠ .

(٤) ابن حاتم ، السمط الغالى ، ص ٢٧٣ ، الخزرجى ، العسجد المسبوك ، ص ٢١٥ .

(٥) أبين ، مخلاف ـ محافظة حاليا ـ على ساحل بحر العرب والمحيط الهندى إلى الشرق من عدن ، تنسب إلى أبين بن ذى يقدم بن الصوار بن عبد شمس بن وائل ، ينتهى نسبة إلى حمير بن سبأ ، (انظر) ، إبراهيم المقحفى ، معجم المدن ، ص ٨ ، ٩ .

(٦) موزع ، مدينة تقع على ضفاف وادى موزع جنوب غرب تعز على بعد ٨٠كم تنسب إلى موزع بن القفاعة بن عبد شمس بن وائل ، وبها عدد من الجوامع والمساجد والمدارس الرسولية والطاهرية ، (انظر) ، إبراهيم المقحفى ، معجم المدن ، ص ٤١٧ .

(٧) ابن حاتم ، المسط الغالى ، ص ٢٩٦ ـ ٣٠١ ، الخزرجى ، العسجد المسبوك ، ص ٢٢٠ ـ ٢٢٢ ، محمد عبد العال أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ١٢٣ .

(٨) ذى هزيم ، قرية جنوب غرب مدينة تعز . (انظر) ، إبراهيم المقحفى ، معجم المدن ، ص ٤٤٩ .

(٩) محمد عبد العال أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ١٢٨ .

وهكذا قضى المظفر على المنافسين له من أبناء البيت الرسولى واستعاد حقه فى الجلوس على عرش الدولة ، ولم يبق أمامه سوى اعتراف الخليفة العباسى بسلطانه فبعث رسولاً لى الخليفة المستعصم الذى أرسل رسولاً إلى اليمن سنة (٦٤٩ هـ) / (٥١/ ١٢٥٢ م) ألبس المظفر الخلعة وقرأ عليه منشور الخليفة وولاء العهد بوكالة المستعصم فى ذلك [١] وأمره أن يستأصل الإمام أحمد بن الحسين الذى كان قد استغل مقتل السلطان المنصور واستولى على صنعاء وذمار [٢] سنة (٦٤٨ هـ) / ١٢٥٠ م) فجهز المظفر ابن عمه أسد الدين [٣]على رأس حملة لاسترداد صنعاء التى انسحب منها الإمام قبل وصول الحملة ، وتلى ذلك نشوب خلاف بين الإمام والأشراف بنى حمزة الذين انضموا إلى المظفر فأمدهم بأسد الدين الذى استولى على صعده سنة (٦٥٢ هـ/ ١٢٥٤ م) وبسط نفوذ الدولة الرسولية على قسم كبير من المناطق الشمالية ، فى نفس الوقت واصل الأشراف حروبهم ضد الإمام أحمد بن الحسين حتى تمكنوا من قتله سنة (٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م) [٤] .

وكان من نتائج تخلص السلطان المظفر من منافسه القوى الإمام أحمد بن الحسين أن استقرت أحوال اليمن بقية فترة حكمه وان كان يحدث من حين لآخر ما يعكر صفو هذا الاستقرار نظراً لقيام الزيديين بانتهاز أى فرصة للخروج على طاعة الدولة الرسولية وخاصة مع قيام أى إمام جديد ، ولذلك ظل الأئمة يمثلون الخطر الأكبر والمستمر الذى يتهدد الدولة الرسولية ، مما جعل العلاقة بينهما طوال عهد المظفر تتراوح بين المد والجزر داوم خلالها المظفر على إرسال الحملات ضدهم حتى لا يترك لهم أى مجال لتنظيم صفوفهم [٥] .

وبانحسار الخطر الزيدى بعد مقتل الإمام أحمد بن الحسين وجه المظفر جهوده وحملاته

---

(١) الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ، جـ١ ، ص ٩٦ ، ٩٧ ، العسجد المسبوك ، ص ٢١٩ ، ٢٢٠ .

(٢) ذمار ، مدينة كبيرة جنوب صنعاء على بعد ٩٩ كم تنسب إلى ذمار بن يحصب بن دهمان بن سعد بن سعدى وبها مسجد جامع مع أيام الخليفة أبو بكر الصديق ، (انظر) ، إبراهيم المقحفى ، معجم المدن ، ص ١٦٨ .

(٣) بعد مقتل السلطان المنصور استولى أسد الدين على ما تحت يده ثم انضم إلى الإمام أحمد بن الحسين ضد المظفر ولكن الشريف شمس الدين استطاع إعادة أسد الدين إلى طاعة المظفر صلحًا فأعاد عليه ولايته على صنعاء ولكن أسد الدين خرج على ابن عمه مرة أخرى عندما قبض المظفر على عمه بدر الدين الحسن ـ والد أسد الدين ـ بعد عودته من مصر وسجنه فى تعز ، ثم عاد أسد الدين إلى الطاعة ، (انظر) ، الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ، جـ١ ، ص ٩٧ .

(٤) محمد عبد العال أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ١٣٧ ، ١٤١ .

(٥) محمد عبد العال أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ١٤٩ ، عبدالله الراشد ، المنشآت المعمارية ، ص ٢٠ ، ٢١ .

لاسترداد مكة من أيدى الأشراف السليمانيين الذين كانوا ـ بعد مقتل المنصور عمر ـ قد خرجوا عن طاعة الدولة الرسولية وانضموا إلى دولة المماليك البحرية ـ التى قامت حديثاً ـ فى مصر ، وتمكن من استردادها سنة (٦٥٢ هـ) / (١٢٥٤ م) ، وظلت تحت السيادة الرسولية حتى عصر المقريزى (ت ٨٤٥ هـ) [١] الذى يذكر أنه (خطب للملك المظفر فى مكة واستمر يخطب لمن بعده من ملوك اليمن إلى يومنا هذا) [٢] ، بالإضافة إلى تمكن المظفر من بسط سيطرته على المناطق الشرقية لليمن بعد استيلائه على ظفار الحبوضى سنة (٦٧٨ هـ) / (٧٩/ ١٢٨٠ م) [٣].

٢ ـ السلطان الأشرف عمر بن السلطان المظفر : (٦٩٤ ـ ٦٩٦ هـ) / (٩٤/ ١٢٩٥ ـ ٩٦/ ١٢٩٧ م) .

كان المظفر قبل وفاته سنة (٦٩٤ هـ) بعدة أشهر قد خص ابنه الأكبر الأشرف عمر بخلافته ، فأصدر له تقليداً بالسلطنة وحلف العسكر له وجمع اسمه معه فى الخطبة والسكة [٤] خوفاً من تنازع أبنائه على الحكم ، ولكن حدث ما كان يخشاه المظفر حيث دب الخلاف بين ولديه الأشرف والمؤيد داود بمجرد موته ودارت بينهما معركة قوية انتهت بهزيمة المؤيد وسجنه فى حصن تعز [٥] سنة (٦٩٥ هـ) / (٩٥/ ١٢٩٦ م) .

---

(١) المقريزى هو ، تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر صاحب كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بخطط المقريزى ، وكتاب السلوك فى معرفة دول الملوك ، عاش فيما بين ٧٦٦ ، ٨٤٥هـ/ ١٢٦٥ ، ١٤٤١م (انظر) ، الزركلى ، خير الدين ، الأعلام ، ٨ مجلدات ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة السابعة ١٩٨٦م ، جـ١ ، ص ١٧٧ ـ ١٧٨ .

(٢) اسماعيل بن على الأكوع ، المدارس الإسلامية فى اليمن ، منشورات جامعة صنعاء ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ، ص ٨٦ .

(٣) ظفار الحبوضى ، مدينة تقع على ساحل البحر العربى من حضرموت ، اختطها أحمد بن محمد الحبوضى فى القرن ٦هـ/ ١٢م ، وهى حاليا عبارة عن أطلال أثرية تقع وسط مدينة صلاله الحديثة فى سلطنة عمان ، وكان السلطان المظفر قد استولى عليها ، بعد أن قام سلطانها سالم بن ادريس الحبوضى بالتعرض لرسل المظفر إلى ملك الصين ونهب تجار اليمن المتجهين إلى الهند والصين ، ولما لم يستجب للإنذارات المتكررة لاطلاق ما استولى عليه ، جهز المظفر حملة عسكرية كبيرة قسمت إلى ثلاثة جيوش ، الأول سار فى البحر ، والثانى سار على الساحل ، والثالث سار من وسط البلاد مروراً بمدينة شبوه شرق مأرب ، والتقت الجيوش الثلاثة فى يوم واحد قرب ظفار ، وتمكنوا بعد معركة صغيرة من قتل سالم بن ادريس والاستيلاء على ظفار ، لمزيد من التفاصيل حول أسباب الحملة العسكرية وخط سيرها ونتائجها ، (انظر) ، ابن حاتم ، السمط الغالى ، ص ٥٠٥ ـ ٥٢٩ ، الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ، جـ١ ، ص ١٨١ ـ ١٨٥ ، العسجد المسبوك ، ص ٢٥٢ ـ ٢٥٦ .

(٤) ابن حاتم ، السمط الغالى ، ص ٥٦٦ .

(٥) محمد عبد العال أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ١٦٥ .

٣ ـ السلطان المؤيد داود بن المظفر : (٦٩٦ ـ ٧٢١ هـ) / (٩٦/ ١٢٩٧ ـ ١٣٢١ م)

لم يستمر الأشرف فى الحكم طويلاً إذ سرعان ما توفى سنة (٦٩٦ هـ) / (٩٦/١٢٩٧ م) فعمد أكابر القوم إلى إخراج أخيه المؤيد من السجن وتوليته الملك [١] فقام بالتخلص من كل وزراء أخيه الأشرف ورجاله وقرب إليه أتباعه [٢] بالإضافة إلى تخلصه من منافسة أخيه الملك المسعود بن المظفر سنة (٦٩٧هـ) / (٧، / ١٢٩٨ م) [٣] وكذلك اخضاع الأشراف السليمانيين لطاعته سنة (٧٠١ هـ) (١/ ١٣٠٢ م) بعد أن رفضوا القبول بنفوذه عليهم [٤] .

وكان السلطان المؤيد دائم الحركة لا يدع مشكلة دون حل منعاً من تعقد الأمور ، ولذلك لم يكن يتوانى فى القضاء على أى بادرة للخروج عن طاعته سواء أكان ذلك من الزيديين أو القبائل الأخرى أو حتى من أبناء البيت الرسولى [٥] ، وقد استمر فى سياسته هذه حتى وفاته سنة (٧٢١ هـ) / (١٣٢١م) .

٤ ـ السلطان المجاهد على بن المؤيد : (٧٢١ـ ٧٦٤ هـ) / (١٣٢١ ـ ٦٢/ ١٣٦٣ م)

تولى الملك بعد أبيه ، وكانت بدايته فى الحكم تنم عن التسرع والعجلة حيث قام بإقصاء أعوان أبيه عن السلطة وقرب إليه خاصته فضلاً عن سوء معاملته للجند ، مما نفرهم منه ، فقبضوا عليه فى شهر جمادى الآخرة من سنة (٧٢٢ هـ) / (١٣٢٢ م) وسجنوه فى قلعة تعز وأقاموا عمه المنصور أيوب بن المظفر سلطاناً [٦] ، ولكن الأخير لم يأخذ حذره من أعوان ابن أخيه المجاهد والذين قاموا باعتقال المنصور أيوب وإطلاق سراح المجاهد فى شهر رمضان من نفس السنة [٧] فقام الظاهر بن المنصور أيوب وإلى الدملوة ، بجمع العساكر وتوجه إلى تعز

---

(١) ابن الديبع ، بغية المستفيد فى تاريخ مدينة زبيد ، تحقيق : عبدالله محمد الحبشى ، مركز الدراسات والبحوث اليمنى ، صنعاء ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٩م ، ص ٨٨.

(٢) اليمانى ، تاج الدين عبد الباقى بن عبد المجيد ، تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن فى تاريخ اليمن ، تحقيق : مه حجازى ، دار الكلمة صنعاء ، الطبعة الثانية ١٩٨٥م ، ص ١٠٢ .

(٣) الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ، جـ١ ، ص ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، العسجد المسبوك ، ص ٢٨٥ ، ابن الديبع ، قرة العي ٣٤٣ .

(٤) الخزرجى ، العسجد المسبوك ، ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

(٥) محمد عبد العال أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ١٧٥ ، ١٨٤ .

(٦) الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ، جـ٢ ، ص ٤ ، العسجد المسبوك ، ص ٣٤٠ ، محمد ع طاهر ، ص ١٨٧ ، ١٨٨ .

(٧) الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ، جـ٢ ، ص ٤ ، العسجد المسبوك ، ص ٣٤٢ ، مـ وبنو طاهر ، ص ١٩٠ .

فى محاولة لاستنقاذ أبيه واستولى عليها وحاصر المجاهد فى قلعتها إلا أن حاشية الأخير تمكنوا من إجبار الظاهر على فك الحصار عن القلعة وتوجهه إلى زبيد واستيلائه عليها وعلى البلاد التهامية ، وكذلك على عدم ولحج [١] وحضر موت [٢] .

وفى سنة (٧٢٤ هـ) أرسل الظاهر حملة أخرى تمكنت من محاصرة المجاهد فى حصن تعز [٣] وأمام شدة الحصار اضطر إلى الاستنجاد بأعدائه الزيديين والأشراف السليمانيين الذين تمكنوا جميعاً من هزيمة الظاهر سنة (٧٢٤) / (١٣٢٤ م) [٤] ، ورغم الهزيمة فإن الصراع بين الظاهر والمجاهد لم ينتهى إلا بعقد الصلح بينهما سنة (٧٣٠ هـ) / (٣٠/ ١٣٣١م) [٥] والذى كان من نتائجه تفرق أعوان الظاهر عنه مما سهل للمجاهد القبض عليه وسجنه بحصن تعز سنة (٧٣٤ هـ) / (٣٤/ ١٣٣٥ م) ثم لم يلبث أن مات فى نفس السنة [٦] .

وبانتهاء مشكلة الظاهر تفرغ المجاهد لاستعادة السيطرة على بقية أجزاء الدولة وقمع الخارجين عليه من أفراد البيت الرسولى والقوى الأخرى والتى استمرت حتى وفاته سنة (٧٦٤ هـ) [٧] (٦٢/ ١٣٦٣ م) .

٥ ـ الأفضل عباس بن المجاهد : (٧٦٤ـ٧٧٨ هـ) / (٦٢/ ١٣٦٣ ـ ٧٦/ ١٣٧٧ م)

خلف أبيه فى الحكم وقد بدأ عهده بمواجهة التركة المثقلة بالمشاكل التى خلفها والده وراءه ، ومنها : خروج العادل والصالح والمظفر على أبيهم المجاهد ، فضلاً عن خروج قبائل تهامة ـ المعازبة والقرشية ـ [٨] عن الطاعة ، وخروج وإلى حرض نور الدين ابن ميكائيل عن الطاعة سنة (٧٦١ هـ) / (٥٩/ ١٣٦٠ م) وتلقبه بالسلطنة وضربه السكة باسمه [٩] بالإضافة إلى القوى الزيدية العدو اللدود والمستمر لبنى رسول .

---

(١) الحج، مخلاف كبير ـ محافظة حاليًا ـ شمال غرب عدن بـ ٢٥ ميل، ينسب إلى لحج بن وائل بن الغوث . . بن سبأ. (انظر)، إبراهيم المقحفى، معجم المدن، ص٣٥٥.

(٢) حضرموت، محافظة تقع جنوب شرق اليمن. (انظر)، إبراهيم المقحفى، معجم المدن، ص ١٢٢، ١٢٣، محمد عبد العال أحمد، بنو رسول وبنو طاهر، ص ١٨٧ .

(٣) اليمانى، تاريخ اليمن، ص ١٣٦، ١٣٨ .

(٤) الخزرجى، العسجد المسبوك، ص ٣٤٩، ٣٥٠، محمد عبد العال أحمد، بنو رسول وبنو طاهر، ص ١٩٣ .

(٥) الخزرجى، العقود اللؤلؤية، جـ٢ ، ص ٥٥، العسجد المسبوك، ص ٣٦٩.

(٦) الخزرجى، العسجد المسبوك، ص ٣٧٣، محمد عبد العال أحمد، بنو رسول وبنو طاهر، ص ١٨٧ ـ ١٩٩ .

(٧) الخزرجى، العقود اللؤلؤية، جـ٢ ، ص ١١٩ ـ ١٢٧ .

(٨) المعازبة والقرشية، من قبائل تهامة الساكنة فى المنطقة المحيطة بمدينة بيت الفقيه ابن عجيل، (انظر)، إبراهيم المقحفى، معجم المدن، ص ١٩١، ١٩٢، ٣٩٣.

(٩) محمد عبد العال أحمد، بنو رسول وبنو طاهر، ص ٢٠٧ ـ ٢١١ .

فقام الأفضل بإرسال الحملات الواحدة تلو الأخرى لقمع الخارجين ، حقق فى بعضها بعض النجاحات ولكن لم يتمكن من القضاء نهائياً على كل القوى المعارضة[1] وذلك حتى وفاته سنة (٧٧٨ هـ) / (٧٦/ ١٣٧٧ م) .

٦ ـ الأشرف الثانى اسماعيل بن الأفضل : (٧٧٨ ـ ٨٠٣ هـ)/ (٧٦/ ١٣٧٧ ـ ٤٠٠/ ١٤٠١م)

قام الأشرف بمجرد توليه الحكم سنة (٧٧٨ هـ) / (٧٦/ ١٣٧٧ م) بمواصلة محاولات أبيه للقضاء على تمرد قبائل تهامة وضرب القوى المعارضة الزيدية [2]، وخاصة بعد وفاة الإمام الزيدى الناصرى صلاح الدين [3]سنة (٧٩٣هـ/ ١٣٩١ م) مما أدى إلى ضعف القوة الزيدية فكان لذلك أثره الكبير فى أن يعم الهدوء والاستقرار المناطق الخاضعة لسيطرة الدولة الرسولية بقية فترة حكمه التى امتدت حتى نسة (٨٠٣ هـ) / (٤٠٠/ ١٤٠١ م)[4].

٧ ـ الناصر أحمد بن الأشرف : (٨٠٣ ـ ٨٢٧ هـ) / (٤٠٠/ ١٤٠١ ـ ١٤٢٤ م) .

بموت السلطان الأشرف الثانى بدأت الدولة تسير نحو التدهور والاضمحلال نظراً لضعف خلفائه حيث كان الأشرف قد عهد بالحكم إلى ابنه الناصر أحمد والذى أخذ يعمل على اخماد أى فتنة قبل أن يستفحل أمرها ، فقضى على ثورة أهل وصاب سنة (٨١٨ هـ/ ١٤١٥م)[5] ومد يد العون إلى بنى طاهر نوابه على رداع [6] عندما أغار عليهم الإمام المنصور على بن

---

(١) الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ، جـ ١ ، ص ١٣٤ ـ ١٣٧ ، العسجد المسبوك ، ص ٤١٢ ، ابن الديبع ، بغية المستفيد ، ص ٩٦ ـ ٩٨ .

(٢) الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ، جـ ٢ ، ص ١٠٤ ، ١٠٧ .

(٣) الإمام الناصر صلاح الدين ، محمد بن الإمام المهدى ، ينتهى نسبه إلى الإمام يحيى بن حمزه ، خلف والده الإمام المهدى سنة ٧٧٣هـ واستولى على كثير من البلاد ومنها صنعاء ، توفى سنة ٧٩٣هـ ودفن بمسجده بصنعاء ، (انظر) ، الشوكانى ، محمد بن على ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ـ جزءان ـ دار المعروفة للطباعة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٣٤٨هـ ، جـ ٢ ، ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦ .

(٤) الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ، جـ ٢ ، ص ١٢٦ ، العسجد المسبوك ، ص ٥٠٥ .

(٥) يحى بن الحسين بن القاسم (ت ١١٠٠هـ/ ١٦٨٩م) ، غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى ـ جزاءن ـ تحقيق د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، مراجعة د. محمد مصطفى زياده دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م جـ ٢ ، ص ٥٥٨ ـ ٥٦٣ .

(٦) رداع ، تعرف باسم رداع العرش وتقع شرق ذمار بـ ٥٣ كم تضم العديد من المدارس الطاهرية ، (انظر) ، إبراهيم المقحفى ، معجم المدن ، ص ١٧٥ .

الناصر صلاح الدين [1]، فضلاً عن قضائه على منافسة أخيه حسين له والذى استولى على زبيد وأعلن نفسه سلطاناً سنة (٨٢٢هـ/ ١٤١٩ م) [2] . وقد توفى الناصر أحمد سنة (٨٢٧هـ/ ١٤٢٤ م) .

٨ ـ المنصور عبد الله بن الناصر أحمد : (٨٢٧ ـ ٨٣٠ هـ) / (١٤٢٤ ـ ٢٦/ ١٤٢٧ م)

بعد وفاة الناصر أحمد خلفه ابنه المنصور عبد الله وكان صغير السن [3] لذلك لم يستمر حكمه سوى ثلاث سنوات توفى بعدها سنة (٨٣٠ هـ) / (٢٦/ ١٤٢٧ ـ ٢٧/ ١٤٢٨ م)[4].

٩ ـ الأشرف الثالث إسماعيل بن الناصر أحمد : (٨٣٠ ـ ٨٣١ هـ) / (٢٦/ ١٤٢٧ ـ ٢٧/ ١٤٢٨ م) .

خلف أخاه على الحكم سنة (٨٣٠ هـ) / (٢٦/ ١٤٢٧ م) وكان صغير السن أيضاً فاستبدت حاشيته من الأمراء والعبيد بالحكم دونه ، مما أدى إلى حدوث التنافس الشديد بين الأمراء والعبيد [5] ، فقاموا بالقبض على الأشرف وسجنه سنة (٨٣١ هـ) / (٢٧/ ١٤٢٨م) .

١٠ ـ الظاهر يحى بن الأشرف الثانى اسماعيل بن الأفضل : (٨٣١ ـ ٨٤٢ هـ) / (٢٧/ ١٤٢٨ ـ ٣٨/ ١٤٣٩ م) .

بعد أن قبض الأمراء والعبيد على الأشرف وسجنه أخرجوا عمه الظاهر يحى من السجن [6] وبايعوه سلطاناً سنة (٨٣١ هـ) / (٢٧/ ١٤٢٨ م) [7] وقد بدأ الظاهر حكمه بمحاولة اعادة الاستقرار واستتباب الأمن فى البلاد ولكن كثرة الفتن واستفحال التمرد والعصيان وخاصة فى اقليم تهامة لم تمكن السلطان من تحقيق ما أراد فعجز عن القضاء عليها إلى أن توفى سنة (٨٤٢ هـ) / (٣٨/ ١٤٣٩ م) [8] .

---

(١) الإمام المنصور على بن الناصر صلاح الدين محمد بن الإمام المهدى (السابق ذكره) ولد سنة ٧٧٥هـ/ ١٣٧٢م، بويع بالإمامة سنة ٧٩٣هـ/ ١٢٩١م خلفا لوالده الذى توفى فى نفس السنة، وقد ظل يحكم حتى توفى سنة ٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م. (انظر)، الشوكانى، البدر الطالع ، جـ١، ص ٤٨٧ .

(٢) الخزرجى، العسجد المسبوك، ص ٥٠٩، ابن الديبع، قرة العيون ، ص ٢٩٠.

(٣) ابن الديبع، قرة العيون، ص ٢٩٢.

(٤) الخزرجى، العسجد المسبوك، ص ٥١١ .

(٥) الخزرجى، العسجد، ص ٥١١ ، ٥١٢ .

(٦) كان الظاهر سجينا من أيام أخيه الناصر أحمد، (انظر)، محمد عبد العال أحمد، بنو رسول وبنو طاهر، ص ٢٣٣ .

(٧) الخزرجى، العسجد المسبوك، ص ٥١٢ .

(٨) الخزرجى، العسجد المسبوك، ص ٥١٥ ، محمد عبد العال أحمد، بنو رسول وبنو طاهر، ص ٢٣٣ ـ ٢٣٥ .

١١ ـ الأشرف الرابع اسماعيل بن الظاهر : (٨٤٢ ـ ٨٤٥ هـ) / (٣٨/ ١٤٣٩ ـ ٤١/ ١٤٤٢م)

خلف والده على الحكم سنة (٨٤٢ هـ) / (٣٨/ ١٤٣٩ م) ، وكان صغير السن جهولاً سفاكاً للدماء شديد الحزم والانتقام حتى أنه لقب بالمجنون [١] ، مما أدى إلى إثارة الفتن حوله أكثر فأكثر ، وكان من أهمها خروج قبيلتى المعازية والقرشية عن الطاعة فخاض عدة معارك ضدهم انتهت بهزيمته ونجاته من القتل بأعجوبة مما أدى إلى زعزعة أركان دولته واستمرار الفتن حتى وفاته سنة (٨٤٥هـ) / (٤١/ ١٤٤٢ م) [٢] .

١٢ ـ المظفر الثانى يوسف بن عمر بن اسماعيل : (٨٤٥ ـ ٨٥٤ هـ) / (٤١/ ١٤٤٢ ـ ١٤٥٠م)

بعد وفاة الأشرف الرابع سنة (٨٤٥ هـ) / (٤١/ ١٤٤٢ م) خلفه على الحكم ابن عمه المظفر الثانى يوسف بن عمر بن اسماعيل بن العباس ، وفى عهده دخلت الدولة الرسولية مرحلة النزع الأخير حيث تنافس على الحكم عدد من أبناء البيت الرسولى أدعى كل منهم السلطنة ، وكان المشجع لهم أمراء المماليك الرسوليين ومن هؤلاء الذين ادعوا السلطنة .

١ ـ المفضل محمد بن اسماعيل بن عثمان بن الأفضل عباس ، سنة (٨٤٦ هـ) / (٤٢/ ١٤٤٣ م) [٣] .

٢ ـ الناصر أحمد بن الظاهر يحى بن يوسف عبد الله بن المجاهد ، سنة (٨٤٦ هـ) / (٤٢/ ١٤٤٣ م) أيضاً ، إلا أن الأمراء المماليك خلعوه فى نفس السنة وعينوا المسعود بدلاً عنه [٤] .

٣ ـ المسعود صلاح الدين أبو القاسم بن الأشرف سنة (٨٤٧ هـ) / (٤٣/ ١٤٤٤ م) حيث عينه المماليك فى زبيد سلطاناً بدلاً من الناصر أحمد فاستولى على عدن ولحج سنة (٨٤٨هـ) / (٤٤/ ١٤٤٥ م) [٥] ، ثم استولى على تعز سنة (٨٥٠ هـ/ ١٤٤٦ م) [٦]

---

(١) الخزرجى ، العسجد المسبوك ، ص ٥١٦ ، محمد عبد العال أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٢٣٥ .

(٢) الخزرجى ، العسجد المسبوك ، ص ٥١٧ ، يحى بن الحسين ، غاية الأمانى ، جـ ٢ ، ص ٥٧٩ ، محمد عبد العال أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

(٣) الخزرجى ، العسجد المسبوك ، ص ٥١١ ، محمد عبد العال أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٢٣٨ .

(٤) كان المسعود يسكن بمدينة حيس . (انظر) ، الخزرجى ، العسجد المسبوك ، ص ٥١٩ .

(٥) الخزرجى ، العسجد المسبوك ، ص ٥١٩ ، محمد عبد العال أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٢٤١ .

(٦) ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٤٠٤ ، محمد عبد العال أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٢٤١ .

بينما تحصن المظفر الثانى فى قلعتها واستنجد بنوابه على رداع ـ بنى طاهر ـ فأنجدوه وأجبروا المسعود على فك الحصار عن المظفر سنة (٨٥٢ هـ) / (١٤٤٨ م) [١] ، إلا أنه عاد مرة أخرى إلى محاصرة قلعة تعز واستولى عليها سنة (٨٥٤ هـ / ١٤٥٠ م) [٢] ثم حاصر زبيد سنة (٨٥٥هـ/ ١٤٥١ م) ولكنه اضطر إلى فك الحصار عنها عندما أحس بالخيانة فى صفوف قواته فعاد إلى تعز ومنها إلى عدن [٣] واتخذها مقراً له إلى أن تخلى عن السلطنة سنة (٨٥٨ هـ / ١٤٥٤ م) [٤] .

٤ ـ المؤيد حسين بن السلطان الظاهر بن الأشرف سنة (٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م) حيث أن الأمراء المماليك استشعروا خطر تفرد المسعود بالحكم بعد استيلائه على حصن تعز سنة (٨٥٤هـ/ ١٤٥٠ م) ، فأقاموا سلطاناً آخر سنة (٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م) فى زبيد والذى دخل فى صراع مع المسعود انتهى باستيلاء المؤيد على عدن بعد تنازل المسعود عن الحكم سنة (٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م) ، ولكن بنى طاهر نواب الرسوليين على مخلاف رداع لم يمهلوا المؤيد حتى يستقر فيها فتقدموا بجيش كبير واستولوا على عدن وقبضوا على المؤيد وبعثوا به إلى مكة [٥] واستولوا على مقاليد الأمور لأنفسهم ، وبذلك انتهت الدولة الرسولية بعد فترة حكم امتدت من سنة (٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) وحتى سنة (٨٥٨ هـ / ١٤٥٤ م) .

تاريخ الدولة الطاهرية : [٦] (٨٥٨ ـ ٩٢٣ هـ / ١٤٥٤ ـ ١٥١٧ م)

كان بنو طاهر نواباً للدولة الرسولية على مخلاف رداع [٧] ، وعندما نشب الصراع بين

(١) الخزرجى ، العسجد المسبوك ، ص ٥٢٠ ، محمد عبد العال أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٢٤١ .

(٢) تصمت المراجع عن المظفر الثانى الذى كان محاصراً فى قلعة تعز والذى يبدو أنه تنازل عن الحكم للمسعود الذى استولى على الحصن .

(٣) محمد عبد العال أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٢٤١ ، ٢٤٢ .

(٤) الخزرجى ، العسجد المسبوك ، ص ٥٢٠ ، محمد عبد العال أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٢٤٣ .

(٥) ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٤٠٥ ، محمد عبد العال أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣ .

(٦) ينتسب بنى طاهر إلى ، طاهر بن معوضه بن تاج الدين بن معوضه بن محمد بن سعيد بن عامر بن مسعود بن فهر بن وهب بن حرب القرشى الأموى ، ولكن محمد عبد العال أحمد توصل ـ بعد مناقشة الآراء التى وردت فى المصادر التاريخية التى تنسب بنى طاهر إلى الأسرة الأموية أو إلى قبيلة القرشية ـ إلى أنهم ليسوا من الأمويين وليسوا كذلك من قبائل القرشية فى تهامة ، وإنما هم يمنيون اشتغلوا بزراعة الفوه واهتموا بالتجارة واحترفوها مما مكن لهم الحصول على الزعامة السياسية ، للمزيد (انظر) ، شرف الدين ، عيسى بن لطف الله المطهر ، روح الروح فيما جرى بعد المئة التاسعة من الفتن والفتوح ، مخطوط مصور ، وزارة الإعلام والثقافة ، صنعاء ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ، ص ٤ ، محمد عبد العال أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٢٤٥ ـ ٢٤٧ .

(٧) محمد عبد العال أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٢٤٧ .

أبناء البيت الرسولى فى أواخر عصر دولتهم أخذ الطاهريون يعملون على تثبيت مكانتهم فى البلاد فاستولوا على عدن سنة (٨٥٨ هـ / ١٤٥٤ م) [١] وتعز وزبيد سنة (٨٥٩ هـ / ١٤٥٥م) ، وأعلنوا قيام دولتهم الطاهرية على أنقاض الدولة الرسولية [٢] واتخذوا من[٣] مدينة جبن عاصمة لدولتهم .

١ ـ عصر الأخوين الظافر عامر والمجاهد على بن طاهر :

كان مؤسسا الدولة هما : الأخوان الظافر عامر بن طاهر والمجاهد على بن طاهر ، وقد تولى الأول الحكم ـ رغم كونه الأصغر ـ حتى سنة (٨٦٤ هـ) / (٥٩ / ١٤٦٠ م) ثم تنازل عنه لأخيه الأكبر المجاهد على بن طاهر [٤] ، وعمل الأخوان معاً على توسيع رقعة الدولة شمالاً ـ بعد أن أخضعوا المناطق الجنوبية والغربية ـ فاستولى الظافر على ذمار سنة (٨٦٥ هـ)/ (٦٠/ ١٤٦١ م) ، ثم استولى على صنعار سنة (٨٦٦ هـ) / (٦١/ ١٤٦٢ م) إلا أن محمد ابن الناصر [٥] استردها سنة (٨٦٩ هـ) / (٦٤/ ١٤٦٥ م) ، وفى سنة (٨٧٠ هـ) / (٦٥/ ١٤٦٦ م) أرسل أهالى صنعاء إلى الظافر يطلبون عودته إليها ووعدوه بمساعدته للإستيلاء عليها فتوجه مسرعاً دون استعداد للقتال وما كاد يصلها حتى هاجمته قوات محمد بن الناصر وقتلته [٦] .

وقد كان لمقتل الظافر المفاجئ أثره الكبير على الدولة الطاهرية حيث ثارت القبائل فى تهامة وغيرها ضد بنى طاهر واستأثر حكام الأقاليم بما تحت أيديهم مما جعل المجاهد يقضى بقية حياته فى اعادة الخارجين عليه إلى حظيرة الدولة تارة بالقوة وتارة أخرى بالصلح والإغراء بالمناصب حتى توفى سنة (٨٨٣ هـ / ١٤٧٨ م) [٧] .

٢ ـ السلطان المنصور عبد الوهاب بن داود بن طاهر (٨٨٣ ـ ٨٩٤ هـ / ١٤٧٨ ـ ١٤٨٩م) :

لم يكن للمجاهد ذرية يخلفونه على الحكم فقام بإعداد ابن أخيه المنصور عبد الوهاب أثناء

---

(١) ابن الديبع ، بغية المستفيد، ص ٩٣ ، محمد عبد العال أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٢٥٤ .

(٢) محمد عبد العال أحمد، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٢٥٣ .

(٣) جبن ، بضم الجيم مدينة تقع جنوب مدينة رداع ، (انظر) ، إبراهيم المقحفى ، معجم المدن ، ص ٨٠ .

(٤) محمد عبد العال أحمد، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٢٥٨ .

(٥) محمد بن الناصر ، هو الإمام المؤيد محمد بن المنصور بن محمد ، حكم من ٨٦٦ـ٩٠٨هـ.

(٦) محمد عبد العال أحمد، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٣١٥ـ ٣٢٠ .

(٧) محمد عبد العال أحمد، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٢٦٦ ، ٢٦٧ .

حياته ليكون وريثه على الملك لما يتمتع به من حنكة سياسية أكثر من غيره ، وقد تولى الحكم فور وفاة عمه المجاهد ، ولكنه لم يكن يطمع بأكثر من الحفاظ على ما تحت يده ، فمال إلى الهدوء وعدم الإصطدام مع القوى الأخرى وخاصة القوى الزيدية ، واكتفى بقمع الحركات المعارضة له والتى كانت تثور ضده من حين لآخر سواء من الزعامات القبلية أو من أبناء البيت الطاهرى نفسه إلى أن وافته المنية سنة (٨٩٤ هـ/ ١٤٨٩ م) [١] .

٣ـ الظافر عامر الثانى بن المنصور عبد الوهاب (٨٩٤ـ٩٢٣ هـ/ ١٤٨٩ ـ ١٥١٧ م) :

خلف أباه على الحكم ، وقد واجه منذ اليوم الأول لحكمه مشكلات كثيرة كانت من أهمها : معارضة أخواله أبناء الظافر عامر الأول والذين استولوا على العاصمة جبن ، فاتخذ مدينة المقرانة [٢] عاصمة له ودخل فى صراع مع أخواله استمر لمدة ثلاثة سنوات انتهى بخضوعهم لسلطانه[٣] .

وبانتهاء المعارضة الداخلية تفرغ لعملية توسيع رقعة الدولة واسترداد صنعاء من أيدى الأئمة حيث اصطدام معهم فى أكثر من معركة تمكن فى نهاية الأمر من الاستيلاء عليها سنة (٩١٠ هـ) / (٦/ ١٥٠٧ م) [٤] .

وباستيلائه على صنعاء مال الظافر إلى الهدوء والسكينة كى يلتقط أنفاسه بعد عدة حروب خاضها طيلة سنة عشر عاماً ضد أخواله والخارجين عليه وضد القوى الزيدية ، ولكن الظروف الدولية كانت تسير على غير ما كان يأمله السلطان ، فقد تمكن البرتغاليون فى هذه الفترة من اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح سنة (٣/ ٩٠٤ هـ) / (١٤٩٨ م) وتمكنوا من الوصول إلى الهند [٥] ، مما هدد عملية احتكار الطاهريين للتجارة مع الهند وأصبحت أوروبا تتعامل مباشرة مع الهند مما أدى إلى قلة الأموال التى تدخل خزانة الدولة سواء من احتكار التجارة أو من ضرائب السفن المارة بالموانى اليمنية [٦] ، وزاد الأمر سوءاً محاولة البرتغاليين

---

(١) محمد عبد العال أحمد، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٢٦٨ ـ ٢٧٤ .

(٢) المقرانة ، مدينة وحصن جنوب رداع بـ ٦٢ كم ، كانت قديما تعرف باسم ورف وهى حاليا متهدمة ، (انظر)، إبراهيم المقحفى، معجم المدن، ص ٤٠٣ ، ٤٠٤ .

(٣) محمد عبد العال أحمد، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٢٧٥ ـ ٢٨١ .

(٤) محمد عبد العال أحمد، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨ .

(٥) محمد عبد العال أحمد، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٤٧٨ .

(٦) محمد عبد العال أحمد، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٤٨٢ .

السيطرة على البحر الأحمر وتسللهم اليه سنة (٩١٩ هـ/ ١٥١٣ م) مما هدد الأماكن المقدسة في مكة والمدينة [١] .

وأمام هذا الخطر البرتغالي ونتيجة لعجز السلطان الطاهري بجيشه المنهك عن إيقاف التسلل البرتغالي إلى البحر الأحمر وتهديدهم المباشر للأماكن المقدسة جهز السلطان الغوري[٢] في مصر اسطولاً بحرياً بقيادة الأمير حسين كردي [٣] لطرد البرتغاليين من البحر الأحمر والمحيط الهندي بالتعاون مع السلطان الطاهري ، إلا أن الأخير امتنع عن تزويد الأسطول المملوكي بالمؤن بناءاً على مشورة أحد وزرائه حتى لا يصبح ذلك التزاماً من السلطان بتقديمها سنوياً ، كما رفض السماح للأسطول المملوكي باستخدام الموانى اليمنية كقاعدة لشن الهجمات على البرتغاليين [٤] ، فما كان من حسين كردي إلا استخدام القوة لأخذ ما يلزمه من مؤن فضرب ميناء الحديدة [٥] بالمدافع سنة (٩٢١ هـ/ ١٥١٥ م) [٦] ، وفي نفس الوقت استغل أعداء الدولة الطاهرية ـ الأشراف السليمانيون والأئمة الزيدية ـ رفض السلطان عامر مساعدة المماليك وقاموا بمد يد العون للأسطول المملوكي وشجعوه على محاربة الطاهريين ، فتقدم حسين كردي ومعه الأشراف والأئمة وبعض عرب تهامة [٧] واستولوا على زبيد سنة (٩٢٢ هـ/ ١٥١٦ م) [٨] ، وتابعت فرقة من الجيش المملوكي بقياد

---

(١) محمد عبد العال أحمد، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٥٠٦ ـ ٥٠٧ .

(٢) السلطان الغوري، قانصوه بن عبدالله (٨٥٠، ٩٢٢هـ/ ١٤٤٦ ، ١٥١٦م) تولى السلطنة سنة ٩٠٥هـ وقتل في معركة مرج دابق مع العثمانيين. الزركلي، الأعلام، جـ٥ ، ص ١٨٧ .

(٣) حسين كردي، أحد مقدمي السلطان الغوري، خاض العديد من المعارك البحرية مع البرتغاليين وانتصر في كثير منها وعاد إلى جدة وحكم فيها حتى استولى العثمانيين على مصر فعينوا أحد شرفاء مكة عليها وأمروه بتغريق حسين كردي في البحر ، (انظر)، النهزوالي، قطب الدين محمد بن أحمد (ت ٩٩٠هـ)، البرق اليماني في الفتح العثماني، منشورات المدينة، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ص ٢٣ ـ ٢٧ .

(٤) محمد عبد العال أحمد، بنو رسول وبنو طاهر، ص ٥١٢ ـ ٥١٤ .

(٥) الحديدة، ميناء في تهامة على ساحل البحر الأحمر ظهرت في القرن ٨ هـ ثم استخدمت كميناء سنة ٨٥٩هـ وهي تبعد عن صنعاء بـ ٢٢٦كم وحاليا محافظة من نواحيها التابعة لها حيس. (انظر)، إبراهيم المقحفي، معجم المدن، ص ١١٣، ١١٤ .

(٦) محمد عبد العال أحمد، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٥٢٦ ـ ٥٢٧ .

(٧) محمد عبد العال أحمد، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٥٢٨ ـ ٥٣١ .

(٨) محمد عبد العال أحمد، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٥٣٥ .

برسباى [1] زحفها نحو الداخل واستولت [2] على تعز ثم العاصمة الطاهرية ـ المقرانة ـ سنة (٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م) [3] ونهبوا ما فيها وفى قصورها من أموال ، ولكن برسباى قتل على يد إحدى قبائل رداع وخلفه الأمير اسكندر بن محمد [4] الذى واصل زحفه نحو صنعاء وحاصرها [5] .

فى نفس الوقت كان السلطان عامر يقوم بتجميع قواته فى منطقة إب [6] وتوجه نحو صنعاء لمباغتة الجيش المملوكى المحاصر لصنعاء وخاصة بعد أن علم بمقتل برسباى ، إلا أن المماليك فاجئوا السلطان عامر قبل أن يحط أحماله ويستعد للقتال وتمكنوا من قتله سنة (٩٢٣هـ / ١٥١٧ م) [7] ، وبذلك سقطت الدولة الطاهرية ، وإن بقى منها بعض الجيوب الطاهرية فى عدن بقيادة عامر بن داود بن طاهر والذى استرد رداع والمقرانة وكثير من المناطق جنوب اليمن وحكم فيها إلى أن قتله غدراً الوالى العثمانى سليمان باشا الخادم [8] سنة (٩٤٥هـ) / (١٥٣٩/٣٨ م) [9] .

---

(١) برسباى ، أحد أمراء حسين كردى عينه نائبًا عنه فى زبيد وقد قتل أثناء عودته من صنعاء بعد مقتل السلطان عامر . (انظر) ، النهزوالى ، البرق اليمانى ، ص ٢٨ ـ ٣٣ .

(٢) كان العامل الأساسى فى انتصارات المماليك على الطاهريين هو استخدام المماليك للبنادق التى لم تكن معروفة فى اليمن . انظر ، النهزوالى ، البرق اليمانى ، ص ٢١ .

(٣) محمد عبد العال أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٥٣٨ .

(٤) اسكندر بن محمد ، يعرف باسكندر المخضرم ، تولى قيادة المماليك بعد مقتل برسباى وولاه السلطان العثمانى نيابة أمر اليمن لمدة ثلاثة أعوام إلى أن وصل حسين الرومى نائب جدة إلى اليمن وكان معه الأمير كمال بك الرومى الذى قتل اسكندر المخضرم سنة ٩٢٧هـ . (انظر) ، النهزوالى ، البرق اليمانى ، ص ٣٣ ـ ٣٥ .

(٥) محمد عبد العال أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٥٣٩ ـ ٥٤٠ .

(٦) إب ، مدينة جنوب صنعاء بـ (١٤٠ كم) وحاليًا محافظة تضم عدد من النواحى ، وبها مسجد يعود إلى عصر الخليفة عمر بن الخطاب ، (انظر) ، ابراهيم المقحفى ، معجم المدن ، ص ٥ ، ٦ .

(٧) محمد عبد العال أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٥٤٠ ـ ٥٤١ .

(٨) سليمان باشا الخادم ، كان بكلار بكى مصر فولاه السلطان سليمان منصب الوزارة ثم ، عينه قائدًا للأسطول العثمانى لمطاردة البرتغاليين فى المحيط الهندى ، فتوجه إلى عدن وطلب الحاكم الطاهرى فيها لإلباسه الخلعة العثمانية ثم قتله واستولى على عدن ، وبعد عودته إلى الباب العالى عين وزيرًا فيه ثم عزل عنه حتى وفاته سنة بضع وستين وتسعمائة . (انظر) ، النهزوالى ، البرق اليمانى ، ص ٧٠ ـ ٩٢ .

(٩) محمد عبد العال أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٥٤٧ .

الباب الأول

تاريخ مدينة حيس

خلال عصرى الدولتين الرسولية والطاهرية

٦٢٦ـ٩٢٣هـ/١٢٢٩ـ١٥١٧م

الفصل الأول

مدينة حيس
موقعها نشأتها تخطيطها

بعد الاستعراض الموجز لتاريخ اليمن السياسى خلال عصرى الدولتين الرسولية والطاهرية فى الفترة الممتدة من (٦٢٦ ـ ٩٢٣ هـ/ ١٢٢٩ ـ ١٥١٧ م) ، يتبادر إلى الذهن عدة تساؤلات ؟

ما موقع حيس من الأحداث خلال تلك الفترة ؟ وما هو الدور السياسى الذى لعبته ؟ وهل كان لها دور حضارى تقوم به خلال تلك الفترة ؟

وللإجابة على هذه التساؤلات ينبغى أولاً معرفة متى نشأت مدينة حيس وموقعها الجغرافى .

الموقع الجغرافى : [شكل ١] .

تحتل مدينة حيس موقعاً متوسطاً من السهل الساحلى المعروف باسم تهامة [١] على احدى

---

(١) تنقسم اليمن تضاريسيًا إلى ثلاثة أقسام تمتد من الشمال إلى الجنوب بموازاة البحر الأحمر ، القسم الأول هو سهل تهامة ، والذى يتكون من النطاق الهامشى الذى يمتد غرب اليمن بدءاً من حلى بن يعقوب شمالاً إلى باب المندب جنوبًا بطول يتراوح بين ٦١٠ ـ ٦١٥ كم ، وعرض يتراوح بين ٣٠ ـ ٤٠ كم فيما بين ساحل البحر الأحمر غربًا والجبال شرقاً حيث يأخذ سهل تهامة فى الإرتفاع كلما اتجهنا شرقا ويبدأ من ارتفاع ٢٠ متر حتى يصل إلى ارتفاع ٢٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر ، وهذا القسم حار صيفا دافئ شتاءًا (متوسط الحرارة ٣١ْ صيفا و ٢٤ْ شتاءًا) نظرًا لقلة الأمطار وزيادة الرطوبة (متوسط الرطوبة ٨٩ْ شتاءًا ، ٨٦ْ صيفًا) طوال فصل الصيف ، والقسم الثانى عبارة عن سلسلة المرتفعات الجبلية الوسطى والتى تلى تهامة شرقًا بارتفاع يتراوح بين ١٨٠ , ٢٠٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر ، والقسم الثالث المنطقة الشرقية وتبدأ من على بعد (١٠كم) شرق العاصمة صنعاء ويقل ارتفاعها عن سطح البحر كلما اتجهنا شرقًا حتى تنتهى بصحراء الربع الخالى . (انظر) فى ذلك ، محمد متولى وآخرون ، المرجع السابق ، ص ٧٠ ، ٩٢ ، ٩٤ ، عبد الرحمن عبد الواحد محمد الشجاع ، اليمن فى صدر الإسلام ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م ، ص ٥٠ .

ضفتى وادى نخلة [1] الذى تأتى روافده من المرتفعات الواقعة شمال مدينة تعز ومنها جبال قرعد والقفاعة وأيفوع أعلى وأسفل وشرعب وتصب مياهه فى البحر [2] الأحمر شمال الخوخة [3] ميناء حيس .

وهى تبعد عن مدينة زبيد بحوالى ٣٥ كم إلى الجنوب على الطريق الرئيسية التى تربط بين مدن تعز ـ زبيد ـ الحديدة ، وقد ذكرها صاحب مراصد الإطلاع على أنها (كورة واسعة من نواحى زبيد بينها وبين زبيد نحو يوم) [4] .

وقد هيئ موقع حيس المتوسط من سهل تهامة للمدينة كى تصبح واحدة من المحطات الهامة على طريق الحج الرئيسية المارة بتهامة والمعروفة بطريق الجادة السلطانية أو الطريق الوسطى [5]، مما ساعد على تطورها وازدهارها .

اسم المدينة وتاريخ انشائها :

حَيس بفتح الحاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحت ثم سين مهملة اسم لمدينة فى تهامة

---

(١) وادى نخلة ، وادى فى تهامة تقع على ضفافه مدينة حيس .

(٢) الهمدانى ، الصفة ، ص ١٣٩ ، ١٤٠ ، محمد بن على الأكوع ، اليمن الخضراء مهد الحضارة ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م ، ص ٤٨ ، محمد متولى وآخرون ، المرجع السابق ص ١٠ .

(٣) الخوخة ، مدينة وميناء على البحر الأحمر تقع غرب حيس بـ (٢٨كم) وهى من الموانئ التى ظهرت فى القرن ٦هـ/ ١٢م وكانت تعرف باسم (الخوهة) وهى تتبع اداريًا ناحية حيس وتشتهر بأشجار النخيل والدوم الذى يصنع منه الحصير ، (انظر) ، إبراهيم المقحفى ، معجم المدن ، ص ١٤٦ .

(٤) ابن عبد الحق ، صفى الدين عبد المؤمن أبو الفضائل ، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق بروكلمان (١٨٥٠ ـ ١٨٦٤) ، جـ١ ، ص ٣٣٢ .

(٥) تبدأ طريق الحج فى اليمن من ميناء الشحر على الساحل الجنوبى ومنها إلى عدن حيث تتفرع الطريق إلى فرعين ، الأول طريق جبلى يمر من عدن إلى تعز ، إب ، ذمار ، صنعاء ، صعدة ، مكة ، والثانى مكة سهلى يتفرع إلى فرعين ، طريق ساحلى يمر بمحاذاة البحر الأحمر ، ويربط بين الموانئ اليمنية بدءًا من عدن ، المخنق ، جامع المهد ، الفازة ، عبرة ، السقيا ، باب المندب ، المخا ، السحارى ، الخوهة (الخوخة) ، الأهواب ، غلافقة (ميناء زبيد) ، بيعة ، الحردة ، الزرعة ، الشرجة ، المعجر ، العندرة ، عثر ، بيض ، الدومه ، حمضة ، ذهبان ، حلى بن يعقوب ، السرين ، جدة ، الطريق الوسطى وتعرف بطريق الجادة السلطانية ، وتبدأ من ذات الخبيب ، موزع ، الجدون ، حيس ، زبيد ، فشال ، الضنجع ، القحمه ، الكدراء ، المهجم ، مور ، الواديان ، جيزان ، الساعد ، تعشر ، الميثا ، رباح ، الهجرة ، ثم تلتقى بالطريق الساحلية فى جدة ومنها إلى مكة (انظر) ، ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٣٢٨ ، ٣٣٠ ، سيد مصطفى سالم (دكتور) ، الفتح العثمانى الأول لليمن (١٥٣٨ ـ ١٦٣٥) ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٨ ، ص ٥٧ ، ٥٨ ، حسن صالح شهاب ، عدن فرضة اليمن ، مركز الدراسات والبحوث اليمنى ، صنعاء ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م ، ص ١٠٦ .

سميت باسم بانيها : الحيس بن ذى رعين من حمير [1] ، وقيل أنها نسبة إلى : الحيس بن يريم بن ذى رعين بن كريب بن نعامة بن شرحبيل الحميرى [2] .

وهذا يعنى أن المدينة سميت باسم منشئها مثلها مثل كثير من المدن اليمنية القديمة التى كان يطلق عليها اسم بانيها ، وتعرف حيس أيضاً باسم « حيس القنا » [3] نسبة إلى جبل القنا القريب منها من جهة الشرق .

وأول ذكر لمدينة حيس فى المصادر التاريخية يرد عند الهمدانى [4] فى كتابيه صفة جزيرة العرب والإكليل ، حيث يذكر موقعها ونسبتها بالإضافة إلى أنها وردت فى قصيدة لأحد شعراء تهامة يعدد فيها مدن وأقاليم اليمن ومنها فى البيت الرابع عشر :

فالسحولان فالمذيخرة القيناء [5] علت فحيسها القوراء [6]

كما أورد المقحفى بيتاً من إحدى قصائد الشاعر « مسلم بن نعيم المالكى » [7] مادحاً فيها مدينة حيس بقوله :

أما ديار بنى عوف فمنجدة والعز قومى بحيس دارها الشعف [8] .

أما عن أسباب نشأة مدينة حيس فيمكن إيجازها بما يلى :

(أ) توفر الأرض الخصبة الصالحة للزراعة فى وادى نخلة والوديان المجاور ، ساعد على

---

(١) الحميرى، نشوان بن سعيد، منتخبات فى أخبار اليمن (من كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم)، تحقيق عظيم الدين أحمد وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٣٠.

(٢) إبراهيم المقحفى، معجم المدن، ص ٢٠٣ .

(٣) الهمدانى، الصفة، ص ٢٠٤.

(٤) توفى الهمدانى سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦٢م.

(٥) وادى ضهر، يبعد عن صنعاء (٧كم) نسبة إلى ضهر بن سعد بن عريب بن ذى يقدم، (انظر)، إبراهيم المقحفى، معجم المدن، ٢٦٠.

(٦) شبام الغراس، تعرف بشبام سخيم، تقع شمال شرق صنعاء على بعد (٢٣كم) على سفح حصن ذى مرمر، وتشتهر بمناجم الجص، وكانت من حواضر مملكة سمعى فى عصر ماقبل الإسلام. (انظر)، إبراهيم المقحفى، معجم المدن، ص ٢٢٤ـ٢٢٥ .

(٧) إبراهيم المقحفى ، معجم المدن، ص ١٣٥ .

(٨) السلالة الحميرية، نسبة إلى حمير (بكسر الحاء وسكون الميم وفتح الياء وسكون الراء) وهى دولة يمنية قبل الإسلام من أشهر ملوكها سيف بن ذى يزن الذى طرد الأحباش من اليمن قبيل مبعث رسول الله ﷺ.

نشوء قرية يعود إليها المزارعون عند المساء [١] ، ثم تطورت بعد ذلك إلى أن أصبحت مدينة .

(ب) توفر التربة الجيدة الفنية بالأكاسيد المعدنية فى وديان حيس والجبال القريبة منها كان عاملاً مهماً فى أن تصبح المدينة من أهم مراكز صناعة الخزف والفخار [٢] .

(جـ) حاجة السكان إلى سوق تجارية لتصريف منتجاتهم الزراعية والصناعية [٣] .

(د) وقوع المدينة على طريق الحج المعروفة باسم الجادة السلطانية ساعد المدينة على أن تصبح محطة لخدمة الحجاج [٤] .

وقد كان لهذه العوامل وغيرها أثرها الكبير فى نمو وتطور المدينة عمرانياً وزراعياً وصناعياً وتعليمياً [٥]ساعدها على أن تتحول من قرية صغير إلى مدينة متوسطة .

تخطيط مدينة حيس :

لعب الجانب القبلى ـ قديماً وحديثاً ـ دوراً كبيراً فى تخطيط مدينة حيس مثلها مثل سائر المدن اليمنية الأخرى ، إذ أن اليمن كما هو معروف يلعب فيه الجانب القبلى [٦] دوراً كبيراً فى العوامل السياسية والاقتصادية والثقافية .

---

(١) يوسف محمد عبدالله (دكتور) ، المدينة اليمنية التاريخية ـ الموقع والتاريخ ـ مقال نشر فى ، مجلة اليمن الجديد، نشر وزارة الإعلام والثقافة ، صنعاء ، العدد الأول ، السنة السادسة عشر ، يناير ١٩٨٧م ، جمادى الأولى ١٤٠٧هـ ، ص ٢٤ ـ ٢٨ .

(٢) يوسف عبدالله ، المدينة اليمنية ، ص ٣٢ .

(٣) يوسف عبدالله ، المدينة اليمنية ، ص ٢٤ ، ٣٢ ، إلى جانب صناعة الخزف والفخار هناك صناعات عدة فى مدينة حيس سوف تذكر عند الحديث عن العامل الاقتصادى فى الصفحات التالية .

(٤) ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٣٣٠ ، يوسف عبدالله ، المدينة اليمنية ، ص ٢٤ .

(٥) فاروق حيدر ، التعليم فى اليمن ، ص ٢٣ .

(٦) تتميز اليمن قديمًا وحديثًا بترابط سكانها الأسرى ، على شكل جماعات كل منها يشكل قبيلة تعيش فى مساحة من الأرض لها حدودها ومعالمها الخاصة ، وعلى رأس كل قبيلة زعيم يعرف باسم . الشيخ ، يأتمر أفراد القبيلة بأمره ، وتنتشر هذه القبائل فى سائر أجزاء اليمن سهلها وجبلها ومن أشهر القبائل اليمنية ، حمير ومذحج فى شرق اليمن وقبائل حضرموت وكندة فى جنوب شرق اليمن وقبائل يافع وأبين جنوب اليمن وقبائل لحج والمعافر وشرعب وذو الكلاع ورعين ويحصب وسط اليمن وقبائل حاشد وبكيل وفروعهما شمال اليمن وقبائل الأشاعر والقرشية والمعازبة غرب اليمن ، (انظر) ، عبد الرحمن الشجاع ، اليمن فى صدر الإسلام ، ص ٢٩ ـ ٥٥ ، محمد عبده محمد السرورى ، مظاهر الحضارة فى الدول المستقلة فى اليمن (٤٣٩ ـ ٦٢٦هـ) رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ص ٣٣١ ـ ٥٣٤ .

أما من حيث السكان فإن إقليم تهامة كغيره من أقاليم اليمن يضم العديد من القبائل ومنها قبيلة الأصابح وبنو مجيد جنوب تهامة وقبيلة الأشاعر [1] وفروعها وسط تهامة وقبيلة عك وفروعها شمال تهامة وإليها ينسب مخلاف عك [2] .

ونظراً لوقوع مدينة حيس وسط تهامة وقرب زبيد فقد كان من الطبيعى أن ينتمى سكانها إلى قبيلة الأشاعر التى تسكن فى المنطقة الممتدة من ديار بنى مجيد جنوب تهامة إلى حيس وزبيد [3] .

وقد تفرغت قبيلة الأشاعر إلى عدد من القبائل ومنها الركب ، والقرشية ، والمعازبة ، وتفرعت قبيلة الركب إلى عدة قبائل منها قبيلة آل أبى النمر الركبيين [4] والذين يسكنون مدينة حيس وما حولها ، ومن هذه القبيلة تفرعت سائر قبائل مدينة حيس فى العصرين الرسولى والطاهرى ومنها : بنى مطير وآل أبى الحياء وآل الحضرمى وبنى دره وبنى الهادى وبنى سبيت . . . الخ ، وقد سكنت كل قبيلة من هذه القبائل جانب من المدينة سمى باسمها .

كما أن الجانب القبلى لمدينة حيس فرض عليها أن تكون ـ كسائر المدن الإسلامية [5] ـ شوارعها ضيقة وملتوية ومتقاطعة حتى يسهل الدفاع عن المدينة خاصة وأنها لم تكن أصلاً مسورة .

ونظراً لعدم وجود دلائل تاريخية تشير إلى كيفية تخطيط المدينة وتقسيماتها وأحيائها وشوارعها ومسمياتها فإنه من الصعب معرفة التخطيط الذى كانت عليه مدينة حيس خلال عصرى الدولتين الرسولية والطاهرية .

ولكن على اعتبار أن معظم المدن القديمة ـ سواء اليمنية أو غيرها ـ مازالت تحتفظ ببعض ـ ان لم يكن بكل ـ معالمها القديمة ومسميات أحياء المدن وشوارعها ، فإنه من الممكن وصف

---

(١) الأشاعر ، نسبة إلى الأشعر بن أدد بن زيد بن عوف بن عريب بن كهلان بن سبأ ، ومن هذه القبيلة الصحابى الجليل أبو موسى الأشعرى . (انظر) ، الهمدانى ، الصفه ، ص ٩٦ ، إبراهيم المقحفى ، معجم المدن ، ص ٢٤ .

(٢) (انظر) الحديث بالتفصيل عن هذه القبائل عند عبد الرحمن الشجاع ، اليمن فى صدر الإسلام ، ص ٢٩ ـ ٥٥ ، محمد السروى ، مظاهرة الحضارة ، ص ٣٣١ ـ ٣٣٤ .

(٣) الهمدانى ، الصفة ، ص ٢٣٢ .

(٤) الهمدانى ، الصفة ، ص ٢٠٤ .

(٥) دارة الملك عبد العزيز ، العلاقة بين التراث الحضارى الإسلامى ونمو المدينة العربية ، ندوة المدينة العربية خصائصها وتراثها الحضارى والإسلامى ، ١٩٨١م ، الرياض ، ص ٣٩ .

تخطيط مدينة حيس من خلال ما هو موجود حالياً والتى يبدو أنها لم تتغير كثيراً لعدة أسباب منها :

١ ـ إن المدينة لم تتوسع كثيراً .

٢ ـ لم يتغير تخطيطها الداخلى كثيراً نظراً لتوفر المساحات الفضاء المحيطة بالمدينة مما يجعل أى توسع لها يحدث نحو الخارج ، وقدساعد على ذلك أن السلاطين والعلماء عندما بنوا مساجد ومدارس جديدة لم يبنوها داخل المدينة وإنما فى أطرافها مما ساعد على اجتذاب السكان نحو الأطراف وعدم تكتلهم وسط المدينة .

٣ ـ أنها مدينة صغيرة لم يحدث لها كثير من التطور الذى شهدته المدن اليمنية المشهورة .

٤ ـ محافظة اليمنيين على تراثهم وبيئتهم التى عاشوا فيها وعدم ميلهم إلى تغييرها كثيراً فسكان مدينة حيس مثلاً مازالوا يعيشون ـ إلى حد ما ـ حتى اليوم بنفس معيشتهم فى القرون السابقة ليس لأنهم غير قادرين على تغيير ذلك وإنما حباً فى الأصالة ، ومثال ذلك أن السكان مازالوا يستخدمون الآجر والنورة فى بناء المنازل وبنفس التخطيطات القديمة رغم توفر مواد البناء الحديثة .

وعليه يمكن القول أن مدينة حيس كانت مكونة من مساحة شبه دائرية (١) ـ غير محاطة بسور ـ وسط فضاء مكشوف يضم وديان زراعية وأراضى صحراوية ، ثم توسعت المدينة بإضافة أحياء جديدة كلما ازدادت كثافة السكان إلى أن أصبحت مقسمة إلى أربعة أقسام يسمى كل قسم منها ربع وهى : ربع السوق وربع الثلث وربع الحضرمى وربع المحل .

وكل ربع من هذه الأرباع مقسم إلى أحياء وتجمعات سكانية وكل تجمع منها ينسب إلى قبيلة من القبائل (٢) أو فئة من الفئات أو شخصية من الشخصيات ، وكل ربع منها أيضاً

---

(١) نستدل على أنها كانت دائرية الشكل من خلال وصفها فى البيت الشعرى السابق ذكره بأنها (قوراء) ،

(فالسحولان فالمذيخرة القيناء . . . حلت فحيسها القوراء)

والقوراء من الجذر قور ، وفى اللغة ، قور تقويراً واقتاره بمعنى قطعه مدوراً، (انظر)، الرازى، محمد بن أبى بكر ، مختار الصحاح، دار الجيل، بيروت ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ٥٥٥ .

(٢) كان أفراد كل قبيلة يفضلون السكن قريبا من بعضهم فيشيدون دورهم متجاورة ومتلاصقة ، فمثلا عند تخطيط الكوفة حيث سكن أهل اليمن القسم الشرقى منها وكذلك خطط الفسطاط حيث سكنت القبائل اليمنية فى أماكن محدده تعرف باسمها، (انظر)، دارة الملك عبد العزيز، المرجع السابق، ص ٣٩ .

مكون من عدد من الشوارع الضيقة المتقاطعة والملتوية التى تتخللها الأزقة [1] .

١ ـ ربع السوق :

يحتل ربع السوق وسط المدينة ، يحده من الشمال قلعة حيس [2] ، ومن الجنوب مدرسة المعجار ، ومن الشرق مسجد الخامرى ، ومن الغرب المقبرة الغربية ، ولذلك يعتبر أكبر ارباع المدينة وأهمها وربما أقدمها حيث أن الارباع الأخرى تعتبر امتداداً لربع السوق نتجت عن زيادة السكان وهذا الربع يضم عدد من الأحياء منها حى آل أبى الحياء وحى بنى دره وحى بنى الهادى ، ويتخلل كل حى منها عدد من الشوارع الضيقة والحارات الطولية والعرضية تربط بين الشوارع الرئيسية والتجمعات السكانية ، ويمثل هذا الربع الحى التجارى للمدينة حيث تركزت فيه الحوانيت التجارية التى تباع فيها البضائع المتنوعة ، كالأقمشة والأوانى المعدنية والخزفية والأدوات الجلدية والحصر ، بالإضافة إلى محلات بيع الحلوى ومعاصر زيت الجلجل [3] ومصانع الفخار ، وكذلك محلات بيع المنتجات الزراعية والأعلاف وكل سلعة من هذه السلع تباع فى سوق خاص بها يحتل شارع أو جزء من الشارع ، ومن أمثلتها : سوق البز [4] ـ سوق المدر [5] ـ سوق المعجار [6] ـ سوق الكيلة [7] الخ .

ويوجد فى ربع السوق عدد من المساجد والمدارس هى : مسجد الجبارى ، مدرسة المعجار ، مسجد الكيلة ، مسجد الموفى الأعلى ، مسجد الموفى الأسفل ، مسجد الهنود ، مسجد السيد جعفر ، مسجد الطاوسى ، المدرسة الاسكندرية ، مسجد المدرسة ، مسجد عبد القادر الجيلانى ، مسجد الدحن ، مسجد ابن على ، مسجد الخامرى [8] .

---

(١) كان ضيق الشوارع والتوائها يعطى المدينة شكلا دفاعيا يساعد السكان على الدفاع عن مدينتهم بأنفسهم ضد العدو المهاجم. (انظر)، دارة الملك عبد العزيز، المرجع السابق، ص ٢٩ .

(٢) قلعة حيس كانت تمثل القصر السلطانى فى العصر الرسولى، ومازالت باقية إلى اليوم ولكنها متهدمة .

(٣) زيت الجلجل، هو زيت السمسم .

(٤) سوق البز ، البز هو القماش فى اللهجة اليمنية .

(٥) سوق المدر ، المدر هو الفخار فى اللهجة اليمنية .

(٦) سوق المعجار ، على وزن مفعال مشتق من العجور وهى أعواد الذرة الجافة التى تستخدم كأعلاف للمواشى .

(٧) سوق الكيلة ، الكيلة مشتقة من المكيال الذى تقاس به الحبوب . وهذا السوق مخصص لبيع الحبوب .

(٨) سوف يأتى الحديث عن هذه المساجد والمدارس فى الفصلين الثالث والرابع .

٢ ـ ربع الثلث :

يقع جنوب ربع السوق يفصل بين الربعين شارع ضيق يمتد من الشرق إلى الغرب يقع جنوب مدرسة المعجار مباشرة ، وهو ربع صغير بالمقارنة مع ربع السوق ويضم مسجداً واحداً هو مسجد الدقاق .

٣ ـ ربع الحضرمى :

ويعتبر الربع الثانى من حيث المساحة بعد ربع السوق ، يقع إلى الشمال والشمال الشرقى من ربع السوق ويفصل بين الربعين قلعة حيس والجامع الكبير وشارع رئيسى يمتد من القلعة إلى المقبرة الشرقية لحيس التى تفصل بين ربع السوق وحى بنى الخماشى التابع لربع الحضرمى .

وينسب هذا الربع إلى أشرة الحضرمى التى كان جدّها الأول معاصراً للدولة الرسولية وهو الفقيه اسماعيل بن محمد الحضرمى [١] والذى كان من مدرسى السلطان المظفر « حكم من (٦٤٧ ـ ٦٩٤ هـ/ ١٢٤٩ ـ ١٢٩٥ م) » ولا زالت لهذه الأسرة بقايا حتى اليوم ، وإليها ينسب أيضاً مسجد البخارى أو الحضرمى ، وقد سكن معهم فرع من أسرة الناشرى ومنهم الفقيه حمزه الناشرى [٢] الذى ينسب إليه مسجد التكية فى هذا الربع .

وقد امتد هذا الحى شرقاً مكوناً حى بنى الخماشى وحى بنى هبيت حول مسجد عطا ، ويضم هذا الربع عدد من المدارس والمساجد منها : مسجد البخارى (الحضرمى) ، ومسجد التكية ، ومسجد عطا ، ومسجد الخماشى ، ومسجد عسيس [٣] ، والأخير يقع فى حى صغير يسكنه أصحاب الحرف الدنيا والذين يعرفون ببنى المعش .

٤ ـ ربع المحل :

استحدث هذا الربع فى العصر الطاهرى وأول من سكن فيه هو الفقيه عبد الله بن محمد

---

(١) سوف تأتى ترجمته عند الحديث عن مسجد البخارى (الحضرمى) .

(٢) كان معاصراً لفترة سقوط الدولة الطاهرية واستيلاء المماليك على اليمن ، سوف يأتى الحديث عنه فى الفصل الثانى .

(٣) سوف يأتى الحديث عن هذه المساجد والمدارس فى الفصلين الثانى والثالث من الباب الثانى .

بن عثمان المشهور بركيز من أسرة آل أبى الحياء [1] (ت ٨٩١ هـ / ١٢٩٢ م) وكان يسكن قرية الحرابة جنوب حيس ، ولما دمرت القرية [2] انتقل بأهله وأقربائه إلى غرب مدينة حيس فى المكان المعروف بالمحل [3] ولذلك فإن سكان ربع المحل ينتسبون إلى ركيز المذكور ، ويضم هذا الربع مسجد ومدرسة هما : مسجد ركيز ومدرسة المشهور [4] .

---

(١) سوف تأتى ترجمته عند الحديث عن مسجد ركيز .

(٢) لم يذكر المؤرخون سبب تدمير القرية ولكن يبدو أنه من جراء السيول أو الحريق وهو الشائع فى تهامة .

(٣) عبد الرحمن بعكر ، كواكب يمانية فى سماء الإسلام ، دار الفكر المعاصر بيروت ، دار الفكر دمشق ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م ، ص ٥٧١ .

(٤) مدرسة المشهور ، نسبة إلى الفقيه أحمد بن محمد بن مقبول المعروف بالمشهور (ت ١١٦٣هـ) (انظر) ، عبد الرحمن بعكر ، كواكب يمانية ، ص ٥٢٤ ، ٥٢٥ .

الفصل الثانى
عوامل نمو وتطور مدينة حيس

أولاً : العامل السياسى :

لم يكن لمدينة حيس ذكر طوال عصر الولاة الذى امتد منذ عهد رسول الله (ﷺ) وحتى سنة (٢٠٤ هـ) / (١٩/ ٨٢٠ م) نظراً لاهتمام المصادر بتاريخ اليمن بشكل عام .

وترد أول إشارة لمدينة حيس فى أواخر عصر دولة بنى زياد « حكمت من (٢٠٤ ـ ٤٠٥هـ)/ (١٩/ ٨٢٠ـ ١٤/ ١٠١٥ م) » عندما أقام فيها على بن محمد الصيلحى [١] ـ أثناء قيامه بدعوته الإسماعيلية وقبل أن يبدأ تحركه العسكرى ـ يتتبع أخبار الصراع بين وزراء بنى زياد كى يتحين الفرصة لإعلان دعوته ويبدأ تحركه العسكرى لإقامة الدولة الصليحية حيث تنكر فى ثياب سلاط [٢] يعمل فى إحدى معاصر زيت الجلجل (زيت السمسم) فى مدينة حيس مما مكنه من الاختفاء عن أنظار جواسيس الدولة الزيادية [٣] .

ونظراً لندرة المعلومات عن الدور السياسى لمدينة حيس فى العصرين الرسولى والطاهرى فسوف يكون الحديث عنها على هيئة عناوين كل عنوان منها يجمع ما تحته من الأخبار المتماثلة ومنها :

---

(١) على بن محمد الصليحى ، من أهالى حراز ، لقنه مذهب الإسماعيلية أحد دعاتها (سليمان الزواحى) وأوصى له بجميع كتبه وأمواله ثم نهض الصليحى من حصن مسار بحراز سنة ٤٣٩هـ/ ١٠٤٧م وأخذ يستولى على مدن وأقاليم اليمن بحيث لم تأتى سنة ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م إلا وقد استولى على معظمها ، وأعلن ولائه للفاطميين فى مصر إلى أن قتل سنة ٤٥٩هـ/ ١٠٦٧م . (انظر)، محمد السرورى، مظاهر الحضارة ، ص ٣١٨ ، ٣١٩ .

(٢) السلاط ، هو الذى يقوم بعصر وبيع السليط وهو زيت السمسم .

(٣) عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن المفيد، ص ٨٧ .

(أ) مشاركة حيس فى الصراع الرسولى :

لم تكن حيس وسكانها بمعزل عن الحياة السياسية فقد شاركت فى الصراع الدائر بين أبناء البيت الرسولى فى فترات مختلفة وكانت أول مشاركة لها فى بداية حكم السلطان المظفر يوسف (٦٤٧ هـ/ ١٢٤٩ م) حينما وقف واليها المبارز بن برطاس [١] إلى جانب السلطان المظفر ـ الإبن الأكبر للسلطان المنصور عمر ـ ضد أخويه المفضل والفائز ، حيث توجه المبارز وجنوده ومن معه من أهالى حيس وتهامة إلى مدينة زبيد للدفاع عنها حتى لا يستولى عليها فخر الدين بن بدر الدين الحسن بن على بن رسول [٢] حتى وصول المظفر من المهجم وتسلمه لزبيد .

وفى أواخر الدولة الرسولية استفحل أمر العبيد بحيث أصبحوا يعزلون ويولون من يشاؤن من السلاطين ، فقد حدث سنة (٨٤٦ هـ/ ١٤٤٩ م) أن عجز وإلى زبيد عن دفع رواتب الجند من المماليك فأظهر العسكر أن السلطان المظفر الثانى « حكم (٨٤٥ـ ٨٥٤ هـ) / (٤١/ ١٤٤٢ ـ ١٤٥٠ م) عاجز عن القيام بأمور السلطنة فخرج المماليك إلى حيس وسلطنوا فيها الناصر أحمد بن الملك الظاهر [٣] .

وفى سنة (٨٤٧ هـ) / (٤٣/ ١٤٤٤ م) نصب المماليك المسعود صلاح الدين أبو القاسم بن الأشرف اسماعيل سلطاناً فاستولى على زبيد ودخل فى صراع مع كل من السلطان المظفر الثانى والسلطان الناصر أحمد والسلطان المؤيد حسين ولما لم يتمكن من القضاء على خصومه خلع نفسه فى حيس سنة (٨٥٨ هـ/ ١٤٥٤ م) ومكث بها فترة من الوقت ثم توجه إلى مكة واستوطنها[٤] .

---

(١) المبارز بن برطاس، هو مبارز الدين على بن الحسين بن برطاس ، كان أميراً أيوبيًا أرسلته الدولة الأيوبية سنة ٦٣٩هـ فى حملة عسكرية للدفاع عن مكة عندما علمت بتقدم السلطان الرسولى المنصور عمر للإستيلاء عليها، ولكن المبارز انظم إلى السلطان الرسولى مع جماعة من أبناء عمه وأصحابه ، وقد ولاه السلطان على مدينة حيس وظل فيها حتى وفاة المنصور سنة ٦٤٧هـ وانضم إلى القوات المؤيدة للسلطان المظفر ضد أخويه فأبقاه المظفر على ولايته ثم عزله وعينه قائدًا لحملة عسكرية لاسترداد مكة سنة ٦٥٢هـ وقائدًا لحملة أخرى لاسترداد مخلاف حجة سنة ٦٥٦هـ ثم ما لبث أن توفى سنة ٦٥٧هـ. (انظر)، ابن حاتم، السمط الغالى، ص ٣٣٦، الخزرجى، العقود اللؤلؤية ، جـ ١، ص ٧٠، ١٠٩، ١١٨.

(٢) ابن حاتم، السمط الغالى، ص ٢٥٥ ـ ٢٧٧، الخزرجى، العقود اللؤلؤية، جـ ١ ، ص ٨١ ـ ٩٤، محمد عبد العال أحمد، بنو رسول وبنو طاهر، ص ١٩٩ ـ ١٢٢.

(٣) الخزرجى، العسجد المسبوك، ص ٥١٨، الكفاية والإعلام، ص ٢٤٤، ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ١٤٠، بغية المستفيد، ص ١١٦.

(٤) ابن الديبع، بغية المستفيد ، ص ١٢٢.

(ب) اتخاذ حيس محطة عسكرية :

لقد كان لموقع مدينة حيس إلى الجنوب من مدينة زبيد أثره فى أن صارت قلعة المدينة فى العصرين الرسولى والطاهرى مركزاً لمرابطة فرقة من الجيش بشكل دائم لتحقيق عدة أهداف منها :

١ ـ استرداد زبيد إذا ما استولى عليها الأعداء ، وخاصة الخارجين على الدولة [١] ، أو الاستيلاء على زبيد عند قيام دولة جديدة مثلما حدث عند قيام الدولة الطاهرية [٢] .

٢ ـ استخدامها كموقع دفاعى متقدم لمدينة تعز العاصمة لأن حيس آخر مدينة قبل مدينة تعز فإذا ما سقطت حيس تصبح الطريق مفتوحة أمام القوات المهاجمة المتجهة إلى تعز ولذلك كان للرسوليين ومن بعدهم الطاهريين قوة عسكرية دائمة متمركزة فى مدينة حيس [٣] .

٣ ـ اتخاذ مدينة حيس مركزاً لانطلاق الحملات العسكرية لإخماد حركات التمرد فى تهامة[٤] .

(جـ) اتخاذ مدينة حيس محطة استراحة :

إن وقوع مدينة حيس على بعد مرحلة من مراحل السفر (٣٥ كم) من وإلى زبيد جعل منها محطة لمبيت المسافرين واستراحة للسلاطين بعد مسير يوم كامل أثناء توجههم إلى زبيد أو عودتهم منها إلى تعز ، ولذلك كان لسلاطين بنى رسول فيها قصراً [٥] يقيمون فيه للراحة من عناء السفر أو للصيد .

---

(١) الخزرجى العقود اللؤلؤية ، جـ ٢ ، ص ٣٤ ، ٣٥ .

(٢) ابن الديبع ، بغية المستفيد ، ص ١٢٣ ، بامخرمه ، أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد بن على (ت ٩٤٧هـ) ، قلادة النحر فى وفيات أعيان الدهر ، مخطوط ، ميكروفيلم رقم ١٦٧ ، دار الكتب المصرية ، ص ١١١٩ .

(٣) ابن الديبع ، الفضل المزيد على بغية المستفيد فى أخبار مدينة زبيد ، تحقيق ، يوسف شلحد (دكتور) ، مركز الدراسات والبحوث اليمنى ، صنعاء ، دار العودة بيروت ، ١٩٨٣م ، ص ٣٦٧ ، النهزوالى ، البرق اليمانى ، ص ٢٢ ، شرف الدين ، روح الروح ، ص ٢٥ .

(٤) الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ، جـ ٢ ، ص ٦٤ ، الكفاية والإعلام ، ص ١٧١ .

(٥) قصر حيس ، لم يعرف من البانى له وربما كان من انشاء شمس الدين على بن رسول عندما كان واليا على حيس أو من انشاء ابنه السلطان المنصور عمر .

وأول ذكر لها كمحطة استراحة يعود إلى عصر السلطان المظفر عندما أقام فيها أياماً لاستقبال عميه بدر الدين الحسن بن على بن رسول ، وفخر الدين أبا بكر بن على بن رسول بعد عودتهما من مصر [1] ، وعندما التقى بعميه (ترجل لهما وترجلا له واعتنقا ثم ركب كل منهم حصانه وسار السلطان فى آلته وجلالته فنزل القصر السلطانى بحيس ونزل عماه فى جانب من الدار فلما اطمأنوا واطمأن السلطان قبض عليهما وقيدهما وأرسلهما إلى حصن تعز)[2] .

ومن خلال هذا النص يتضح أن مدينة حيس فى هذه الفترة كانت محطة لإستراحة السلاطين إذ أن وجود قصر سلطانى فيها يدل على أهميتها كمحطة على الطريق من تعز إلى زبيد [3] ، وخاصة إذا علمنا أن السلاطين كانوا يقضون فصل الصيف فى تعز وفصل الشتاء فى زبيد حتى أن بعض المؤرخين يعتبرون مدينة تعز العاصمة الصيفية وزبيد العاصمة الشتوية .

وبالإضافة إلى ذلك كانت مدينة حيس محطة لصيد الحيوانات البرية التى تتوافر فى الجهات المحيطة بحيس وخاصة الحمر الوحشية [4] .

(د) اتخاذ حيس منفى سياسى :

كانت مدينة حيس فى العصر الرسولى بمثابة المنفى السياسى والإقامة الجبرية لكل من يعارض السلطان من أبناء البيت الرسولى وخاصة الطامعين فى الحكم منهم وكان أول من نفى إليها من ملوك بنى رسول : أخوا السلطان المظفر يوسف بن عمر بن على بن رسول وهما :

---

(١) كان المسعود الأيوبى قبيل توجهه إلى مصر سنة ٦٢٦هـ قد أخذهما رهائن حتى لا يعملا مع أخيهما المنصور عمر على الإستقلال، وقد أطلقهما المماليك بعد وفاة المنصور، لكى يستوليا على اليمن ويحكماها باسم المماليك، (انظر)، محمد عبد العال أحمد، بنو رسول وبنو طاهر، ص ٨٥، ١٣٣ .

(٢) الخزرجى، طراز اعلام الزمن فى طبقات أعيان اليمن، مخطوط، ميكروفيلم رقم ٢١٤، دار الكتب المصرية . ص ١٠٤، ١٠٥، العسجد المسبوك، ص ٢١٨، العقود اللؤلؤية، جـ ١ ، ص ٩٠ .

(٣) كان السلاطين يقيمون فى حيس لمدة تتراوح بين يوم وعدة أيام تبعا لأهمية الحدث الذى استدعى نزولهم إلى تهامة . (انظر) مثلا، الخزرجى، العسجد المسبوك، ص ٤٩٦، ٥٠٤، ٥٠٥، العقود اللؤلؤية، جـ ٢ ، ص ٢٤٠، ٢٥٩، الكفاية والإعلام، ص ٢٣٦ .

(٤) الخزرجى، العسجد المسبوك، ص ٤٩٨، العقود اللؤلؤية، جـ ٢ ، ص ٣٤٨ .

المـلـك [1] المفضـل والملك الفائز بعد استيلائه على حصن الدملوه المقيمين فيه حيث أمرهما وأمهما بالإقامة فى حيس [2] .

وممن نفى إلى حيس أيضاً الملك المسعود حسين بن المظفر والذى أظهر الخلاف على أخيه المؤيد داود سنة (٦٩٦ هـ/ ١٢٩٧ م) فقبض عليه وعلى إبنه وسجنهما ثم (أطلقهما من السجن وأمرهما بالسكن فى حيس وقرر لهم جامكية جيدة ولمن معهما أيضاً من حاشيتهما وخـدمـهـمـا) [3] ، وقد ظل المسعود مقيماً فى حيس حتى توفى فيها سنة (٧٢٣ هـ/ ١٣٢٣ م) [4] .

ومنهم أيضاً الملك الصالح أبو على الحسن بن السلطان المجاهد على والذى خرج على أبيه المجاهد سنة (٧٤٢ هـ) / (٤١/ ١٣٤٢ م) وفر إلى مخلاف جعفر ومكث هنالك فترة حكم أبيه (٧٢١ ـ ٧٦٤ هـ) / (١٣٢١ ـ ٦٢/ ١٣٦٣ م) ثم فترة حكم أخيه الأفضل عباس (٧٦٤ ـ ٧٧٨ هـ) / (٦٢/ ١٣٦٣ ـ ٧٦/ ١٣٧٧ م) ولما تولى السلطنة ابن أخيه السلطان الأشرف الثانى اسماعيل بن الأفضل (٧٧٨ـ٨٠٣ هـ) / (٧٦/ ١٣٧٧ ـ ١٤٠٠/ ١٤٠١ م) ، استدعاه سنة (٧٨١ هـ/ ١٣٧٩ م) وأطلق عليه أملاكه وأمره بسكنى حيس فاستوطنها حتى توفى سنة (٧٨٦ هـ/ ١٣٨٤ م) [5] .

(هـ) اتخاذ حيس مركز ادارى :

ارتبط تاريخ اليمن ـ منذ دخول الإسلام إليها ـ بتاريخ الدولة الإسلامية العام كون اليمن أصبح جزءاً من هذا الكيان السياسى الكبير .

وكانت اليمن على عهد رسول الله (ﷺ) مقسمة إلى ثلاث وحدات ادارية تعرف باسم

---

(١) كان أبناء السلطان واخواته يتلقبون بلقب الملك أما لقب أمير فيطلق على بقية أفراد الأسرة الرسولية ممن لم يتصل آباتهم بالسلطانة كما يطلق لقب أمير على كبار حاشية السلطان من غير الأسرة الرسولية .

(٢) محمد عبد العال أحمد، بنو رسول وبنو طاهر، ص ١٢٨ .

(٣) الخزرجى، العسجد المسبوك، ص ٢٨٥، العقود اللؤلؤية، جـ ١، ص ٢٥٩، الكفاية والإعلام، ص ١٣٢، محمد عبد العال أحمد، بنو رسول وبنو طاهر، ص ١٧٠ .

(٤) الخزرجى، العسجد المسبوك، ص ٣٤٣، العقود اللؤلؤية، جـ ٢، ص ٢٣، الكفاية والإعلام، ص ١٥٧ .

(٥) الأفضل عباس، العطايا السنية، ص ١٨، الخزرجى، طراز اعلام الزمن، ص ١٠٤، بامخرمه، قلادة النحر، ص ١٠٦٧ .

الدولة النجاحية عند الحديث عن الشيخ حمير بن أسعد [١] بأنه كان كاتباً لصاحب حيس أحمد بن مسعود بن فرج المؤتمن [٢] ثم أخيه على بن مسعود [٣] وذلك فى عهد الوزير النجاحى سرور الفاتكى [٤] .

وفى العصر الرسولى أورد الخزرجى خبراً مقتضياً عن قيام صاحب حيس سنة (٨٠١ هـ/ ٩٨/ ١٣٩٩ م) بالقبض على أحد قطاع الطرق وان لم يحدد شخصية هذا الصاحب [٥] .

٢ ـ الوالى [٦] :

بدأ هذا اللقب يطلق على من يتولى شئون حيس فى عهد طغتكين الأيوبى « حكم (٥٧٩ ـ ٩٥٣ هـ/ ١١٨٣ ـ ١١٩٧ م) ، وكان يعرف باسم والى الجهات الحيسية ، وأحياناً والى حيس وأعمالها وفى هذا دلالة على أن حيس أصبحت تمثل ولاية مستقلة وكان أول ولاتها : شمس الدين على بن رسول [٧] .

وقد ظلت حيس كولاية أيضاً فى عهد الدولة الرسولية حيث تذكر المصادر أن والى حيس فى أواخر حكم المنصور عمر وأوائل حكم ابنه المظفر يوسف كان هو المبارز بن برطاس [٨] ، وكانت حيس مركزاً لولاية تضم إلى جانبها كل من موزع والجازبين والشريجانى والقرتب [٩] .

---

(١) حمير بن أسعد، من قبيلة بكيل، كان خبيرًا بالسموم وصنعها، وكان معلما للسرارى والمغنيات يعلمهن أصول الغناء والطبخ وخزن الثياب وعمل الطيب، خدم جماعة من ملوك الجبال ثم نزل تهامة وسكن حيس وعمل كاتبا لصاحبها أحمد بن مسعود بن فرج المؤتمن ثم انتقل إلى زبيد وعمل كاتبًا للوزير من الله الفاتكى، ثم للوزير أبو منصور مفلح الفاتكى ثم انتقل للعيش فى مدينة الكدراء حتى توفى سنة ٥٥٣هـ/ ١١٥٨م. انظر، عمارة اليمنى، تاريخ اليمن المفيد، ص ١٧٣ ـ ١٧٦ .

(٢) عمارة اليمنى، تاريخ اليمن المفيد، ص ٧٨ .

(٣) على بن مسعود، يذكره عمارة بأنه كان ممن تنافس مع الوزير سرور الفاتكى فى خطبة وردة جارية الوزير مفلح بعد وفاته . (انظر)، عمارة اليمنى، تاريخ اليمن المفيد، ص ٨٥ .

(٤) سرور الفاتكى، أحد وزراء الدولة النجاحية من سنة ٥٣١هـ، ٥٥١هـ/ ١١٣٧م، ١١٥٦م. (انظر)، محمد عيسى الحريرى (دكتور)، معالم التطور السياسى فى دولة بنى نجاح باليمن وعلاقاتهم بالصليحيين، دار القلم الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ٧٢ـ ٧٤ .

(٥) الخزرجى، العقود اللؤلؤية، جـ٢ ، ص ٢٥٠ .

(٦) الوالى، تطلق على أمير القطر وحاكمه وهو لقب عرف منذ صدر الإسلام. (انظر)، حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف ، جـ٣، ص ١٠٧٨ـ ١٠٣٩ .

(٧) الأفضل عباس، العطايا السنية، ص ٣٠، محمد عبد العال أحمد، بنو رسول وبنو طاهر، ص ٦٥ ـ ٦٦ .

(٨) المبارز بن برطاس، سبق الترجمة له.

(٩) ابن حاتم، السمط الغالى، ص ٢٣٣ ـ ٢٣٥ .

المخاليف وهى : مخلاف صنعاء ومخلاف الجند ومخلاف تهامة ، ثم أضيف إليها مخلاف رابع هو مخلاف حضرموت [1] ، وقد توفى رسول الله (ﷺ) واليمن على هذا التقسيم[2]، وفى عهد الخليفة أبو بكر ضم مخلاف تهامة إلى مخلاف الجند ثم جمع الخليفة على بن أبى طالب مخاليف اليمن فى ولاية واحدة [3] .

وكانت حيس فى هذه الفترة تتبع مخلاف تهامة ثم مخلاف الجند ثم اقليم تهامة عندما قسمت اليمن إلى أقاليم على كل منها وال ينوب عن وإلى اليمن العام منذ عهد على بن أبى طالب . إلى أن قامت أولى الدول المستقلة فى اليمن وهى دولة بنى زياد سنة (٢٠٤ هـ) / (١٩/ ٨٢٠ م) فى اقليم تهامة واتخاذها لمدينة زبيد عاصمة للدولة .

ونظراً لقرب مدينة حيس من مدينة زبيد [4] فقد كانت الأولى تتبع الثانية مباشرة وربما كان يتولى حيس مسئولاً يعينه المسؤل عن العاصمة زبيد إذ إن المصادر تغفل مدينة حيس ففى هذه الفترة ولم تظهر شخصيتها إلا فى عصر الدولة النجاحية (٤١٢ ـ ٥٥٥ هـ) / (٢١/ ١٠٢٢ ـ ١١٦٠ م) حيث بدأ ذكر مدينة حيس كوحدة إدارية تتبع ولاية زبيد وقد استمرت على ذلك حتى بداية عصر الدولة الأيوبية فى اليمن (٥٦٩ ـ ٦٢٦ هـ) / (٧٣/ ١١٧٤ ـ ٢٨/ ١٢٢٩ م) عندما أصبحت ولاية مستقلة .

ونظراً لعدم اهتمام المصادر بذكر ولاة حيس ومسميات الوظائف الإدارية فيها طوال عصر الدولتين الرسولية والطاهرية إلا فى القليل النادر فإن الحديث عن الناحية الإدارية لهذه المدينة سوف يكون على هيئة عناوين كل منها يحمل اسم وظيفة معينة :

١ ـ الصاحب [5] :

تعتبر وظيفة الصاحب أول وظيفة يقترن ذكرها بمدينة حيس كوحدة ادارية وذلك فى عصر

---

(١) مخلاف صنعاء ويشمل المناطق الجبلية الممتدة من نجران شمالا حتى إب جنوبا، مخلاف الجند ويشمل المنطقة الجنوبية بما فيها إب وعدن، مخلاف تهامة ويشمل المنطقة الساحلية الممتدة من عدن جنوبا حتى جازان شمالا . مخلاف حضرموت، ويشمل منطقة حضرموت جنوب شرق اليمن، (انظر)، عبد الرحمن الشجاع، اليمن فى صدر الإسلام، ص ٢٣١، ٢٣٢ .

(٢) عبد الرحمن الشجاع، اليمن فى صدر الإسلام، ص ٢٣٢ .

(٣) عبد الرحمن الشجاع، اليمن فى صدر الإسلام، ص ٢٤١، ٢٤٢ .

(٤) تبعد حيس عن زبيد ٣٥ كم إلى الجنوب .

(٥) الصاحب، لقب بدأ استعماله كنعت خاص للوزير اسماعيل بن عباد وزير بنى بويه بأصفهان، لأنه كان يصحب ابن العميد ثم صار لقبا لكل من ولى الوزارة بعده وكان أشهر من تلقب بالصاحب فى العصر الأيوبى صفى الدين عبدالله بن شكر فى عهد العادل والكامل ثم أطلق على من جاء من الوزراء بعده، وفى الشام كان يطلق على العلماء والقضاة على عكس مصر، (انظر)، حسن الباشا، الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٨، ص ٣٦٧، ٣٦٨، الفنون الإسلامية والوظائف، جـ٢، ص ٦٥١ .

٣ ـ الأمير [١] :

لم يرد لقب أمير فى المصادر والمراجع على من يتولى شئون مدينة حيس إلا مرة واحدة عند الخزرجى حينما ذكر أن أمير حيس سنة (٧٩٥ هـ) / (١٣٩٣ م) ـ فى عهد السلطان الأشرف اسماعيل الثانى ـ هو الأمير جمال الدين محمد بن عمران الفايشى [٢] ، وأن كان من المرجح أن هذا اللقب كان مستعملاً خلال عصر الدولة الرسولية والذى ظل يطلق على من يتولى حيس أيضاً فى عصر الدولة الطاهرية حيث يذكر بامخرمة أنه فى سنة (٨٨٦هـ) / (١٤٨١م) قتل أمير البلاد الحيسية عمر الفداد أو العدار [٣] .

٤ ـ المشد [٤] :

استخدم لقب مشد على إحدى الوظائف فى مدينة حيس سنة (٧٩٩ هـ) / (٩٦/ ١٣٩٧م) عندما قام السلطان الأشرف اسماعيل الثانى بعزل مشد الأعمال الحيسية ويسمى العماد السقيم وعين مكانه مشداً جديداً هو القاضى على بن محمد بن إبراهيم الجلاد [٥] .

٥ ـ الاقطاع [٦] :

يعتبر لفظ الاقطاع من أكثر الألفاظ وروداً فى المصادر التاريخية بالنسبة لمدينة حيس وأول ذكر له يرد فى عهد السلطان المظفر يوسف (٦٤٧ ـ ٦٩٤ هـ) / (٤٩/ ١٢٥٠ ـ

(١) الأمير، فى اللغة ذو الأمر والتسلط وهو من القاب الوظائف وقد عرف عند العرب قبل الإسلام واستخدم أيضا فى صدر الإسلام منذ عهد رسول الله ﷺ وكان يقصد به الولاية على الحكم والجيش، وأقدم أثر وردت عليه كلمة أمير على بردية من أهناس (مصر) من سنة ٢٢هـ . (انظر)، حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ص ١٧٩ ، ١٨٠ ، الفنون الإسلامية والوظائف، جـ١ ، ص ١١٥ ـ ١١٨ .

(٢) يذكر الخزرجى أنه عند دخول السلطان الأشرف إلى حيس عائداً من زبيد إلى تعز رفع إليه أن أميرها المذكور مد يده إلى شيء من مال الخراج فأمر السلطان على مشد الدواوين أن يلزم الأمير المذكور بتسليم ما أخذه فأنكر الأمير أن يكون قد أخذ شيئا فصادره المشد كما ورد فى أمر السلطان فتوفى الأمير المذكور فى المصادرة. (انظر)، الخزرجى، العقود اللؤلؤية، جـ١ ، ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٣) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص ١٦٥ ، بامخرمه ، قلادة النحر، ص ١١٦٤ .

(٤) المشد، من شاد، ويطلق على وظيفة منذ العصر الأيوبى، وهى شاد الناحية أى المشرف عليها، أما شاد الدواوين فكان رفيقا للوزير ومهمته استخلاص ما يتقرر فى الديوان على من يعسر استخلاصه منه . (انظر)، حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف، ص ٦٠٥ ، ٦١١ ، وفى الدولة الرسولية باليمن كان يطلق على شاد الناحية (مشد الناحية) وعلى شاد الدواوين (مشد الدواوين).

(٥) الخزرجى، العقود اللؤلؤية، جـ٢، ص ٢٣٧ .

(٦) الإقطاع، هو أحد النظم الإدارية ويعنى قيام المقطع له بجمع موارد الإقطاع المالية من خراج وضريبة ومكوس وغيره والصرف منها على عطاءات ومرتبات الجند والنفقات العسكرية الأخرى، وأول من استخدمه فى اليمن هم الأيوبين ، (انظر)، محمد السرورى، مظاهر الحضارة، ص ٦٤ .

٩٤/ ١٢٩٥ م) عندما عقد صلحاً مع أخويه اعترفا له بالسلطان مقابل اقطاع المفضل أبين واقطاع الفائز أحمد حيس وموزع [١] ، وفى سنة (٦٩٦ هـ) / (٩٦ / ١٢٩٧ م) استعاد السلطان المؤيد حصون حجة والمخلافة من أيدى الصارم إبراهيم بن يوسف بن منصور وكانت بيده من سنة (٦٩١ هـ / ١٢٩٢ م) ، واشترط الصارم على السلطان عدة شروط منها أن يمنحه السلطان اقطاع موزع ونصف حيس [٢] وفى سنة (٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م) عاد بهادر الصقرى إلى طاعة السلطان المجاهد على بن المؤيد فقدم له السلطان أربعة أحمال طبلخانة [٣] وخمسة أعلام وأقطعة حيس [٤] ولكن يبدو أن السلطان خاف من خروج بهادر الصقرى مرة أخرى اقطاع حيس منه وأعطاها لابن شكر [٥] .

٦ ـ القضاء :

كانت مدينة حيس ـ كغيرها من مدن تهامة ـ يتولى القضاء فيها قاض خاص يعرف باسم قاضى حيس[٦] يتبع قاضى القضاة فى تهامة [٧] .

وكان يتولى القضاء فى حيس فى العصر الأيوبى الفقيه أبو بكر بن على بن فالح بن الحسن بن أبى بكر الشيبانى [٨] ، والذى كان يقوم بالخطابة فيها إلى جانب القضاء ثم خلفه ابنه عبد السلام بن أبى بكر على القضاء فى سنة بضع وثمانين وخمسمائة [٩] (١/ ٥٨٩ هـــ) / (٨٥/ ١١٩٣ م) .

---

(١) ابن حاتم ، السمط الغالى ، ص ٢٩٦ ، محمد عبد العال أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ١٢٦ ، ١٢٨ .

(٢) الخزرجى ، العسجد المسبوك ، ص ٢٨٥ ، العقود اللؤلؤية ، جـ ١ ، ص ٢٥٦ ، الكفاية والإعلام ، ص ١٣٢ .

(٣) طبلخانه ، اختصار لأمير طبلخاناه أى أمير الأربعين ، وهى لفظة فارسية تعنى بيت الطبل وهو مخزن الطبول الخاص بالسلطان وتستخدم للدلالة على فرقه الموسيقى السلطانية وكان دق النوبة من حق أمراء الأربعين . (انظر)، حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف، جـ ١ ص ٢٣١ .

(٤) الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ، جـ ١ ، ص ٢٥٣ .

(٥) الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ، جـ ٢ ص ٤٠ ، العسجد المسبوك ، ص ٣٥٩ ، الكفاية والإعلام ، ص ١٦٣ .

(٦) كان يعرف قاضى حيس أحيانا باسم حاكم الأعمال الحيسية وقد انفرد بذكر هذا اللقب المؤرخ الخزرجى فى اشارتين الأولى فى العسجد المسبوك ، ص ٤٩١ ، والثانية فى العقود اللؤلؤية ، جـ ٢ ص ٢٣٥ ، أما بقية المراجع فتذكره باسم قاضى حيس .

(٧) يعرف قاضى القضاة فى تهامة أحيانا باسم قاضى القضاء الأكبر فى تهامة .

(٨) الخزرجى ، طراز اعلام الزمن ، ص ١٠٣ .

(٩) الجندى ، أبى عبدالله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب الجندى السكسكى ، السلوك فى طبقات العلماء والملوك ، جزءان ، تحقيق محمد بن على الأكوع ، وزارة الإعلام والثقافة ، صنعاء ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، جـ ١ ، ص ٤٧٢ .

ومن تولى قضاء حيس فى العصر الرسولى :

١ ـ القاضى عبد الله بن خيران حتى وفاته سنة (٧١٦ هـ) / (١٣١٦ م) [١] .

٢ ـ القاضى اسماعيل بن أبى بكر الناشرى [٢] فى بداية القرن (٨ هـ) / (١٤ م) [٣] .

٣ ـ القاضى رضى الدين أبو بكر بن على الناشرى [٤] والذى تولى قضاء حيس مدة من الزمن ثم تركه تديناً وعزل نفسه وقد توفى سنة (٧٦٢ هـ / ١٣٦١ م) [٥] ، وقيل سنة (٧٧٢هـ)/ (٧٠/ ١٣٧١ م) (٦) .

٤ ـ ابنه القاضى موفق الدين أبو الحسن على بن أبى بكر الناشرى سنة (٧٧١ هـ) / (٦٩/ ١٣٨٠ م) وحتى سنة (٧٧٣ هـ) / (٧١/ ١٣٧٢ م) [٧] ، ثم أعيد إلى القضاء مرة أخرى سنة (٧٩١ هـ / ١٣٨٩ م) [٨] حتى سنة (٧٩٣ هـ / ١٣٩١ م) [٩] ثم عزل عنه .

٥ ـ القاضى صفى الدين أحمد بن محمد بن عمر بن أبى بكر العراف [١٠] ، والذى خلف موفق الدين السابق ذكره ، وظل فيه حتى وفاته سنة (٧٩٩ هـ) / (٩٦/ ١٣٩٧م) [١١] .

٦ ـ الفقيه جمال الدين محمد بن اسماعيل بن علوان بعد وفاة القاضى ابن العراف [١٢] .

أما فى العصر الطاهرى فإن وظيفة القضاء فى حيس ظل يتولاها قضاة يعينهم السلطان أو قاضى القضاة فى الدولة الطاهرية ومن هؤلاء القضاة :

---

(١) الجندى ، السلوك ، الجزء الثانى ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ، جـ٢ ، ص ٤١٧ .

(٢) الناشرى ، اسماعيل بن أبى بكر بن عبدالله بن عمر بن عبد الصمد .

(٣) المعلم وطيوط ، الحسين بن اسماعيل البجلى الشهير بالمعلم وطيوط ، تاريخ المعلم وطيوط ، مخطوط ، ميكروفيلم رقم ١٦١ ، دار الكتب المصرية ، ص ٦٢ .

(٤) رضى الدين أبو بكر بن على بن محمد بن أبى بكر الناشرى .

(٥) المعلم وطيوط ، المصدر السابق ، ص ٦٢ .

(٦) الشرجى ، أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجى الزبيدى ، طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص ، تحقيق ، محمد الزهرى الغمراى ، المطبعة اليمنية بمصر ، ١٣٢١هـ ، ص ١٨٠ ، اسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ٧٤ .

(٧) اسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ١٥٠ .

(٨) بامخرمه ، قلادة النحر ، جـ١ ، ص ١١١٥ .

(٩) الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ، جـ٢ ، ص ١٨٥ .

(١٠) الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ، جـ٢ ، ص ٢٣٧ .

(١١) الخزرجى ، العسجد المسبوك ، ص ٤٩١ ، العقود اللؤلؤية ، جـ٢ ، ص ٢٣٧ .

(١٢) الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ، جـ٢ ، ص ٢٣٧ .

١ ـ القاضى أحمد البجلى والذى عزل سنة (٨٦٦ هـ) / (٦١/ ١٤٦٢ م) [١] ثم أعيد إليه وظل قاضياً حتى عزله السلطان المنصور عبد الوهاب بن داود فى شهر جمادى الأولى سنة (٨٩٣ هـ / ١٤٨٨ م) لموجبات أوجبت عزله وعين مكانه الفقيه عيسى بن محمد الناشرى ثم رضى السلطان عنه فأعاده إلى وظيفته فى شعبان من نفس السنة [٢] .

٢ ـ بعد وفاة القاضى السابق خلفه ابنه القاضى شرف الدين أبو القاسم بن أحمد البجلى [٣] ، وأن لم يحدد تاريخ توليه القضاء .

٣ ـ ثم خلفه ابنه القاضى عبد الغفار بن أبى القاسم البجلى إلى أن عزله السلطان عامر بن عبد الوهاب سنة (٩٠٠ هـ) / (٩٤/ ١٤٩٥ م) [٤] .

٤ ـ الفقيه شهاب الدين أحمد بن جمال الدين محمد الطاهر بن جمعان عين خلفاً للقاضى عبد الغفار السابق ذكره ، وكانت توليته فى العاصمة الطاهرية المقرانة ، واستمر فى وظيفته حتى وفاته سنة (٩٠٧ هـ) / (١/ ١٥٠٢ م) [٥] .

٥ ـ بعد وفاته خلفه والده القاضى جمال الدين محمد[٦] .

ثانياً : العامل الاقتصادى :

لقد كان للعامل الاقتصادى أثره الواضح فى نشأة مدينة حيس وتطورها لأن ازدهار اقتصاد بلد أو منطقة أو مدينة ما يساعد على الإزدهار العمرانى والثقافى بها .

(أ) الزراعة :

لقد ساعدت التربة الجيدة الصالحة للزراعة وكذلك سقوط الأمطار الموسمية على نمو زراعة

---

(١) ابن الديبع ، بغية المستفيد ، ص ١٦٩ .

(٢) ابن الديبع ، بغية المستفيد ، ص ١٨٠ ، الفضل المزيد ، ص ١٧٠ ، بامخرمه ، قلادة النحر ، جـ ١ ، ص١١٦٧ .

(٣) البريهى ، عبد الوهاب بن عبدالرحمن البريهى السكسكى ، طبقات صلحاء اليمن ، المعروف بتاريخ البريهى ، تحقيق ، عبدالله محمد الحبشى ، مركز الدراسات والبحوث اليمنى ، صنعاء ، بدون تاريخ ، ص ٢٨٤ .

(٤) ابن الديبع ، بغية المستفيد ، ص ٢١٦ ، الفضل المزيد ، ص ١٩٨ ، ١٩٩ ، بامخرمه ، قلادة النحر ، ص ١١٧٥ .

(٥) ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص ٢٤٤ ، العيدروس ، محى الدين عبد القادر بن شيخ بن عبدالله ، النور السافر عن أخبار القرن العاشر ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص ٤٦ .

(٦) ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص ٢٧١ .

موسمية فى اليمن والتى تتميز بوجود وديان كبيرة فيها وخاصة فى تهامة التى تضم العديد من الوديان من أهمها وادى مور [١] ووادى سردد [٢] ووادى زبيد [٣] ووادى نخلة [٤] ووادى سهام [٥] ووادى رماع [٦] ووادى رسيان [٧] ووادى موزع [٨] ، والتى تمتلئ بالمياه لمدة تتراوح ما بين ٦ ـ ٩ أشهر فى السنة ، وهذه المياه تتجمع من الأمطار الساقطة على الجبال الشرقية ـ روافد الوديان ـ ثم تندفع على شكل سيول تجرى فى هذه الوديان وتصب فى البحر فى مواسم فيضانها [٩] .

ويكتنف الوديان السابقة وغيرها سهول شاسعة صالحة للزراعة الكثيفة والرعى ، وتربية الماشية ولذلك فإن وديان تهامة عامة ـ ومنها وادى نخلة ـ تشتهر بزراعة أنواع عديدة من المحاصيل الزراعية كالحبوب بأنواعها والخضروات والفواكه والمنتجات الزراعية الأخرى ذات الاستخدام الصناعى وقد عدد لنا ابن الديبع منتجات وديان تهامة ومنها : « العنب ، والرومان ، والتين ، والبلس ، وشجر النارجيل القف ، والعنباء ، وشىء يسمى الباذان لايوجد بعد بلاد الهند إلا بها ، والنخيل المبسوطة على كل لون : أصفر وأحمر وأخضر

---

(١) وادى مور ، أكبر أودية تهامة ، تأتى روافده من مرتفعات العمشية ، جنوب غرب صعدة ، ومن بلاد حاشد ، ويتصل به وادى لاعة الذى تأتى روافده من جبل مسور جنوب مدينة حجة وكذلك من مرتفعات كوكبان ، ويصب هذا الوادى فى البحر الأحمر شمال مدينة اللحية ، (انظر) ، محمد متولى وآخرون ، المرجع السابق ، ص ١٠٩ .

(٢) وادى سردد ، تأتى روافده من وادى الأهجر ومرتفعات كوكبان غرب صنعاء ويصب هذا الوادى جنوب مدينة الزيدية . (انظر) ، محمد متولى وآخرون ، المرجع السابق ، ص ١٠٩ .

(٣) وادى زبيد ، تأتى روافده من وادى السحول ووادى يمنة ومرتفعات لواء إب ويصب فى البحر الأحمر غرب مدينة زبيد ، (انظر) ، محمد متولى وآخرون ، المرجع السابق ، ص ١١٠ .

(٤) وادى نخلة ، سبق التعريف به .

(٥) وادى سهام ، تقع منابعه فى مرتفعات أنس جنوب صنعاء وأهم روافده وعلان وضوران ويصب فى البحر الأحمر جنوب ميناء الحديدة . انظر ، محمد متولى وآخرون ، المرجع السابق ، ص ١٠٩ .

(٦) وادى رماع ، تأتى روافده من المرتفعات الواقعة شمال ذمار ويصب فى البحر الأحمر شمال القازة ، (انظر) ، محمد متولى وآخرون ، المرجع السابق ، ص ١١٠ .

(٧) وادى رسيان ، تأتى روافده من القسم ، الشمالى من جبل صبر المطل على مدينة تعز ومن المرتفعات الواقعة شمال تعز ويصب هذا الوادى فى البحر الأحمر شمال المخاء . (انظر) ، محمد متولى وآخرون ، المرجع السابق ، ص ١١٠ .

(٨) وادى موزع ، تأتى روافده من القسم الجنوبى لجبل صبر ومن وديان الأخمور وبنى خولان ويصب فى البحر الأحمر جنوب المخاء . انظر ، محمد متولى وآخرون ، المرجع السابق ، ص ١١٠ .

(٩) سيد مصطفى سالم ، الفتح العثمانى ، ص ٢٨ .

وأجهر وتوتى ومقصاب ، وفيها الموز الكبير ، والليمون ، والنارنج الحلو والحامض ، وزهور اللينوفر ، والفل الأبيض ، والياسمين ، وزهر النارجيل ، وزهر الكاذى ، والفاغية الحنون ، والريحان ، والوزاب ، والسفير ، والاترج الأصفر » [١] ، بالإضافة إلى ذلك فقد كانت تكتنف مدينة حيس « احراج النخيل وحقول النيلة والسمسم » [٢] . هذا إلى جانب اشتهار وديان تهامة بما فيها وديان حيس بزراعة « الذرة البيضاء والحمراء والرومى ، والدخن ، والجلجلان (السمسم) ، والجبجب (البطيخ) ، والقثاء ، والحور (النيلة) ، والفصل (الحطم) ، والتين الحمومى (التمباك) ، والسنأ والكباث (تمر الآراك) ، والقطن ، الحُمر (التمر هندى) ، وأشجار الخرش » [٣] .

ومن هنا يلاحظ تنوع المحاصيل الزراعية سواء التى تُستخدم كغذاء مثل الحبوب بأنواعها والفواكه والخضر أو تلك التى تستخدم فى الصناعات المختلفة مثل شجر النارجيل ، والسمسم ، وزهور اللينوفر ، والفل والياسمين ، والكاذى ، والفاغية ، والنيلة ، والتمباك بأنواعه ، والقطن .

(ب) الصناعة :

تشتهر مدينة حيس بالعديد من الصناعات بعضها على المستوى الإقليمى والبعض الآخر على مستوى اليمن ككل حيث صار يضرب به المثل أو يعرف بها ومن أهم تلك الصناعات :

١ ـ صناعة الفخار والخزف : [شكل ٢] :

تعتبر مدينة حيس من أهم مراكز صناعة الفخار والخزف فى اليمن ليس فيما مضى من العصور فحسب وإنما حتى اليوم ، وترجع شهرتها فى هذه الصناعة إلى توفر التربة الجيدة اللازمة لصناعة الفخار والخزف فى وديان حيس وكذلك توفر الأكاسيد المعدنية اللازمة لعمليات الطلاء المتعددة والتى تستخرج من الجبال الواقعة إلى الشرق من المدينة .

ونظراً لندرة المصادر التاريخية التى تتحدث عن مدينة حيس وصناعاتها فإنه من الصعب معرفة متى بدأت صناعة الخزف والفخار فيها ، وإن كان يعتقد أن (فترة ازدهار هذه الصناعة

---

(١) ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص ٤٨ .

(٢) إبراهيم زكى خورشيد وآخرون ، دائرة المعارف الإسلامية ، مطابع دار الشعب ، ١٩٦٩م جـ١٦ ، ص ٢٣٨ .

(٣) حسين عبدالله العمرى (دكتور) ، مطهر الاريانى ، يوسف محمد عبدالله (دكتور) ، فى صفة بلاد اليمن عبر العصور ، من القرن ٧ ق . م وحتى نهاية القرن ١٩م ، دار الفكر المعاصر بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م ، ص ٢٦٧ .

تقع فيما بين القرون (٧ ـ ٩ هـ) / (١٣ ـ ١٥ م) [١] حيث ترد أول اشارة لفخار حيس فى كتاب « المخترع فى فنون الصنع » [٢] عند الحديث عن كيفية صناعة وعمل دهان السقوف ذات اللون السندروسى والتى يشترط أن تعمل فى (جيوب أى فى كوز فخار مطلى حيسى أو كنجى) [٣] .

ويورد الخزرجى اشارة أخرى لفخار حيس حينما استعرض هدية السلطان الرسولى المؤيد بن المظفر ـ حكم (٦٩٦ ـ ٧٢٣ هـ) / (٩٦/١٢٩٧ ـ ١٣٢١ م) ـ إلى سلاطين مصر بقوله : (فى شوال [سنة ٧٠٤ هـ] تجهز ابن نور نحو الديار المصرية بأنواع التحف السنية من الفضيات على اختلاف أنواعها كالطشوت ، والأباريق ، والصلاحيات والمجامر ، والأكر ، والرباق ، وسوارى العود والصندل ، والقطع الكبار من العنبر ، ونوافح المسك ، وما عظم شأنه من فخار الصينى ، واليشم من الصحون والزبادى ، ما لم يمكن شرحه من الحيسى ، والقنا الهندى ، والمواقد الحبشية ، ومن المراكب المذهبة ، والشاسات الرفاع ، والسلطانيات ، ومن الثياب المذهبة الفضية ما عظم شأنها ، ومن الأوانى والأطباق والصناديق مملوءة بالمسك المفرع ، والشاه صينى ، والكافور البان ، وجملة أخرى مما يتعلق بالحوائج خاناه كالفلفل ، والقرنفل ، والزنجبيل ، واللك ، والبقم أبهره ، ومن الوحوش كالسباع ، والفيل ، وحمر الوحش ، والزرافة كلها مكسوة بالحرير الأطلس الملمع بالذهب ومن الخيل المسومه العربية الأصايل ، اللايقة بحال المُهدى والمُهدَى إليه ، نقل ذلك كله مركبان عظيمان ، ومثل هذا الهدية لا يكاد يتأخر ما بين كلَ عامين أو ثلاثة طلباً للمحبة والمودة واستمراراً على ما تعهد به من الصحبة) [٤] .

ومن هاتين الإشارتين يمكن الإستدلال على الآتى :

١ ـ أن صناعة الفخار فى مدينة حيس كانت موجودة منذ أوائل عصر الدولة الرسولية إن لم يكن قبل ذلك .

---

(١) ربيع حامد خليفه (دكتور)، الفنون الزخرفية اليمنية فى العصر الإسلامى ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص ٢١٠.

(٢) المظفر يوسف بن عمر بن على بن رسول (السلطان)، المخترع فى فنون من الصنع ، مخطوط ، ميكروفيلم رقم (٥٠٥٥٠) دار الكتب المصرية .

(٣) المظفر يوسف، المخترع، ص ١٢، ١٣ .

(٤) الخزرجى، العسجد المسبوك، ص ٣٠٦.

٢ ـ أن جودة الفخار الحيسى نظراً لقلة مساماياته كانت سبباً فى اشتراط استخدام هذا النوع من الفخار لعمل الألوان حتى لا تتسرب منها .

٣ ـ أن دقة صناعة أوانى الفخار الحيسية جعلته يرقى إلى أن يصبح مما يتهادى به السلاطين الرسوليين إلى سلاطين مصر .

٤ ـ عرفت الأوانى الفخارية والخزفية المصنوعة فى حيس باسم (آنية الحيسى) [١] أو (الفخار الحيسى) كما جاء فى كتاب المظفر وكتاب الخزرجى وهذا التسمية مازالت تطلق على فخار حيس حتى اليوم .

٥ ـ ربما قام صناع الفخار والخزف فى مدينة حيس بتقليد الأنواع المستوردة من الصين [٢] ومصر [٣] وإيران [٤] .

ومما يؤسف له عدم قيام أى دراسات علمية جادة على صناعة الفخار والخزف فى مدينة حيس حتى اليوم ، وإن كانت البعثة الكندية فى اليمن قد قامت بدراسات أولية لفخار وخزف تهامة ونشرتها فى مجلة الـ (ANTIQUTTY) ذكرت فيها بعض منتوجات حيس الخزفية ، فضلاً عن الدراسة التى قام بها الدكتور ربيع حامد خليفة للخزف فى اليمن ومنها خزف مدينة حيس ، ونشرها فى كتابه السابق الذكر .

وقد أوردت البعثة الكندية الدكتور ربيع خليفة عدد من النماذج لخزف وفخار حيس ومنها مجموعة من الفناجين التى عثر على واحد منها فى المخا وهو ذو طلاء زجاجى أخضر [٥] وفناجين أخرى صغير الحجم ذات زخارف محزوزة أرجعتها البعثة الكندية إلى أوانى

---

(١) إبراهيم المقحفى ، معجم المدن ، ص ٢٠٣ ، محمد الأكوع ، اليمن الخضراء ، ص ٨٨ .

(٢) كانت اليمن تستورد أنواع عدة من الخزف الصينى كالبورسلين وذلك للاستعمال المحلى وكذلك لإهدائه إلى سلاطين مصر . (انظر) ، الخزرجى ، العسجد المسبوك ، ص ٣٠٦ ، العقود اللؤلؤية ، جـ ١ ، ص ٢٩٨ ، وقد عثر على ثلاثة أوانى من البورسلين تؤرخ بالقرن ٩ هـ / ١٥ م (انظر) Porter, Venetia : The art of. The Rasulids:Yemen 3000 years of art and civilisation in arabia felix, edited By: Wener doum - Published By: Pinguin- Verlag, - Innsbruck- 1988, P.240.

(٣) عثرت البعثة الكندية على قطعتين من الخزف الفاطمى ذو البريق المعدنى فى ميناء غليفقة (ميناء زبيد) تؤرخ بالقرن ٥ / ٦هـ ١١ / ١٢م (انظر) ، Robert B. Mason: Op. Cit. P. 460

(٤) يذكر الخزرجى ضمن حوادث سنة ٧٩٥هـ / ١٣٩٣م استخدام أوانى الخزف القاشانى فى الاحتفال الذى أقامه السلطان الأشرف إسماعيل الثانى بمناسبة ختان ابنه . (انظر) ، الخزرجى ، العسجد المسبوك ، ص ٤٧٠ .

(٥) Robert B. Mason : Ob. Cit. P. 456.

السجرافيتو المبكرة SGRAFFIATO التى كانت ترد إلى اليمن [1]، بالإضافة إلى عدد من القطع الخزفية التى عثر عليها د . ربيع خليف فى مدينة يراقش [2] والتى تتشابه زخارفها مع الأسلوب الحيسى فى الزخرفة المكون من زخارف هندسية قالبية أو محزوزة على هيئة خطوط متقاطعة غطيت بطبقة من الطلاء الزجاجى ذى اللون الأخضر الفاتح أو الداكن أو اللون الأصفر أو البنى [3] .

وقد نسبت البعثة الكندية إلى تهامة أربعة أنواع من الخزف ـ حسب نوع زخرفتها أو ألوانها ـ هى :

١ ـ خزف تهامة الأزرق .

٢ ـ خزف تهامة الأخضر والأزرق .

٣ ـ الخزف المحزوز تحت الطلاء .

٤ ـ الخزف المحفور بطريقة السجرافيتو [4] .

ولكن البعثة الكندية لم تحدد مراكز صناعة كل نوع منها وربما كانت جميعها أو بعضها من صنع مدينة حيس .

هذا وقد استمر صناعة الخزف مزدهرة فى مدينة حيس طوال العصرين الرسولى والطاهرى، وكذلك فى العصور التالية : العصر العثمانى ـ وعصر حكم الأئمة الزيديين ـ وحتى اليوم، ونستدل على ذلك من أن واجهات الأروقة المطلة على صحن جامع الروضة[5] غشيت بقطع خزفية مكونة من « أقراص مخروطية مزججة من الخزف الحيسى ذى اللون

---

(١) ربيع خليفه، الفنون الزخرفية، ص ٢١٠، Robert B. Mason: Ob. Cit. P. 461

(٢) براقش، مدينة يمنية قديمة تعود إلى عصر دولة معين وقد ظلت عامرة حتى القرن العاشر الميلادى وتقع إلى الشمال من صنعاء وكانت قديما تعرف باسم يثل. (انظر)، إبراهيم المقحفى، معجم المدن، ص ٤٧.

(٣) ربيع خليفه، الفنون الزخرفية، ص ٢١٠.

(٤) ربيع خليفه، الفنون الزخرفية، ص ٢٠٨ ـ : ٢١٠، Robert B. Mason: Ob. Cit. P. 461

(٥) الروضة، تقع شمال صنعاء على بعد ٥كم وهى حاليًا من ضواحى صنعاء وكانت تعرف باسم روضة حاتم نسبة إلى بانيها السلطان حاتم بن أحمد اليامى فى القرن ٦ هـ. وأما جامع الروضة فبناه الإمام أحمد بن الحسين بن القاسم (حكم ١٠٨٧ ـ ١٠٩٢هـ/ ١٦٧٦ ـ ١٦٨١م). (انظر)، إبراهيم المقحفى، معجم المدن، ص ١٨٣، أحمد شلبى (دكتور)، موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية، الجزء السابع، الإسلام والدول الإسلامية بالجزيرة العربية والعراق من مطلع الإسلام حتى الآن، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثالثة ١٩٨٥م، ص ٣٣٨.

الأخضر والأزرق والأصفر تدور فى أشرطة حول العقود الصغيرة والكبيرة أو تتخذ هيئة مجموعات ثلاثية متكررة » [1] ، بالإضافة إلى ذلك فقد ذكر الرحال الدانمركى نيبور[2] أثناء زيارته لليمن فى القرن ١٨ م إلى « أن الخزف كان من أهم صناعات مدينة حيس والتى كان يوجد بها عدة مصانع لصنع الفخار تزود اليمن كلها بحاجاتها منه » [3] ، فضلاً عن استمرار هذه الصناعة فى مدينة حيس حتى اليوم .

٢ ـ صناعات متنوعة :

إلى جانب شهرة حيس فى صناعة الفخار والخزف ، فقد كانت أيضاً تقوم بها العديد من الصناعات الصغيرة الأخرى ، وإن كانت لا تصل إلى شهرة الفخار والخزف ومنها :

صناعة النيلة :

كان نبات النيلة المعروف باسم الحور يزرع فى وديان حيس ووديان تهامة الأخرى ، حيث كان يستخرج منه مادة سوداء تستخدم فى صباغة الملابس ، وقد استمرت هذه الصناعة حتى القرن ١٩ م [4] .

صناعة البن :

لا يخفى على الجميع شهرة اليمن بزراعة البن ، وقد كانت مدينة حيس مركزاً لتجميع البن من مناطق زراعته فى جبل رأس وعنس وتعز ومنها ينقل إلى ميناء المخا حيث يصدر إلى أوروبا ولذلك كانت توجد فى مدينة حيس سنة (١٢٥٨ هـ/ ١٨٤٢ م) عدد من طواحين البن [5] .

---

(١) ربيع خليفه ، الفنون الزخرفية ، ص ٢١٤ .

(٢) نيبور ، رحالة ومستشرق دانمركى ، أرسلته الدانمرك فى بعثة إلى مصر واليمن سنة ١٧٦١م ، وعاد إلى بلاده سنة ١٧٦٧م وأصدر كتابا بالألمانية عنوانه وصف بلاد العرب ، سنة ١٧٧٢ م ، (انظر) ، الزركلى ، الأعلام ، جـ٥ ، ص ٢١١ .

(٣) إبراهيم خورشيد وآخرون ، دائرة المعارف الإسلامية ، جـ١٦ ، ص ٢٣٨ .

(٤) كانت حيس سنة ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م ، تضم عددا من مصانع النيله . (انظر) ، إبراهيم خورشيد وآخرون ، دائرة المعارف الإسلامية ، جـ١٦ ص ، ٢٣٨ .

(٥) إبراهيم خورشيد وآخرون ، دائرة المعارف الإسلامية ، جـ١٦ ، ص ٢٣٨ .

صناعة الحُصر :

كانت تصنع فى حيس أنواع مختلفة من الحُصر التى تستخدم فى الأثاث المنزلى ومن أهمها الحصير الملون [١] والذى كان ذو قيمة مالية كبيرة .

صناعة زيت السمسم :

تشتهر حيس منذ القرن (٤ هـ/ ١٠ م) بصناعة زيت السمسم والذى يعرف فى اليمن باسم « سليط الجلجل » وترد أول اشارة إلى ذلك عند عمارة اليمنى فى معرض حديثه عن تنكر على بن محمد الصليحى فى ثياب سلاط يعمل فى إحدى معاصر سليط الجلجل فى حيس لكى يتحسس أخبار دولة بنى زياد أواخر القرن (٤ هـ/ ١٠ م) [٢] .

(جـ) التجارة :

كان لموقع اليمن فى الركن الجنوبى الغربى لشبه الجزيرة العربية وإشرافها على البحر الأحمر ومضيق باب المندب وخليج عدن وبحر العرب والمحيط الهندى أن مكنها من السيطرة على الطرق التجارية البحرية مع أوروبا واحتكار تجاة الهند منذ عصر ما قبل الإسلام وحتى اكتشاف البرتغاليين لطريق رأس الرجاء الصالح أوائل القرن (١٠ هـ/ ١٦ م) .

ولذلك كانت حركة التجارة اليمنية نشطة ليس فى الموانى والعواصم فحسب بل وفى كل اقليم ومدينة ومركز والتى كانت كل منها تشتمل على أسواق تجارية يومية وأسبوعية تعرض فيها المنتجات الزراعية والصناعية المحلية والمستوردة .

ونظراً لنشأة مدينة حيس الزراعية والصناعية فقد أصبحت مركزاً تجارياً لتصريف مصنوعات المدينة والمناطق المحيطة بها من خلال السوق التجارى الموجود وسط المدينة [٣] وكذلك من خلال الأسواق الأسبوعية التى تقام فيها [٤] .

---

(١) جاء رجل من حيس بحصير قد تأنق فيه وزينه إلى الشيخ حسن الجندب فلم يكرمه ، فشكى ذلك إلى معلم عند بنى الجندب فقال له لو انك تقدمت بهذا الحصير إلى يوسف الدين محمد بن زكريا ما عدمت منه جائزة فتقدم به الرجل إلى محمد بن زكريا فأعطاه ثوبا ومئة دينار . (انظر) ، المعلم وطيوط ، المصدر السابق ، ص ٤٩ ـ ٥٠ .

(٢) عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن المفيد ، ص ٨٧ .

(٣) ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص ١٣٨ .

(٤) إبراهيم خورشيد وآخرون ، دائرة المعارف الإسلامية ، جـ ١٦ ، ص ٢٣٨ .

ثالثاً : العامل الثقافي :

تنتشر في تهامة المذاهب الفقهية السنية الأربعة ، وإن كان الغالب على أهلها إتباع مذهب أبي حنيفة النعمان [١] ، وبالنسبة لسكان حيس فإن عامة الناس يتبعون مذهب أبو حنيفة ليس عن علم وإنما توارثوا اتباعه عن آبائهم ولذلك يصفهم الجندي بأنهم « حنفية طبعاً لا علماً »[٢] أما علماء حيس وفقهائها فيتبعون مذهب الإمام الشافعي حيث يذكر الجندي أنه « يغلب على أهل الخوهة (الخوخة) وقضاة حيس التشفع »[٣] .

(أ) العلماء الذين درّسوا في حيس :

كان علماء حيس والوافدين إليها يدرّسون العلوم المختلفة في مساجد ومدارس المدينة والمنشآت الدينية الأخرى .

ويلاحظ على المصادر التاريخية اليمنية أنها لا تهتم كثيراً بذكر المدرسين وتخصصاتهم والمدارس التي كانوا يدّرسون فيها إلا في القليل النادر مما ذكرته كتب الطبقات المختلفة التي تؤرخ للعلماء والفقهاء والصوفية والتي اقتصر الحديث فيها على أسماء العلماء وتاريخ ميلادهم ووفاتهم إن وجد والعلوم التي درسوها وبمن تفقهوا وأهم الأحداث التي جرت لهذا العالم أو ذاك ، ولذلك نجد أنه من النادر أن تذكر المصادر أن العالم الفلاني مثلاً كان يدرس في مدرسة كذا سنة كذا كتاب كذا .

فمثلاً أوردت المصادر العديد من أسماء العلماء الذين درسوا في مدينة حيس سواء أكانوا من أهل المدينة أو ممن وفد إليها.من اليمن أو خارجها ولكن لم تهتم بأن تذكر هذه المصادر أن فلان كان يدرس في المدرسة أو المسجد الفلاني إلا في حالتين الأولى : تتعلق بالخانقاه المظفرية ، والثانية بالمدرسة الياقوتية .

ولذلك يصعب ذكر المدرسين أو المرتبين في كل مدرسة أو مسجد من مساجد حيس أو نسبة أي منهم إلى منشأة معينة . ولهذا السبب سوف أكتفي بذكر العلماء الذين درسوا في مدينة حيس دون تحديد للمدرسة أو المسجد الذي عمل به إلا من ورد له ذكر في هذا الصدد . ويمكن تقسيم هؤلاء العلماء إلى :

---

(١) الجندي، السلوك، جـ ٢ ، ص ٣٧٥ .

(٢) الجندي، السلوك، جـ ٢ ، ص ٣٨٣ .

(٣) التشفع : أي اتباع مذهب الإمام الشافعي ، (انظر) ، الجندي ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ٣٨٥ .

١ ـ العلماء من أهل حيس :

توجد فى حيس العديد من الأسر التى يمكن تسميتها بالأسر العلمية نظراً لاشتغال معظم أفراد الأسرة بالعلم ومن هذه الأسر :

أسرة آل أبى الحياء :

ينتسبون إلى الصحابى الجليل أبو موسى الأشعرى ، وأصل هذه الأسرة من قرية الهرمة[١] بزبيد ، انتقل أحد أفرادها ويدعى أحمد بن عمر بن عبد الصمد بن أبى الحياء المعروف بركيز إلى مدينة حيس فى أوائل العصر الرسولى وسكن قرية الحرابة جنوب حيس[٢] وكان ولده أبو بكر معاصراً للسلطان الرسولى المظفر يوسف حيث رتبه وذريته من بعده فى الخانقاة المظفرية التى بناها فى حيس وجعل لهم ثمانية أمداد من الطعام سنوياً [٣] .

وعلماء هذه الأسرة يذكرون بالفقه والصلاح [٤] حيث نبغ منهم علماء كان لهم مكانة كبيرة عند ملوك الدولة الرسولية ثم الطاهرية ومنهم أبو بكر السابق ذكره وكذلك الفقيه عبد الله بن أحمد بن عثمان بن أبى بكر المتوفى سنة (٨٩١ هـ/ ١٤٨٦ م) [٥] وكان إماماً فى العلوم الشرعية وشيخاً كبيراً من شيوخ الصوفية ، ثم ابنه أحمد المتوفى سنة (٩٢٢ هـ/ ١٥١٦ م) ونظراً لمكانة هذه الأسرة العلمية فقد وضع المؤرخ عبد الملك بن دعسين مؤلفاً يحوى أسماء علماء هذه الأسرة ومؤلفاتهم سماه (إتحاف الأذكياء بمناقب آل أبى الحياء) [٦] .

أسرة الهتار :

ينتسبون إلى الفقيه العالم عيسى بن اقبال العتار من كبار علماء القرن (٧ هـ/ ١٣ م) ،

---

(١) قرية الهرمة ، من القرى الدارسه فى تهامة .

(٢) عبد الرحمن بعكر ، كواكب يمانية ، ص ٥٧١ .

(٣) المد ، ٣٢ ثمن والثمن خمسة أقداح صنعانى . (انظر) ، عبد الرحمن بعكر ، كواكب يمانية ، ص ٥٧١ .

(٤) الجندى ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ٣٨٤ .

(٥) هو الذى بنى مسجد ركيز فى ربع المحل .

(٦) عبد الرحمن بعكر ، كواكب يمانية ، ص ٥٦٨ .

وكان ولده طلحة من كبار علماء الدولة الرسولية [١] ، وهذه الأسرة كانت تسكن فى الأصل قرية التربية شرق زبيد ، ثم انتشروا فى مختلف مدن وقرى تهامة ولازال لهم بقايا إلى اليوم فى مدن حيس وزبيد والتربية [٢] وغيرها [٣] ، وإليهم ينسب بناء المدرسة الهتارية بحيس .

أسرة الحضرمى :

ينتسب آل الحضرمى فى تهامة كلها إلى الفقيه اسماعيل بن محمد الحضرمى الذى ولد سنة (٦٠١ هـ) / (٤/ ١٢٠٥ م) وتوفى سنة (٦٧٦ هـ) / (٧٧/ ١٢٧٨ م) [٤] ، وكان هذا الفقيه ممن تولى القضاء الأكبر فى تهامة فى عهد السلطان المظفر يوسف ، وكان أيضاً من مدرسى السلطان المذكور [٥] .

وآل الحضرمى فى الأصل يسكنون قرية الضحى [٦] من تهامة [٧] ثم انتشروا فى مختلف قرى ومدن تهامة ومنها مدينة حيس حيث سكنوا فى الربع المنسوب إليهم والذى يقع إلى الشمال من قلعة حيس وإليهم ينسب بناء مسجد الحضرمى والذى يعرف أيضاً باسم مسجد البخارى نظراً لأن الفقيه اسماعيل المذكور كان مشهوراً بإقراء صحيح البخارى [٨] ، بالإضافة إلى علم النحو حيث انتفع بعلمه (كثير من مدارس اليمن) [٩] ، ولا تزال لآل الحضرمى بقية حتى اليوم فى مدينة حيس .

وبالإضافة إلى الأسر العلمية كان هناك عدد من العلماء والصوفية الذين ينتمون إلى مدينة حيس ومن هؤلاء : ابن مسرور [١٠] وكان من الفقهاء الحنفية ، وكذلك القاضى محمد بن

---

(١) مازال مسجد عيسى الهتار وضريح ابنه طلحه باقيان حتى اليوم شرق مدينة زبيد . (انظر)، عبد الرحمن بعكر، كواكب يمانية ، ص ٥٢٦ .

(٢) التربية ، بلدة على بعد ١٠كم شرق زبيد . (انظر)، إبراهيم المقحفى ، معجم المدن، ص ٦٩ .

(٣) عبد الرحمن بعكر، كواكب يمانية، ص ٥٢٧ .

(٤) الجندى، السلوك، جـ٢ ، ص ٣٦-٣٩ .

(٥) الجندى، السلوك، جـ٢ ، ص ٣٧ .

(٦) الضحى، من مدن وادى سردد جنوب الزيدية بـ ١٨ كم، انظر، إبراهيم المقحفى، معجم المدن، ص ٢٥٨ .

(٧) الجندى، السلوك، جـ٢ ، ص ٣٩ .

(٨) كان ممن درس عليه المظفر صحيح البخارى . (انظر)، الجندى، السلوك، جـ٢، ص ٢٧ .

(٩) الجندى، السلوك، جـ٢، ص ٣٩ .

(١٠) هكذا ذكره الجندى فى السلوك، جـ ٢ ، ص ٤٧ .

أبى بكر بن صبيح وكان موصوفاً بالخير والدين وهو ممن تولى القضاء فى حيس وكذلك ابنه أبو بكر [1]، ومن أهل حيس أيضاً الفقيه أبو بكر بن عمر المهيرى الذى ولد فى حيس وله بها ذرية وكان ممن أخذ العلم عن الفقيه اسماعيل الحضرمى السابق ذكره ، وكان المهيرى عالماً بالفقه وعلم الحساب توفى سنة (٧١٠ هـ/ ١٣١٠ م)[2] ، وكذلك الصوفى عمر بن محمد الخامرى ، أخذ الطريقة الخامرية بمكة ونشرها بحيس توفى سنة (٨٨١ هـ) ودفن بمسجده المعروف باسمه بمدينة حيس [3] .

٢ ـ العلماء من أهل القرى التابعة لحيس :

إلى جانب العلماء من أهل مدينة حيس كان هناك عدد من العلماء المقيمين فى القرى المحيطة بالمدينة ـ والتابعة لها ادارياً ـ ويقومون بالتدريس فى مساجد ومدارس حيس إلى جانب تدريسهم فى مساجد ومدارس قراهم ومن هؤلاء :

العلامة أبو عمران موسى بن محمد الطويرى [4] : مؤلف كتاب « احتراز المهذب » تفقه بالفقيه عبد الله الهرمى وبه تفقه محمد بن زكريا وولده إبراهيم والشيبانى [5] .

وممن درس فى حيس الفقيه رضى الدين أبو بكر بن إبراهيم بن يوسف الحكاك المتوفى آخر المئة السابعة وهو من أهالى قرية الجوز من قرى حيس وكان مشتغلاً بعلم الحقائق فضلاً عن كونه « كاتباً ذا خط فائق وشاعراً ذا نظم رائق وله ديوان شعر » [6] .

ومنهم أيضاً الفقيه رضى الدين أبو بكر بن أحمد بن دعسين القرشى من أهالى الخوخة ، أخذ الفقه عن والده وعن الإمام محمد بن نور الدين على الموزعى [7] وكان إماماً عالماً أفتى

---

(١) الجندى، السلوك، جـ ٢، ص ٣٨٤ .

(٢) الجندى، السلوك، جـ ٢، ص ٣٨٤، ٣٨٥ .

(٣) ابن الديبع ، بغية المستفيد، ص ١٥٤ ، الفضل المزيد، ص ١٤٧ ، بامخرمه، قلادة النحر ، ص ١١٣٣، ١١٤٠ .

(٤) نسبة إلى قرية الطوير جنوب حيس. (انظر)، الجندى، السلوك ، جـ ٢، ص ٣٨٣، عبدالرحمن بعكر، كواكب يمانية، ص ٣٣٩ .

(٥) الجندى، السلوك، جـ ٢ ، ص ٣٨٣ .

(٦) البريهى، طبقات صلحاء اليمن، ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، أما ديوان شعره فمنه نسخة بمكتبة عبدالله الحبشى وأخرى فى اكسفورد.

(٧) هو الإمام جمال الدين محمد بن نور الدين الخطيب الموزعى (ت ٨٢٥هـ)، وكان إماما عالما بالفقه والأصول والنحو والمعانى والبيان واللغة، وله مؤلفات عدة منها ، كشف الظلمة عن هذه الأمة، تيسير البيان فى أحكام القرآن، مغانم المعانى فى حروف المعانى فى النحو، وهو الذى بدأ عمارة جامع موزع فلما عجز عن اتمامه أرسلت إليه جهة الطواشى فرحان زوج السلطان الأشرف بن الأفضل بمال جزيل تم به عمارة الجامع واشترى بالباقى أرضا أوقفها على الجامع. (انظر)، عبد الرحمن بعكر، كواكب يمانية، ص ٤٤٨ ـ ٥٥٠ .

ودرس واشتهر أخذ عنه الفقه جماعة ، تولى قضاء موزع ثم عزل نفسه وتفرغ للعبادة ونشر العلم وتلاوة القرآن ، رتب فى آخر أيامه فى المدرسة الياقوتية بمدينة حيس فدرس بها حيث تفقه به جماعة وقد سكن فيها حتى وفاته سنة (٨٤٢ هـ) / (٣٨/ ١٤٣٩ م) فحمل منها إلى بلده الخوخة حيث دفن فيها ، ومن مؤلفاته : الدر النضيد فى أنساب بنى أسيد ، وهو ذيل لكتاب « العقد الفريد فى أنساب بنى أسيد » تأليف جده المتوفى بزبيد سنة (٧٥٢ هـ) [١] .

ومن أهل الخوخة الذين درسوا بحيس الفقهاء أحفاد الفقيه حسن الشيبانى المتوفى سنة (٥٨٣ هـ) [٢] وهم الذين كانوا يقومون بالخطابة بمدينة حيس ومن أشهرهم أبو بكر على بن فالح بن حسن الشيبانى الذى تولى قضاء حيس وخطابتها [٣] وكذلك الفقيه عبد السلام بن أبى بكر ابن أخى حسن الشيبانى الذى تولى أيضاً قضاء حيس سنة بضع وثمانين وخمسمائة (١_٥٨٩ هـ) / (٨٥_١١٩٣ م) [٤] .

ومن أهل قرية السلامة [٥] الذين درسوا فى مدينة حيس الفقيه أحمد بن عمر الزيلعى (ت ٧٠٤ هـ) [٦] والفقيه أبو الحسن على بن أبى بكر بن أحمد الزيلعى (ت ٧٢٩ هـ) وكان على مذهب الإمام الشافعى [٧] ، والفقيه أبو الحسن على بن عبد الله الزيلعى (ت ٧١٤ هـ / ١٣١٤ م) ، وكان يلقب بالفوضى لإتقانه علم الفرائض والحساب فضلاً عن علوم أخرى وخاصة علوم الفقه والحديث والتفسير والنحو ، وكان ولده محمد المتوفى سنة (٧٣٠ هـ / ١٣٣٠ م) ممن تفقه بالفقيه اسماعيل بن محمد الحضرمى السابق ذكره ومن مؤلفاته كتاب شرح اللمع [٨] ، ومن أهل قرية السلامة أيضاً الفقيه أبو الحسن على بن أبى بكر على بن موسى الهاملى وكان معاصراً للفقيه أبو الحسن على بن أبى بكر بن أحمد الزيلعى السابق ذكره ودرس له أولاده [٩] .

---

(١) البريهى، طبقات صلحاء اليمن، ص ٢٧٤ _ ٢٧٦، اسماعيل الأكوع، المدارس، ص ٢٣٠ .

(٢) الخزرجى، العقود اللؤلؤية، جـ١، ص ٤٠، الأهدل، بدر الدين أبو عبدالله الحسين بن عبدالرحمن بن محمد (ت٨٥٥هـ)، تحفة الزمن فى تاريخ اليمن، تحقيق عبدالله محمد الحبشى، منشورات المدينة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/ ١٨٩٦م، ص ٢٢٤ .

(٣) الجندى، السلوك، جـ١، ص ٣٨٥ .

(٤) الجندى، السلوك، جـ١، ص ٤٧٢ .

(٥) السلامة، قرية فى وادى نخلة شرق مدينة حيس . (انظر)، إبراهيم المقحفى، معجم المدن، ص ٢٠٩ .

(٦) الزيلعى، نسبة إلى زيلع من بلاد الحبشة، (انظر)، عبدالرحمن بعكر، كواكب يمانية، ص ٥٧٠ .

(٧) الجندى، السلوك، جـ١، ص ٣٨٣ .

(٨) عبد الرحمن بعكر، كواكب يمانية ص ٥٧٠ .

(٧) الجندى، السلوك، جـ١، ص ٣٨٤ .

٣ ـ العلماء الوافدين إلى حيس من مدن يمنية :

هناك العديد من العلماء الذين انتقلوا من قراهم ومدنهم إلى مدينة حيس للتدريس فيها والإقامة بها ومنهم :

• آل البجلى [١] :

من علماء هذه الأسرة الذين درسوا بحيس القاضى أحمد البجلى (٨٩٣ هـ / ١٤٨٨ م)[٢] ثم ابنه شرف الدين أبو القاسم بن أحمد البجلى أثناء توليته القضاء فيها [٣] ثم خلفه بعد وفاته على القضاء والتدريس ولده صفى الدين أحمد وكان ممن درس على يد الفقهاء بنى الناشرى الآتى ذكرهم فأجازوا له فدرس وأفتى وكان معاصراً للمؤرخ البريهى السابق ذكره [٤] .

• آل الناشرى [٥] :

وهم بيت علم مشهور يصفهم الفيروز ابادى ـ مؤلف تاج العروس ـ بأنهم (فقهاء زبيد باليمن وأكبر بيت فى العلم والفقه والصلاح) [٦] ، وقد تولى الكثير منهم القضاء الأكبر فى عصر الدولة الرسولية ، وكان ممن تولى القضاء فى مدينة حيس الفقيه أبو بكر بن على الناشرى [٧] (ت ٧٧٢ هـ) / (٧٠/ ١٣٧١ م) الذى استمر قاضياً فى حيس حتى عزل

---

(١) نسبة إلى قبيلة بجيلة اليمنية قوم الصحابى الجليل جرير بن عبدالله البجلى. (انظر) ، إبراهيم المقحفى، معجم المدن، ص ٤٣ .

(٢) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص ١٨٠ ، بامخرمة ، قلادة النحر ، ص ١١٦٧ .

(٣) عزل عن القضاء سنة ٩٠٠هـ. (انظر)، البريهى ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ٢٨٤ ، ابن الديبع ، بغية المستفيد ، ص ٢١٦ ، الفضل المزيد ، ص ١٩٨ ، ١٩٩ ، بامخرمة ، قلادة النحر ، جـ٣ ، ص ١١٧٥ ، عبد الرحمن بعكر ، كواكب يمانية ، ص ٥٥١ ـ ٥٥٢ .

(٤) البريهى ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ٢٨٤ .

(٥) نسبة إلى قرية الناشرية من قرى وادى مور . (انظر)، عبد الرحمن بعكر ، كواكب يمانية ، ص ٥٦٢ .

(٦) عبد الرحمن بعكر ، كواكب يمانية ، ص ٥٦٥ .

(٧) هو الفقيه أبوبكر بن على بن محمد بن أبى بكر بن عبدالله بن أبى بكر الناشرى (ت ٧٧٢هـ) كان إماما عالما فاضلا زاهدا صواما قواما .

نفسه ، واشتغل بالتدريس فى المدرسة السيفية بزبيد ثم بالمدرسة الشمسيه والمدرسة الأفضلية بتعز ثم انتقل للتدريس فى المدرسة الصلاحية بالسلامة [١] ، وكذلك الفقيه اسماعيل بن أبى بكر الناشرى وكان قاضياً فى حيس فى القرن (٨ هـ / ١٤ م) وبعد أن ترك القضاء عمل مدرساً فى المدرسة التاجية بزبيد [٢] ، ومنهم الفقيه أبو الحسن على بن بى بكر الناشرى تولى القضاء فى حيس سنة (٧٩١ هـ / ١٣٨٩ م) حتى سنة (٧٩٣ هـ / ١٣٩١ م) ثم رتبه السلطان الأشرف مدرساً فى المدرسة الأشرفية بتعز [٣] ، ومن آل الناشرى الذين درسوا بمدينة حيس الفقيه حمزة بن عبد الله الناشرى « ولد سنة (٨٣٣ هـ) / (١٤٣٠ م) وتوفى سنة (٩٢٦ هـ) / (١٥٢٠ م) » وإليه ينسب مسجد التكية بحيس ، من مؤلفاته : مسالك التبحير فى مسالك التكبير ، البستان الزاهر فى طبقات بنى ناشر ، انتهاز الفرص فى الصيد والقنص [٤] ، ومن آل الناشرى أيضاً الفقيه عيسى بن محمد الناشرى الذى كان قاضياً فى حيس سنة (٨٩٣ هـ / ١٤٨٨ م) [٥] .

علماء متفرقون :

وممن درس فى حيس من غير آل الناشرى وآل البجلى الفقيه تقى الدين عمر البهلول السلاط وأصل بلده لحج وكان موصوفاً بكثرة تلاوة القرآن والذكر ، وممن درس فى حيس الفقيه أبو الخطاب عمر بن أبى بكر العراف ـ ولد سنة (٦٨٨ هـ) ، توفى سنة (٧٥٤ هـ) ـ درس فى المدرسة الغرابية بزبيد ثم ارتحل إلى مكة وعاد إلى اليمن فى عهد السلطان المجاهد فرتبه مدرساً بالمدرسة المجاهدية بتعز ثم بالخانقاة المظفرية بحيس وكان يقوم بتدريس كتاب

---

(١) الشرجى ، طبقات الخواص ، ص ١٨٠ ، المعلم وطيوط ، المصدر السابق ، ص ٦٢ ، اسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ٧٢ .

(٢) المعلم وطيوط ، المصدر السابق ، ص ٦٣ ، اسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ١٣٧ .

(٣) الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ، جـ ٢ ، ص ١٨٥ ، بامخرمه ، قلادة النحر ، ص ١١١٥ ، اسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ١٥٠ .

(٤) ألفه للسلطان الرسولى المظفر الثانى . (انظر) ، عبدالرحمن بعكر ، كواكب يمانية ، ص ٥٦٤ .

(٥) ابن الديبع ، بغية المستفيد ، ص ١٨٠ ، الفضل المزيد ، ص ١٧٠ .

المهذب للشيرازى فى المدرسة المجاهدية والخانقاة المظفرية [1] ، وممن درس فى هذه الخانقاة أيضاً القاضى عماد الدين ادريس الوائلى [2] .

ومن أهل بيت الفقيه [3] الذين درسوا بحيس أثناء توليتهم القضاء بها القاضى صفى الدين أحمد بن جمال الدين محمد الطاهر بن أحمد بن جعمان (ت سنة ٩٠٧ هـ) فى الفترة من سنة (٩٠٠ ـ ٩٠٧ هـ) / (٩٤/ ١٤٩٥ ـ ١ / ١٥٠٢ م) [4] .

٤ ـ العلماء الوافدون إلى حيس من خارج اليمن :

وقد إلى اليمن كثير من العلماء سواء كان ذلك عن طريق استدعاء السلاطين لهم أو وصولهم إلى اليمن على طريق الرحلة فى العلم ، وممن وفد إلى اليمن ودرس فى حيس الفقيه أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبى البركات بن عبد الرحمن المصرى الأنصارى وكان مؤذناً فى المسجد النبوى الشريف بالمدينة المنورة ، ذو معرفة بالحديث والنحو والفقه واللغة وعلم الحقيقة ، تصدر للتدريس والإفادة وكان يقرض الشعر وقد جمع له أحد تلامذته ديواناً، توفى بمدينة حيس سنة (٨٢٢ هـ) / (١٤١٩ م) [5] .

ومنهم أيضاً الفقيه جمال الدين محمد بن على المصرى الكاتب الحاسب ، قدم والده إلى اليمن وكان على معرفة بعلم الفلك وعلم الفرائض وإليه سلمت رئاسة صناعة التقويم والتسيير فى علم الفلك فنال بذلك حظوة عند ملوك بنى رسول فجعلوا له جامكية وبعد وفاته خلفه ابنه المذكور فى علم الفلك والحساب والفرائض وصناعة التقويم وقد توفى سنة (٨٣٠هـ)/ (٢٦/ ١٤٢٧ م) [6] .

---

(١) الأفضل عباس، العطايا السنية ، ص ٣٩، الخزرجى، العقود اللؤلؤية ، جـ ٢ ، ص ٢٣٧ .

(٢) هو عماد الدين ادريس بن محمد بن سعيد بن يوسف بن أحمد بن عمر بن سعيد بن الهيثم الوائلى من أهل وحاضة فى جبل حيس، ولد فى صنعاء وأخذ العلم عن علماء اليمن ثم عن علماء مكة ومنهم الإمام الطبرى، ولما عاد إلى اليمن رتبه السلطان الأفضل فى خانقاة حيس. (انظر)، البريهى، طبقات صلحاء اليمن، ص ١٢٠، ١٢١.

(٣) بيت الفقيه، مدينة بتهامة، تنسب إلى الفقيه أحمد بن موسى بن على بن عجيل (ت ٦٩٠هـ)، تقع جنوب شرق الحديدة بـ ٢٥كم وهى من بيوت العلم المشهورة فى تهامة وتشتهر بصناعة الحرير والقطن. (انظر)، إبراهيم المقحفى، معجم المدن، ص ٦١ .

(٤) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص ٢١٦ ، العيدروس، النور السافر، ص ٤٦ ، بامخرمه، قلادة النحر، ص ١١٧٥ .

(٥) البريهى، طبقات صلحاء اليمن، ص ٢٨١ ـ ٢٨٣ .

(٦) البريهى، طبقات صلحاء اليمن . ص ٢٨٤ .

(ب) العلوم التى كانت تدرس فى المساجد والمدارس :

بعد انتهاء الحديث عن العلماء الذين درسوا بمدينة حيس يأتى الحديث عن جانب آخر مهم من جوانب العامل الثقافى هذا الجانب يتعلق بموضوعين أساسيين الأول : العلوم التى كانت تدرس والثانى : نظم وطرق التدريس التى كانت متبعة سواء فى المساجد أو المدارس فبالنسبه للعلوم التى كانت تدرس احتلت العلوم الدينية والشرعية موضع الصدارة فى المناهج التى كانت تدرس فى المساجد والمدارس وغيرها من أماكن التعليم ، نظراً لارتباطها بالدين من ناحية وبالدولة وحياة الناس من ناحية أخرى[1] ، ثم يليها فى الأهمية علوم اللغة وعلوم الطبيعة كالمنطق والفلسفة وعلم الكلام والجبر والحساب والهندسة والفلك والطب . . . الخ .

وفيما يلى ذكر لأهم الكتب التى كانت تدرس فى كل علم [2] .

١ ـ العلوم الدينية :

وتشمل القرآن وعلومه ، علم الحديث ، السيرة ، الفقه بمذاهبه المختلفة ، علم الفرائض .

● القرآن وعلومه :

كان للقرآن الكريم وعلومه أهمية كبرى فى مدارس العالم الإسلامى ومنها مدارس اليمن خلال العصرين الرسولى والطاهرى ، حيث كان القرآن أول علم يدرس فى هذه المدارس (باعتباره المصدر الأول للتشريع الإسلامى ولذلك اهتم بحفظه وترتيله وتفسيره وتخصصت بعض المدارس فى الاقتصار على تدريسه وتوفير المدرسين الحافظين له) [3] .

ويرتبط بحفظ القرآن تفسيره وشرح أحكامه فجلبت لهذا الغرض مختلف كتب التفاسير المعروفة آنذاك من مختلف بلدان العالم الإسلامى [4] ومنها :

---

(١) عفاف سيد محمد صبره (دكتور)، المدارس فى العصر الأيوبى، بحث منشور فى كتاب، تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية، سلسلة تاريخ المصريين، رقم ٥١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢، ص ١٧٠ .

(٢) سوف نذكر أمثلة فقط لما كان يدرس من كتب فى كل علم لأن ذكر جميع الكتب أمر مستحيل ولمن أراد معرفتها جميعها فلينظر، عبدالله محمد الحبشى، مصادر الفكر العربى الإسلامى فى اليمن، مركز الدراسات والبحوث اليمنى، صنعاء، بدون تاريخ .

(٣) فاروق حيدر، التعليم فى اليمن، ص ٧٣ .

(٤) فاروق حيدر، التعليم فى اليمن، ص ٧٣ .

ناسخ القرآن ومنسوخه للقصار[1]، وتفسير القرآن للإمام الواحدى [2]، والناسخ والمنسوخ ، وبيان القرآن للصغار للصغار [3] وتفسير البيان فى أحكام القرآن للموزعى [4] ، والنقاش فى التفسير [5] ، والشاطبية فى علم القراءات [6] ، والقراءات السبع [7] .

• السيرة :

سيرة ابن هشام[8] .

• علم الحديث :

من أهم الكتب التى كانت تدرس منه كتب الصحاح [9] ، وجامع معمر [10]، وجامع أبى

---

(١) القصار ، أبو يعقوب اسحاق (ت ٢٤٩هـ) . (انظر) ، الجندى ، السلوك ، جـ٢ ، ص ٢١٩ ، فاروق حيدر ، التعليم فى اليمن ، ص ٧٣ .

(٢) الواحدى ، أبو الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى (ت ٤٧٦ هـ) ، (انظر) ، الجعدى ، أبو حفص عمر بن على بن سمره (ق٦هـ/ ١٢م) ، طبقات فقهاء اليمن وعيون من أخبار سادات رؤساء الزمن ، تحقيق فؤاد سيد ، القاهرة ١٩٥٧م ، ص ٢٢١ ، الجندى ، السلوك ، جـ١ ، ص ١٢١ ، ١٢٢ ، فاروق حيدر ، التعليم فى اليمن ، ص ٧٣ .

(٣) الصفار ، أبو جعفر محمد بن أحمد بن إسماعيل بن يونس المرادى المعروف بابن النحاس (ت٣٣٨هـ) ، (انظر) ، الجعدى ، طبقات فقهاء اليمن ، ص ١٩٤ ، عبد الرحمن عبد الواحد محمد الشجاع ، الحياة العلمية فى اليمن فى القرنين الثالث والرابع للهجرة ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ، ص ٢٤٥ .

(٤) الموزعى ، محمد بن نور الدين ، سبقت ترجمته . (انظر) ، عبدالله محمد الحبشى ، حياة الأدب اليمنى فى عصر بنى رسول ، وزارة الإعلام والثقافة ، صنعاء ١٩٨٠ ، ص ١٠١ .

(٥) لم أعثر على اسم مؤلفه ، (انظر) ، الجندى ، السلوك ، جـ١ ، ص ١٥٧ ، ٢٣٤ .

(٦) نسبة إلى أبو محمد القاسم بن خيره بن خلف بن أحمد الرعينى ، أمام القراء ، ولد بشاطبة بالأندلس وتوفى بمصر عاش فيما بين سنة ٥٣٨ ـ ٥٩٠ هـ/ ١١٤٤ ـ ١١٩٤م ، (انظر) ، ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص ٢١٨ .

(٧) هناك الكثير من المؤلفات تحمل هذا الإسم لعدة مؤلفين ، (انظر) ، ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص ٢٤٠ .

(٨) الجندى ، السلوك ، جـ٢ ، ص ٤٢٦ .

(٩) كتب الصحاح ، صحيح البخارى ، صحيح مسلم ، موطأ مالك ، جامع الترمذى ، سنن أبى داود ، سنن النسائى ، مسند الإمام أحمد .

(١٠) معمر بن راشد البصرى ، سكن صنعاء وقرأ على علمائها وتوفى بها سنة ١٥٣هـ/ ٧٧٠م . انظر الجعدى ، طبقات فقهاء اليمن ، ص ٦٦ .

قـره [1] ، وكتاب المستصفى فى سنن المصطفى للقريضى [2] ، وعريب الحديث لأبى عبيد القاسم بن سلام([3]) وعمل اليوم والليلة لابن السنى([4]) ، وشمائل المصطفى ﷺ للترمذى([5]) ، والرسالة للقشيرى [6] ، وعدة الحصن الحصين للجزرى [7] ، والأذكار للنووى [8] ، ومشكاة المصابيح للإمام التبريزى [9] وألفية فى الحديث وشرحها : فتح المغيث لشرح ألفيه الحديث للحافظ ابن فضل العراقى([10]) ، والأربعين الودعانية [11] ، الأربعين الطائية([12]) ، وبلوغ المرام من أدلة الأحكام لابن حجر [13] .

---

(١) أبى قره، موسى بن طارق الزبيدى اللحجى، توفى بزبيد سنة ٢٠٣هـ/ ٨١٨م (انظر)، الجعدى، طبقات فقهاء اليمن، ص ٦٩، محمد السرورى، مظاهر الحضارة، ص ٢٦٠، ٢٦٨ .

(٢) القريضى، محمد بن سعيد بن معن(ت ٥٧٦هـ/ ١١٨٠م). انظر الجعدى، طبقات فقهاء اليمن، ص ١٢٥، الجندى، السلوك، جـ٢، ص ١٣٦ .

(٣) هو أبو عبيد القاسم بن سلام السهروى الأزدى (١٥٧ ، ٢٢٤هـ) (انظر)، حمود على القيرى، تحقيق ودراسة ديوان الفتوح لأحمد بن علوان اليمنى، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٨٨، ص ٩٧ .

(٤) ابن السنى، أبو بكر أحمد بن محمد بن اسحاق بن إبراهيم بن اسباط الدينورى، من تلاميذ النسائى. انظر، ابن الديبع، الفضل المزيد، ص ٢١٩، الزركلى، الأعلام، جـ١، ص ٢٠٩ .

(٥) الترمذى، محمد بن عيسى (من أئمة الحديث) ٢٠٩ ، ٢٧٩هـ انظر، الجندى، السلوك، جـ١، ص ٢٢٤، حمود القيرى، المرجع السابق، ص ٩٧ .

(٦) القشيرى، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابورى (٣٧٦ـ٤٦٥هـ/ ٩٨٦ ـ ١٠٧٢م)، انظر، ابن الديبع، الفضل المزيد، ص ٢١٩، الزركلى، الأعلام، جـ٤، ص ٥٧ .

(٧) الجزرى، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن على بن يوسف العمرى الدمشقى الشيرازى (٧٥١ـ ٨٣٣هـ/ ١٣٥٠ ـ ١٤٢٩م)، ولد بدمشق وبنى فيها مدرسة دار القرآن. انظر، ابن الديبع، الفضل المزيد، ص ٢١٩، الزركلى، الأعلام، جـ٧، ص ٤٥ .

(٨) النووى، يحى بن شرف بن مرى بن حسن الحزامى الحورانى (٦٣١ ـ ٦٧٦هـ/ ١٢٣٣ـ ١٢٧٧م)، من أهل حوران بسوريا، انظر، ابن الديبع، الفضل المزيد، ص ٢١٩، الزركلى، الأعلام، جـ٨، ص ١٤٩ .

(٩) البريزى، أبو عبدالله ولى الدين محمد بن عبدالله الخطيب العمرى (ت ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م). انظر، ابن الديبع، الفضل المزيد، ص ٢١٩، الزركلى، الأعلام، جـ٦، ص ٢٣٤ .

(١٠) ابن فضل العراقى، عبد الرحمن بن الحسين بن عبدالرحمن أبو الفضل زين الدين (٧٢٥ ـ ٨٠٦هـ/ ١٣٢٥ ـ ١٤٠٤م)، من كبار حفاظ الحديث، أصله من أربيل، انظر، ابن الديبع، الفضل المزيد، ص ٢١٩هـ ، الزركلى، الأعلام، جـ٣، ص ٣٤٤ .

(١١) نسبة إلى ابن ودعان الموصلى، محمد بن على بن عبيدالله بن أحمد بن صالح بن سليمان (٤٠١ ـ ٤٩٤هـ/ ١٠١١ ـ ١١٠١م). انظر ، الجندى، السلوك، جـ٢، ص ٧٥، الزركلى، الأعلام، جـ٦، ص ٢٧٧ .

(١٢) نسبة إلى أبو الفتوح الطائى الهمذانى، محمد بن محمد بن على (٤٧٥ ـ ٥٥٥هـ/ ١٠٨٠ ـ ١١٦٠م)، من علماء الحديث. انظر ، الجندى، السلوك، جـ٢ ، ص ٧٥، ٢٤٣، الزركلى، الأعلام، جـ٧ ، ص ٢٤ .

(١٣) ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن محمد الكنانى العسقلانى (٧٧٣ ـ ٨٥٢هـ/ ١٢٧٢ ـ ١٤٤٩م)، من أئمة العلم، أصله من عسقلان بفلسطين، ولد ومات بالقاهرة. انظر، الزركلى، الأعلام ، جـ١ ، ص ١٧٨ .

• علم الفقه :

يختلف مقرر علم الفقه فى اليمن من منطقة إلى أخرى تبعاً لاختلاف المذاهب وظهور مؤلفات جديدة مع مرور الزمن ، فقد كانت المناطق الجنوبية والغربية من اليمن تدرس فقه الإمام الشافعى وقليل من فقه الإمام أبو حنيفة ، أما المناطق الشمالية فكانت تدرس الفقه على المذهب الزيدى [١] ، ومن أهم الكتب التى كانت تدرس فى أصول الفقه :

كتاب سنن المزنى [٢] ، ومختصر المزنى وشروحه لابن ملامس [٣] ، والجامع فى الخلاف لجعفر المحابى [٤] ، والرسالة فى أصول الفقه للإمام الشافعى[٥] ، ومصنفات القاضى أبى الطيب وأهمها : شرح المولدات [٦] ، وكتاب العدة للقاضى حسين الطبرى [٧] ، وكتاب الإفصاح لأبى على الطبرى [٨] ، وكتاب ابن القطان [٩] ، وكتاب المجموع للمحاملى [١٠] .

وفى فروع الفقه كتاب الفروع لابن أيوب الرازى [١١]، وكذلك : « التنبيه ، والمهذب فى

---

(١) لن أتطرق لكتب هذا المذهب لأن مدينة حيس لم تكن من المناطق التى انتشر فيها .

(٢) المزنى ، الإمام أبو إبراهيم إسماعيل بن يحى بن اسماعيل (١٧٥ ـ ٢٦٤هـ) . انظر ، الأفضل عباس ، العطايا السنية ، ص ١٧ ، حمود القيرى ، المرجع السابق ، ص ٩٧ .

(٣) ابن ملامس ، الإمام أبو الفتوح يحى بن عيسى (ت ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م) . انظر ، الجعدى ، طبقات فقهاء اليمن ، ص ٨٢ ، ٨٣ ، ٩٣ ، محمد السرورى ، مظاهر الحضارة ، ص ٢٢٩ ، ٢٦٠ .

(٤) المحابى ، الإمام جعفر بن عبد الرحيم ، درس وأفتى بمدينة الجند (ت ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م) . (انظر) ، الجعدى ، طبقات فقهاء اليمن ، ص ٩٤ ، ٩٥ ، محمد السرورى ، مظاهر الحضارة ، ص ٢٣٢ ، ٢٦٠ .

(٥) الأفضل عباس ، العطايا السنية ، ص ١٧ .

(٦) القاضى الطيب ، طاهر بن عبدالله بن طاهر بن عثمان الطبرى (ت ٤٥٠هـ) . (انظر) ، الجعدى ، طبقات فقهاء اليمن ، ص ٩٩ ، الأفضل عباس ، العطايا السنية ، ص ١٧ ، محمد السرورى ، مظاهر الحضارة ، ص ٢٥٢ .

(٧) القاضى حسين بن على الشيبانى الطبرى ، كان من أصحاب الشيرازى ، درّس بالمدرسة النظامية (ت ٤٩٥هـ/ ١١٠١م) ، وكتابه المذكور شرح لكتاب الإبانة للفورانى ، (انظر) ، الجعدى ، طبقات فقهاء اليمن ، ص ١١٩ .

(٨) الطبرى ، أبو على الحسن بن القاسم (ت ٣٥٠هـ وقيل سنة ٤٥٠هـ) . (انظر) ، الجعدى ، طبقات فقهاء اليمن ، ص ١١١ ، حمود القيرى ، المرجع السابق ، ص ٩٨ .

(٩) ابن القطان ، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن شكر المصرى (ت ٤٠٧هـ) . (انظر) ، الجعدى ، طبقات فقهاء اليمن ، ص ١١٨ ، محمد السرورى ، مظاهرة الحضارة ، ص ٢٣٠ .

(١٠) المحاملى ، أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن القاسم الضبى (ت ٤١٥هـ/ ١٠٢٤م) . (انظر) ، الجعدى ، طبقات فقهاء اليمن ، ص ١٠٣ ، محمد السرورى ، مظاهر الحضارة ، ص ٢٣٠ ، حمود القيرى المرجع السابق ، ص ٩٧ .

(١١) الرازى ، أبو الفتح سليم بن أيوب بن سليم (انظر) ، الجعدى ، طبقات فقهاء اليمن ، ص ١١٨ ، محمد السرورى ، مظاهر الحضارة ، ص ٣٢٠ .

الفروع ، واللمع ، والتبصرة فى أصول الفقه ، والنكت فى المسائل المختلف عليها بين الإمامين الشافعى والحنفى ، للإمام الشيرازى [1] ، وكذلك شروح هذه الكتب ومنها : شرح اللمع لموسى بن أحمد التباعى [2] ، وشرح اللمع لموسى الأصابى [3] ، وشرح التنبيه المسمى (هداية المبتدى وتذكرة المنتهى) للعامرى [4] ، ومذاكرة التنبيه فى المسائل المشكلة من التنبيه ، والإشراف فى تصحيح الخلاف ، والمصباح مختصر فى الفقه ، والفتوح فى غرائب الشروح ، لمنصور الأصبحى [5] .

ومن الكتب التى كانت تدرس أيضاً : كتاب البيان ، وكتاب الزوائد للعمرانى [6] ، وكتاب معونة الطلاب بفقه معانى كلم الشهاب لابن أبى الخير [7] ، وكتاب الشامل للصباغ [8] ، وكتابى الإبانة ، وشرح التلخيص لأبى على السنجى [9] ، والمعتمد فى الخلاف

---

(١) الشيرازى الإمام أبو اسحاق إبراهيم بن على بن يوسف الفيروزابادى الشيرازى ، ولد فى فيروزاباد سنة ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م ، وتوفى فى بغداد سنة ٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م ، بنى له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية فى بغداد فدرس بها وأدارها ، (انظر) ، الجندى ، السلوك ، جـ١ ، ص ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٧٥ ، الزركلى ، الأعلام ، جـ١ ، ص ٥١ .

(٢) التباعى ، موسى بن أحمد ، (انظر) اسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ٦٨ .

(٣) الأصابى ، أبو عمران موسى بن أحمد بن يوسف بن موسى التباعى الحميرى (ت ٦٢١هـ/ ١٢٢٤م) . (انظر) ، الجندى ، السلوك ، جـ٢ ، ص ٢٣٩ ، ٢٨٧ ، الزركلى ، الأعلام ، جـ٧ ، ص ٣١٩ .

(٤) العامرى ، جمال الدين أبو العباس أحمد بن على ، من علماء وقضاة مدينة المهجم (ت ٧٢١هـ) . (انظر) ، الجندى ، السلوك ، جـ٢ ، ص ٣٣٠ .

(٥) الأصبحى ، منصور بن محمد بن منصور (ت ٤٧٥هـ) . (انظر) ، الجندى ، السلوك ، جـ٢ ، ص ٧٢ .

(٦) العمرانى ، الإمام يحى بن أبى الخير بن سالم بن أسعد بن عبدالله ، توفى فى ذى السفال سنة ٥٥٨هـ/ ١١٦٢م . انظر ، الجعدى ، طبقات فقهاء اليمن ، ص ١٧٤ ـ ١٧٦ ، أيمن فؤاد سيد (دكتور) ، تاريخ المذاهب الدينية فى بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجرى ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ، ص ٦٦ ، ٦٨ ، ٦٩ .

(٧) ابن أبى الخير ، أبو الطيب طاهر بن الإمام يحى بن أبى الخير ، كتابه هذا يجمع بن علم القراءات والحديث والفقه . (انظر) ، الجعدى ، طبقات فقهاء اليمن ، ص ١٨٦ ، ١٨٨ ، محمد السرورى ، مظاهر الحضارة ، ص ٢٢٩ .

(٨) الصباغ : أبو نصر عبدالسيد بن محمد بن عبدالواحد بن جعفر (ت ٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م) . ومن مؤلفات الصباغ غير الكتاب السابق ذكره ، تذكرة العالم ، العمدة فى أصول الفقه . (انظر) الجعدى ، طبقات فقهاء اليمن ، ص ٣٣ ، حمود القيرى ، المرجع السابق ، ص ٩٨ .

(٩) أبى على السنجى ، الحسين بن شعيب بن محمد ، من أهل مرو ، وهو أول من جمع بين طريقتى العراق وخراسان فى فقه الشافعية (ت ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م) . (انظر) ، الجعدى ، طبقات فقهاء اليمن ، ص ١٧٦ ، محمد السرورى ، مظاهر الحضارة ، ص ٢٢٩ ، حمود القيرى ، المرجع السابق ، ص ٩٨ .

للبنذنيجى [1] ، وكتاب الشريعة للآجرى [2] ، بالإضافة إلى كتب : الوسيط ، والوجيز ، والبسيط ، والخلاصة ، واحياء علوم الدين » للإمام الغزالى [3] ، وشروح هذه الكتب ومنها : شرح الوسيط للعامرى السابق ذكره ، وشرح الوجيز المعروف باسم العزيز شرح الوجيز [4] ، وكذلك كتاب الحاوى وشرحه للقزوينى [5] ، وشرحه المعروف باسم إخلاص الناوى من إرشاد الغاوى فى مسالك الحاوى للمقرى [6] ، وكتاب المنهاج للنووى[7] ، وكتاب معين أهل التقوى على التدريس والفتوى للأصبحى [8] ، وكتاب الوسيط للإمام الواحدى [9] ، وكتابى : الحاوى الصغير وتفسيره ، والزبد فى الفقه للإمام شرف الدين البارزى [10] ، وكتاب نظم الحاوى لابن الوردى [11] ، وكتاب مشكل مكى [12] وكان

---

(١) البندنيجى، أبو نصر محمد بن هبة الله بن ثابت، توفى باليمن سنة ٤٩٥هـ/ ١١٠١م. (انظر)، الجعدى، طبقات فقهاء اليمن، ص ١٥٤، ١٧١، محمد السرورى، مظاهر الحضارة، ص ٢٣٠، أيمن فؤاد سيد، تاريخ المذاهب، ص ٦٦.

(٢) الآجرى، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبدالله ، توفى بمكة سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م. (انظر)، الجعدى، طبقات فقهاء اليمن، ص ٦٥، ١٠١، محمد السرورى، مظاهر الحضارة، ص ٢٣٠.

(٣) الغزالى، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزّالى الطوسى (ت ٥٠٥هـ/ ١١١١م). (انظر)، الجعدى، طبقات فقهاء اليمن، ص ١٩٤، الجندى، السلوك، جـ٢، ص ٣١، ٦٣، ١٢٤، ١٨٧، ٢٣٨، اسماعيل الأكوع، المدارس، ص ٦٦، الزركلى، الأعلام، ج٧، ص ٢٢.

(٤) كتاب مجهول المؤلف. (انظر)، الجندى، السلوك، جـ٢، ص ١٧٤، ٢٤٣.

(٥) القزوينى. نجم الدين عبد الغفار بن عبدالكريم بن عبدالغفار (ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م). (انظر)، الجندى، السلوك، جـ١، ص ١١٤، الزركلى، الأعلام، جـ٤، ص ٣١.

(٦) المقرى، شرف الدين إسماعيل بن أبى بكر بن عبدالله بن أحمد المقرى الشاورى (ت٨٣٧هـ)، تفقه بزبيد ودرس بالمدرسة النظامية بها ثم بالمدرسة المجاهدية بتعز. (انظر) الشوكانى، البدر الطالع، جـ١، ص ١٤٢ ـ ١٤٤، الأكوع، المدارس، ص ٨٠، ٨١.

(٧) النووى سبق التعريف به.

(٨) الأصبحى، أبو الحسن على بن أحمد بن أسعد (ت٧٠٣هـ)، درس بالمدرسة المظفرية بتعز. (انظر). الجندى، السلوك، جـ٢، ص ٧٢، ١٤٤، ٢٣٨، اسماعيل الأكوع، المدارس، ص ٨٧.

(٩) الواحدى، أبو الحسن على بن أحمد بن محمد بن على بن مثويه (ت٤٦٨هـ)، مفسر وعالم بالأدب توفى فى نيسابور. (انظر)، الجندى، السلوك، جـ٢، ص ١٨٨، الزركلى، الأعلام، جـ٤، ص ٢٥٥.

(١٠) البارزى، شرف الدين هبة الله بن عبدالرحيم بن إبراهيم أبو القاسم (ت٧٣٨هـ)، من أهل حماة، ومن أكابر فقهاء الشافعية. (انظر)، ابن الديبع، الفضل المزيد، ص ٢١٩، الزركلى، الأعلام، جـ٨، ص ٢٥٥.

(١١) ابن الوردى، زين الدين أبو حفص عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبى الفوارس المصرى الكندى، شاعر وأديب ومؤرخ ولد بمعرة النعمان بسوريا، عاش فيما بين (٦٩١ ـ ٧٤٩هـ/ ١٢٩٢ ـ ١٣٤٩م). (انظر)، ابن الديبع، الفضل المزيد، ص ٢١٩، الزركلى، الأعلام، جـ٥، ص ٦٧.

(١٢) مكى، محمد بن مكى بن أبى طالب بن محمد بن مختار القيسى المقرى (ت٤٣٧هـ)، سكن الأندلس فى مدينة قرطبة، (انظر)، الجندى، السلوك، جـ٢، ص ٦٣.

المعتمد في تدريس الفقه الحنفي : كتاب القاضي لابن عوف [1] ، وكتاب الجوهرة المنيرة لأبي بكر الحداد [2] ، وكتاب مختصر القدوري [3] ، وشرحه السراج الوهاج لأبي بكر الحداد السابق ذكره ، وكتاب دور المهتدى وذخر المقتدى للهاملي [4] ، وشرحه سراج الظلام لأبي بكر الحداد السابق ذكره ، وكتاب الخلاصة في أصول المذهب والفقه [5] ، والمنظومة في مذهب أبي حنيفة [6] .

أما الطرق الصوفية فكانوا يعتمدون على كتب الفقه السابقة الذكر بالإضافة إلى الكتب الخاصة بهم ومن أهمها : كتاب الفصوص لابن عربي [7] .

• علم الفرائض

من العلوم التي كانت تدرس في مدارس اليمن خلال حكم الدولتين الرسولية ثم الطاهرية [8] ، ومن أهم المؤلفات التي كانت تدرس في هذا العلم :

كتاب كفاية المبتدى للعامري [9] ، وكتاب الفرائض لأبي بقية الفرضي [10] ، والكافي في

---

(١) ابن عوف ، القاضي محمد بن عوف . (انظر) ، الجعدي ، طبقات فقهاء اليمن ، ص ١٠٣ ، ١٤٩ ، أيمن فؤاد سيد ، تاريخ المذاهب ، ص ٦٥ .

(٢) أبو بكر الحداد أبو بكر بن علي بن محمد ، توفي ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م بمدينة زبيد ، له من المؤلفات أكثر من عشرين مجلدًا . (انظر) ، عبدالله الحبشي ، مصادر الفكر ، ص ١٩٢ ، اسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ٥١ ، الزركلي ، الأعلام ، جـ٢ ، ص ٦٧ .

(٣) القدوري ، أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان (ت ٤٢٨هـ) ولد ومات في بغداد ، (انظر) ، الزركلي ، الأعلام ، جـ١ ، ص ٢١٢ .

(٤) الهاملي ، أبو العتيق أبو بكر بن علي بن موسى ، (ت٧٦٩هـ) درس في المدرسة المنصورية بزبيد ، (انظر) ، اسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ٥١ .

(٥) لم أعثر على اسم صاحبه ولا ترجمة له .

(٦) ربما كانت منظومة الهاملي السابق ذكرها تحت عنوان «درر المهتدى وذخر المقتدى» (انظر) ، الجندي ، السلوك ، جـ١ ، ص ٤٣٨ ، الزركلي ، الأعلام ، جـ٢ ، ص ٦٧ .

(٧) ابن عربي ، محي الدين محمد بن علي بن عربي الطائي ، ولد بالأندلس سنة ٥٦٠هـ ، وتوفي بدمشق سنة ٦٣٨هـ . (انظر) ، الجندي ، السلوك ، جـ٢ ، ص ١٢٠ .

(٨) اسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ١٠ .

(٩) العامري ، محمد بن يحي بن سراقة (ت٤١٠هـ) . (انظر) ، الجعدي ، طبقات فقهاء اليمن ، ص ٨٤ ، ١٠٧ ، محمد السروري ، مظاهر الحضارة ، ص ٢٥٩ .

(١٠) الفرضي ، أبو بقية محمد بن أحمد ، لم أعثر له على ترجمة . (انظر) الجعدي ، طبقات فقهاء اليمن ، ص ١٠٧ .

الفرائض للصردفى [1] ، وشرحه للبريهى [2] وكتاب : المختصر فى الفرائض لابن زهير[3]، ومختصر الفرائض للمليكى [4] .

٢ ـ علوم اللغة والأدب :

تعتبر الحياة الأدبية الدعامة الثانية التى امدت الحركة العلمية فى اليمن بالعديد من المؤلفات وساهمت فى نشر المعارف المتنوعة ، وكان للعلماء الوافدين إلى اليمن دور كبير فى إثراء الحياة الفكرية والتعليمية ومن أشهر هؤلاء العلامة الفيروز ابادى [5] الذى استقر فى زبيد ودرس فى مدارسها وتوفى بها سنة (٨١٧ هـ/ ١٤١٤ م) ، ومن أهم الكتب التى كانت تدرس فى مساجد ومدارس اليمن :

• علم النحو :

حظى علم النحو بعناية خاصة باعتباره أداة تقويم اللسان [6] والوسيلة لقراءة القرآن قراءة صحيحة سليمة ، ومن أهم كتب النحو التى كانت تدرس فى اليمن فى فترة الدولتين الرسولية والطاهرية : كتاب الكافى فى النحو للصفار [7] ، وكتاب مختصر ابن عباد فى النحو [8] ،

---

(١) الصردفى ، اسحاق بن يوسف بن يعقوب بن عبدالصمد (ت٥٠٠هـ) . (انظر)، الجعدى، طبقات فقهاء اليمن، ص ١٠٦ ، ١١٠ ، أيمن فؤاد سيد، تاريخ المذاهب، ص ٦٧ ، محمد السرورى، مظاهر الحضارة، ص ٢٥٣ ، ٢٥٩ .

(٢) البريهى، أبو محمد صالح بن عمر بن أبى بكر بن اسماعيل (ت ٧١٤هـ). (انظر)، عبدالله الحبشى، مصادر الفكر، ص ٢٦٢ .

(٣) ابن زهير، مقبل بن زهير بن خلف الهمدانى، (ت ٥٧٧هـ). (انظر)، الجعدى، طبقات فقهاء اليمن، ص ١١٥ ، عبدالله الحبشى، مصادر الفكر، ص ٢٥٩ .

(٤) المليكى على بن عباس بن مفلح، ولد فى إب وسكن عدن، (ت٥٨٠هـ). (انظر)، الجعدى، طبقات فقهاء اليمن، ص ٢١٨، ٢١٩.

(٥) الفيروزابادى، مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزابادى الشيرازى (ت٨١٧هـ). (انظر)، عبدالله الحبشى، مصادر الفكر، ص ٢٣٧ ، فاروق حيدر، التعليم فى اليمن، ص ٧٧ .

(٦) فاروق حيدر، التعليم فى اليمن، ص ٧٨ .

(٧) الصفار سبق التعريف به، (انظر)، الجعدى، طبقات فقهاء اليمن، ص ١٦٢ ، ١٧٥ ، حمود القيرى، المرجع السابق، ص ٩٦ .

(٨) ابن عباد، أبو محمد الحسن بن اسحاق بن عباد اليمنى النحوى. (انظر)، الجعدى، طبقات فقهاء اليمن، ص ١١٤ ، عبدالله الحبشى، مصادر الفكر، ص ٣٦٩ .

وكتاب كشف المشكل فى النحو لابن حيدره [1] وكتاب المفصل فى علم النحو لجار الله الزمخشرى[2] ، وشروحه المتعددة المؤلفة فى اليمن والتى لا يتسع المجال هنا لذكرها [3] ، وكتاب مقدمة المحسنية لابن بابشاذ[4]، وكتاب ملحة الإعراب للحريرى[5] ، وشرحه لابن حيدره السابق الذكر ، والشرجى [6] ، وبامخرمة [7] ، وغيرهم ، وكتاب مغانم المغانى فى حروف المعانى فى النحو للموزعى [8]، ومن أشهر كتب النحو التى كانت تدرس فى اليمن كتاب الكافية فى النحو لابن الحاجب [9] ، وبالإضافة إلى منظومة ابن دريد [10] ، وكتاب الجمل للزجاجى [11] » .

• علم اللغة :

كان علم اللغة يضارع علم النحو فى الأهمية ولذلك كان منشئو المدارس وأماكن التعليم الأخرى كالخانقاوات والكتاتيب يشترطون فى وقفياتهم أن يكون مدرس علم القراءات

---

(١) ابن حيدره، أبو الحسن على بن سليمان بن أسعد بن إبراهيم بن على بن نعيم (ت ٥٥٩هـ). (انظر)، عبدالله الحبشى، مصادر الفكر، ص ٢٧٠ .

(٢) جارالله الزمخشرى، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمى، (ت٥٣٨هـ). (انظر)، الجندى، السلوك، ص ١٤٩ ، الزركلى، الأعلام، جـ٧، ص ١٧٨ .

(٣) من أمثلتها، شرح العصيفرى، (ت بعد ٦٠٤هـ)، وشرح محمد بن على بن يعيش (ت ٦٨٠هـ)، وشرح الإمام يحى بن حمزه، (ت٧٤٩هـ)، وشرح يحى العلوى، (ت بعد ٧٥٣هـ). (انظر)، عبدالله الحبشى، مصادر الفكر، ص ٣٧١، ٣٧٣، ٢٧٧، ٥٦٨، ٥٧٥ .

(٤) ابن بابشاذ، طاهر بن أحمد بن بابشاذ بن داود بن سليمان بن إبراهيم الجوهرى الديلى البغدادى ثم المصرى، (ت بمصر سنة ٤٦٩هـ). (انظر)، الجندى، السلوك، جـ٢ ، ص ١٧٣ ، ٢٨٧ ، الزركلى، الأعلام، جـ٣ ، ص ٢٢٠ .

(٥) الحريرى، أبو محمد القاسم بن على بن محمد بن عثمان، (ت ٥١٦هـ)، صاحب مقامات الحريرى. (انظر)، الزركلى، الأعلام، جـ٥ ، ص ١٧٧ .

(٦) الشرجى، عبداللطيف بن أبى بكر بن أحمد بن عمر، (ت٨٠٣هـ)، من أهل قرية الشرجة أحدى قرى حيس، (انظر)، عبدالله الحبشى، مصادر الفكر، ص ٣٧٦ .

(٧) بامخرمه، عبدالله بن أحمد بن على بن إبراهيم بامخرمه الحميرى، (ت ٩٠٣هـ). (انظر)، عبدالله الحبشى، مصادر الفكر، ص ٢٠٧ .

(٨) الموزعى، سبقت ترجمته. (انظر)، عبدالله الحبشى، مصادر الفكر، ص ٢١ .

(٩) ابن الحاجب، جمال الدين أبى عمرو عثمان بن عمر بن أبى بكر بن يونس، (ت ٦٤٦هـ). (انظر)، الزركلى، الأعلام، جـ٤، ص ٢١١ .

(١٠) تعرف باسم الدريدية، نسبة إلى محمد بن الحسن بن دريد الأسدى، (ت ٣٢٠هـ). (انظر)، الجندى، السلوك، جـ٢، ص ١٥٠ .

(١١) الزجاجى، أبو القاسم عبدالرحمن بن اسحاق النهاوندى. (انظر)، حمود القيرى، المرجع السابق، ص ٩٦ .

ومدرس علم الحديث على دراية تامة بعلم اللغة [1] وهذا يعنى أن علم اللغة كان من العلوم التى تدرس فى مدارس العصرين الرسولى والطاهرى ومن أهم الكتب فى هذا العلم : «كتاب مختصر العين للخوافى [2]، وكتاب نظام الغريب لعيسى الربعى [3]، وكتاب قيد الأوابد لاسماعيل الربعى [4] ، وأهم كتاب فى هذا العلم كتاب القاموس المحيط للفيروز أبادى [5] ، وكتاب أسماء الأسد ، وكتاب البسيط للصغانى [6] » .

• الأدب والبلاغة :

لقد كانت الحياة الأدبية ـ سواء فى مجال الشعر أو النثر ـ مزدهرة فى اليمن خلال العصر الرسولى نظراً للتشجيع والعطايا التى كان الشعراء يتلقونها من السلاطين والأمراء فضلاً عن مكافآت تأليف الكتب ونسخها حتى أن بعض الكتب كانت توزن بمثلها ذهباً ، ونظراً لهذا التشجيع أقبل العلماء على تأليف كتب الأدب وقرض الشعر وخاصة قصائد مدح السلاطين والأمراء ، ولذلك كانت علوم الأدب والبلاغة من العلوم التى تدرس فى مدارس بنى رسول وبنى طاهر ، ومن أهم الكتب التى كانت تدرس فى هذه العلوم : مقامات الحريرى [7] ، وقصيدة الدامغة المعروفة بالقحطانية ، وديوان الهمدانى [8] ، وكتاب عنوان الشرف الوافى فى الفقه والنحو والتاريخ والعروض والقوافى للمقرى [9] » .

---

(١) اسماعيل الأكوع، المدارس، ص ١٨٨، ١٩٢، ٢٠١، ٢٢٤، عبد الرحمن الشجاع، الحياة العلمية، ص ٣٢٠، فاروق حيدر، التعليم فى اليمن، ص ٧٨.

(٢) الخوافى، مهدى بن أحمد (ت ٤٥٠هـ)، أصله من خواف من بلاد نيسابور. (انظر)، الجعدى، طبقات فقهاء اليمن، ص ١٦٤، الزركلى، الأعلام، جـ٧، ص ٢١٢، اسماعيل الأكوع، المدارس، ص ١٥.

(٣) عيسى الربعى، أبو على عيسى بن إبراهيم بن محمد، من أهل احاظه باليمن، وتوفى سنة ٤٧٠هـ. (انظر)، الجعدى، طبقات فقهاء اليمن، ص ١٥٦، ١٥٧، ١٧٥، عبدالله الحبشى، مصادر الفكر، ص ٣٦٨، اسماعيل الأكوع، المدارس، ص ١٠، محمد السرورى، مظاهر الحضارة، ص ٢٣١، ٢٦٢، وقد طبع هذا الكتاب من تحقيق محمد بن على الأكوع، (انظر)، حمود القيرى، المرجع السابق، ص ٩٨.

(٤) إسماعيل الربعى، إسماعيل بن إبراهيم (أخو عيسى السابق)، توفى بعد أخيه بأيام قليلة سنة ٤٧٠هـ. (انظر)، الجعدى، طبقات اليمن، ١٥٧، عبدالله الحبشى، مصادر الفكر، ص ٣٦٨، محمد السرورى، مظاهر الحضارة، ص ٢٣١.

(٥) عبدالله الحبشى، مصادر الفكر، ص ٣٧٨.

(٦) الصغانى، الإمام أبو الفضائل الحسن بن محمد، ولد بمدينة لاهور سنة ٥٧٧هـ، وتوفى بمكة، سنة ٦٤٠هـ، وقيل ببغداد سنة ٦٥٠هـ. (انظر)، الجندى، السلوك، جـ٢، ص ٤٢٥، اسماعيل الأكوع، المدارس، ص ٩٤.

(٧) الحريرى، سبق التعريف به.

(٨) الهمدانى، أبو محمد الحسن بن أحمد، (ت ٣٤٤هـ وقيل ٣٥٠هـ). (انظر)، الجندى، السلوك، جـ٢، ص ٢٤٥، ٢٨٧.

(٩) المقرى، سبقت ترمته. انظر، عبدالله الحبشى، مصادر الفكر، ص ٣٢٦.

ونظراً لكثرة مؤلفات الأدب والبلاغة التى كانت تدرس فقد اكتفى الباحث بذكر النماذج السابقة للدلالة على أن هذه العلوم كانت تدرس فى مدارس اليمن وللمزيد . أنظر كتاب عبد الله الحبشى ، مصادر الفكر العربى الإسلامى فى اليمن ، تحت عنوان الأدب [١] .

٣ ـ العلوم النقلية والعقلية :

وتشتمل هذه العلوم على :

• علم التاريخ والأنساب :

كان هذا العلم يدرس فى مدارس عصر الدولة الرسولية رغم أن وثائق وقف المدارس اليمنية عامة لم تنص على ضرورة وجود مدرس يعلم التاريخ [٢] ، ولكن المصادر التاريخية أوردت لنا العديد من الاشارات التى تدل على أن هذا العلم كان يدرس كمادة مستقلة ، فقد ذكر الجندى فى كتابه السلوك أن كتاب الجعدى ـ طبقات فقهاء اليمن ـ كان من المواد التى تدرس [٣] إضافة إلى ذلك فقد ذكر بعض الباحثين اليمنيين [٤] أن علم التاريخ كان من العلوم التى درست فى العصرين الرسولى والطاهرى سواء كانت الكتب التى تدرس عبارة عن سير أو تراجم لطبقات العلماء المختلفة أو تاريخ الدولة أو المدن أو الطوائف[٥] .

ومن العلماء الذين ألفوا كتباً فى التاريخ والأنساب ودرسوا بمدارس اليمن : المؤرخ المقرى[٦] والعامرى [٧] ، والشرجى [٨] ، وابن الدبيع [٩] ، والثلاثةالأخيرون كانوا

---

(١) انظر أسماء كتب الأدب وتراجم مؤلفيها فى هذا الكتاب ، ص ٣٠٩ ـ ٣٣٠ . وانظر أيضا كتاب «حياة الأدب اليمنى فى عصر بنى رسول» لنفس المؤلف ، ص ١٣٢ ـ ٢٢٤ .

(٢) إسماعيل الأكوع ، المدارس ، الصفحات ، ١٨٢ ، ١٨٧ ، ١٩٢ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٩ .

(٣) الجندى ، السلوك ، جـ٢ ، ص ٢٤٥ .

(٤) هم عبدالرحمن عبدالواحد محمد الشجاع ، الحياة العلمية فى اليمن ، رسالة دكتوراه (مرجع سابق) . محمد عبده محمد السرورى ، مظاهر الحضارة فى الدول المستقلة فى اليمن ، رسالة دكتوراه (مرجع سابق) ، فاروق أحمد حيدر ، التعليم فى اليمن فى عهد بنى رسول ، رسالة دكتوراه (مرجع سابق) .

(٥) فاروق حيدر ، التعليم فى اليمن ، ص ٧٩ ، ٨٠ .

(٦) المقرى ، سبقت ترجمته ، وكان مدرساً للفقه .

(٧) العامرى ، يحى بن أبى بكر بن محمد الحرضى ، (ت٨٩٣هـ) . (انظر) ، عبدالله الحبشى ، مصادر الفكر ، ص ٤٩ .

(٨) الشرجى ، أحمد بن أحمد بن عبداللطيف ، صاحب كتاب «طبقات الخواص» (مصدر سابق) .

(٩) ابن الديبع ، عبد الرحمن بن على ، صاحب الكتب ، قرة العيون ، بغية المستفيد ، الفضل المزيد ، (مصادر سابقة) .

مدرسين للحديث ، وهذا يدلنا على أن كتابة التاريخ وتدريسه كان يقوم به رجال الحديث نظراً لتشابه العلمين فى طريقة الكتابة التى تعتمد على نقد الحديث أو الرواية التاريخية جرحاً وتعديلا [1] .

• علوم الكلام والمنطق والفلسفة :

لاقت هذه العلوم معارضة شديدة من أتباع المذهب الشافعى ذوى المعتقد الحنبلى [2] ولذلك ليس هنالك ما يشير إلى أن هذه العلوم كانت ضمن منهج الدراسة الذى يحدده المنشئ أو الواقف سواء فى العصر الرسولى أو العصر الطاهرى ، وان كانت قد وجدت بعض الإشارات فى المصادر التاريخية تذكر أن علم الكلام كان من العلوم التى درسها أحد العلماء الوافدين واسمه (المقدسى [كذا] [3] وكان معه عالم يمنى مرافقاً له هو ابن البانه [4] ، وذلك فى مدرسة أم السلطان بتعز [5] . وفضلاً عن ذلك كان الفقيه المليكى [6] يدرس كتاب التبصرة فى علم الكلام بمدرسة وقير .

أما علم المنطق فكان ممن درسه الإمام البيلقانى فى المدرسة المنصورية بعدن [7] ، ولكن الغالب على هذه العلوم قيام الفقهاء الشافعية الأشعرية [8] بتدريسها فى المنازل تجنباً لمعارضة

---

(١) ابن الديبع ، بغية المستفيد ، ص ١١ .

(٢) الحنبلى ، نسبة إلى الإمام أحمد بن حنبل . (انظر)، فاروق حيدر، التعليم فى اليمن، ص ٨٣ .

(٣) المقدسى ، كذا ذكره الأكوع ، ولم يذكر اسمه بالكامل . (انظر)، اسماعيل الأكوع، المدارس، ص ٦٩ .

(٤) ابن البانه، محمد بن سالم بن على العنسى، كان معاصرا للسلطان المظفر يوسف وابنه السلطان الأشرف . (انظر)، إسماعيل الأكوع، المدارس، ص ٦٩ .

(٥) مدرسة أم السلطان بتعز، يقال لها المدرسة العليا، وسميت بذلك نسبة إلى أم السلطان المظفر يوسف)٦٤٧ـ ٦٩٤هـ) . (انظر) . إسماعيل الأكوع، المدارس، ص ٦٨ .

(٦) المليكى، أبو عبدالله يحى بن عبدالله، أخذ كتاب التبصرة عن البندنيجى السابق ذكره بمكة، ولما عاد إلى اليمن أخذه عنه الإمام سيف السنة أحمد بن محمد البريهى، ثم قام المليكى بتدريسه فى المدرسة المذكورة . (انظر)، الجندى، السلوك، جـ٢، ص ٢٠١، اسماعيل الأكوع، المدارس، ص ١٢٢ .

(٧) البيلقانى، أبو الطاهر الزكى بن الحسن بن عمران، ولد بأرمينيا سنة ٥٨٢هـ، وتوفى بعد ن سنة ٦٧٦هـ، ولما جاء إلى اليمن رتبه السلطان المظفر فى مدرسة والده المعروفة بالمدرسة المنصورية بمدينة عدن . (انظر)، الجندى، السلوك، جـ٢، ص ٤٣١، اسماعيل الأكوع، المدارس، ص ٥١-٥٣ .

(٨) الشافعية الأشعرية، الشافعية نسبة إلى الإمام الشافعى، صاحب المذهب المشهور، والأشعرية نسبة إلى، أبو الحسن الأشعرى، على بن إسماعيل بن اسحاق ـ من نسل الصحابى الجليل أبو موسى الأشعرى ـ مؤسس مذهب الأشاعرة، كان على مذهب المعتزلة، ثم رجع عنه وخالفه، له أكثر من ثلاثمائة كتاب . (انظر)، الزركلى، الأعلام، جـ٤، ص ٢٦٣ .

فقهاء الشافعية الحنابلة ، وقد وصلنا من المؤلفات فى هذه العلوم عدد لا بأس به من أهمها كتاب الانصار فى الرد على القدرية الأشرار للعمرانى [١] ، وكتاب جلاء الفكر فى الرد على نفاة القدر للعمرانى الإبن [٢]، وله أيضاً كتاب كسر قناة القدرية فى الرد على القاضى جعفر بن عبد السلام [٣] ، ومنها كتاب التبصرة فى علم الكلام لمحمد العمرانى [٤]، وكتاب الجواب الشافى فى الرد على المبتدع الجافى للشرجى [٥] ، وغيرها من الكتب [٦] .

• علم الفلك :

لم يكن علم الفلك يدرس ضمن المنهج الدراسى الأساسى فى المدارس الرسولية والطاهرية وإنما كان يدرس لمن يرغب فيه ومن أهم كتب الفلك التى كانت تدرس [٧] .

« كتاب زيج الهمدانى [٨] ، وكتاب اليواقيت فى علم المواقيت لابن المبردع [٩] ، وكتاب تيسير المطالب فى تسيير الكواكب للسلطان المظفر [١٠]، وكتاب الزيج المختار لأبى العقول[١١] .

---

(١) العمرانى ، يحى بن أبى الخير ، سبق التعريف به .

(٢) العمرانى الإبن ، أبو الطيب طاهر بن يحى بن أبى الخير (ت ٥٨٧هـ) . (انظر) ، عبدالله الحبشى مصادر الفكر ، ص ٩٩ .

(٣) جعفر بن عبدالسلام ، القاضى جعفر بن أحمد بن يحى بن عبدالسلام ، أحد علماء الزيدية ، وكان من أنصار الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان (ت٥٧٣هـ) . (انظر)، عبدالله الحبشى ، مصادر الفكر ، ص ٩٦ ، أيمن فؤاد سيد ، تاريخ المذاهب ، ص ٢٥٤ ـ ٢٥٩ .

(٤) محمد العمرانى ، أبو عبدالله محمد بن أسعد بن محمد بن موسى (ت ٧٩٦هـ) (انظر) الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ، جـ١ ، ص ٢٤٨ ، عبدالله الحبشى ، مصادر الفكر ، ص ١١٦ .

(٥) الشرجى ، أحمد بن أحمد بن عبداللطيف ، سبقت ترجمته .

(٦) انظر هذه الكتب وغيرها تحت عنوان «علم الكلام ، المنطق» عند ، عبدالله الحبشى ، مصادر الفكر ، ص ٩٣ ـ ١٥١ ، ٤٩٩ ـ ٥٠١ .

(٧) فاروق حيدر ، التعليم فى اليمن ، ص ٨١، عبدالله الحبشى ، مصادر الفكر ، ص ٤٨٣ ـ ٤٨٥ .

(٨) الهمدانى : أبو محمد الحسن ، سبقت ترجمته . (انظر) عبدالله الحبشى ، مصادر الفكر ، ص ٤٨٣ .

(٩) ابن المبردع ، أبو اسحاق إبراهيم بن على بن منصور بن عواض الأصبحى ، من أهل مدينة الجند (توفى لبضع وستين وستمائة) . (انظر)، الجندى ، السلوك ، جـ٢ ، ص ١٢٥ ، عبدالله الحبشى ، مصادر الفكر ، ص ٤٨٣ .

(١٠) السلطان المظفر الرسولى ، يوسف بن عمر بن على بن رسول ، ولد سنة ٦١٩هـ ، وحكم من ٦٤٧ ـ ٦٩٤ هـ ، وسوف تأتى ترجمته فى الفصل الثانى ، (انظر) ، عبدالله الحبشى ، مصادر الفكر ، ص ٥٥٣ .

(١١) أبو العقود ، مجهول الإسم ، قال الباحث الأمريكى دافيد كنج أنه عاش فى أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع . (انظر) ، عبدالله الحبشى ، مصادر الفكر ، ص ٤٨٤ .

• علوم الطب والأدوية والبيطرة :

لم تكن هذه العلوم أيضاً تدرس فى المدارس عامة وإنما اقتصر تدريسها للراغبين فيها وكان معظم المدرسين فيها من العلماء الوافدين إلى اليمن مثل : الطبيب أبو بكر بن رباح المصرى[1] ، والطبيب محمد بن أبى بكر الفارسى [2] ، وله من المؤلفات : الدرة المنتخبة فى الأدوية المجربة ، ومادة الحياة وحفظ الناس من الآفات فى أنواع السموم ، والتبصرة فى علم البيطرة ، والطبيب المصرى على بن الشقراء [3] .

وقد شارك علماء اليمن فى وضع العديد من المؤلفات التى تعنى بالطب ومنها : كتاب الرحمة فى الطب والحكمة للصنبرى [4] ، وكتب : المعتمد فى الأدوية المفردة [5] ، والجامع فى الطب ، والإبدال لما علم فى الحال فى الأدوية والعقاقير ، وكتاب المغنى فى البيطرة للسلطان المجاهد الرسولى [6] ، وكتاب الأقوال الكافية والفصول الشافية فى علم البيطرة للسلطان المجاهد الرسولى[7] ، وكتاب شفاء الأجسام للكمرانى [8] بالإضافة إلى كتب السلطان المظفر الآتى ذكرها فى الفصل الثانى ، وكتب : التبصرة فى البيطرة ، وآثار الآفاق فى علم الأوفاق (كتاب فى معرفة السموم) للتيمى [9] .

---

(١) لم أعثر له على ترجمة كاملة . (انظر)، عبدالله الحبشى، حياة الأدب اليمنى، ص ٨٤ـ ٨٧.

(٢) الفارسى، توفى سنة ٦٧٧هـ. (انظر)، عبدالله الحبشى، مصادر الفكر، ص ٤٩٥، فاروق حيدر، التعليم فى اليمن، ص ٨٢، ٣ .

(٣) فاروق حيدر، التعليم فى اليمن، ص ٨٢.

(٤) الصنبرى، مهدى بن على بن إبراهيم (توفى بالمهجم سنة ٨١٥هـ). (انظر)، عبدالله الحبشى، مصادر الفكر، ص ٤٩٥.

(٥) ينسب هذا الكتاب أحيانًا إلى السلطان المظفر والد السلطان الأشرف. (انظر)، ترجمة المظفر فى الفصل الأول من الباب الثانى.

(٦) السلطان الأشرف الرسولى، عمر بن يوسف بن عمر بن على بن رسول (حكم من ٦٩٤ ـ ٦٩٦هـ). (انظر)، عبدالله الحبشى، مصادر الفكر، ص ٥٥٥ ـ ٥٥٧.

(٧) السلطان المجاهد الرسولى، على بن داود بن يوسف، ولد سنة ٧٠٦هـ، وحكم من ٧٢١ ـ ٧٦٤هـ. (انظر)، عبداالله الحبشى، مصادر الفكر، ص ٥٧١ـ ٥٧٣.

(٨) الكمرانى، محمد بن أبى الغيث بن على، ولد بأبيات حسين قرب زبيد (ت ٨٥٧هـ). (انظر)، عبدالله الحبشى، مصادر الفكر، ص ٤٩٥.

(٩) التيمى، أبو عبدالله محمد بن أبى بكر بن حسن بن على التيمى الفارسى من أهل دار جرن بفارس (ت ٦٧٦هـ). (انظر)، الجندى، السلوك، جـ٢، ص ٤٢٩، ٤٣٣.

- **علوم الحساب والجبر والمقابلة :**

كان علم الحساب من العلوم التى تدرس للأطفال فى سن مبكرة فى الكتاب ، أما علم الجبر والمقابلة فكان يدرس فى المرحلة الثانية من مراحل التعليم [1] ، ومن أهم المؤلفات التى كانت تدرس : كتاب شرح مختصر الخوارزمى فى الجبر والمقابلة للمزيجفى [2]، وكتاب مفيد الطلاب فى معرفة الحساب للهاملى [3] .

(جـ) طرق التدريس :

قبل الحديث عن طرق التدريس يجب الإشارة أولاً إلى أنه كان هناك نظامان للتدريس :

الأول : ما يعرف بنظام المجالس والتى كانت نعقد فى منازل العلماء وتقتصر على الموضوعات التى لا يجب الخوض فيها فى المساجد والمدارس ولا يحضر هذه المجالس فى الغالب إلا العلماء [4] .

والثانى : نظام الحلقات وكانت على أنواع منها : حلقات دائمة ترتبط بالمدرسين المرتبين فى المساجد والمدارس ، وحلقات طارئة مؤقتة ترتبط بالعلماء الوافدين إلى اليمن لفترة قصيرة[5] .

أما طرق التدريس فيمكن القول أنه لم تكن هناك طرق محددة متعارف عليها فى التدريس فى المساجد والمدارس اليمنية ، وإنما كان لكل مدرس أو شيخ أسلوبه الخاص فى توصيل معلوماته إلى الطلاب ، ونادراً ما كان المنشئ أو الواقف أو الناظر يتدخل فى تحديد طرق التدريس فى مدارسهم [6] .

ومن أهم الطرق التى كانت شائعة فى العصرين الرسولى والطاهرى فى اليمن :

---

(١) فاروق حيدر ، التعليم فى اليمن ، ص ٨١ .

(٢) المزيجفى ، أحمد بن عمر بن هاشم بن الحسن بن عمر بن أبى السعود الخزعى ، سكن ذى جبلة وتوفى بزبيد سنة ٦٨٠هـ . (انظر) ، عبدالله الحبشى ، مصادر الفكر ، ص ٤٩٢ .

(٣) الهاملى ، أبو بكر بن على ، سبقت ترجمته . (انظر) ، عبدالله الحبشى ، مصادر الفكر ، ص ٤٩٢ .

(٤) فاروق حيدر ، التعليم فى اليمن ، ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٥) فاروق حيدر ، التعليم فى اليمن ، ص ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٦) فاروق حيدر ، التعليم فى اليمن ، ص ٨٧ ، عفاف صبره ، المرجع السابق ، ص ١٨٧ .

• **طريقة الحفظ :**

وتعتبر من أهم الطرق وأشهرها وأكثرها شيوعاً واستخداماً [1] وخاصة فى حفظ القرآن والاحاديث والأشعار وبعض كتب النحو والصرف والفقه وأصوله ، وذلك من خلال التلقين والتكرار من المعلم لطلابه [2] .

• **طريقة الإملاء :**

وتعتبر من أقدم طرق التعليم وتستخدم كثيراً فى حلقات المساجد والمجالس العلمية حيث يملى المدرس محاضراته على طلابه الذين يكتبون خلفه مايمليه عليهم [3] .

• **طريقة الوجادة :**

ويقصد بها أن يتبنى الدارس شيئاً قرأه فى كتاب أو تعليق ولم يطلب الإجازة من كاتبه ولم يسمعه منه ، وهو ما يعرف بالتحصيل الذاتى عن طريق قراءة الكتب [4] .

• **طريقة المناظرة والحوار والجدل :**

وتكون بين عدد من العلماء بحيث يتولى الطلاب والمستمعون تدوين ملاحظاتهم وقد تكون بين المدرس وطلابه أو بين الطلاب وبعضهم بإشراف المدرس ، وقد ازدهرت هذه الطريقة فى عصر الدولة الرسولية نتيجة لظهور الخلافات الفكرية والمذهبية [5] .

• **طريقة السؤال والجواب :**

استخدام بعض العلماء هذه الطريقة لاكتشاف الطلاب النابغين ، ولذلك قام بعض العلماء بتأليف كتبهم على هيئة أسئلة وأجوبة تسهيلاً على الدارسين [6] .

---

(١) فاروق حيدر ، التعليم فى اليمن، ص ٨٨ .

(٢) فاروق حيدر ، التعليم فى اليمن، ص ٨٩ ، ٩٠ ، محمد السرورى، مظاهر الحضارة، ص ٢٢٤ .

(٣) فاروق حيدر ، التعليم فى اليمن ، ص ٩١ ، محمد السرورى، مظاهر الحضارة، ص ٢٢٥ .

(٤) فاروق حيدر ، التعليم فى اليمن، ص ٩٢ .

(٥) فاروق حيدر ، التعليم فى اليمن، ص ٩٢ ، محمد السرورى ، مظاهر الحضارة، ص ٢٢٦ .

(٦) فاروق حيدر ، لتعليم فى اليمن، ص ٩٤ .

• **الرحلة فى طلب العلم :**

بعد أن يأخذ الطلاب العلم من علماء بلدانهم كانوا يرحلون إلى البلدان الأخرى للأخذ بها عن علمائها حسب شهرة العالم ، والرحلة فى طلب العلم نوعان :

(أ) رحلة داخليـــة : تتم من مركز تعليمى إلى آخر داخل اليمن .

(ب) رحلة خارجية : وكانت تتم فى الغالب إلى مدن الحجاز ـ مكة والمدينة ـ ومصر والشام والعراق (١) .

• **طريقة أخرى :**

بالإضافة إلى الطرق السابقة استخدمت طريقة الشعر التعليمى فنظمت عدد من كتب العلم وخاصة النحو على هيئة قصائد وأراجيز ليسهل على الطلاب حفظها ، وكذلك طريقة التعليم بالمراسلة حيث يقوم الطالب بإرسال خطاب إلى أحد العلماء المشهورين فى العالم الإسلامى للإستفسار منه عن بعض المسائل التى تهم الدارس ويقوم العلماء بالرد عليها وارسالها إلى طالبيها (٢) .

بالإضافة إلى ذلك فقد كانت للصوفية طرقهم الخاصة فى تعليم أتباعهم ومن أهمها : أن يصطحب المريد شيخه ويتأدب بأدبه حتى يتحكم على يديه ، كما يقوم الشيخ بتوجيه أتباعه إلى الأوراد والدعوات المناسبة ويكشف لهم بعض الأسرار (٣) .

• **أوقات الدراسة والإجازات :**

كانت الدراسة فى المدارس والكتاتيب تتم فى الغالب من بعد صلاة الفجر حتى آذان الظهر وفى الكتاتيب كان الطلبة بعد تناول طعام الغداء يعودون للدراسة حتى صلاة المغرب (٤) .

---

(١) فاروق حيدر ، التعليم فى اليمن ، ص ٩٥ ـ ٩٧ .

(٢) فاروق حيدر ، التعليم فى اليمن ، ص ٩٤ .

(٣) فاروق حيدر ، التعليم فى اليمن ، ص ٩٤ .

(٤) هذه الأوقات محددة بالنسبة للمدارس الرسمية أما المدارس الخاصة ، فكان المدرس هو الذى يحدد الوقت حسب رغبته . (انظر) ، فاروق حيدر ، التعليم فى اليمن ، ص ١٢٦ .

أما مدة الدراسة فكانت تستمر لمدة تسعة شهور تبدأ من أول شهر المحرم وتنتهى فى آخر شهر ذى القعدة مع عطاء الطالب إجازة سنوية لمدة ثلاثة شهور هى شعبان ورمضان وذى الحج[1] ، فضلاً عن أيام الجمع والأعياد والمناسبات الدينية الأخرى والرسمية ، كما كان طلاب المدارس الريفية يأخذون إجازاتهم فى مواسم الحصاد ومدتها شهرين[2] .

* * *

---

(١) كان يخصص شهر شعبان لقراءة صحيح البخارى وشهر رمضان لأنه شهر الصوم وشهر ذى الحجة لأنه شهر الحج .

(٢) الجندى ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ٢١١ ، فاروق حيدر ، التعليم فى اليمن ، ص ١٢٧ .

الفصل الثالث

المدرسة اليمنية
نشأتها والهيئات العاملة بها

أولاً : نشأة المدرسة اليمنية :

اهتمت مساجد اليمن عامة بالجانب الديني والتعليمي منذ القرن الأول الهجري كما في الجامع الكبير بصنعاء [١] وجامع الأشاعر بزبيد [٢] ، وجامع الجند بتعز [٣] ، مثلها في ذلك مثل المساجد الجامعة الأخرى في العالم الإسلامي ، سواء في الحجاز أو الشام والعراق ومصر والقيروان وقرطبة ، وغيرها من المناطق والممالك الإسلامية وعواصمها ومدنها [٤] .

ثم تلى ذلك انشاء « المعلامات » كأماكن مخصصة لتعليم الأطفال ـ القرآن الكريم ـ حفاظاً على نظافة المساجد وطهارتها ، وكانت المعاملات تبنى ملحقة بالجوامع والمساجد وأحياناً تبنى منفصلة عنهم [٥] .

ومن تقدم الزمن وزيادة عدد السكان ، وإقبال أعداد كبيرة من الناس على التعليم ، فضلاً عن انتشار المذاهب الدينية والفكرية في اليمن ، ظهرت فكرة بناء منشأت تعليمية متخصصة في محاولة من أتباع كل مذهب إلى نشر مذهبهم والقضاء ـ أو على الأقل تحجيم ـ المذاهب

---

(١) عبد الرحمن الشجاع، الحياة العلمية، ص ٨٧، ٨٨.

(٢) فاروق حيدر، التعليم في اليمن، ص ١٠٦، عبدالرحمن الشجاع، الحياة العلمية، ص ٧٢ ـ ٧٤.

(٣) محمد السروري، مظاهر الحضارة، ص ٢٢١، عبد الرحمن الشجاع، الحياة العلمية، ص ٦٨، ٦٩.

(٤) أحمد فكري (دكتور)، مساجد القاهرة ومدارسها، الجزء الثاني، العصر الأيوبي، دار المعارف، مصر، ص ١٤٤.

(٥) فاروق حيدر، التعليم في اليمن، ص ١٠١، ١٠٢، محمد السروري، مظاهر الحضارة، ص ٢١٤.

الأخرى ، فقام السنة بإنشاء المدارس والتى تواكب انشاؤها مع نشأة المدارس فى بقية أقطار العالم الإسلامى الأخرى [(١)] .

---

(١) قام المسجد منذ نشأته بالعديد من الوظائف ، كان من أهمها ، إقامة الصلوات فيه ، كما كان أيضا يمثل دارا للقضاء ومقرا للحكومة ودارا للتعليم يلتقى بين جوانبه المعلمون والمتعلمون ليتدارسوا أصول دينهم ، اقتداء برسول الله ﷺ الذى كان يجلس فى مسجده بالمدينة يبصر الناس أمور دينهم ودنياهم ، وبعد رسول الله ﷺ انتشر الصحابة ثم التابعين فى مختلف الأمصار يجلسون فى مساجدها ويلتف حولهم المسلمون لينهلوا من علوم القرآن والحديث والسيرة وأحكام الدين ، وما يرتبط بها من علوم النحو واللغة والتاريخ . . إلخ ، فضلا عن اتخاذ بعض الصحابة والتابعين من منازلهم أماكن لنشر العلم ومنهم عبدالله بن عباس الذى اتخذ من منزله بالطائف مكانا لإلقاء الدروس ، مما أدى إلى ظهور فكرة اتخاذ الدور والقصور للتدريس .
ومع ازدياد أعداد الداخلين فى الإسلام واتساع رقعة الدولة الإسلامية وارتقاء نظمها وتطور حضارتها جاءت الحاجة إلى إنشاء مؤسسات تخفف الحمل الثقيل عن المسجد ، فظهرت بيوت الإمارة ودور القضاء ومكاتب الأيتام ثم تلى ذلك ظهور مؤسسات ثقافية أكبر ومنها بيوت الحكمة فى العصر العباسى ، ودور العلم فى العصر الفاطمى ، بالإضافة إلى دور القرآن والحديث وزوايا العلم ، وقد مهد ذلك لظهور مؤسسة تعليمية متخصصة ومستقلة عن المسجد تمثلت فى المدرسة التى قامت بالوظيفة التعليمية جنبا إلى جنب مع المسجد الذى لم يفقد مكانته كمركز للتعليم بعد ظهور المدرسة ، وإنما ظل يقوم بالوظيفة التعليمية - إلى جانب الوظيفة الدينية - حتى عهد قريب .
وكانت أول مدرسة بمعناها اللفظى والمعمارى قد ظهرت فى العالم الإسلامى سنة ٣٤٥هـ عندما بنى الإمام أبو حاتم البستى مدرسة فى بلده بست ، وتلتها المدرسة التى شيدها الشافعيون فى نيسابور للإمام النيسابورى سنة ٣٤٩هـ ، ثم مدرسة الإمام الحاتمى فى ظهران سنة ٣٦٢هـ ، ثم المدرسة الصادرية بدمشق سنة ٣٩١هـ ، ثم مدرسة الإمام الإسماعيلى ببغداد سنة ٣٩٣هـ ، فالمدرسة الرشائية بدمشق لنيف وأربعمائة سنة ، فالمدرستان اللتان أسسهما فقهاء نيسابور سنة ٤١١هـ ، ثم المدرسة السعيدية التى بناها الأمير سبكتكين أخو السلطان محمود الغزنوى سنة ٤٥٠هـ ، ثم المدرسة البيهقية فى نيسابور سنة ٤٥٠هـ ، ثم مدارس الوزير نظام الملك فى نيسابور وبغداد سنة ٤٥٧هـ ، ومدرسة طوس ، ثم المدرسة العوفية فى الإسكندرية سنة ٥٣٢هـ ، والمدرسة السلفية بها سنة ٥٤٦هـ . (انظر) ، أحمد فكرى ، مساجد القاهرة ، جـ ٢ ، العصر الأيوبى ، ص ٤٩ ، ٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٤ ، سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) ، العلم بين المسجد والمدرسة ، بحث نشر فى كتاب ، تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية ، سلسلة تاريخ المصريين ، ٥١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٢ ، ص ١٦ - ١٨ ، أيمن فؤاد سيد (دكتور) ، المدارس فى مصر قبل العصر الأيوبى ، بحث نشر فى كتاب ، تاريخ المدارس (السابق ذكره) ص ٩٢ ، عفاف صبره ، مرجع سابق ، ص ١٤١ ، ١٤٢ ، حسنى محمد نويصر (دكتور) ، عوامل مؤثرة فى تخطيط المدرسة المملوكية ، بحث نشر فى كتاب ، تاريخ المدارس (السابق ذكره) ص ٢٣١ ، ٢٣٢ ، مصطفى عبدالله شيحة (دكتور) ، دراسة مقارنة بين المدرسة المصرية والمدرسة اليمنية ، بحث نشر فى كتاب ، تاريخ المدارس (السابق ذكره) ص ٤١٧ ، محمد سيف النصر ، نظرة عامة ، ص ٩٩ .

بالإضافة إلى الخانقاوات [1] التى اهتمت بالجانب الصوفى ، فى حين قام الشيعة بنشر هجر العلم [2] .

وهذا يفسر لنا سبب انتشار المذاهب السنية في المناطق الوسطى والجنوبية والغربية والشرقية من اليمن ، فى حين تركز المذهب الزيدى فى المنطقة الشمالية منها .

مدارس ما قبل العصر الأيوبى :

أجمع مؤرخى اليمن القدماء مثل الخزرجى وابن الديبع وكذلك المعاصرين مثل القاضى إسماعيل الأكوع والدكتور مصطفى شيحة والدكتور محمد سيف النصر أبو الفتوح ، والباحث عبد الله الراشد و ، الباحث فاروق حيدر ، على أن نشأة المدارس فى اليمن ترجع إلى فترة الحكم الأيوبى لها فى الفترة الممتدة من سنة ٥٦٩ ـ ٦٢٦ هـ/ ١١٧٣ ـ ١٢٢٩ م [3]، حيث تذكر المصادر والمراجع أن المعز إسماعيل بن طغتكين هو أول من قام ببناء المدارس فى اليمن [4] .

ولكن من خلال الاطلاع على المصادر والمراجع التاريخية ، أمكن العثور على العديد من الإشارات التى تدل على وجود المدرسة فى اليمن قبل العصر الأيوبى ، فقد ذكر ابن سمرة الجعدى فى كتابه « طبقات فقهاء اليمن » لفظ المدرسة ، ما يزيد على خمس عشرة إشارة [5] .

---

(١) الخانقاوات ، جمع خانقاه وهى كلمة فارسية تتألف من لفظين «خاناه» بمعنى دار ، و«كاه» وهى لاحقة تفيد المكانية . (انظر) ، دولة عبدالله (دكتور) ، معاهد تزكية النفوس فى مصر فى العصر الأيوبى والمملوكى ، مطبعة حسان ، ١٩٨٠ ، ص ٥ .

(٢) الهجر مفردها هجره ، وهى قرية أو مدينة يهاجر إليها أحد العلماء فيقصده طلاب العلم إليها لينهلوا من علومه المختلفة ، ومن أشهر الهجر ، هجرة صعدة وهجرة دبر فى سنحان وهجرة فلله فى بنى جماعة . (انظر) الجعدى ، طبقات فقهاء اليمن ، ص ٣١٤ ، عبد الرحمن الشجاع ، الحياة العلمية ، ص ٩١ ، ٩٢ ، فاروق حيدر ، التعليم فى اليمن ، ص ١١٤ .

(٣) ابن الديبع ، بغية المستفيد ، ص ٧٦ ، قرة العيون ، ص ٢٨٥ ، إسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ٧ ، مصطفى شيحة ، المدخل ، ص ٨٥ ، محمد سيف النصر ، نظرة عامة ، ص ١٠٠ ، عبدالله الراشد ، المنشآت المعمارية ، ص ١٠٠ ، فاروق حيدر ، التعليم فى اليمن ، ص ١٠٨ .

(٤) ابن الديبع ، بغية المستفيد ، ص ٧٦ ، قرة العيون ، ص ٢٨٥ ، إسماعي الأكوع ، المدارس ، ص ٧ .

(٥) من أمثلة هذه المدارس كما جاء فى كتاب : طبقات فقهاء اليمن ، مدرسة الجبابى فى جبلة (ص ١٩٤ ، ٢٠٥) ، مدرسة ذى أشرف (ص ١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٩٦ ، ٢٠١) ، مدرسة جامع ذى أشرف (ص ١١٦) ، مدرسة ضراس (ص ١٦٠) ، مدرسة الشوافى (ص ١١٤ ، ١٩٥) ، مدرسة الملحمة فى السحول (ص ١٩٢ ، ٢١٤ ، ٢٣٧) ، مدرسة دلال بعدان (ص ٢١٤ ، ٢٣٧) ، مدرسة تيشد فى بعدان (ص ٢٣٨) ، مدرسة الجند (ص٩٨ ، ١٢٠ ، ١٩٠) ، مدرستى المسجد الصغير والجامع الكبير فى ذى السفال (ص٢١٨ ، ٢٠٠) ، مدرسة الصلوفى الحجرية (ص ٢٢٦) ، مدرسة عمق ومدرسة جامع عمق (ص ٢٢٦) ، مدرسة جامع الأشاعر بزبيد (ص ٢٤٥) .

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند ترجمة الإمام القاسم بن محمد بن عبد الله الجمحى [(١)] المتوفى سنة ٤٣٧ هـ/ ٤٥ ـ ١٠٤٦ م بقوله : « وكانت مدرسته فى سهفنة » [(٢)] .

وفضلاً عن ذلك ، فقد ذكر المؤرخ « عمارة اليمنى » [(٣)] : « أنه كان يدرس فى مدرسة من مدارس زبيد ، حيث يذكر أنه عند ظهور على بن مهدى [(٤)] فى ساحل زبيد (كنت ملازماً له منقطعاً إليه فى أكثر الأوقات مدة سنة ، ثم علم والدى أنى تركت التفقه ، ولزمت طريق التنسك ، فجاء من بلاده مسافراً حتى أخذنى من عنده وأعادنى إلى المدرسة بزبيد) [(٥)] .

وفى مكان آخر يذكر عمارة : أن الوزير النجاحى أبو منصور من الله الفاتكى [(٦)] ، تصدق على مدارس الفقهاء الحنفية والشافعية ، وكذلك تصدق على الفقهاء أنفسهم بما أغناهم عن غيرهم من الأراضى والمرافق والرباع [(٧)] .

ونستدل من هذا على وجود المدارس المخصصة للمذهب الشافعى أو المذهب الحنفى منذ عهد هذا الوزير إن لم يكن قبل ذلك .

كما أن القاضى إسماعيل الأكوع ـ وهو أول من ذكر من المؤرخين المعاصرين إن المدارس فى اليمن نشأت فى عصر الدولة الأيوبية ـ أورد لنا فى كتابه « المدارس اليمنية » ثلاث مدارس

---

(١) الإمام الجمحى ، ولد فى سهفنة باليمن ، وكان من كبار علمائها ، وإليه يرجع الفضل فى انتشار المذهب الشافعى بها ، (انظر) ، الجعدى ، طبقات فقهاء اليمن ، ص ٣١٨ ، الجندى ، السلوك ، جـ١ ، ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

(٢) سهفنة ، قرية صغيرة شمال مدينة الجند على بعد ٣٠كم شمال مدينة تعز ، وتعرف اليوم باسم سفنة . (انظر) ، إبراهيم المقحفى ، معجم المدن ، ص ٣٣٠ ، مطهر الإريانى ، سهفنة ، الموسوعة اليمنية ، جـ٢ ، ص ٥٢٠ .

(٣) عمارة اليمنى ، شاعر مشهور ولد فى قرية الزرائب قرب زبيد ودرس بزبيد ومكة ، ثم رحل إلى مصر وعاش بها ، وقد تأثر أثناء دراسته بزبيد بدعوة على بن مهدى الخارجى ، وهذا ربما يفسر تعصبه للفاطميين رغم أنه شافعى المذهب ، وقد انتهى أمره بالقبض عليه وصلبه فى عهد صلاح الدين الأيوبى بسبب تآمره مع بقايا الفاطميين ضد الدولة الأيوبية ، انظر ترجمته فى كتابه ، تاريخ اليمن المفيد ، ص ٣١ ـ ٤٢ .

(٤) على بن مهدى ، سبقت ترجمته فى الفصل الأول .

(٥) عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن المفيد ، ص ١٨٥ .

(٦) أبو منصور من الله الفاتكى ، عبد حبشى تولى الوزارة سنة ٥١٧هـ/ ١١٢٣م للسلطان النجاحى منصور بن فاتك (حكم من ٥٠١ ـ ٥١٧هـ/ ١١٠٧ ـ ١١٢٣م) ثم للسلطان فاتك بن منصور بن فاتك (حكم ٥١٧ ـ ٥٣١هـ/ ١١٢٣ ـ ١١٣٧م) ، وقد توفى مسموما سنة ٥٢٤هـ/ ١١٣٠م . (انظر) ، الحريرى ، معالم التطور ، ص ٦٧ ـ ٧٠ .

(٧) عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن المفيد ، ص ٢١٦٨ ، الخزرجى ، العسجد المسبوك ص ١١٦ ، الوصابى ، تاريخ وصاب ، ص ٥٥ .

تعود إلى ما قبل العصر الأيوبى وهى : مدرسة ابن أبى النهى [١]، ومدرسة ابن أبى الأمان[٢]، ومدرسة السانى [٣] .

ومن خلال النصوص السابقة يمكن القول أن المدارس فى اليمن وجدت منذ القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر ميلادى) ، وليس فى أواخر العصر الأيوبى سواء أكانت المدارس المذكورة عبارة عن مبانى بسيطة ملحة بالمساجد [٤] أو ملحقة بمنازل العلماء [٥] أو مستقلة عن أى مبنى .

مدارس العصر الأيوبى (٥٦٩ ـ ٦٢٦ هـ / ١١٧٣ ـ ١٢٢٩ م) :

كانت المدرسة السيفية بتعز هى أول مدرسة شيدها الأيوبيين فى اليمن ، وذلك سنة ٥٩٣هـ[٦] ، ثم تلتها مدرسة الميلين بزبيد سنة ٥٩٤ هـ [٧] .

وقد توالى إنشاء المدارس على يد الأمراء والعلماء وكبار رجال الدولة ، حيث بلغ عدد المدارس التى شيدت فى العصر الأيوبى فى اليمن حوالى أربعة عشر مدرسة[٨] .

---

(١) مدرسة ابن أبى النهى، فى مخلاف الشوافى نسبة إلى الحسين بن على بن عمر بن أبى النهى ولد (نيف وعشرين وخمسمائة) (نظر) إسماعيل الأكوع، المدارس، ص ١٥ .

(٢) مدرسة ابن أبى الأمان، فى مدينة جبلة، أنشأها الشيخ أبى الحسن على بن إبراهيم بن أبى الأمان توفى سنة ٥٥٨هـ، (انظر)، إسماعيل الأكوع، المدارس، ص ١٥ .

(٣) مدرسة الساتى، أنشأها محمد بن أحمد بن هندوة السيفى المرادى، فى قرية الساتى، وذلك فى المئة الخامسة (انظر)، اسماعيل الأكوع، المدارس، ص ١٦ .

(٤) مدرسة الجند مثلا كانت فى نفس جامع الجند حيث كان الفقيه زيد اليفاعى يجلس على يمين المنبر ويتحلق حوله الطلبة وعددهم يزيد على ثلاثمائة طالب . (انظر)، الجندى، السلوك، جـ١ ، ص ١٠٤ .

(٥) مدرسة دلال مثلا كانت فى منزل الفقيه منصور بن على بن عبدالله بن إسماعيل ، ولد سنة ٥٢٩هـ، ٣٤، ١١٣٥م. (انظر)، الجعدى، طبقات فقهاء اليمن، ص ٢١٤ .

(٦) المدرسة السيفية، بناها المعز إسماعيل بن سيف الإسلام طغتكين بن أيوب، ودفن فيها والده المتوفى سنة ٥٩٢هـ/ ١١٩٧م، وعرفت بالسيفية نسبة إليه، وكانت فى الأصل دارا للأتابك سنقر، فاشتراها المعز وحولها إلى مدرسة . (انظر)، إسماعيل الأكوع، المدارس، ص ٢٠ ، ٢١، الخزرجى، العسجد، ص ١٦٧ ، ١٧٣ ، ابن الديبع، بغية المستفيد، ص ٧٦، محمد سيف النصر، نظرة عامة، ص ١٠٠ .

(٧) مدرسة الميلين، بناها المعز إسماعيل أيضا، وتعرف باسم المدرسة المعزية أو مدرسة المعز . (انظر)، إسماعيل الأكوع، المدارس ، ص ١٨ ـ ٢٠، الخزرجى، العسجد، ص ١٧٢ .

(٨) إسماعيل الأكوع، المدارس ، ص ١٥ ـ ٢٣ .

ونظراً لعدم وجود بقايا أثرية للمدارس التى بنيت قبل وأثناء العصر الأيوبى فى اليمن ، فإن افتراض أن المدرسة فى اليمن وجدت قبل أو خلال العصر الأيوبى سيظل مشكلة بدون حل ـ حتى ظهور دراسات جديدة أكثر تمحيصاً وتدقيقاً ـ لأن النصوص التى تم الاعتماد عليها فى هذا الافتراض أو ذاك استنبطت من المصادر التاريخية التى تذكر أن أول مدرسة بنيت فى اليمن كانت فى العصر الأيوبى ، وفى نفس الوقت تذكر فى أماكن أخرى أسماء لمدارس وأسماء لبعض العلماء الذين درسوا فيها قبل العصر الأيوبى .

مدارس العصر الرسولى (٦٢٦ ـ ٨٥٨ هـ / ١٢٢٩ ـ ١٤٥٤ م) :

يعتبر عصر الدولة الرسولية العصر الذهبى لإنشاء المدارس فى اليمن ، والتى انتشرت ليس فقط فى المدن الرئيسية ، وإنما أيضاً فى المدن الصغيرة والقرى .

فقد لعبت النواحى الجغرافية والسياسية والاقتصادية والدينية دوراً بارزاً فى ظهور مراكز تعليمية متعددة وخاصة فى المناطق الغربية والجنوبية والشرقية من اليمن ـ الخاضعة لسيطرة الدولة الرسولية ـ نظراً لسهولة تضاريسها المكونة من السهول الساحلية والمرتفعات المتوسطة والسهول الشرقية ، بالإضافة إلى تركز معظم الدول اليمنية وعواصمها ومدنها الرئيسية فى هذه المنطقة [١] .

كما أن وفرة العائدات المالية [٢] دفعت الدولة الرسولية إلى الاهتمام ببناء المدارس فى مختلف المدن والقرى فى اليمن والحجاز [٣] .

وكان الغرض من إنشاء المدارس بكثرة هو تحقيق عدة أهداف دينية ومذهبية وسياسية وإدارية وتعليمية ، تتمثل فى :

---

(١) قامت فى هذه المنطقة ـ قبل الدولة الرسولية ـ العديد من الدول منها ، دولة بنى زياد ، دولة بنى مهدى فى زبيد ، الدولة الصليحية فى جبلة ، دولة بنى زريع فى عدن ، الدولة الأيوبية فى تعز .

(٢) ترجع وفرة العائدات المالية إلى تركز معظم وأهم أودية اليمن الزراعية فى المناطق الخاضعة للدولة الرسولية ، فضلا عن سيطرة الرسوليين على موانئ البحر الأحمر وبحر العرب والمحيط الهندى والتى تمر بها البضائع الآتية من الهند .

(٣) مصطفى شيحة (دكتور) ، أضواء على تاريخ العمارة الدينية فى عصر بنى رسول باليمن ، بحث نشر فى : مجلة المؤرخ المصرى ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، العدد الثانى ، يوليو ١٩٨٨ ، ص ٢٨ .

الهدف الدينى :

تعليم الناس مبادئ الدين الإسلامى وتعاليمه .

الهدف المذهبى :

نشر المذاهب السنية [1] بهدف القضاء على المذهب الإسماعيلى ، وإيقاف انتشار المذهب الزيدى حتى لا يمتد إلى المناطق الخاضعة لسيطرة الدولة الرسولية الشافعية المذهب [2] .

الهدف السياسى :

اكتساب قلوب عامة الناس [3] .

الهدف الإدارى :

تخريج الموظفين لإدارة شئون الدولة سواء أكانوا من العلماء أم من الفقهاء العالمين بأمور الحلال والحرام ، بغية الفصل بين الناس طبقاً لأحكام الشريعة الإسلامية ، وكذلك التصدى للأحكام الشرعية ، وضبط أمور البلاد [4] .

الهدف التعليمى :

إعداد المدرسين للتدريس فى المدارس والكتاتيب والخانقاوات والربط والزوايا [5] .

ومن خلال البحث فى المصادر والمراجع التاريخية والمتخصصة التى تناولت تاريخ الدولة

---

(١) فاروق حيدر ، التعليم فى اليمن ، ص ٦٤ ـ ٦٧ أيمن فؤاد سيد ، المدارس فى مصر ، ص ٩٤ .

(٢) مصطفى شيحة ، دراسة مقارنة ، ص ٤٣٥ ـ ٤٥٢ ، أضواء على تاريخ العمارة ، ص ٢٧ ـ ٢٨ .

(٣) فاروق حيدر ، التعليم فى اليمن ، ص ٦٤ .

(٤) الجندى ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ٥٧٦ ، فاروق حيدر ، التعليم فى اليمن ، ص ١٠٩ ، أيمن فؤاد سيد ، المدارس فى مصر ، ص ٩٤ .

(٥) أحمد فكرى ، مساجد القاهرة ، جـ٢ ، العصر الأيوبى ، ص ١٥٤ ، فاروق حيدر ، التعليم فى اليمن ، ص ٦٤ ، ٦٨ .

الرسولية ، أمكن حصر ما يزيد على مئة وخمسين مدرسة شيدت فى العصر الرسولى [1] ، منها ثلاث مدارس فى مكة [2] ، والباقى وزعت على مختلف مدن وقرى اليمن .

ومن أهم المدارس الرسولية التى ما زالت باقية : المدرستان المنصوريتان [3] ـ العليا والسفلى ـ بمدينة زبيد ، والمدرسة الأسدية [4] فى مدينة إب ، والمدرسة المعتبية [5] ، والمدرسة الأشرفية [6] بمدينة تعز ، والمدارس الفرحانية [7] ، والياقوتية [8] ، والجبرنية [9] بمدينة زبيد .

---

(١) من هذه المدارس : ٢٠ مدرسة شيدت فى عصر السلطان المنصور عمر بن على بن رسول مؤسس الدولة (٦٢٦ ـ ٦٤٧هـ)، ٥٠ مدرسة من عصر ابنه المظفر يوسف (٦٤٧ ـ ٦٩٤هـ)، مدرستان من عصر الأشرف بن المظفر (٦٩٤ ـ ٦٩٦هـ)، ٦ مدارس من عصر المؤيد بن المظفر (٦٩٦ ـ ٧٢١هـ)، ١٣ مدرسة من عصر المجاهد بن المؤيد (٧٢١ ـ ٧٦٤هـ)، ٦ مدارس من عصر الأفضل بن المجاهد (٧٦٤ ـ ٧٢١هـ)، ٥ مدارس من عصر الأشرف الثانى بن الأفضل (٧٧٨ ـ ٨٠٣هـ)، ٣ مدارس من عصر الناصر بن الأشرف (٨٠٣ ـ ٨٢٧هـ)، ٦ مدارس من عصر الظاهر بن الأشرف (٨٣١ ـ ٨٤٢هـ)، ولمزيد من المعلومات عن هذه المدارس، (انظر)، إسماعيل الأكوع، المدارس، عبدالله الراشد، المنشآت المعمارية، ص ٥٣ ـ ١٠٦، Sadedk, Noha, Op. Cit, PP. 119 - 149، مصطفى شيحة، المدخل، ص ٨١ ـ ١٠٢ ، أضواء على تاريخ العمارة، ص ٢٩ ـ ٣٨ب ، محمد سيف النصر، نظرة عامة، ص ٥٨ ـ ١٤٢ .

(٢) هذه المدارس هى : المدرسة المنصورية من إنشاء السلطان المنصور عمر بن على بن رسول (٦٢٦ ـ ٦٤٧هـ)، والمدرسة المجاهدية من إنشاء السلطان المجاهد على بن المؤيد داود (٧٢١ ـ ٧٦٤هـ)، المدرسة الأفضلية من إنشاء السلطان الأفضل عباس بن المجاهد (٧٦٤ ـ ٧٧٨هـ)، (انظر)، إسماعيل الأكوع، المدارس ، ص ٢٨ ، ١٧٤ ، ١٨٥ .

(٣) المنصوريتان ، العليا والسفلى، من إنشاء السلطان المنصور عمر بن على بن رسول، وكانت العليا مخصصة للفقه الشافعى، والسفلى مخصصة للفقه الحنفى والحديث، (انظر)، إسماعيل الأكوع، المدارس ، ص ٤٧ ـ ٥١، محمد سيف النصر ، نظرة عامة، ص ١٠١ ـ ١١٦ .

(٤) الإسدية إب ، من إنشاء الأمير أسد الدين محمد بن بدر الدين الحسن بن على بن رسول (توفى ٦٧٧هـ/ ١٢٧٩م) (انظر)، إسماعيل الأكوع، المدارس، ص ٩٦ ـ ٩٩ ، محمد سيف النصر ، نظرة عامة، ص ١٠٨ ، عبدالله الراشد، المنشآت المعمارية ، ص ١٧٤ ـ ١٧٩ .

(٥) المدرسة المعتبية ، من إنشاء جهة الطواشى جمال الدين معتب بن عبدالله الأشرفى، زوج السلطان الأشرف إسماعيل الثانى بن الأفضل، توفيت سنة ٧٩٦هـ/ ١٢٩٧م. (انظر)، إسماعيل الأكوع، المدارس، ص ٢٠٨ ـ ٢١٢، مصطفى شيحة، الدخل، ص ٩٤ ـ ٩٧، Sadek, Noha: Op. Cit, PP.192 - 200 ، عبدالله الراشد، المنشآت المعمارية ، ص ١٨٢ ـ ١٩٥ .

(٦) المدرسة الأشرفية ، نسبة إلى السلطان الأشرف الثانى إسماعيل بن الأفضل، شيدها فيما بين سنة ٨٠١ ـ ٨٠٣هـ، (انظر)، إسماعيل الأكوع، المدارس، ص ١٩٧ ـ ٢٠٦، مصطفى شيحة، المدخل، ص ٨٩ ـ ٩٢، محمد سيف النصر ، نظرة عامة ، ص ١٠٨ ـ ١١٢ ، Sadek, Noha: Op. Cit, P.P., 200 - 222 عبدالله الراشد، المنشآت المعمارية، ص ١٩٦ ـ ٢٣٠ .

مدارس العصر الطاهري (٨٥٨ ـ ٩٢٣ هـ / ١٤٥٤ ـ ١٥١٧ م) :

سار سلاطين الدولة الطاهرية على خطى أسلافهم الرسوليين ، فشيدوا العديد من المدارس رغم قصر فترة حكم دولتهم التي امتدت من سنة ٨٥٨ ـ ٩٢٣ هـ / ١٤٥٤ ـ ١٥١٧ م ، وقد بلغ عدد المدارس الطاهرية ـ حسبما أمكن حصره من المصادر والمراجع ـ سبع عشرة مدرسة [(١)] من أهمها : المدرستان الوهابية [(٢)] بزبيد والمنصورية [(٣)] بجبن ، والمدرستين العامرية [(٤)] والبغدادية برداع .

---

(٧) المدرسة الفرحانية ، من إنشاء جهة الطواشي جمال الدين فرحان ، زوج السلطان الأشرف الثاني إسماعيل بن الأفضل ، توفيت سنة ٨٣٦هـ/ ١٤٣٢م . (انظر) ، إسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ٢١٣ ، ٢١٤ ، مصطفى شيحة ، المدخل ، ص ٩٧ ـ ٩٩ ، محمد سيف النصر ، نظرة عامة ، ص ١٠٢ ، عبدالله الراشد ، المنشآت المعمارية ٢٤٤ ـ ٢٦٠ .

(٨) المدرسة الياقوتية ، من إنشاء جهة الطواشي اختيار الدين ياقوت ، زوج السلطان الظاهر يحى بن الأشرف ، توفيت بعد سنة ٨٤٠هـ . (انظر) ، إسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، محمد سيف النصر ، نظرة عامة ، ص ١٠٢ ، عبدالله الراشد ، المنشآت المعمارية ، ص ٢٣٧ ـ ٢٤٣ .

(٩) المدرسة الجبرتية : بناها الشيخ إسماعيل بن عبد الصمد الجبرتي في عصر السلطان الأشرف إسماعيل (٧٧٨ ـ ٨٠٣هـ) . (انظر) إسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ٢١٢ ، ٢١٣ ، مصطفى شيحة ، المدخل ، ص ٩٨ ، ٩٩ ، محمد سيف النصر ، نظرة عامة ، ص ١٠٢ ، عبدالله الراشد ، المنشآت المعمارية ، ص ٢٦١ ـ ٢٦٦ .

(١) من هذه المدارس ، ثلاث مدارس من إنشاء السلطان المجاهد علي بن طاهر (٨٦٤ ـ ٨٨٣هـ) وأربع من إنشاء السلطان المنصور عبد الوهاب بن داود بن طاهر (٨٨٣ ـ ٨٩٤هـ) ، وأربع من إنشاء السلطان الظافر عامر الثاني بن عبد الوهاب (٨٩٤ ـ ٩٢٣هـ) وبقية المدارس من إنشاء الأمراء وكبار رجال الدولة . (انظر) ، إسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ٢٤٣ ـ ٢٦١ .

(٢) المدرسة الوهابية ، تعرف أيضا باسم المدرسة المنصورية ، نسبة إلى السلطان المنصور عبد الوهاب (٨٨٣ ـ ١٩٤هـ) ، وقد شيدها سنة ٨٨٣هـ ، انظر ، إسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، محمد سيف النصر ، نظرة عامة ، ص ١٣٢ .

(٣) المدرسة المنصورية جبن ، من إنشاء السلطان المنصور عبد الوهاب بن داود بن طاهر سنة ٨٨٧هـ . (انظر) ، إسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ٢٤٧ ، إبراهيم المطاع ، المدرسة المنصورية بمدينة جبن باليمن دراسة أثرية حضارية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م ، ص ٢١٠ ـ ٢٨٦ .

(٤) المدرسة العامرية ، نسبة إلى السلطان الظافر عامر بن عبد الوهاب (٨٦٤ ـ ٩٢٣هـ) بناها سنة ٩١٠هـ ، (انظر) ، إسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ٢٥٠ ـ ٢٥٣ ، مصطفى شيحة ، المدخل ، ص ٨٦ ـ ٨٨ ، دراسة مقارنة ، ص ٤٤٨ ـ ٤٤٩ ، محمد سيف النصر ، نظرة عامة ، ص ١١٢ ـ ١١٤ .

ثانياً ـ العاملون فى المدرسة اليمنية :

كان منشئو المدارس فى العصرين الرسولى والطاهرى يحرصون على ترتيب عدد من الموظفين يقومون بأداء الوظائف الموكلة إليهم والمحددة من قبل المنشئ وهم على ثلاثة أنواع :

الهيئة الإدارية والدينية :

ومهمتهم القيام بجميع أمور المدرسة الإدارية والخدمية ، وكان يشترط فيهم المواظبة على العمل ومباشرته بأنفسهم ، ولا يستنيبوا أحداً إلا لعذر ، ومن يخالف ذلك منهم يتولى الحاكم معاقبته [1] . وفيما يلى ذكر لموظفى المدرسة :

الإمام :

مهمته الصلاة بالناس الصلوات الخمس المفروضة فى أوقاتها ، وكذلك صلاة التراويح ، والرغائب ، وليلة النصف من شعبان ، وصلاة الكسوف والخسوف ، ويشترط فيه أن يكون حافظاً للقرآن عن ظهر قلب غيباً ، وأن يكون جيد التلاوة حسن الصوت [2] ، وأن يكون حسن الديانة ، ظاهر العدالة ، عارفاً بفروض الوضوء وسننه ، وفروض الصلاة وسننها ، وطهارة البدن والثوب ، وجميع ما يتعلق بالصلاة [3] ، وكان بعض الواقفين يشترط أن يكون الإمام من أسرته [4] .

المؤذن :

ومهمته المداومة على الأذان والإقامة فى كل صلاة من الصلوات الخمس المفروضة ، وأن يقوم مع الإمام فى الصلاة المفروضة والمسنونة كالتراويح ، والرغائب ، وليلة النصف من

---

(١) محمد سيف النصر، المدرسة الدعايسة بمدينة زبيد، بحث نشر فى مجلة كلية الآداب، قنا، جامعة أسيوط، العدد الثانى، ١٩٩٢م، ص ٨٩.

(٢) إسماعيل الأكوع، المدارس، ص ١٨١ ، ١٨٧ ، ٢٢٣ ، ٢٢٩ .

(٣) إسماعيل الأكوع ، المدارس، ص ١٩٢ .

(٤) محمد سيف النصر، المدرسة الدعاسية، ص ٩٠ .

شعبان ، وصلاة الكسوف والخسوف . ويشترط فى المؤذن : أن يكون جيداً صيتاً ، حسن الصوت ، أمين بالأوقات [١] .

وكان بعض الواقفين يشترطون أن يكون المؤذن من أسرهم [٢] ، كما كانت بعض المدارس تحتوى على أكثر من مؤذن حسب عدد المآذن فيها ، أو حسب حجم المدرسة [٣] .

القيــم :

يتولى نظافة المدرسة ، والعناية بأمرها ، وحفظ متعلقاتها من المصاحف ، والفرش ، والقناديل ، والسليط والبُسط والحُصر ، وأوانى السقاية ، وكذلك يتولى إشعال المصابيح ، والسرج ، والشمع ، خارج وداخل المبنى أثناء الصلاة الليلية ، كما يتولى تنظيف بركة وساقية الماء والمطاهير من الطحالب والأتربة [٤] ، وقد احتوت بعض المدارس على أكثر من قيم حسب حجم المدرسة [٥] ، وكانت بعض الوثائق تطلق على القيم اسم السراج [٦] .

الناظر :

ومهمته الإشراف على أوقاف المدرسة ومباشرتها تعميراً وتأجيراً ، وقبض غلالها وصرفها على المرتبين فى المدرسة [٧] ، فضلاً عن الوظائف الأخرى التى تحددها وثائق الوقف ، ومنها مراقبة العاملين فى المدرسة .

وكان يشترط فى الناظر أن يكون أميناً مستقيماً صالحاً لأداء الوظيفة [٨] . وقد احتوت ...

---

(١) إسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ١٨١ ، ١٨٨ ، ١٩٢ ، ٢٠١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٩ ، عبدالله الراشد ، المنشآت المعمارية ص ٨٦ ، ٩٩ ، ١٠٢ .

(٢) محمد سيف النصر ، المدرسة الدعاسية ، ص ٩٠ .

(٣) إسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ٢٠٠ ، ٢٢٣ .

(٤) إسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ١٨١ ، ١٨٨ ، ١٩٢ ، ٢٠١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٩ ، الرازى ، مختار الصحاح ، ص ٥٥٧ .

(٥) إسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ٨٨ ، ٢٠١ ، ٢٢٣ ، عبدالله الراشد ، المنشآت المعمارية ، ص ٩٤ ، ٢٢٥ .

(٦) محمد سيف النصر ، المدرسة الدعاسية ، ص ٩٠ .

(٧) إسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ٢٢٣ ، ٢٢٩ ، ٢٦٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٤ .

(٨) محمد سيف النصر ، المدرسة الدعاسية ، ص ٩١ .

بعض المدارس على ناظرة آخر مهمته الإشراف على الدراسة والتدريس فى المدرسة [١] .
وكان أيضاً بعض المنشئين يشترطون أن يكون الناظر هو المنشئ نفسه ثم ذريته من بعده [٢] .

نائب الناظر [٣] :

يطلق عليه فى الوقفيات اسم « نائب كاف أمين » ، ومهمته هى نفس الناظر ، حيث يقوم بمباشرة الأراضى الموقوفة ، وتأجيرها بأجرة مثلها ، وتحصيل غلالها ، ويسوق حواصلها ، ويعمر الأراضى ، والمدرسة وأماكنها عند الحاجة إلى ذلك ، ثم يصرف ما تبقى فى عمارة المنشأة جميعه ، وحقوقه ومرافقه ، وطرقاته ، وساقيه من إصلاح مكسر ، وإقامة متهدم ، ثم فى الإنارة التامة للمنشأة [٤] .

حافظ الكتب :

احتوت بعض المدارس على موظف مسئول عن المكتبة يتولى حفظ الكتب والمصاحف وقد يكون هذا الموظف مستقلاً وأحياناً يكون أحد المرتبين كمدرسى الحديث مثلاً [٥] .

ومهمة هذا الموظف (الحفاظ على الكتب الموقوفة لا يمنعها مستحقها ، ولا يعطيها غير مستحقها ، فإذا طلب الطالب كتاباً أعاره ، وقدر له مدة ثم يطلبه منه عند انقضاء المدة ، ويتفقدها من الأفات التى تتعرض لها الكتب كالعث والأرضة ونزول الماء) [٦] .

قارئ القرآن :

احتوت بعض المدارس على قارئ أو أكثر مهمته قراءة القرآن وإهداء ثواب ذلك إلى

---

(١) إسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ٢٠١ ، ٢٢٣ .
(٢) محمد سيف النصر ، المدرسة الدعاسية ، ص ٩٠ .
(٣) أحيانا يكون القيم هو نائب الناظر ، انظر ، إسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ١٨٨ .
(٤) إسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ١٨٢ ، ١٨٨ .
(٧) إسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ١٩٢ .
(٦) إسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ٢٢٤ .

الواقف حياً كان أو ميتاً ، ولضمان استمرار القارئ فى القراءة كان بعض الواقفين يشترطون أن يكون القارئ من أولادهم من أسرهم [1] .

الهيئة التعليمية :

كان التعليم قبل نشأة المدارس مباحاً لكل من يستطيع القيام به [2] ، وعندما أنشئت المدارس ، وضعت لها ضوابط محددة لتسيير العملية التعليمية . وكان من أهم هذه الضوابط أن المدرسين صاروا يعينون من قبل السلطان أو المنشئ أو الواقف ، والذين حرصوا على اختيار المدرسين من كبار العلماء ، ممن انتهت إليهم رياسة العلم والتأليف ، لأن نجاح المدرسة وشهرتها متوقف على المركز العلمى للشيخ أو الفقيه أو المدرس [3] .

المدرسين :

كان المدرسون يختارون من المتخصصين فى العلوم الدينية واللغوية وعلوم الحساب والفلك والمنطق والطب وغيرها من العلوم [4] ، وكان مدرس كل علم منها يطلق عليه اسم العلم الذى يدرسه فيقال : فقيه أو محدث أو مقرئ أو فرضى . . إلخ [5] .

مدرس القرآن (المقرئ) :

يتولى تدريس القرآن الكريم ترتيلاً وتجويداً بالقراءات السبع ، ويشترط فيه أن يكون محققاً لأنواع علوم القراءات متقناً لها علماً ونطقاً ، وأن يكون على دراية تامة بالنحو واللغة [6] .

وكانت بعض المدارس تضم أكثر من مدرس ، كما كانت بعض المدارس تشترط أن يكون المدرس من أسرة المنشئ [1] ، وذلك لضمان استمرار الإقراء فى المدرسة .

---

(١) محمد سيف النصر ، المدرسة الدعاسية ص ٩٠ .

(٢) أحمد فكرى، مساجد القاهرة، جـ ٢ ، العصر الأيوبى، ص ١٤٨ .

(٣) أحمد فكرى، مساجد القاهرة، جـ ٢، العصر الأيوبى، ص ١٤٨ ـ ١٥٠ ، فاروق حيدر، التعليم فى اليمن، ص ١٣٧ ـ ١٣٩ ، عفاف صبره، مرجع سابق، ص ١٧٦ ، ١٧٧ .

(٤) فاروق حيدر، التعليم فى اليمن، ص ١٧١ .

(٥) محمد السرورى، مظاهر الحضارة، ص ١٢٧ .

(٦) إسماعيل الأكوع، المدارس، ص ٢٠١ ، ٢٢٤ ، فاروق حيدر ، التعليم فى اليمن، ص ١٤٣ .

(٧) إسماعيل الأكوع، المدارس ، ص ١٨٢ .

مدرس الفقه (فقيه) :

ويقوم بتدريس الفقه فروعاً وأصولاً على أحد المذاهب الفقهية حسب ما يحدده الواقف ، وكان يغلب على مدارس الدولة الرسولية والطاهرية تدريس المذهب الشافعي [1] .

وكان مدرس الفقه فى المدارس الصغرى يتولى أيضاً تدريس الحديث النبوى والتفسير والفرائض والوعظ والرقائق والنحو واللغة ، يقرأ عليه الطلبة سماعاً واستماعاً [2] .

مدرس الحديث (محدث) :

كان يقلب بالشيخ ـ ومهمته كما جاء فى وقفيات المدارس : تدريس الحديث النبوى وتفسيره بحيث يأخذه الطلبه عنه سماعاً واستماعاً ، وكان يقوم أيضاً بالوعظ والإرشاد .

ويشترط فى مدرس الحديث : أن يكون بين ثابت الرواية ، صحيح السند ، عارفاً بالأسانيد وأسماء الرواة ، وعارفاً بالإعراب والنحو واللغة [3] .

مدرس النحو (نحوى) :

يتولى تدريس النحو والصرف والبلاغة ، ويشترط فيه أن يكون عارفاً بأحوال النحو وفروعه ، بصيراً بأدلته ، مستحضراً لنصوصه ، ذكراً لشواذه ، وغوامضه ، يفيد الطلبة ويصلح من ألسنتهم ركيكها ، ويجلو عن صدورهم شكوكها ، عارفاً بارعاً فيها ، ناقلاً لصحيحها ، مستعملاً لفصيحها [4] .

---

(١) إسماعيل الأكوع ، المدارس، ص ١٨٧ ، ١٩٢ ، ٢٠١ ، ٢٢٤ ، ٢٢٩ .

(٢) إسماعيل الأكوع ، المدارس، ص ١٨٢ .

(٣) إسماعيل الأكوع ، المدارس، ص ١٨٨ ، ١٩٢ ، ٢٠١ ، ٢٢٤ ، فاروق حيدر، التعليم فى اليمن، ص ١٤٣ ، عبدالله الراشد، المنشأ المعمارية ، ص ٨٩ ، عفاف صبره، مرجع سابق، ص ١٧٨ .

(٤) إسماعيل الأكوع ، المدارس، ص ١٨٨ ، ١٩٢ ، ٢٠١ ، ٢٢٤ ، فاروق حيدر، التعليم فى اليمن ، ص ١٤٣ ، عبدالله الراشد، المنشآت المعمارية ص ٨٩ ، عفاف صبره ، المرجع السابق، ص ١٧٨ .

مدرسون آخرون :

اشتملت بعض المدارس على مدرسين لعلوم التاريخ وعلم الكلام [1] وعلم الفلسفة [2] والجبر والحساب والفل والطب والفرائض .

ولكن لم يكن يُنص فى وقفيات المدارس على تدريس مثل هذه العلوم ، ولا على ضرورة وجود مدرسين مخصصين لها [3] .

المعيد :

يقوم المعيد بإعادة ما ألقاه المدرس على الطلبة بعد انصرافه ليفهموه ويحسنوه [4] ، وعلى هذا فإن مستوى المعيد العلمى والوظيفى كان أقل من مستوى المدرس وأكبر درجة من الطلبة [5] .

وكانت مهمة المعيد كما تنص عليه وقفيات المدارس الرسولية : « يقرأ عليه الطلبة ويبحثون معه ويبحث معهم توطئة للدرس واستبيان ما يقدح فى نفوس الطلبة وتحريراً لصور المسائل وتصويرها » [6] .

ومعنى ذلك أن مهمة المعيد مساعدة الطلبة الذين لم يتمكنوا من فهم واستيعاب الدرس .

ولم يكن يشترط فى المعيد التفرغ للمدرسة المرتب بها ، فقد وجد من المعيدين من كان

---

(٥) كان المنطق وعلم الكلام من العلوم الغير مستحبة فى عصر الدولة الرسولية ، ولذلك لم تكن الوقفيات تنص على تدريسها وإن كانت وجدت بعض الإشارات التى تدل على تدريس المنطق فى المدرسة المنصورية بعدن ، وتدريس علم الكلام فى مدرسة أم السلطان المظفر بتعز ، ومدرسة وقير فى نخلان ، بالإضافة إلى قيام العلماء بتدريس هذين العلمين سرا فى بيوتهم ، فضلا عن استحسان هذه العلوم وانتشار تدريسها عند أتباع المذهب الزيدى الذين اهتموا بها كثيرا . (انظر) . الجندى ، السلوك ، جـ٢ ، ص ٢٤٥ ، ٣٢٩ ، إسماعيل الأكوع ، المدارس ص ٦٩ ـ ١٢٢ ، فاروق حيدر ، التعليم فى اليمن ص ٨٣ ، عبد الرحمن الشجاع ، الحياة العلمية ، ص ٤٨٢ .

(٦) علم الفلسفة ، اهتمت بتدريسه الفرق الإسماعيلية وبعض المتصوفة من أتباع ابن عربى ذوى الفلسفة الإشرافية . (انظر) ، فاروق حيدر ، التعليم فى اليمن ، ص ٨٣ .

(٣) فاروق حيدر ، التعليم فى اليمن ، ص ٧٩ ـ ٨٤ .

(٤) القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ٤٦٤ .

(٥) فاروق حيدر ، التعليم فى اليمن ، ص ٧٩ ـ ٨٤ .

(٦) إسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ١٨٨ ، ٢٠١ ، ٢٢٤ .

معيداً فى مدرسة ومدرساً فى مدرسة أخرى أقل مستوى من المدرسة المعيد بها [١] .

الطلاب :

كان المنشئ يرتب فى مدرسته عدداً من الطلبة بعضهم لدراسة الفقه والبعض الآخر لدراسة الحديث أو النحو أو حفظ القرآن ، وهم ما يعرفون بالأيتام . وكان عدد الطلبة بتفاوت من مدرسة إلى أخرى حسب قدرة الواقف ، وحسب حجم المدرسة ، والعلوم أو المذاهب التى تدرس بها [٢] .

المرتبات :

كان الواقف يحدد فى وقفيته مقدار ما يصرف شهرياً لكل موظف فى المدرسة . وكانت المرتبات تصرف عيناً أو نقداً أو عيناً ونقداً [٣] . فالراتب العينى كان يصرف من الحبوب أو من العوائد السنوية للموقوفات بالإضافة إلى الكسوة ، حيث يقوم الناظر بتقسيم عائدات الوقف ـ بعد خصم ما يلزم لإصلاحات المدرسة ومتطلباتها ـ إلى أسهم توزع حسبما حدده الواقف من أسهم لكل موظف [٤] .

فمثلاً كان ربع الأوقاف المحبوسة على المدرسة الياقوتية بذى السفال يقسم إلى ثلاثة أثلاث : يصرف الثلث الأول على إصلاح المدرسة وفرشها وإنارتها ، وإصلاح الأراضى الموقوفة عليها ، والثلث الثانى : يقسم إلى أربعة عشر سهماً : أربعة أسهم توزع على الأيتام

---

(١) مثال ذلك ، كان الفيه أبو الحسن على بن أحمد الجنيد مدرسا فى المدرسة الأسدية ومعيدا فى المدرسة الصلاحية بزبيد ، وكذلك الفقيه محمد بن أحمد بن أبى بكر الناشرى (ت٨٧٣هـ) كان مدرسا فى المدرسة الصلاحية ومعيدا فى المدرسة الفرحانية بزبيد ، والفقيه شهاب الدين أحمد بن على بن إبراهيم بن صالح الحضرى ، (ت٧٨٣هـ) كان مدرسا فى الواثقية ومعيدا فى الأشرفية بزبيد ، انظر ، إسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ١٠٨ ، ١٥٢ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، فاروق حيدر ، التعليم فى اليمن ، ص ١٤٠ .

(٢) إسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ٢٠١ ، مصطفى شيحة ، دراسة مقارنة ، ص ٤١٥ ، عبدالله الراشد ، المنشآت المعمارية ، ص ٨٨ ، ٢٢٢ .

(٣) الخزرجى ، العسجد المسبوك ، ص ٤٩٩ ، إسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ١٩٢ ، عفاف صبره ، المرجع السابق ، ص ١٧٩ ، عبدالله الراشد ، المنشآت المعمارية ، ص ٨٦ ـ ٩٥ .

(٤) محمد سيف النصر ، المدرسة الدعاسية ، ص ٩١ .

الأربعة ، والعشرة أسهم توزع على المرتبين (الناظر - الإمام - المؤذن - القيم - المعلم) بواقع سهمين لكل واحد ولا تفاضل بينهم . والثلث الثالث : يخصص طعماً وإطعاماً للمقيمين فى المدرسة والوافدين عليها من الدرسة أغنياء كانوا أم فقراء ، كما يصرف منه أجور من يصلح الطعام ويهيئه ، وما بقى منه يصرف صدقة على حسب ما يراه الناظر من وجوه الخير ومن كسوة عار ومواساة محتاج (١) .

وأما الراتب النقدى فكان يصرف بالدرهم أو الدينار (٢) حسب ما يحدده الواقف ، وكان يتم جمع الأموال اللازمة للانفاق على المرتبين فى المنشآت وعلى اصلاحاتها من عدة مصادر : أولاها أوقاف المدرسة من الأراضى والمحلات ، وثانيها : من منح وعطاءات السلاطين (٣) ، وثالثها من هبات وإعانات أغنياء المجتمع (٤) ، ورابعها من أموال الزكاة والصدقات وخراج الأرض وجزية اليهود (٥) .

---

(١) إسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ٢٩٩ .

(٢) عبدالله الراشد ، المنشأ المعمارية ، ص ١٩٩ ، ١٩٤ .

(٣) فاروق حيدر ، التعليم فى اليمن ، ص ١٣٠ .

(٤) عفاف صبره ، مرجع سابق ، ص ١٩٢ .

(٥) عفاف صبرة ، مرجع سابق ، ص ١٩٢ ، فاروق حيدر ، التعليم فى اليمن ، ص ١٣٠ .

الباب الثانى

مساجد ومدارس حيس

دراسة وصفية

الفصل الأول

الجامع الكبير بمدينة حيس

الموقع :

يقع الجامع الكبير فى الطرف الشمالى لمدينة حيس ، الواجهة الجنوبية منه تطل على شارع رئيسى يصل بين المدينة وطريق تعز / زبيد / الحديدة ، وتطل الواجهة الشرقية على شارع يفصل بين الجامع ومقبرة حديثة ، وتطل الواجهة الغربية على ملحقات الجامع « الميضأة والبئر» وتطل الواجهة الشمالية على أرض فضاء .

منشئ الأثر :

هذا الجامع من إنشاء السلطان المظفر يوسف بن السلطان المنصور عمر بن على بن رسول ، والذى ولد بمكة المكرمة سنة (٦١٩ هـ/ / ١٢٢٢ م) ، وقيل سنة (٦٢٠ هـ/ ١٢٢٣ م) ، ولهذا عرف بالمكى [١] نسبة إلى هذه المدينة المباركة ، وكان ذلك أثناء ولاية أبيه عليها من قبل الملك المسعود الأيوبى [٢] ، وتربى المظفر فى كنف والده الذى نشأة تنشأة دينية فعهد به إلى كبار الفقهاء الذين أخذ عنهم مختلف العلوم والفنون فقرأ علوم الشريعة على يد الفقيه اسماعيل محمد الحضرمى [٣] وغيره ، وقرأ الحديث على يد الفقيه محمد بن إبراهيم الفشلى [٤] والفقيه محب الدين أحمد بن عبد الله الطبرى [٥] والفقيه أبو الفدا اسماعيل بن

---

(١) الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ، جـ١ ، ص ٤١ ، العسجد المسبوك ، ص ١٩٤ ، ١٩٥ ، إسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ٨٥ .

(٢) المسعود الأيوبى ، سبق ترجمته فى الفصل التمهيدى .

(٣) الحضرمى ، سبق ترجمته فى الفصل التمهيدى .

(٤) لم أعثر له على ترجمة كاملة . (انظر) ، الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ، جـ١ ، ص ١٥٦ ، العسجد المسبوك ، ص ٢٧٣ .

(٥) الطبرى ، أبو العباس محب الدين أحمد بن عبدالله الطبرى (٦١٥ ـ ٦٩٤هـ/ ١٢١٨ ـ ١٢٩٥م) كان من شيوخ الحرم المكى . (انظر) ، الزركلى ، الأعلام ، جـ ١ ، ص ١٥٩ .

محمد بن اسماعيل بن على بن عبد الله بن اسماعيل بن أحمد بن ميمون الحميرى (ت٦٧٦هـ)/ (٧٧/ ١٢٧٨ م) حيث اجتمع به المظفر أكثر من مرة وسمع عليه صحيح البخارى [١] ، وقرأ النحو واللغة على يد الشيخ يحى بن إبراهيم العمك [٢] ، وقرأ فى المنطق على يد الفقيه أحمد بن عبد المجيد السرددى [٣] ، وغيرهم من العلماء الذين أجازوا له إجازة عامة وقد جمع معلمه الإمام محب الدين أحمد بن عبد الله الطبرى أسماء معلمى الملك المظفر فى كتاب يعرف باسم المشيخة المظفرية الكبرى جمع فيه ما يزيد على خمسين شيخاً من شيوخ المظفر [٤] .

ومن هنا يتضح أن السلطان المظفر إلى جانب اشتغاله بالسياسة كان عالماً فقيهاً متقناً لمختلف العلوم [٥] الدينية وغير الدينية ، ونستدل على ذلك مما رواه الفقيه جمال الدين أحمد بن عبد الله الريمى بقوله : (طالعت أمهات كتب الحديث من كتب مولانا الخليفة فوجدتها كلها مضبوطة بخط يده حتى أن من رآها يقول لم يكن للسلطان شغل غيرها طول عمره مع كثرة اشتغاله بالعلم فى فنون شتى واشتغاله بأمور المملكة ، وقال معلمه الفقيه محمد بن اسماعيل الحضرمى كان مولانا الملك المظفر يكتب كل يوم آية من كتاب الله وتفسيرها فيحفظها ويحفظ تفسيرها عن ظهر قلب غيباً) [٦] .

ويروى الخزرجى فى كتابه العقود اللؤلؤية أنه طالع جزأ من تفسير فخر الدين الرازى [٧] الموجود فى مكتبة السلطان المظفر فوجد مكتوباً فيه بخط السلطان ما يلى : (طالعت هذا التفسير من أوله إلى آخره مطالعة محققة ورأيت فيه نقصاناً كثيراً وجاءنى من الديار المصرية

---

(١) الخزرجى، العقود اللؤلؤية، جـ١ ، ص ١٧٦ ، ٢٣٣ ، العسجد المسبوك، ص ٢٧٣ .

(٢) العمك، أبو على يحى بن إبراهيم (ت٦٧٠هـ) . (انظر)، عبدالله الحبشى، مصادر الفكر، ص ٣٧٣ .

(٣) لم أعثر للسرددى على ترجمة سوى أنه من مدرسى المظفر ، (انظر)، الخزرجى، العسجد المسبوك، ص ٢٧٣ . العقود اللؤلؤية، جـ١ ، ص ٢٢٣ .

(٤) الوصابى، تاريخ وصاب ، ص ٧٧ .

(٥) الخزرجى، العسجد المسبوك، ص ٢٧٣ .

(٦) الريمى، لم أعثر له على ترجمة سوى أنه من مدرسى السلطان المظفر ، (انظر)، الخزرجى، العسجد المسبوك ، ص ٢٨٣ ، العقود اللؤلؤية ، جـ١ ، ص ٢٣٤ .

(٧) الرازى: أبو عبدالله محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازى (ت٦٠٦هـ) وتفسيره يعرف باسم التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) .

أربع نسخ من قاضى القضاة ، تاج الدين بن بنت الأعز [1] فرأيت فيه النقصان على حاله فلم أقنع بذلك بل اعتقدت أنه من الناسخ فأرسلت رسولاً قاصداً إلى خراسان إلى مدينة هراة فجاءنى بنسخة المصنف وقد قرئت عليه فرأيت النقصان على حالة وتبيضاً كثيراً)[2] .

ولم يكن السلطان المظفر متضلعاً بالعلوم الدينية فحسب بل تعداه إلى علوم أخرى كالطب مثلاً حيث كان له من هذا العلم نصيباً وافراً وصنف فيه العديد من الكتب فقد أورد الخزرجى فى كتابه العقود اللؤلؤية رواية تدل على معرفة المظفر بعلوم الطب ، إذ حدث أن السلطان المظفر بعد أن فتح مدينة واقليم ظفار الحبوضى [3] بعث برسالة إلى سلطان مصر آنذاك السلطان الظاهر بيبرس [4] يطلب منه طبيباً لمدينة ظفار لأنها وبيئة وكتب فى رسالته تلك (لا يظن المقام العالى أنا نريد الطبيب لأنفسنا فإنا نعرف والحمد لله من الطب ما لا يعرفه غيرنا وقد اشتغلنا فيه من أيام الشبيبة اشتغالاً كثيراً وولدنا عمر الأشرف من العلماء بالطب وله كتاب الجامع ليس لأحد مثله) [5] .

ومما يدلنا على مكانة السلطان المظفر العلمية ما ذكره الوصابى فى تاريخه من أن السلطان المظفر كان يقوم لإبنه الأشرف (لا بارك الله فى والٍ فى رعيته من هو أعلم منه) [6] .

وقد صنف السلطان المظفر العديد من الكتب منها :

١ ـ الأربعين فى الحديث : ويضم عشرين حديثاً فى الترغيب وعشرين حديثاً فى الترهيب[7].

---

(١) بن بنت الأعز ، عبد الرحمن بن عبدالوهاب بن خليفة العلائى المصرى الشافعى (ت٦٩٥هـ)، كان قاضيا لجده لأمه السلطان الملك الكامل بن أيوب ثم استعفى من القضاء ودرس بالمدرسة المجاورة لضريح الإمام الشافعى ، (انظر) ، الزركلى ، الاعلام ، جـ٣ ، ص ٣١٥ .

(٢) الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ، جـ١ ، ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ .

(٣) سبق ذكر ظفار فى الفصل التمهيدى .

(٤) السلطان الظاهر بيبرس ، حكم من سنة (٦٥٨ ـ ٦٧٦هـ/ ١٢٦٠ ـ ١٢٧٧م) ـ (انظر) ، سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) ، الأيوبيين والمماليك فى مصر والشام ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٠ ، ص ٢٠٠ ـ ٢١٨ .

(٥) الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ، جـ١ ، ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، محمد عبد العال أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٣٧٥ .

(٦) الوصابى ، تاريخ وصاب ، ص ٧٧ .

(٧) استخرجها من كتاب الترغيب والترهيب للمنذرى . (انظر) ، الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ، جـ١ ، ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ . اسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ٨٦ ، عبدالله الحبشى ، مصادر الفكر ، ص ٥٥٣ .

٢ ـ كتاب تيسير المطالب فى تسيير الكواكب : يقع فى خمسة أبواب وثمانية فصول [١] .

٣ ـ درج السياسة فى علم الفراسة وما يدل على الخيل من ملاحة وقباحة .

٤ ـ المعتمد فى الأدوية المفردة [٢] .

٥ ـ اللمعة الكافية فى الأدوية الشافية .

٦ ـ المخترع فى فنون من الصنع : وهو كتاب يصف صناعة الكتب والأقلام وأنواعها وآلاتها وصناعة الألوان وكيفية ازالتها وصناعة المجانيق وغيرها وقد رتبه المؤلف على عشرة أبواب[٣] .

٧ ـ البيان فى كشف علم الطب للعيان[٤] .

٨ ـ العقدة النفيس فى مفاكهة الجليس [٥] .

فترة حكمه :

تولى السلطان المظفر الحكم بعد مقتل والده السلطان المنصور عمر بن على بن رسول سنة (٦٤٧ هـ) / (٤٩/ ١٢٥٠ م) ، وقد تميزت فترة حكمه التى امتدت لأكثر من سبعة وأربعين عاماً بالعديد من الجهود السياسية والعسكرية والتى كانت تهدف إلى ترسيخ واستقرار حكم الدولة الرسولية فى اليمن [٦] ، وكذلك توسيع رقعة الدولة التى امتدت إلى الحجاز ومكة شمالاً وإقليم ظفار شرقاً [٧] .

---

(١) منه نسخة بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء، ضمن مجموعة برقم ٥٢، (انظر)، عبدالله الحبشى، مصادر الفكر، ص ٥٥٣.

(٢) ينسب هذا الكتاب أحيانًا إلى ابنه الأشرف وقد طبع باسمه سنة ١٢٢٧ هـ، بمطبعة الحلبى وأعيد طبعه مرة أخرى سنة ١٩٨٣م بنفس المكتبة من تحقيق مصطفى السقا، منه نسخة محفوظة بالمتحف البريطانى برقم ٣٧٣٨، ونسخة أخرى بدار الكتب المصرية برقم ١٣٢ . (انظر)، عبدالله الحبشى، مصادر الفكر، ص ٥٥٦ ، ٥٥٧ .

(٣) منه نسخة مؤرخة بسنة ١١٤٨ هـ محفوظة بمكتبة الأمبروزيانا برقم G22 ، ونسخة أخرى مؤرخة بسنة ٧٢٧هـ، بدار الكتب المصرية، وقد طبع حديثا بتحقيق محمد عيسى صالحية ونشرته مؤسسة الشراع العربى، الكويت، ١٩٨٩م . (انظر)، عبدالله الحبشى، مصادر الفكر، ص ٥٥٣ .

(٤) يذكر الزركلى أنه رآه بمكتبة عبيكان بالطائف فى مجلدين . (انظر)، الزركلى، الأعلام، جـ٨ ، ص ٢٤٤ ، عبدالله الحبشى، مصادر الفكر، ص ٥٥٤ .

(٥) منه نسخة محفوظة فى خزانة مجلس الشورى بطهران . (انظر)، الزركلى، الأعلام، جـ٨، ص ٢٤٤، عبدالله الحبشى، مصادر الفكر، ص ٥٥٤ .

(٦) سبق ذكر هذه الجهود فى الفصل التمهيدى . (٧) اقليم ظفار، يقع شرق حضرموت وهو يتبع سلطنة عمان حاليا .

ورغم تلك الجهود التى كانت تتطلب من السلطان أموالاً طائلة إلا أنه كان يحرص على نشر العدل بين رعيته والتخفيف عنهم (فكان يأمر الولاة والمقطعين بالعدل فى الرعية وألا يكلفوا الناس فوق طاقتهم وكان إذا ما اشتكى أهل جهة من الجهات عاملاً أو كاتباً عزل العامل أو الكاتب عنهم ولا يعيده أبداً إلى تلك الجهة خوفاً من غائلته عليهم كما أنه فى حالة زيادة الخراج أو نقصانه عن المعتاد سأل عن سبب تلك الزيادة أو النقصان فإذا كان ذلك بسبب بدعة ابتدعها المسؤل أو بسبب خراب حل بالجهة أدب العامل أدباً بليغاً وصادره وترك استعماله نهائياً) [١] .

ومن شدة حرصه على نشر العدل فى دولته أمر ببناء قبة له بجوار دار العدل عرفت باسم قبة دار العدل بالقرب من باب العقد من حصن تعز (القاهرة) مقر اقامته بهدف مراقبة الأحكام وانصاف المظلوم من الظالم [٢] .

وكانت وفاة السلطان المظفر يوم الثلاثاء ١٣ رمضان سنة ٦٩٤ هـ / الموافق ٢٨ يوليو ١٢٩٥ م ، وكان عمره عند وفاته أربعة وسبعين عاماً وعشرة أشهر [٣] ، ودفن بالمدرسة المظفرية التى بناها فى مغربة تعز[٤] .

وكان للمظفر سبعة عشر ولداً مات أكثرهم فى حياته وهم فى سنة الطفولة وعاش منهم بعد وفاته خمسة هم : الأشرف عمر ، والمؤيد داود ، والواثق إبراهيم ، والمسعود حسن ، والمنصور أيوب ، وقد تولى أربعة منهم الحكم وضربت السكة باسمهم وخطب لهم على المنابر [٥] فيما عدا المسعود حسن فلم يتصل بشىء من ذلك [٦] .

---

(١) الخزرجى، العقود اللؤلؤية، جـ١ ، ص ٢٣٤ ، العسجد المسبوك، ص ٢٧٣ .

(٢) الأفضل عباس، العطايا السنية، ص ٥٨ .

(٣) الخزرجى، العسجد المسبوك، ص ٢٧٢ .

(٤) هذه المدرسة من المنشآت الدارسة، انظر، إسماعيل الأكوع، المدارس ، ص ٨٥ .

(٥) الأشرف عمر، حكم من سنة ٦٩٤ ـ ٦٩٦هـ، ويعرف بالأشرف الأول، المؤيد داود، حكم من سنة ٦٩٦ ـ ٧٢١هـ، المنصور أيوب، حكم سنة ٧٢٢هـ لمدة ثلاثة شهور، الواثق إبراهيم، ولاه أبوه المظفر سنة ٦٩١هـ/ ١٢٩٢م، على ظفار وأعمالها وبعد وفاة والده واختلاف بقية إخوانه على السلطان استقل بظفار ـ مع ابقاء اعترافه بسلطان تعز الرسمى إسميا ـ حتى وفاته سنة ٧١١هـ/ ١٢١١م، ودفن فى ضريح ضخم بحدائق مدينة ظفار ـ تعرف حاليا بمقبرة الرباط ـ وشاهد قبره محفوظ بمتحف فكتوريا والبرت، نشره Guest,r سنة ١٩٣٥م، وبعد موت الواثق توارث أبناؤه وأحفاده الحكم فى ظفار لمدة تزيد على مئتين وخمسين عاما، حتى تمكنت قبيلة آل كثير الظفارية بقيادة بدر بن عبدالله الكثيرى من انتزاع حكم ظفار من أيدى بقايا الرسوليين سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م. (انظر)، كوستا، المرجع السابق، ص ٦٤ ـ ٦٨ .

(٦) الخزرجى، العقود اللؤلؤية، جـ١ ، ص ٢٣٥ ، العسجد المسبوك، ص ٢٧٣ ، ٢٧٤ .

وكان السلطان المظفر قبيل وفاته قد تنازل عن الملك لابنه الأكبر الأشرف عمر في جمادى الأولى سنة ٦٩٤ هـ/ مارس ١٢٩٥ م وجمع اسمه معه في الخطبة والسكة [١] حسماً للخلاف بين أولاده .

أعمال السلطان المظفر :

شهد عصر السلطان المظفر انشاء العديد من المنشآت المعمارية الدينية والمدنية والعسكرية ما بين مساجد ومدارس وخانقاوات وحصون وقلاع وأسوار وقصور وآبار وطرقات . منها ما كان من انشاء السلطان نفسه أو من انشاء الأمراء ونساء الدولة الرسولية وكبار رجال الدولة والعلماء والأعيان [٢] .

ومن أهم المنشآت التي أقامها السلطان المظفر :

المنشآت الدينية :

١ ـ جامع المظفر بمدينة تعز والذي يقع في حارة ذي عدينه أسفل قلعة القاهرة [٣] (شكل ٣ , ٤) .

---

(١) ابن حاتم، السمط الغالي، ص ٥٦٦ ، ٥٦٧، الخزرجي، العقود اللؤلؤية، جـ١ ، ص ٢٣١ ، ٢٣٢، العسجد المسبوك، ص ٢٧٢ ، الكفاية والأعلام، ص ١٢٦ .

(٢) سوف يقتصر الحديث هنا على المنشآت، التي أقامها السلطان فقط، نظرا لكثرة المنشآت التي أقامها كبار رجال الدولة الرسولية من الأمراء والعلماء والشيوخ والنساء والتي لا يتسع المجال لذكرها هنا، ولمن أراد معرفتها. (انظر)، الخزرجي، العسجد المسبوك، العقود اللؤلؤية (مصادر سابقة)، ابن الديبع ، بغية المستفيد (مصدر سابق)، اسماعيل الأكوع، المدارس الإسلامية في اليمن (مرجع سابق)، عبدالله الراشد، المنشآت المعمارية الرسولية في اليمن (مرجع سابق)، مصطفى عبد الله شيحة (دكتور) ، مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية في الجمهورية اليمنية، وكالة سكرين، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م -Sadek, Noha: Patronage and architecture in rasulid yemen (626 - 858 A.H) / (1229 - 1454A.D). Doctor of Philosophy in the univ - Toronto.

محمد سيف النصر أبو الفتوح (دكتور)، نظرة عامة على تخطيطات المدارس اليمنية، مجلة الإكليل، وزارة الأعلام والثقافة، صنعاء، العدد الأول، ١٩٨٥م .

(٣) انظر، وصف هذا الجامع في ، مصطفى شيحة، المدخل ، ص ٩٢ ـ ٩٤ ، عبدالله الراشد، المنشآت المعمارية، ص ١٣٤ ـ ١٤٤و .Sadek, Noha, Op. Cit. PP.176 - 192

٢ ـ الجامع المظفرى [(١)] بمدينة المهجم وكان يعتبر من أكبر المساجد التى شيدها السلطان المظفر قبل سنة (٦٦٥ هـ) / (٦٦/١٢٦٧ م) حيث كان القائم على عمارته الفقيه إبراهيم بن صالح بن على بن أحمد العثرى المتوفى سنة (٦٦٥ هـ) [(٢)] / (٦٦/١٢٦٧ م) .

٣ ـ الجامع الكبير بمدينة حيس وهو موضوع الدراسة فى هذا الفصل .

٤ ـ جامع واسط المحالب [(٣)] ورتب فيه إماماً وخطيباً ومؤذناً وقيماً ومعلماً وأيتاماً وأوقف عليهم ما يقوم بكفايتهم [(٤)] .

٥ ـ المسجد الجديد بحى المغربة من مدينة تعز وكان باقياً حتى أوائل القرن (٩ هـ) / (١٥ م) [(٥)] .

٦ ـ بنى جامع فى الصين وأثبت فيه منبراً وخطب له عليه [(٦)] .

٧ ـ بنى جامع فى جزيرة هرموز فى الخليج العربى [(٧)] .

٨ ـ مسجد المنسكية [(٨)] وكان يضم مدرسة كبيرة عين فيها الفقيه أبا عبد الله محمد بن عمر بن على بن محمد الخزرجى الأنصارى مدرساً للفقه فيها [(٩)] .

---

(١) لم يتبق من هذا الجامع سوى مأذنته ، أما بقية أجزاء الجامع فقد تهدمت بعد خراب المدينة نفسها ، وقد قامت البعثة الإيطالية بعمل حفريات ودراسات فى موقع الجامع واكتشفت مساحة الجامع ، ونص التأسيس . (انظر) Italian Institute Archaeological Missions: Yemen: Archaeological Activities in The Yemen Arab Republic, 1985, P.P. 448 - 459, Finster, Barbara: Die Minarette von Al - Mahgam, Archaologishe Berichte, aus Dem Yemen, Deutshes archaologiches institiut san a, Band III, 1986, Verlagphilipp von zabern Mainz amrhein, P.P. 195 - 200.

(٢) الخزرجى ، العسجد المسبوك ، ص ٢٧٢ ، العقود اللؤلؤية ، جـ١ ، ص ١٤٩ ، ٢٣٣ .

(٣) واسط المحالب ، قرية خربة فى تهامة تقع فى وادى مور قرب مدينة الزهرة . (انظر) ، إبراهيم المقحفى ، معجم المدن ، ص ٣٦٤ .

(٤) بناه المظفر عندما كان واليا على مدينة المهجم ، للفقيه محمد بن عبدالله بن عبد المحمود الحارثى ، وعينه مدرسا فيه . (انظر) ، الجندى ، السلوك ، جـ٢ ، ص ٣٢٢ ، الأفضل عباس ، العطايا السنية ، ص ٥٨ ، الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ، جـ١ ، ص ٢٢٣ ، العسجد المسبوك ، ص ٢٧٢ ، اسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ٨٦ ، عبدالله الراشد ، المنشآت المعمارية ، ص٤١ ، ٤٢ .

(٥) الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ، جـ١ ، ص ٢٢٣ .

(٦) الأفضل عباس ، العطايا السنية ، ص ٥٨ .

(٧) الأفضل عباس ، العطايا السنية ، ص ٥٨ .

(٨) المنسكية ، قرية من قرى وادى سهام بتهامة تقع فيما بين مدينتى المنصورية والمراوعة . (انظر) ، إبراهيم المقحفى ، معجم المدن ، ص ٤١٢ .

(٩) ولد الأنصارى سنة ٦٣٩هـ ، وظل مدرسا فى الجامع المذكور حتى وفاته سنة ٧٠٧هـ . (انظر) ، الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ، جـ١ ، ص ٣١١ ، عبدالله الراشد ، المنشآت المعمارية ، ص ٤١ .

٩ ـ جامع النورى بمدينة النورى[١] .

١٠ ـ مسجد الشافعى بمدينة جدة [٢] .

١١ ـ المدرسة المظفرية بمدينة تعز والتى كانت تقع فى حى المغربة وقد دفن فيها بعد موته[٣] .

١٢ ـ المدرسة المظفرية بمدينة ظفار الحبوضى [٤] وقد بناها بعد استيلائه على المدينة المذكورة سنة ٦٧٨ هـ وأوقف عليها ما يقوم بكفاية المرتبين فيها [٥] .

١٣ ـ خانقاه مدينة حيس [٦] . وهى من المنشا الدارسة .

المنشآت المدنية :

قام السلطان المظفر بتشييد العديد من الدور والقصور وحفر عدد من الآبار ومهد الطرق حيث يذكر الوصابى أن للسلطان المظفر فى المغاور البعيدة مآثر حسنه من الآبار والطرقات[٧] .

ومن أهم المنشآت المدنية التى شيدها السلطان المظفر :

١ ـ دار الضيف بمدينة تعز وكان يقع بحى ذى عدينة [٨] .

---

(١) مدينة النورى، تقع فيما بين مدينتى حيس وزبيد وتنسب إلى السلطان المنصور نور الدين عمر بن على بن رسول، الذى قام باختطاطها فسميت باسمه . (انظر)، الخزرجى، العقود اللؤلؤية، جـ١، ص ٨٢، الكفاية والأعلام، ص ٩٩ .

(٢) سعاد ماهر (دكتور)، العمارة الإسلامية على مر العصور، جزءان، دار البيان العربى للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، جـ١، ص ٤٤٣ ـ ٤٥٣ .

(٣) هذه المدرسة من المنشآت الدارسة . (انظر)، الأفضل عباس، العطايا السنية، ص ٥٧، الخزرجى، العسجد المسبوك، ص ٢٧٢، العقود اللؤلؤية، جـ١، ص ٢٣٣، اسماعيل الأكوع، المدارس، ص ٨٤ـ٩٢ .

(٤) سبق ذكر مدينة ظفار الحبوضى فى الفصل الأول . (انظر)، كوستا، المرجع السابق، ص ١٤ ـ ٧١ .

(٥) الخزرجى، العسجد المسبوك، ص ٢٧٢ ، ٢٧٣، العقود اللؤلؤية، جـ١، ص ٢٣٣، اسماعيل الأكوع، المدارس، ص ٨٥ .

(٦) الخزرجى، العقود اللؤلؤية، جـ١، ص ٢٣٣، العسجد المسبوك، ص ٢٧٢، اسماعيل الأكوع، المدارس، ص ٨٥ .

(٧) الوصابى، تاريخ وصاب، ص ١١٦ .

(٨) المحاريب وعدينة حيين من أحياء مدينة تعز . (انظر)، الأفضل عباس، العطايا السنية، ص ٥٨، الخزرجى، العسجد المسبوك، ص ٢٧٢ ، العقود اللؤلؤية، جـ١، ص ٢٢٣ .

٢ ـ دار الضيف بحيس : لم تذكر المصادر التاريخية تاريخ بناء هذا الدار وإن كانت بعضها ذكرته على أنه الدار السلطانى وبعضها أطلقت عليه القصر السلطانى أو قصر السلطنة[١]، وقد جدد هذا القصر فى العصر العثمانى على طراز القلاع العثمانية [شكل٥] .

٣ ـ كما شيد المظفر قصراً فى أكمه عيشا من ناحية وصاب [٢] .

٤ ـ قصر ثُلا : فى سنة ٧٦٠ هـ أمر السلطان بتشييد قصراً مقابلاً لحصن ثُلا [٣] .

تجديدات متنوعة :

إلى جانب المنشآت الجديدة كان السلطان المظفر يأمر بتجديد العديد من المنشآت الدينية والمدنية فى اليمن والحجاز وغيرها ومن ذلك :

عندما احترق الحرم النبوى الشريف بالمدينة المنورة سنة (٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م) بعث السلطان المظفر بصناع وآله ومنبر رمانتاه من الصندل ، وقد نصب هذا المنبر موضع منبر النبى (ﷺ) وبقى لمدة عشر سنين يخطب عليه باسم المظفر [٤] وقد ذكر المؤرخ الوصابى أن المنبر كان قديماً فى عهده فى جانب من الحرم النبوى الشريف [٥] .

وفى سنة (٦٥٧ هـ/ ١٢٥٩ م) أمر السلطان بعمارة الحرم المكى وإقامة منابره وخدامه وجوامكهم [٦] كما أمر سنة (٦٦٦ هـ) / (١٢٦٨/٧ م) بتحلية باب الكعبة بالذهب والفضة على يد والى مكة نجم الدين حسن بن التعزى [٧] .

---

(١) الأفضل عباس، العطايا السنية، ص ٥٨ .

(٢) وصاب، سبق التعريف بها. انظر، الوصابى، تاريخ وصاب، ص ١١٧ .

(٣) ثلا، مدينة أثرية تقع على سفح حصن ثلا، تبعد عن صنعاء بحوالى ٣٤كم إلى الشمال الغربى، وقد سميت باسم ثلا بن لباخه بن ذى أقيان بن حمير. (انظر)، ابن حاتم، السمط الغالى، ص ٤٠٤ ، ٤٠٥ إبراهيم المقحفى، معجم المدن، ص ٧٤.

(٤) الأفضل عباس ، العطايا السنية، ص ٥٨ .

(٥) توفى الوصابى فى سنة ٧٨٢هـ. (انظر)، الوصابى ، تاريخ وصاب، ص ١١٧ .

(٦) الخزرجى، العقود اللؤلؤية، جـ١، ص ١٢٠ ، العسجد المسبوك، ص ٢٣٤ .

(٧) ابن حاتم، السمط الغالى، ص ٣٧٧، ٣٧٨، الخزرجى، العقود اللؤلؤية ، جـ١ ، ص ١٥٢ ، العسجد المسبوك، ص ٢٤٢ .

كما أن السلطان المظفر كان أول من كسى الكعبة بعد مقتل الخليفة العباسى المستعصم (٦٢٢ـ٦٥٦ هـ/ ١٢٢٥ ـ١٢٥٨ م) وكان أيضاً أول من كسى الكعبة من الداخل وذلك سنة (٦٥٩ هـ/ ١٢٦١ م) ، وقد بقيت الكسوة الداخلية حتى سنة (٧٦١ هـ/ ١٣٦٠ م) (١).

وفى سنة (٦٨٠ هـ/ ١٢٨١ م) أمر السلطان المظفر بعمل اصلاحات داخل الكعبة المشرفة حيث كسيت جدرانها وأرضيتها من الداخل بألواح من الرخام (٢) ومازال نص هذه الإصلاحات باقياً حتى اليوم يتوسط أسفل الجدار الشمالى للكعبة من الداخل (٣) [شكل ٦أ،ب] .

كما أن السلطان المظفر أمر بتجديد كل من حرم السيد عبد الله العباس والجامع الكبير بصنعاء والجامع الكبير بذمار (٤) . وكذلك جدد الجامع الكبير بصعده (٥) عندما تهدم فأعاده إلى ما كان عليه وزاد فى وقفه (٦) .

اسم الجامع ووظيفته :

يعرف الجامع حاليا باسم « الجامع الكبير » ، إلا أن النصوص الكتابية الموجودة على المدخل الرئيسى للجامع تذكره على أنه مدرسة ومسجد حيث ورد فى هذا النص ما يلى (بسم

---

(١) كانت الكعبة تكسى أيضا قبل العصر الإسلامى وكان أول من كساها الملك الحميرى أبو كرب أسعد بن ملكى كرب يهأمن والمشهور باسم أسعد الكامل أو التبع اليمانى وقد حكم أواخر القرن ٤م وأوائل القرن ٥م، (انظر)، إبراهيم باشا رفعت، مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م، جـ١ ، ص ٢٨١، ٢٩١ ، إسماعيل الأكوع، المدارس، ص ٨٥، الزركلى، الأعلام، جـ٨، ص ٢٤٣، ٢٤٤.

(٢) إبراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ، جـ١ ، ص ٢٧٤ .

(٣) عبد السلام أحمد نظيف (مهندس)، دراسات فى العمارة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩م. ص ١٩١ .

(٤) ذمار، مدينة تقع إلى الجنوب من العاصمة صنعاء بمسافة ٩٩كم سميت باسم ذمار بن يحصب بن دهمان بن سعد بن عدى ـ من حمير ، وقيل أنها سميت باسم الملك الحميرى ذمار على يهبر . (انظر)، إبراهيم المقحفى، معجم المدن، ص ١٦٧ .

(٥) صعده، مدينة تقع شمال العاصمة صنعاء بمسافة ٢٤٣كم، كانت تعرف باسم جماع ثم عرفت فى العصر الإسلامى باسم صعده، وترجع شهرتها إلى اتخاذ الهادى إلى الحق يحى بن الحسين لها مركزا لدعوته الزيدية . (انظر)، إبراهيم المقحفى، معجم المدن، ص ٢٤٨، ٢٤٩ .

(٦) الأفضل عباس، العطايا السنية، ص ٥٨ .

الله الرحمن الرحيم) أمر بعمارة هذه المدرسة المظفرية والمسجد المبارك مولانا السلطان الملك المظفر يوسف بن مولانا السلطان الملك المنصور عمر بن على بن رسول عز نصره)[1] ، بالإضافة إلى أن الجدران الداخلية تحمل نصوصاً تفيد بأن المبنى كان مسجداً ، حيث شغلت واجهة العقد الأوسط للمجنبة الشرقية المطلة على الصحن بحديث نبوى نصه (من بنا مسجداً لله ولو كمفحص قطاة بنا الله له بيتاً فى الجنة[2] [شكل ١٧] .

ومن خلال النص التأسيسى ونص الحديث النبوى والنصوص الأخرى الموجودة على الجدران الداخلية للجامع ، ومن خلال التخطيط أيضاً نستنتج أن الجامع الكبير بحيس كان يقوم بأكثر من وظيفة ، فهو فى المقام الأول مسجد جامع للمدينة نظراً لعدم وجود جامع آخر لها ، فضلاً عن توافر مقومات الجامع فيه كالمنبر والمئذنة ، وفى نفس الوقت يقوم الجامع بوظيفة المدرسة حسب ما يذكره النص التأسيسى الموجود على المدخل ويؤيد ذلك وجود إيوان وقاعة جنوبية غربية يستخدمان أماكن للتدريس ، فضلاً عن إمكانية استخدام أقبية المجنبات الشرقية والغربية أماكن للتدريس ولإقامة الطلبة كما هو معتاد فى المدارس الرسولية ومنها المدرستين المعتبية والأشرفية .

الوصف المعمارى : [شكل ٧ ، ٨]

يتكون الجامع الكبير بمدينة حيس من مساحة مربعة تقريباً طولها من الشمال إلى الجنوب « ٥٠ر٢٧ م » وعرضها من الشرق إلى الغرب « ١٠ر٢٧ م » ، وتشكل مساحة إجمالية قدرها « ٢٥ر٧٤٥ م ٢ » ، تضم صحناً مكشوفاً محاطاً بمصلى من الجهة الشمالية ومجنبتان من الجهتين الشرقية والغربية بالإضافة إلى إيوان جنوبى يكتنفه من الغرب قاعة مستطيلة ومن الشرق دركاة المدخل والحجرة الجنوبية الشرقية[3] .

ويشتمل الجامع على ثلاثة مداخل : مدخل رئيسى يقع فى الواجهة الجنوبية ومدخلان فرعيان أحدهما فى الواجهة الشرقية والآخر فى الواجهة الغربية ، وقد ميز المعمار المدخل

---

(١) هذا النص كان مغطى بطبقة من الملاط أخفت حقيقة المسجد حتى تمكن الباحث من ازالتها وإظهار النص .

(٢) حديث شريف رواه ابن ماجه فى سننه ، وقد سبق تخريج الحديث .

(١) تبرز هذه الحجرة عن مستوى واجهات الجامع بطول « ٩٠ , ٣م » وعرض « ٩٠ , ٣م » بمساحة اجمالية قدرها « ٢١ , ١٥م٢ » .

الرئيسى بأن جعله على هيئة حجر بارز مغطى بقبو فضلاً عن بناء صدر المدخل بكتل الأحجار المهندمة ، وزاد من ابرازه ببناء المئذنة تعلوه ، كما يشتمل الجامع على عدد من الملحقات منها الميضأة [1] والبئر .

بنيت جدران الجامع وتغطياته بواسطة قوالب الآجر المحروق وكسيت بطبقة من ملاط النـورة [2] نفذت عليها من الداخل زخارف محفورة وملونة قوامها عناصر نباتية وكتابية وهندسية .

وفيما يلى وصف مفصل لكل جزء من أجزاء الجامع :

الوصف من الخارج :

الواجهة الجنوبية : [شكل ٧]

مستطيلة الشكل تمتد من الشرق إلى الغرب بطول « ١٠ر٢٧ م » وارتفاع « ٤٠ر٧ م » مبنية بقوالب الآجر المحروق ومغطاة بطبقة من النورة البيضاء ، ويلاحظ أن هذه الواجهة تمتد شرقاً مكونة الحجرة الجنوبية الشرقية مكونة الحجرة الجنوبية الشرقية بطول « ٩٠ر٣ م » ، وهى واجهة مصمته ليس بها فتحات .

يلى واجهة الحجرة المذكورة ، واجهة المدخل بطول « ١٠ م » تبرز من منتصفها كتلة المدخل على هيئة برج بارز عن الواجهة بمقدار « ٣٠ر٣ م » واتساع « ٧٠ر٥ م » [3] .

يلى كتلة المدخل ودركاته الواجهة الجنوبية للإيوان الجنوبى بطول « ٢٥ر٧ م » تنقسم رأسياً إلى قسمين : قسم شرقى يتكون من جدار سمكه « ٣٥ر١ م » طرفه الغربى غير مستقيم ، الجزء العلوى منه يوجد به انحناء فيما يشبه رجل عقد متهدم [4] ، وقسم غربى بنى بجدار سمكه « ٦٠ سم » دعم الجزء السفلى منه بدعامة سانده [5] سمكها « ٧٥ سم » وإذا ما جمع

---

(١) تبلغ مساحة الميضأة «٢٥ , ١٢٣م٢» فإذا ما أضفناها إلى مساحة الجامع ومساحة الحجرة الجنوبية الشرقية فإن المساحة الإجمالية للجامع تبلغ «٧١ , ٨٨٣م٢» .

(٢) النورة ، مادة كلسية تشبه الجص فى لونها واستخدامها إلا أنها أكثر صلابة منه (انظر) ، مطهر بن على الإريانى ، القضاض ، الموسوعة اليمنية ، جزءان ، مؤسسة العفيف الثقافية ، صنعاء الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م ، جـ٢ ، ص ٧٧٠ ـ ٧٧٢ .

(٣) سوف يأتى الحديث عن كتلة المدخل فى الصفحات التالية .

(٤) سوف نتحدث عنه فى الدراسة التحليلية .

(٥) وهى عبارة عن جدار يبنى ملاصقا لجدران الواجهات عند الأرض لتدعيمها حتى لا تسقط ، وتعرف عند أهل حيس باسم الفحل .

سمك الجدار مع سمك الدعامة الساندة « ٦٠ + ٧٥ سم » فإن الناتج مساو لسمك القسم الشرقى من واجهة الإيوان [١] ، وهذا يعنى أن الدعامة الساندة ليست مضافة وإنما نتجت عن تهدم الجزء العلوى من جدار الإيوان وإعادة بنائه بسمك أقل .

يلى واجهة الإيوان ارتداد نحو الداخل بمقدار « ٤٥ سم » يليه واجهة القاعة الجنوبية الغربية المغطاة بقباب ، يبلغ طولها « ٦٥ر٧ م » تطل على الشارع بشباكين معقودين بعقود مدببة اتساع كل منها « ٧٥ سم » وارتفاعه « ١ م » يغشى كل شباك ستارة جصية مخرمة .

ويتوج واجهة المسجد عدد من الشرافات السهمية [٢] تبعد كل منها عن الأخرى مسافة « ١ م » وقد سقطت معظم هذه الشرافات ولم يتبق سوى القليل منها .

كتلة المدخل : [شكل ٧]

أبرز المعمار الواجهة الجنوبية للجامع عن طريق بناء المدخل الرئيسى فيها ، ولكى يبرزها أكثر قام ببناء المئذنة فوق الحجر البارز للمدخل مباشرة .

تتكون كتلة المدخل من برج بارز عن الواجهة بمقدار « ٣٠ر٣ م » وعرض « ٧٠ر٥ م » وارتفاع « ٥٠ر٨ م » بنى بقوالب الآجر وكسى بطبقة من ملاط النورة البيضاء ، ويواجه البرج عقد مدبب اتساعه « ٣٠ر٣ م » وارتفاعه « ٥٠ر٦ م » يؤدى إلى حجر عميق مغطى بقبو مدبب[٣] .

يتصدر الحجر العميق دخلة معقودة ارتفاعها « ٣٥ر٣م » فتح بأسفلها باب الجامع : وقد بنى صدر الحجر بالأحجار على عكس بقية البناء الذى بنى بالآجر ، وعقد الدخلة الموجودة بالصدر مزخرف بكتابات قرآنية منفذة بالخط الثلث نصها :

---

(١) ربما يكون القسم الغربى من واجهة الإيوان الجنوبية سقط وأعيد بنائه بجدار أقل سمكا من الجدار الأصلى .

(٢) الشرافات السهمية ، تشبه شكل السهم وتتكون من قاعدة مربعة تعلوها رقبة صغيرة تحمل شكل معين وهى قريبة الشبه من الشرافات الثلاثية .

(٣) يعرف القبو عند أهل حيس باسم العريش ، والعريش هو ما يستظل به فيقال بئر معروشة وكروم (عنب) معروشات ، وعريش البيت سقفه . والمعنى مأخوذ من عريش العنب لأنه غالبا ما يكون على شكل قفص . (انظر) ، محمد محمد أمين (دكتور) ليلى على إبراهيم ، المصطلحات المعمارية فى الوثائق المملوكية (٦٤٨ - ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ - ١٥١٧م) ، دار النشر بالجامعة الأمريكية ، القاهرة ، ص ٨١ .

(بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ ادخلوها بسلام آمنين . . . . . ﴾ [1] [شكل ٩]

وفى الجزء السفلى من الصدرفتحة باب اتساعه من الخارج « ٥٠ر١ م » ومن الداخل « ٢م» وعمقه « ٢٠ر١ م » وارتفاعه « ٢ م » يكتنفه عمودان مدمجان يحملان عقد صدر المدخل .

يعلو فتحة الباب عقد مستقيم نقش عليه شريط الطراز بالخط الثُلث يتضمن اسم المنشئ وألقابه ووظيفة البناء ونصه .

(بسم الله الرحمن الرحيم ، أمر بعمارة هذه المدرسة المظفرية والمسجد المبارك مولانا السلطان الملك المظفر يوسف بن مولانا السلطان الملك المنصور عمر بن على بن رسول عز نصره) .

يعلو شريط الطراز ثلاث قطع حجرية منقوش على « الوسطى منها زخرفة لنصف قبة محاربة شبيهة بطاقية محراب الجامع ، وعلى القطعة اليمنى عبارة (لا إله إلا الله وحده) وعلى القطعة اليسرى (محمد رسول الله ﷺ) .

وقد شغلت الجدران الخارجية للحجر البارز بحليات زخرفية معمارية حيث شغلت الواجهة الشرقية للحجر بدخلة مستطيلة مصمتة اتساعها « ٦٠ر٢ م » وعمقها « ٦ سم » يعلوها عقدان توأميان ارتفاع كل منهما « ٥٥ سم » تستند أرجلهما الداخلية على كتف بارز مقرنص يشبه الحرمدانات [2] ، بينما شغلت الواجهة الغربية للحجر من الخارج بصفين من المثلثات الغائرة متقابلة الرؤوس تحصر فيما بينها أشكال معينات بارزة ، فى حين غشيت الجدران الداخلية للحجر البارز بزخارف هندسية ونباتية ملونة قوامها : أطباق نجمية ثمانية وإثنى عشرية وأنصافها محفورة حفراً خفيفاً لونت فيها أجزاء الطبق بألوان مشابهة لمثيلاتها الموجودة على جدار الإيوان الجنوبى ، ويتوسط ترس كل طبق منها وريدة سداسية [شكل ١٠] .

---

(١) سورة الحجر ، آية ٤٦ ، يلى هذه الآية كتابات من الصعب قراءتها نظرا لتآكل حروفها وربما كانت تكملة لبقية الآية .

(٢) الحرمدانات ، أو الحرمدال ، كلمة مركبة من «حرم» بمعنى حرم البيت ، «دال» بمعنى فرع الشجرة أو الغصن بالتركية ، وهى كلمة فارسية ، والحرمدال هنا بمعنى الكوابيل البارزة من المبنى والتى تحمل الماوردات الخشبية وما فوقها من رواشن ، وقد يكون الحرمدان قطعة واحدة أو من عدة قطع ، وللحرمدان أشكال متنوعة . (انظر) ، عبد اللطيف إبراهيم (دكتور) ، سلسلة الدراسات الوثائقية ، الوثائق فى خدمة الآثار ، العصر المملوكى ، بحث نشر فى كتاب ، دراسات فى الآثار الإسلامية ، نشر ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ٤١٠ ، محمد أمين وآخرون ، المصطلحات المعمارية ، ص ٣٥ ، ٣٦ .

المئذنة :

يعلو كتلة المدخل مباشرة مئذنة مثمنة طول ضلعها « ٥ر٨٢م » وارتفاعها « ٦٠ر٣ م » وتتكون من مستويين :

المستوى الأول : البدن : سبق القول أن حجر المدخل أكثر ارتفاعاً من الدركاة بمقدار «١٠ر١م » ولذلك تعتبر هذه الزيادة فى ارتفاع الحجر بمثابة قاعدة للمئذنة نظراً لبناء بدن المئذنة فوق الحجر مباشرة ، ويتم الصعود إلى المئذنة من خلال السلم الصاعد إلى سطح الجامع ومن السطح نصعد بواسطة ثلاثة درجات إلى سطح حجر المدخل والذى يفتح عليه باب المئذنة مباشرة .

يتكون بدن المئذنة من مثمن طول ضلعه « ٥ر٨٢ سم » وارتفاعه « ١٥ر٢م» مبنى بقوالب الآجر بسمك « ٤٠ سم » ومكسو بطبقة من ملاط النورة ، والبدن مجوف من الداخل فتح فى الضلع الجنوبى منه باب اتساعه « ٦٠ سم » وارتفاعه « ٦٦ر١ م » متوج بعقد مدبب ، وفى كل ضلع من الأضلاع الشرقية والشمالية والغربية شباك معقود اتساعه « ٤٣ سم » وارتفاعه « ٧٤ سم » .

المستوى الثانى : قمة المئذنة : ترتفع قمة المئذنة فوق البدن بمقدار « ٥٤ر١ م » على هيئة قبة مخروطية تتكون من عدة حطات من المقرنصات مكونة من خمسة مثمنات تعلو بعضها ارتفاع كل من المثمن الأسفل والذى يليه « ٣٠ م » وبقية المثمنات ارتفاع كل منها « ٢٠ سم » وقد بنيت المثمنات فوق بعضها بحيث تضيق كلما ارتفعت إلى أعلى وبطريقة معمارية تجعل زوايا كل مثمن تقع فى منتصف أضلاع المثمن الذى يليه ، وفى نفس الوقت جعل المعمار أضلاع المثمنات من الثالث إلى الخامس ترتد من منتصفها نحو الداخل على هيئة زوايا بحيث يبدو كل مثمن منها وكأنه نجمة ثمانية غطيت زواياها المتجهة إلى الداخل بأنصاف قباب صغيرة ، ثم تنتهى قمة المئذنة بقبيبة ضحلة ارتفاعها « ٢٥ سم » .

دركاة المدخل (١) :

يفضى المدخل الرئيسى إلى دركاة مكونة من مساحة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب بطول « ١٠ م » وعرض « ٦٠ر٣ م » مغطاة بقبو مدبب ارتفاعه « ٦ م » مبنى بالآجر بنفس طريقة بناء أقبية الجامع الأخرى .

يكتنف باب الدخول فى الجدار الجنوبى للدركاة دخلتان مستطيلتان معقودتان ، ارتفاع كل منهما « ٥٠ر١ م » واتساعها « ٩٠ سم وعمقها « ٧٥ سم » ، ربما كانتا تستخدمان كتبيتين (٢) أو مزيرتين (٣) وربما كانتا أيضاً شباكين لإضاءة الدركاة ثم سدت بعد ذلك ، ويلاحظ أن الدخلة الشرقية على يمين المدخل يتقدمها سلم بثلاث درجات مما يجعل معرفة وظيفة هذه الدخلات أمراً بالغ الصعوبة .

فى الضلع الشرقى للدركاة فتحة باب معقودة ارتفاعها « ٨٠ر٢ م » واتساعها « ٢٥ر٢ م » تؤدى إلى الحجرة الجنوبية الشرقية ، وفى الطرف الشرقى للضلع الشمالى من الدركاة فتحة باب ارتفاعها « ٠٧ر٣ م » واتساعها « ٢٠ر١ م » وعمقها « ١ م » تفضى إلى حجرة السلم الصاعد إلى سطح الجامع ، وهى عبارة عن حجرة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب بطول « ٢٠ر٧ م » وعرض « ٥٠ر١ م » مغطاة بقبو مدبب ارتفاعه « ٥٠ر٣ م » ، وأرضيتها أكثر ارتفاعاً من أرضية الدركاة بمقدار « ١٠ سم » وفى ضلعها الشمالى فتحة معقودة ارتفاعها « ٥٦ر١ م » واتساعها « ١٨ ر١ م » تمثل شباكاً لإضاءة الحجرة (٤) .

ينعطف الداخل من الدركاة إلى حجرة السلم يميناً ليصعد السلالم (٥) المؤدية إلى سطح

---

(١) الدركاة ، وجمعها دركاوات وهى لفظ فارسى مركب من مقطعين الأول «در» بمعنى باب والثانى «كاة» بمعنى محل ويقصد به الممر أو المساحة التى تلى الباب وتؤدى إلى داخل المبنى وكان الغرض من بنائها حتى لا يطلع المارة بالشارع على ما بداخل المبنى . (انظر) ، محمد أمين وآخرون ، المصطلحات المعمارية ، ص ٤٧ .

(٢) الكتبيات ، جمع كتبية وهى دولاب من الخشب وقد يكون فى حائط المبنى ويوجد بالقاعات والمساجد والمدارس ، وتستخدم لحفظ الكتب وقد تكون الكتبية غرفة كبيرة فتسمى خزانة كتب ، (انظر) ، محمد أمين وآخرون ، المصطلحات المعمارية ، ص ٩٣ .

(٣) المزاير ، جمع مزيرة وهى أيضا المزملة بمعنى الجره التى يبرد بها الماء ثم أصبح اللفظ يطلق على الموضع الذى توضع به الجرار (أى الأزيار) وتوجد فى العادة بأحد جانبى الدهاليز المؤدية إلى الصحن أو الميضات أو القاعات . (انظر) ، محمد أمين وآخرون ، المصطلحات المعمارية ، ص ١٠٤ .

(٤) هذا الشباك مسدود حاليا .

(٥) يعرف السلم عند أهل حيس وتهامة باسم المعراج وهو مشتق من العروج بمعنى الصعود .

الجامع والتى تبدأ من منتصف الحجرة وترتفع تدريجياً باتجاه الشرق بمقدار سبع درجات قليلة الارتفاع تسير بمحاذا الضلع الشمالى للحجرة الجنوبية الشرقية ، ثم ينعطف السلم نحو اليسار بثلاث درجات محاذية للجدار الشرقى لحجرة السلم ، ينعطف بعدها مرة أخرى نحو اليسار بمقدار ثلاثة عشر درجة تنتهى عند السطح .

ويتم الوصول من الدركاة

إلى الصحن من خلال فتحة باب ارتفاعها « ٠٧ر٣ م » واتساعها « ٢٠ر١ م » وعمقها «١م» تقع فى الطرف الغربى من الضلع الشمالى للدركاة بجوار الإيوان الجنوبى .

ويشغل منتصف جدران الدركاة شريط من الزخارف الكتابية والنباتية يسير حول عقود الكتبيات وعقود المداخل المتفرعة من الدركاة ، وكان هذا الشريط مكسواً بطبقة من ملاط النورة أخفت الكتابات تحتها وقد حاول الباحث ازالة طبقة الملاط هذه من بعض أجزاء الشريط وترك البعض الآخر إما بسبب صعوبة الإزالة أو لتلف الكتابات تحت الملاط مما قد يؤدى إلى سقوطها لو حاول ازالتها .

تشتمل كتابات الشريط على اسم السلطان المظفر وألقابه وعبارات دعائية مكتوبة بالخط النسخى على مهاد من الزخارف النباتية مكونة من فروع وأوراق ثلاثية وأنصاف مراوح نخيلية تتخلل النصف الكتابى ، فضلاً عن الفواصل بين العبارات الدعائية فى قمة كل عقد والمكونة من ورقة ثلاثية محصورة داخل نصفى مروحة نخيلية على هيئة قلب ، تبدأ كتابات الشريط من الطرف الشمالى الشرقى للجدار الشمالى من الدركاة وتدور حول عقد المدخل المؤدى إلى حجرة السلم [1] ، وبانتهاء عقد مدخل حجرة السلم تأتى العبارات التالية : (العالم العادل المجاهد المرابط المؤيد المنصور الملك شمس الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين منصف المظلومين من الظالمين) ، ثم يدور الشريط حول عقد المدخل الموصل بين الدركاة والصحن [2] ، ويستمر كذلك الجدار الغربى على النحو التالى : (الأقربين والأبعدين ومحى العدل) .

أما الجدار الجنوبى للدركاة فيشتمل الشريط فيه على العبارات الآتية : حول عقد الكتبية (فى العالمين ممهد قواعد الخلافة) ، وبانتهاء عقد الكتبية يعود الشريط إلى سيره والمستقيم

(١) هذا الجزء من كتابات الشريط غير مقروء بسبب طبقة الملاط التى تغطيه .

(٢) هذا الجزء من كتابات الشريط غير مقروء بسبب طبقة الملاط التى تغطيه .

ونصه : (معدن الفضل والرأفة والرحمة فخر الملوك العصرية) ، وهنا يصل الشريط إلى بداية عقد المدخل الرئيسى من الداخل فيدور حوله [1] وبانتهاء عقد المدخل يعود الشريط إلى استقامته مشتملاً على العبارات التالية (السيف والقلم حائز جلال الرتبتين العلم والعلم) ثم تدور كتابات الشريط حول عقد الكتبية الشرقية ونصها (أوحد ملوك الزمن سلطان الحرمين والهند واليمن) ، وبنهاية الشريط فى الجدار الجنوبى ينتهى الجزء المقروء منه حيث يصعب قراءة كتابات الجدار الشرقى للدركاة بسبب الملاط وتلف الشريط نفسه .

وأما بالنسبة لبقية أجزاء الدركاة فمن الصعوبة الجزم بأنها كانت مزخرفة نظراً لتغطيتها بطبقات سميكة من الملاط تصل فى بعضها إلى سمك (٥ سم) ، ولكن من المحتمل أنها كانت مزخرفة نظراً لأن معظم أجزاء الجامع بما فيها ظلة القبلة والحجر البارز للمدخل كانت مزخرفة .

الواجهة الشمالية : [شكل ١١]

يبلغ طولها « ١٠ر٢٧ م » بنيت بقوالب الآجر وكسيت بطبقة من ملاط النورة لم يتبق منه سوى ملاط الجزء العلوى من الواجهة ، ويمكن تقسيم هذه الواجهة إلى ثلاثة أقسام رأسية :

القسم الأوسط : ويمثل واجهة جدار القبلة عندة كتلة المحراب والشباكين فى الجزء المقبى من المصلى ويبلغ طول هذا القسم « ١٣ م » وهو أكثر ارتفاعاً من بقية أجزاء واجهة الجامع إذ يبلغ ارتفاعه « ٧٠ر٩ م » ، كما أنه أكثر بروزاً من بقية أجزاء واجهة الجامع بحوالى « ٧٠ر١م» ، فتح فى الجزء السفلى منه شباكان على يمين المحراب ويساره ، يتكون كل منهما من فتحة مستطيلة معقودة اتساعها « ٠٥ر١ م » وارتفاعها « ٢ م » وعمقها « ٧٠ر٢ م » ، الجزء العلوى منها كان فيم يبدو مغشى بستارة جصية وعندما سقطت سد مكانها بجدار من الآجر وكُسى بطبقة من النورة ، والجزء السفلى من الشباك كان يغلق عليه مصراعان من الخشب لم يتبق منه سوى مصراعى الشباك الغربى ، أما الشباك الشرقى فقد سدت فتحته من الخارج بجدار من الآجر عندما أعيد وضع المنبر بشكل موازى لجدار القبلة ، والجزء العلوى من الواجهة يرتد نحو الداخل بأربعة مستويات يبرز من خلالها القسم العلوى من المحراب على هيئة جوسق نصف مثمن ناتىء عن الارتدادات ينتهى فى أعلاه بنصف قبة . ويتوج هذا القسم

---

(١) هذا الجزء من كتابات الشريط غير مقروء بسبب طبقة الملاط التى تغطيه .

عشر شرافات سهمية ارتفاع كل منها « ٥٤ سم » وتبعد كل شرفة عن الأخرى حوالى «١م» .

القسم الغربى : يمثل واجهة القبة الشمالية الغربية من المصلى يبلغ طولها « ٩٠ر٤ م » وارتفاعها « ٦٠ر٥ م » ، وهذا القسم أقل ارتفاعاً وبروزاً من القسم الأوسط ، فتح فى منتصفه شباك مستطيل معقود اتساعه من الداخل « ٩٠ سم » وارتفاعه « ٣٥ر١ م » يغلق عليه مصراعان من الخشب . وقد سد هذا الشباك من الخارج بجدار من الآجر وحول إلى كتبية لحفظ المصاحف .

ويلاحظ أن هذا القسم يخلو من الشرافات ولكن من الأرجح أن تكون قد سقطت حيث لا يتفق منظره القمىء الخالى من الشرافات مع منظر القسم الأوسط أو القسم الشرقى اللذان مازالت الشرافات تعلو الجدران فيهما . يلى مستوى ارتفاع الواجهة فى هذا القسم قبة مدببة تغطى الجزء الغربى من رواق المحراب ، تتكون القبة من رقبة دائرية تعلو مستوى تحمل بدن القبة التى بنيت بواسطة الآجر وكسيت بطبقة من النورة .

القسم الشرقى : يمثل واجهة القبتين الشماليتين الشرقيتين من المصلى ، يبلغ طوله « ٢٠ر٩ م » وارتفاعه « ٦٠ر٥ م » وهو بذلك أقل ارتفاعاً وبروزاً من القسم الأوسط وفى نفس الوقت أكثر اتساعاً من القسم الغربى ، فى الجزء السفلى منه شباكان يطل كل منهما على مربع إحدى القباب وكل شباك منهما يتكون من فتحة مستطيلة معقودة ارتفاعها « ٤٧ر١ م » واتساعها « ٩٠ سم » يغلق عليه مصراعان من الخشب .

ويتوج هذا القسم شرافات متلاصقة تتكون كل منها من ورقة خماسية يلتقى فرعاها الجانبيان مع الأفرع الجانبية للشرافات المجاورة بحيث تحصر كل شرفتين بينهما شكل دائرة مفرغة ، وهذه الشرافات تختلف عن بقية شرافات الجامع سواء من حيث الشكل أو الحجم أو من حيث المسافة بين كل شرافة وأخرى .

ويلى مستوى ارتفاع الواجهة فى هذا القسم ، قبتان مدببتان تغطيان الجزء الشرقى من رواق المحراب ، تتكون كل قبة منهما من مثمن يبرز فوق مستوى السطح بارتفاع « ٢٠ سم » تعلوه رقبة دائرية تحمل بدن القبة .

الواجهة الشرقية : [شكل ١٢]

تمتد من الشمال إلى الجنوب بطول « ٥٠ر٢٧ م » وهى مقسمة إلى ثلاثة أقسام رأسية :

القسم الشمالى : ويمثل واجهة القبة الشمالية الشرقية والتى تبرز عن القسم الأوسط بحوالى « ٦٠ سم » ، يبدأ هذا القسم من الركن الشمالى الشرقى المبنى على هيئة ركن مشطوف من أسفل ينتهى أعلاه بمقرنص بسيط من ثلاث حطات ، يلى الركن واجهة القبة المذكورة بطول « ١٥ر٦ م » وارتفاع « ٦٠ر٥ م » يتوسطها المدخل الشرقى للجامع والذى يتكون من فتحة مستطيلة ارتفاعها « ٥٠ر٢ م » واتساعها « ٢٠ر١ م » وعمقها « ٩٠ سم » يتوجها عقد خماسي الفصوص ، يتوسط الفتحة باب الدخول ارتفاعه « ٦٢ر١ م » واتساعه «١٥ر١ م » يغلق عليه مصراعا باب من الخشب المجدد ، يفضى هذا الباب إلى مربع القبة الشرقية من رواق المحراب ، ويعلو المدخل دخلة مستطيلة ذات عقد مدبب فى صدرها فتحة شباك مستطيلة ومعقودة ويتوج هذا القسم من الواجهة شرافات متلاصقة مماثلة لشرافات القسم الشرقى من الواجهة الشمالية للجامع .

القسم الأوسط : ويمثل واجهة القبو الشرقى من الرواق الثانى من المصلى وواجهة المجنبة الشرقية ، يبلغ طول هذا القسم « ١٠ر١٣ م » وارتفاعه « ٧ م » وهو بذلك أكثر ارتفاعاً من القسم الشمالى ، وقد فتح فى الجزء السفلى من هذا القسم شباك مستطيل يطل على القبو الشرقى من الرواق الثانى للمصلى ارتفاعه « ٤٥ر١ م » اتساعه « ٠٥ر١ م » وربما كان هنا شباكان آخران يطلان على قبو المجنبة الشرقية نظراً لوجود كتيبتين من الداخل ربما كانتا فى الأصل شباكين لإضاءة القبو حولتا فى فترة ما إلى كتيبتين عن طريق بناء جدار من الآجر فى الجزء الخارجى من الشباك وهذا هو الأرجح نظراً لقلة الإضاءة الحالية داخل هذا القبو بسبب عدم وجود فتحات لإضاءته اللهم عدد من الفتحات الصغيرة تشبه المزاغل وتقع أسفل القبو مباشرة . ويتوج هذا القسم من الواجهة الشرقية شرافات سهمية مماثلة لشرافات القسم الأوسط من جدار القبلة .

القسم الجنوبى : يلى القسم الأوسط ويمثل الواجهة الشرقية للحجرة الجنوبية الشرقية وحجرة السلم الصاعد إى سطح الجامع ، حيث تبرز الواجهة الشرقية ـ عند نهاية واجهة القبو ـ نحو الشرق بمقدار « ٩٠ر٣ م » ، يمثل هذا البروز الواجهة الشمالية لحجرة السلم وقد فتح بها شباك اتساعه « ١٨ر١ م » وارتفاعه « ٥٦ر١ م » مخصص لإضاءة السلم ، وقد سد هذا الشباك من الخارج بجدار من الآجر وكسى بطبقة من ملاط النورة .

بنهاية الواجهة الشمالية لحجرة السلم تعود الواجهة الشرقية للمسجد إلى استقامتها لتمتد نحو الجنوب مكونة الواجهة الشرقية لحجرة السلم والحجرة الجنوبية الشرقية بطول « ٢٥ر٨ م »

وارتفاع « ٧ر٥٠ م » ، ويلاحظ على هذا الجزء من الواجهة أنه مصمت لا فتحات فيه وإن كان أصلاً يوجد شباك لإضاءة الحجرة تم سده عندما سدت شبابيك القبو الشرقى وشباك حجرة السلم وباب الحجرة الجنوبية الشرقية .

الواجهة الغربية : [شكل ١٣]

تمتد من الشمال إلى الجنوب بطول « ٢٦ر٨٥ م » وارتفاع « ٥ر٦٠ م » وتنقسم إلى قسمين :

القسم الشمالى : يبدأ من الركن الشمالى الغربى عند التقاء هذه الواجهة بالواجهة الشمالية ويمتد حتى نهاية المجنبة الغربية بطول « ٢٢ر٤٥ م » ويمثل هذا القسم واجهتى القبتين الغربيتين من المصلى وقبتى المجنبة الغربية ، وقد فتح فى منتصف جدار الواجهة شباكان يطلان على مربعى القبتين الغربيتين من المصلى ، يتكون كل شباك من فتحة مستطيلة اتساعها « ٧٥ سم » وارتفاعها « ١ر٣٥ م » يغلق عليها مصراعا باب من الخشب ، وفى الطرفة الجنوبى لهذا القسم فتحة باب مستطيلة ارتفاعها « ٢ر٦٥ م » واتساعها « ١ر٢٠ م » وعمقها « ٩٠ سم » يعلوه عقد مدبب ، وهذا الباب يصل بين الميضأة والقبة الجنوبية من الظلة الغربية .

ويلى مستوى ارتفارع جدار الواجهة فى هذا القسم أربع قباب مدببة تغطى اثنتان منها الجزء الغربى من المصلى والقبتان الأخريان تغطيان المجنبة الغربية .

تتكون كل قبة منها من رقبة دائرية تعلو مستوى السطح مباشرة فتح فيها أربع نوافذ صغيرة مستطيلة الشكل ، تحمل الرقبة بدن القبة المدبب الذى ينتهى عند قمته بما يشبه الحوض الدائرى الشكل ، وقد كسيت كل قبة بطبقة من ملاط النورة فى حين يتخلل البدن صفان من الثقوب المصمتة على هيئة مثلثات غائرة .

ويلى مستوى ارتفاع القباب الغربية من المصلى مستوى آخر أكثر ارتفاعاً يمثل الواجهة الغربية للقبوين الكبيرين من المصلى ، نظراً لأن القسم الأوسط من المصلى أكثر ارتفاعاً من القسم الغربى له وكذلك أكثر ارتفاعاً من المجنبة الغربية ، حيث تطل الواجهة الغربية للقبوين على قباب القسم الغربى من المصلى بدخلات معقودة مدببة من النوع المعروف بالعقد الفاطمى فى صدر كل دخلة منها شباك معقود مسدود حالياً ، ويتوج هذا الجزء من الواجهة شرافات سهمية .

القسم الجنوبى : يمثل واجهة القبة الغربية من القاعة الجنوبية الغربية بطول قدره « ٤٠ر٤ م » حيث يبدأ جدار الواجهة من أسفل بسمك « ٩٠ سم » حتى ارتفاع « ٢ م » ، ثم يرتد بشكل مشطوف يكتمل بعده الجزء العلوى من جدار الواجهة بسمك « ٥٠ سم » ، مما يدل على حدوث تصدع للجزء العلوى من الجدار وعندما أعيد بناؤه لم يعد إلى حالته الأصلية بل بنى بجدار أقل سمكاً .

ويلاحظ خلو قمة جدار الواجهة الغربية للجامع من أى شرافات والتى ربما أنها سقطت مع سقوط هذا الجدار ولم تبنى مرة أخرى عندما بنى الجدار .

ويلى مستوى ارتفاع جدار الواجهة فى هذا القسم قبة مدببة تغطى الجزء الغربى من القاعة الجنوبية الغربية ، تتكون من رقبة دائرية تبدأ من فوق مستوى السطح تعلوها خوذة القبة مدببة الشكل تنتهى قمتها بعمود من الآجر قمته على هيئة رأس الرمح ، وقد كسيت القباب من الخارج والداخل بملاط من النورة البيضاء .

الوصف من الداخل :

يتكون الجامع المدرسة من صحن مكشوف ، ومصلى مغطى يقع فى الجهة الشمالية منه ، وإيوان بالجهة الجنوبية ، ومجنبتين بالجهتين الشرقية والغربية .

الصحن (١) :

يتوسط الجامع صحن مكشوف مربع الشكل أبعاده « ٥٠ر١٠ × ٥٠ر١٠ م » كسيت أرضيته بطبقة من القضاض (٢) . يطل عليه المصلى والمجنبات والإيوان الجنوبى بأربع واجهات ارتفاع كل من الواجهة الشمالية والشرقية والجنوبية « ٥٠ر٧ م » وارتفاع الواجهة الغربية « ٤٠ر٥ م » وقد بنيت جدران هذه الواجهات ـ كغيرها من أجزاء الجامع الأخرى ـ بقوالب الآجر المحروق وكسيت بطبقة من ملاط النورة البيضاء .

يفتح المصلى على الصحن بثلاث فتحات ، اتساع كل منها « ٦٠ر١ م » وارتفاع « ٤ م »

(١) الصحن ، يعرف فى العمارة اليمنية باسم شمسه ، (انظر)، الخزرجى، العسجد المسبوك، ص ٥٠٥ .

(٢) القضاض ، هو خليط من النورة والنيس الناعم والحصى ويستخدم فيما يستخدم فيه الأسمنت اليوم. (انظر)، Alselwi'ibrahim : Jemenitiche worter in den werken von Al - Hamdani und Nashan Und iber parallsten inden semitischen sprachen, P. 180 - 181.

يتوج كل فتحة منها عقد مدبب سمكة « ٠٥ر١ م » ، وهذه العقود محمولة على دعامتين مستطيلتين فى الوسط طول كل منها « ٥٠ر٢ م » وعرضها « ٠٥ر١ م » بالإضافة إلى كتفى الدعامتين المتعامدتين فى الجانبين يبرز كل منهما « ٣٥ سم » ، يزين الدعامة المستطيلة الغربية محراب مسطح غير مجوف يتكون من إطار بارز من الجص ، القسم العلوى منه على هيئة عقد مدبب ـ أربعة مراكز ـ تميل رجلاه إلى الداخل فيما يشبه عقد حدوة الفرس وتنتهى قمة العقد بورقة ثلاثية .

أما المجنبة الشرقية فتطل على الصحن بثلاث فتحات معقودة ، اتساع الفتحة الشمالية « ٠٥ر١ م » وكل من الفتحة الوسطى والجنوبية « ٢٠ر١ م » ، وارتفاع كل من الفتحات الثلاث « ٣ م » ، يتوج كل منها عقد مدبب سمكه « ٠٣ر١ م » ، وتستند أرجل هذه العقود على دعامتين مستطيلتين فى الوسط طول الدعامة الشمالية « ١٠ر٣ م » والجنوبية « ٢٠ر٣ م » ، وعرض كل دعامة منها « ٠٣ر١ م » ، بالإضافة إلى كتف الدعامة المتعامدة الشمالية المشتركة ، مع واجهة المصلى ، وكذلك كتف ملتصق بجدار الدركاة فى الطرف الجنوبى للمجنبة يبرز عن الجدار « ٣٥ سم » ، وعرضه « ٠٣ر١ » م » .

أما المجنبة الغربية [شكل ١٤] فتفتح على الصحن بثلاث فتحات معقودة مماثلة لفتحات المجنبة الشرقية اتساع كل فتحة « ٢٠ر١ م » وارتفاعها « ٣ م » ، الفتحة الوسطى منها مسدودة بجدار بسبب بناء كتف ملاصق للفتحة من الداخل عندما أعيد بناء تغطيات المجنبة بالقباب بدلاً من القبو ويرجح أن يكون ذلك تم بعد تهدمه بسبب الزلازل التى ضربت المنطقة سنة ٩١٦ هـ[١] ، حيث اضطر المعمار إلى بناء الكتف لتستند عليه رجل العقد ـ الحامل لقبتى المجنبة ـ الذى يصل بين جدارى المجنبة والذى حول المعمار بواسطته المساحة المستطيلة إلى مساحتين مربعتين.

ويطل الإيوان الجنوبى [شكل ١٥] على الصحن بفتحة اتساعها « ٩٥ر٤ م » وارتفاعها « ١٠ر٦ م » ، بالإضافة إلى بابين يكتنفا الإيوان اتساع كل منهما « ٢٠ر١ م » وارتفاع « ٣ م » يصل الباب الشرقى منهما بين دركاة المدخل والصحن ، ويصل الغربى بين القاعة الجنوبية الغربية والصحن .

شغلت واجهات الجدران المطلة على الصحن بشريطين من الكتابات الأول يدور حول عقود الفتحات المطلة على الصحن ـ بما فيها عقد الإيوان ـ وكان هذا الشريط مغطى بطبقة من النورة أخفت الكتابات تحتها تماماً ، أمكن إزالة بعض الطبقات القابلة للإزالة من ملاط النورة

---

(١) ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص ٢٣٥ .

الذى يغطى الشريط مما ساعد على قراءة الكتابات التى أزيلت عنها طبقات النورة ، والتى تتضمن آيات قرآنية وأحاديث نبوية وعبارات دعائية بالإضافة إلى اسم المنشئ وألقابه وتاريخ البناء ، وفيما يلى وصف تفصيلى لها :

يتكون الشريط من اطارين ضيقين من الزخارف قوامها خطان بارزان منكسران يتقاطعان معاً ليحصرا بينهما أشكال معينات ومثلثات وكل خط منهما يبدو وكأنه خطان نظراً لقيام الرسام بحفر خط غائر رفيع وسط الخط البارز ، يحصر الإطاران بينهما شريط عريض من الزخارف الكتابية بالخط النسخى (الثلث) على مهاد من الزخارف النباتية المكونة من فروع ملتوية وأوراق ثلاثية مثقوبة وأنصاف مراوح نخيلية محورة .

يبدأ الشريط الكتابى من الركن الشمالى الشرقى للصحن ـ وبالتحديد من بداية رجل العقد الشرقى لبائكة الصحن ـ بعبارة (بسم الله الر . . . . . .) ، يليها طبقة من النورة تخفى بقية النص وقد حاول الباحث ازالة ما بعد البسملة من الملاط فوجد أنه يتساقط ومعه الحروف الكتابية لذلك تركت كما هى عليه ، كما حاول الباحث ازالة الملاط من على واجهات عقود المجنبة الغربية فلم يتسنى له ذلك وكذلك الحال بالنسبة لعقد الإيوان الجنوبى نظرا لارتفاعه الشاهق فيما عدا الجزء الذى خلل نهاية عقد الإيوان من الجهة الشرقية والذى يمتد حتى المدخل الموصل بين الصحن والدركاة ويضم هذا الجزء من النص : (بن رسول خليل أمير المؤمنين حـ) [شكل ١٦] .

أما واجهة عقود المجنبة الشرقية المطلة على الصحن فقد تمكن الباحث من ازالة معظم طبقات النورة التى تغطى الشريط وقراءة معظم كتاباته ونصها : على العقد الجنوبى (ايامه الصارات سلاحا فى وجه الزمن واعدا سجنه بصروف المحن ما) . فيما بين العقد الجنوبى والأوسط : (قبر وسكن متحرك فى مسكن آمين وصلى الله على رسوله سيدنا) ، وعلى العقد الأوسط : (محمد وآله وسلم وذلك ابتغاء وجه الله العظيم وذخراً ليوم) ، فيما بين العقد الأوسط والشمالى : (العذاب الأليم وتصديق الرسول الكريم قال ﷺ من بنا مسجدا) ، على العقد الشمالى : (لله ولو كمفحص قطاة بنا الله له بيتاً فى الجنة [1] وكان ذلك بتاريخ شهر شوال سنة اثنتين وثمانين وستمائة [٦٨٢] [شكل ١٧] .

---

(١) تخريج الحديث ، عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال (من بنا مسجدا لله كمفخص قطاة أو أصغر بنى الله له بيتا فى الجنة) . قال فيه ابن ماجه حديث اسناده صحيح ورجاله ثقات . انظر ، ابن ماجه ، الحافظ أبى عبدالله محمد بن يزيد القزوينى (ت٢٧٥هـ) ، سنن ابن ماجه (كتاب) المساجد ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، مكتبة فيصل عيسى البابى الحلبى ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية ، ص ٢٤٤ .

ويعلو جدران الصحن شريط آخر يتكون من اطارين ضيقين من الزخارف يحصران شريطاً عريضاً من الكتابات على مهاد من العناصر النباتية ، وقد سقط معظم أجزاء هذا الشريط ولم يتبق منه سوى أجزاء بسيطة تعلو جدران واجهة الإيوان المطلة على الصحن وكذا جدران واجهة المجنبة الشرقية بينما أزيل الشريط الذى كان يعلو واجهة المصلى - ربما بفعل فاعل - حيث يلاحظ أن مكان الشريط فقط أزيلت منه طبقات الملاط مما اظهر صفوف الآجر التى بنى بها الجدار ، وكان يعلو الشريط صف من المثلثات البارزة تزين قمة الجدران المطلة على الصحن وقد سقطت معظم هذه المثلثات .

ويتوج جدار المصلى المطل على الصحن شرافات سهمية ارتفاع كل منها « ٥٤ سم » تبعد كل شرافة عن الأخرى « ٣٨ر١ م » ، أما الواجهات الشرقية والغربية والجنوبية المطلة على الصحن فتخلو من الشرافات وربما أنها سقطت مع مرور الزمن .

المصلى :

يتكون المصلى من الداخل من مساحة مستطيلة الشكل تمتد من الشرق إلى الغرب بطول « ٥٠ر٢٥ م » وعرض « ٢٥ر١٠ م » ، تنقسم أفقياً إلى رواقين موازيين لجدار القبلة بواسطة بائكتين معقودتين ترتكز عقودهما على دعامات مربعة ومستطيلة ومتعامدة مبنية بقوالب الآجر بالتبادل مع قطع من الأخشاب والأحجار الصغيرة [١] .

رواق المحراب :

ينقسم رواق المحراب إلى ثلاثة أقسام : أوسط ، شرقى ، غربى :

القسم الأوسط : يقع أمام المحراب وبشكل موازى لجدار القبلة بطول « ٦٥ و١٠ م » من الشرق إلى الغرب وعرض « ٢٠ر٤ م » من الشمال إلى الجنوب ، مغطى بقبو مدبب مبنى بقوالب الآجر [٢] ارتفاعه « ٢٠ر٧ م » يستند على جدار القبلة وعلى عقود بائكة المحراب والمكونة من ثلاثة عقود موازية لجدار القبلة اتساع كل منها « ٧٥ر٢ م » وارتفاعها « ٥٥ر٣ م» ، بالإضافة إلى عقدين شرقى وغربى عموديان على جدار القبلة اتساع كل منها « ٥٣ر٣ م »

---

(١) انظر طريقة بناء الدعامات فى الفصل الثانى من الباب الثالث .

(٢) انظر طريقة بناء الأقبية فى الفصل الثانى من الباب الثالث .

وارتفاعها « ٣ر٧٠ م » ، تستنفد هذه العقود على دعامتين شبه مربعتين « ٩٠ × ١ر٠٥ م » تتوسطان بائكة المحراب بالإضافة إلى دعامتين متعامدتين تحملان أرجل العقود الموازية وإحدى رجلى العقدان العموديان على جدار القبلة .

المحراب : [شكل ١٨]

يتوسط جدار القبلة فى هذا القسم دخلة محراب اتساعها « ١ر٨٠ م » وارتفاعها « ٣ر٥٠م» تنتهى فى أعلاها بعقد مدبب زين الوجه الخارجى منه بزخارف كتابية بينما زين باطن العقد بزخارف نباتية ، يتصدر دخلة المحراب حنية نصف دائرية اتساعها « ١ر٣٥ م » وارتفاعها «٣ر١٨ م » وعمقها « ١ر٣٥ م » تنتهى أعلاها بطاقية ذات تخويصات مشعة على هيئة محارة تبدأ من قمة ـ مفتاح ـ عقد طاقية المحراب وتنطلق إلى أسفل بحيث يزداد اتساعها كلما اتجهت إلى أسفل إلى أن تلتقى بحنية المحراب ، ويتوج طاقية المحراب عقد منكسر يزين وجهه الخارجى كتابات بارزة ملونة أما باطن العقد فقد نفذت عليها زخارف نباتية اختفت معالمها تحت طبقات النورة .

ويكتنف حنية المحراب عمودان مدمجان قطاع كل منهما نصف دائرة بنيا بقوالب الآجر وكسيا بطبقة من النورة ، وقد زخرف بدن كل عمود منهما بزخارف دالية ـ زجزاجية ـ مكررة وملونة باللون الأحمر واللون الدهنى بالتبادل [شكل ١٩] ، ويعلو كل عمود منها تاج مزخرف بأوراق وفروع نباتية ، وبجانب كل عمود حليات جصية تتدلى من الشريط الكتابى الذى يزين عقد صدر المحراب .

وتشتمل دخلة المحراب على زخارف كتابية وهندسية ونباتية محفورة وملونة قوامها : آيات قرآنية مكتوبة بالخط الثلث تشغل وجه عقد حنية المحراب نصها (بسم الله الرحمن الرحيم أقم الصلاة . ف ـ[طرفى النهار وزلفاً من الليل]) [1] وأما باطن عقد الحنية وكذلك باطن عقد الصدر فيضم كل منهما زخارف نباتية محفورة قوامها : شريط من الأفرع النباتية المتعرجة تخرج منها أوراق ثلاثية ومقلوبة ، ويزين حنية المحراب عدد من صفوف البوائك الزخرفية لم يتبق منهاسوى صفين يعلوان بعضهما فى الجزء العلوى من الحنية ، يضم كل صف خمسة عشر عقداً مدبباً محمولة على أربعة عشر عموداً قصيراً ، بينما اختفت زخارف

---

(١) سورة هود ، آية ١١٤ ، انظر تكملتها فى (شكل ٢٠) .

الجزء السفلى من الحنية تحت طبقة سميكة من النورة تعذر معها وصف بقية زخارف الحنية [شكل ٢٠] .

ويكتنف كتلة المحراب شباكان شرقى وغربى يتكونكل منهما من فتحة مستطيلة معقودة اتساعها « ٠٥ر١ م » وارتفاعها « ٢ م » ، الجزء السفلى منها يفتح على الشارع باتساع «٠٥ر١ م» وارتفاع « ١٨ر١ م » وعمق « « ٧٠ر٢ م » ، توج الجزء الداخلى من الشباك المطل على رواق المحراب ، وكذا الجزء الخارجى المطل على الشارع بعقدين مدببين بينما غطيت المساحة الممتدة داخل سمك الجدار ـ فيما بين العقدين ـ بقبو نصف دائرى .

يغلق على فتحة الشباك الغربى مصراعا باب من الخشب الحديث ، أما فتحة الشباك الشرقى فقد سدت من الخارج من الآجر عندما أعيد وضعا لمنبر بشكل موازى لجدار القبلة ، وبذلك تحول الجزء الداخلى من الشباك إلى مخزن للآلات الصوتية . [شكل ١١] .

ويعلو عقد الشباك مساحة مصمتة تنتهى فى أعلاها بعقد زخرفى يمثل امتداداً للشريط الكتابى الذى يزين جدار القبلة ويدور حول عقود الشباكين والمحراب ، وقد زخرفت هذه المساحة المصمتة ـ المحصورة بين عقد الشباك والعقد الزخرفى ـ بزخارف هندسية ونباتية [شكل ٢١] قوامها أطباق نجمية [١] ـ وأنصافها ـ ثمانية واثنى عشرية محفورة حفراً بارزاً وغائراً لونت فيها الكندات باللون الأحمر ولونت اللوزات باللون الأسود ولون الترس باللون الدهنى ، يحصر الترس بداخله وريدة سداسية أو ثمانية ـ حسب نوع الطبق النجمى ـ ملونة بنفس لون الترس .

ويشغل منتصف جدار القبلة شريط كتابى يبدأ من الطرف الشرقى للقسم الأوسط من جدار القبلة ويدور حول عقود الشبابيك وصدر المحراب والعقدان العموديان على جدار القبلة وعقود بائكة المحراب ، وهذا الشريط يتكون من : شريط عريض من الكتابات نقذت بالخط الثلث على مهاد من الزخارف النباتية ويتخلل الشريط فواصل زخرفية فى قمة كل عقد على هيئة ورقة ثلاثية مركبة ، وقد حفر الشريط الكتابى بين اطارين ضيقين من الدوائر والخطوط المتعرجة والمتقاطعة مع بعضها [شكل ٢٠] ، قوام كتابات الشريط آيات قرآنية من سورة النور [٢] اختفت معظمها تحت طبقات النورة ولم يتبق منها سوى الآية (٣٥) والتى

---

(١) الطبق النجمى ، يعرف عند أرباب الصنعة فى العصر المملوكى باسم «ضرب خيط» (انظر) ، محمد أمين وآخرون ، المصطلحات المعمارية ، ص ٧٤ .

(٢) سورة النور ، آية ٣٥ وما بعدها .

تدور حول عقد الشباك على يمين المحراب ونصها ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم . الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها ﴾[1] ، ويحتمل أن بقية الآية تدور حول عقد صدر المحراب ، ويزيد من قوة هذا الاحتمال أن النص الكتابى الموجود على عقد الشباك الواقع على يسار المحراب تبدأ مباشرة من الآية التالية الآية النور ونصها (فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيه اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال)[2] .

ويتوج جدار القبلة شريط آخر على ارتفاع « ٤ م » يسير بشكل أفقى أسفل قبو المحراب من جدار القبلة والجدار المقابل له - الذى يعلو بائكة المحراب - وكذلك يسير على الجدران الحاملة للقبو والتى تعلو العقود العمودية على جدار القبلة ، يتكون من اطارين ضيقين من الزخارف الهندسة والنباتية ، الإطار العلوى منها مزخرف بخطوط ملتوية تتقاطع مع دوائر متجاورة ، والإطار السفلى مزخرف بفرع نباتى متعرج تخرج منه أوراق ثلاثية ، يحصر الإطاران بينهما شريط عريض من الزخارف قوامها بحور مكررة تضم زخارف كتابية [3] ونباتية بالتبادل ، [شكل ٢٢] .

ويشغل جدار القبلة فى المساحة المحصور بين الشريطين العلوى والسفلى - بما فيها كوشات عقود الشبابيك والمحراب - زخارف هندسية قوامها أشكال مربعات وأشكال مزوية رتبت على هيئة أشرطة عريضة رأسية وأفقية متكسرة متقاطعة تحصر فيما بينها أشكال معينات يتكون كل معين منها من : شكلين مزوبين متدابرين وأربع لوزات ، وهذه الأشكال لونت فيها المربعات باللون الدهنى ولونت الأشكال المزوية باللون الأحمر ولونت أشكال اللوزات باللون الأسود .

أما بالنسبة للجزء العلوى من جدار القبلة والذى أعلى الشريط العلوى وحتى قمة القبو ، فقد زخرف بعناصر هندسية قوامها اطباق نجمية مكررة ثمانية وأثنى عشرية وأنصافها نفذت بواسطة الألوان ، حيث لونت فيه التروس باللون الأحمر أو الدهن ولونت اللوزات باللون

---

(١) يلى عقد الشباك جزء أفقى من الشريط يصل بين نهاية عقد الشباك الشرقى وبداية عقد صدر المحراب يليه شريط عقد صدر المحراب ثم جزء أفقى آخر يصل بين نهاية عقد صدر المحراب وبداية عقد الشباك الغربى ، وهذه الأجزاء يحتمل أن يكون النص الكتابى عليها يمثل بقية آية ٣٥ من سورة النور ونصه (. . كوكب ذرى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم) صدق الله العظيم .

(٢) سورة النور ، آية ٣٦ .

(٣) من الصعوبة قراءة هذه الكتابات بسبب تغطيتها بطبقات من النورة .

الدهنى أو الحمر [1] بينما لونت لوزات الأطباق وكذلك النجوم وأنصافها التى تفصل بين الأطباق باللون الأسود .

أما الخطوط التى تحدد أجزاء الطبق فلونت باللون الأبيض وفصل بين هذه الخطوط وأجزاء الطبق بخطوط سوداء أقل سمكاً لإعطاء الزخرفة نوع من الإيحاء بالتجسيم [شكل ٢٢] .

وقد شغلت بائكة المحراب فى القسم الأوسط ـ المغطى بقبو ـ بالعديد من الزخارف الكتابية والنباتية والهندسية ، حيث زخرفت أوجه العقود المطلة على رواق المحراب بشريط من الزخارف الكتابية يعتبر امتداداً للشريط الذى يدور حول عقود المحراب والشبابيك من جدار القبلة ، وربما أن كتابات هذا الجزء من الشريط تمثل الآيات التالية للأويات ٣٥ ، ٣٦ من سورة النور .

كما يمتد الشريط العلوى لجدار القبلة أيضاً على الجدار الذى يعلو عقود بائكة المحراب وبنفس الزخارف ، ويحصر الشريطان العلوى والسفلى بينهما زخارف هندسية تملأ كوشات عقود البائكة قوامها أطباق نجمية وأنصافها ، بينما شغل الجزء العلوى من بائكة المحراب والذى يعلو الشريط الكتابى العلوى وكذلك بدن القبو بزخارف هندسية قوامها أطباق نجمية وأنصافها مماثلة لتلك الموجودة على الجزء العلوى من جدار القبلة ، أما الأوجه السفلية ـ بواطن ـ لعقود هذه البائكة فقد زخرفت بنوعين من الزخارف : يتمثل النوع الأول والأهم فى زخارف العقد الأوسط أمام المحراب والذى زخرف بعدد من الجامات الدائرية [2] المتماسلة لم يتبق منها سوى جامتين تتكون كل منهما من : أربع أوراق ثلاثية مثقوبة متقابلة يحيط بها شريط دائرى من الزخارف الكتابية ينقسم إلى قسمين على هيئة بحور :

الجامة اليمنى :

القسم السفلى : عزاً لمولانا السلطان الملك المظفر شمس .

القسم العلوى : الدنيا والدين عز الإسلام والمسلمين .

---

(١) لونت أجزاء الطبق كالتالى . الترس والكندات باللون الأحمر أو الدهنى ، إذا كان الترس باللون الأحمر فإن الكندات تكون باللون الدهنى والعكس بينما لونت اللوزات باللون الأسود .

(٢) كان العقد يضم ثلاث جامات لم يتبق منها سوى الجامتان الجانبيتان ولذلك نجد النص الكتابى عليها مبتورا من الوسط .

الجامة اليسرى : [شكل ٢٣]

القسم السفلى : من الظالمين أوحد ملوك الزمن سلطان الحرمين .

القسم العلوى : والهند واليمن وارث ملك أسعد الكامل (١) .

وقد نتج عن تماس الجامات مع بعضها مناطق مثلثة تضم زخارف نباتية محورة [شكل ٢٤] .

النوع الثانى من الزخارف يتمثل فى تلك الموجودة على العقدين الجانبيين حيث زخرف الوجه السفلى لكل عقد منهما بخطوط بارزة وغائرة متقاطعة مع بعضها مكونة أشكال معينات يضم كل معين ما يشبه المثلثات (٢) .

أما العقدان العموديان على جدار القبلة واللذان يقطعان رواق المحراب من طرفى القبو فقد زخرفت أوجههما المطلة على القبو بشريط من الكتابات يدور حول العقود ويعتبر امتداداً للشريط الذى يدور حول عقود جدار القبلة وبائكة المحراب ، كما يعلو قمتى العقدين شريط آخر من الزخارف والذى يعتبر أيضاً امتداداً للشريط العلوى الذى يسير حول جدارى القبلة وبائكة المحراب ، ويعلو الشريط المذكور جامة دائرية قوامها شريط دائرى من الزخارف الكتابية (٣) يحصر بداخله طبقاً نجمياً مكون من ترس بارز تحيط به أجزاء الطبق الأخرى [شكل ٢٥] ، ويحيط بهذه الجامة فى الأجزاء المتبقية من الجدار حتى قمة القبو صفوف متكررة من الزخارف النباتية البارزة والمحفورة قوامها : أوراق ثلاثية مثقوبة معدولة ومقلوبة فى حين توجت قمة كل من هذين العقدين فى الوجه المطل على قباب القسمين الشرقى والغربى من رواق المحراب بورقة ثلاثية بارزة تكتنفها جامتان دائريتان تضم كل منهما وريدة سداسية محاطة بزخارف نباتية محورة .

المنبر : [شكل ٢٦]

يقع منبر الجامع - كغيره من جوامع العالم - على يمين المحراب وكان فى الأصل موضوعاً

---

(١) أسعد الكامل ، سبق التعريف به .

(٢) لا تتضح نوعية الزخارف على هذه العقود بسبب طبقات النورة التى كسى بها المسجد .

(٣) ليس من السهل قراءتها بسبب ملاط النورة المغطاة به .

بشكل عمودى على جدار القبلة فى المساحة المحصورة بين الشباك وحنية المحراب ، ولكن تغير وضع المنبر فى فترة لاحقة لصيصبح موازياً لجدار القبلة [1] .

والمنبر فى شكله الحالى متهالك جداً ولم يتبق منه سوى عدد من القوائم والعوارض الخشبية بالإضافة إلى إطار باب المنبر وعقده المفصص وكذلك قاعدة جلسة الخطيب ، وحفاظاً على هذه البقايا بنى منبر من الآجر ووضعت قوائم وعوارض المنبر السابق كإطار حول المنبر الجديد .

وقد زينت القطع الخشبية المتبقية من المنبر بالعديد من الزخارف قوامها أشكال محفورة على هيئة نقط وأشكال ورود بالإضافة إلى بعض الكتابات المتبقية ومنها نص مكون من سطر واحد مكتوب بالخط النسخى يعلو إطار باب المنبر ونصه : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ـ لا إله إلا الله ـ محمد رسول الله ﴾ . بينما زينت قاعدة جلسة الخطيب بزخارف محفورة وبارزة على هيئة بخاريات .

وقد شغل جدار القبلة وأوجه العقود وكوشاتها وبطونها وأبدان الأقبية فى هذا القسم بزخارف نباتية وكتابية وهندسية نقذت بالحفر البارز والغائرة ولونت بألوان متعددة .

القسم الشرقى : يمثل امتداداً لرواق المحراب نحو الشرق على هيئة قاعة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب بطول « ٨٫٢٥ م » وعرض « ٣٫٦٠ م » تتصل فى ضلعها الغربى بقبو المحراب بواسطة عقد مشترك عمودى على جدار القبلة اتساعه « ٣٫٣٠ م » وسمكه «١٫٥٠ م»، وقد قسمت هذه القاعة إلى مساحتين شبه مربعتين مساحة الشرقية « ٣٫٩٠ × ٣٫٦٠ م » والغربية « ٣٫٤٥ × ٣٫٦٠ م » ، ويتوسط المساحتين أسفل العقد الفاصل بين القبتين حنية محراب مجوفة اتساعها « ٩٠ سم » وارتفاعها « ١٫٧٣ م » وعمقها « ٤٥ سم » متوجة بعقد مدبب ، يغطى الحنية طاقية مشعة على هيئة خطوط رأسية تبدأ من أسفل الطاقية عند التقائها بالحنية وتنطلق إلى مختلف أجزاء عقد الحنية ، ويكتنف الحنية عمودان صغيران مدمجان .

وعلى يمين ويسار المحراب شباكان معقودان يطل كل منهما على مربع إحدى القباب ، اتساع كل شباك « ٩٠ سم » وارتفاع « ١٫٤٧ » وعمقه « ١٫٠٥ م » ، يتوسط الضلع الشرقى

---

(١) توضع المنابر فى اليمن بشكل موازى وملاصق لجدار القبلة حتى لا تقطع صفوف المصلين ، (انظر) ، ربيع خليفة ، الفنون الزخرفية ، ص ٩٥ ، ٩٦ .

للقبة الشرقية الباب الشرقى للجامع ويكتنف هذا الباب من الجهة الشمالية كتبية مستطيلة اتساعها « ٤٥ سم » وارتفاعها « ٨٠ سم » وعقمها « ٤٠ سم » .

وقد غُطيت هذه القاعة من رواق المحراب بقبتين مدببتين ارتفاع كل منها « ٧٠ر٧ م » ، تستند القبة الغربية على جدار القبلة وثلاثة عقود مدببة : الأول شرقى ارتفاعه « ٧٠ر٣ م » واتساعه « ٦٠ر٣ م » وسمكه « ٩٠ سم » والثانى غربى متصل بقبو المحراب والثالث جنوبى ارتفاعه ٤٥ر٣م واتساعه ٨٥ر٢م وسمكه ٩٠سم ، وأما القبة الشرقية فتستند على الجدارين الشرقى والشمالى للجامع بالإضافة إلى عقدين : أحدهما غربى مشترك مع القبة الغربية والآخر جنوبى ارتفاعه « ١٠ر٣ م » واتساعه « ٧٠ر٢ م » وسمكه « ٨٠ سم » ، وقد حول مربع كل قبة إلى مثمن ـ يحمل رقبة القبه ـ بواسطة منطقة انتقال مزدوجة مكونة من مثلث كروى ذو دالات يعلوه حنية ركنية على هيئة نصف قبة حولت المربع إلى مثمن ثم حول المثمن إلى دائرة عن طريق الغاء أركان المثمن بواسطة حطتين من المقرنصات البسيطة .

ويشتمل جدار القبلة من هذا القسم على عدد من العناصر الزخرفية وخاصة فى المحراب الشرقى والذى شغلت طاقيته بزخارف اشعاعية تنطلق من أسفل الطاقية إلى مختلف أجزاء عقد الطاقية ، بينما زخرفت الحنية بثلاث أشرطة رأسية من الزخارف الهندسية تضم معينات ومثلثات وأشكال زخرفية محورة ، كما زخرف وجه عقد المحراب بشريط عريض يضم أشكال بيضاوية متصلة محصورة داخل اطارين من الخطوط المتقاطعة نتج عن تقاطعها أشكال معينات ويكتنف عند المحراب من الجانبين جامتان دائريتان تضم كل منها مثلث كبير يحصر بداخله ثلاثة مثلثات عند القاعدة يعلوها معينان ثم معين واحد ، ويحيط بالمثلث الكبير داخل الجامة أشكال مثلثات متبادلة مقلوبة ومعدولة .

ويلاحظ على زخارف هذا المحراب أنها تختلف عن زخارف بقية أجزاء الجامع الأخرى كما أنها لا ترقى من حيث الدقة والإتقان إلى درجة زخارف أجزاء الجامع الأخرى [١] .

القسم الغربى : يمثل امتداداً لرواق المحراب نحو الغرب على هيئة مساحة شبه مربعة أبعادها « ٦٠ر٣ × ٠٥ر٤ » تفتح بكامل اتساعها على رواق المحراب وعلى القبة المجاورة لها من الجهة الجنوبية ، يتوسط كل من ضلعى القبة الشمالى والغربى شباك اتساعه « ٧٥ سم » وارتفاعه « ٣٥ر١ م » وعمقه « ٩٠ سم » يغلق على الشباك الغربى مصراعا باب من الخشب ـ مستحدث ـ بينما سد الشباك الشمالى من الخارج لأسباب مجهولة ، وعلى يسار هذا الشباك

---

(١) انظر ، مناقشة السبب فى ذلك فى الفصل الثالث من الباب الثالث .

كتبية مستطيلة اتساعها « ٩٥ سم » وارتفاعها « ٥٤ر١ م » وعمقها « ٤٥ سم » مخصصة لحفظ الكتب والمصاحف .

وقد غُطى هذا القسم بقبة قطاعها مدبب ارتفاعها عن الأرض « ٦٠ر٧ م » مبنية بالآجر ومكسوة بطبقة من النورة ، تقوم على رقبة دائرية محمولة على مثمن يستند على أربع مناطق انتقال كل منها يتكون من مثلث الانتقال على الجدارين الشمالى والغربى للجامع بالإضافة إلى عقدين : أحدهما شرقى يطل على قبو المحراب والآخر جنوبى يطل على القبة الغربية للرواق الثانى ، اتساعه « ٦٠ر٣ م » وارتفاعه « ٧٠ر٣ م » وسمكه « ١ م » .

الرواق الثانى من المصلى :

يسير الرواق الثانى للمصلى بموازاة رواق المحراب طول « ٢٥ م » وينقسم إلى ثلاث أقسام مماثلة لأقسام رواق المحراب :

القسم الأوسط : يمتد من الشرق إلى الغرب بطول « ٦٥ر١٠ م » وعرض « ٠٥ر٤ م » ، وهو بذلك أقل طولاً من القسم الأوسط لرواق المحراب بـ « ١٥ سم » وهذا القسم مغطى بقبو مدبب مبنى من الآجر ومكسو بطبقة من الملاط يبلع ارتفاع القبو « ٢٠ر٧ م » يستند ضلعاه الطويلان على عقود بائكتى المحراب والصحن ، ويستند ضلعاه القصيران على عقدين مدببين عموديين على بائكة المحراب ، أحدهما شرقى اتساعه « ٥٠ر٢ م » وارتفاعه « ٩٠ر٢ م » وسمكه « ١ م » والآخر غربى اتساعه « ٣٠ر٣ م » ارتفاعه وسمكه « ٣٥ر١ م » .

وكانت جدران هذا القسم تشتمل على زخارف متنوعة كتابية وهندسية ونباتية ، لم يتبق منها سوى أمثلة بسيطة اختفى معظمها تحت طبقات الطلاء ، حيث زخرفت أوجه عقود بائكة المحراب المطلة على الرواق الثانى بشريط من الزخارف الكتابية يدور حول العقود ويعلوه شريط آخر يسير حول الجزء العلوى من بائكتى الصحن والمحراب وكذلك العقدان العموديان على بائكة المحراب ، حيث يدور على هيئة اطار حول ما يشبه فتح مستطيلة معقودة مما يدل على أنه كان يعلو هذين العقدين فتحات مستطيلة معقودة كان الشريط يدور حولها ، والشريط المذكور مكون من إطارين ضيقين من الزخارف عبارة عن مجموعة من الخطوط المتكسرة والمتقاطعة نتج عن تقاطعها أشكال معينات ومثلثات ، يحصر الإطاران الضيقان بينما شريطاً عريضاً من الزخارف الكتابية [1] على مهاد من الزخارف النباتية لأوراق ثلاثية وأفرع

---

(١) ليس من السهل قراءتها بسبب ملاط النورة المغطاة به .

أعلى العقود العمودية وكذلك بدن العقبو بأشكال معينات مكررة تحصر بداخلها ما يشبه الأوراق الثلاثية [١] أما بقية أجزاء هذا الرواق فتخلو من أى زخارف [٢] .

القسم الشرقى : يمثل امتداداً للرواق على هيئة مساحة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب بطول « ٨ر٢٥ م » قسمت إلى مساحتين شبه مربعتين بواسطة عقد عمودى على بائكة المحراب ، يغطى كل مساحة منهما قبو مدبب :

القبو الغربى : يتكون من مساحة مربعة أبعادها « ٣ر٧٥ × ٣ر٩ م » مغطاة بقبو مدبب ارتفاعه « ٥ر٦٠ م » محمول على أربعة عقود مدببة : الأول غربى يفصل بين هذا القبو والقسم الأوسط والثانى جنوبى يطل على القبو الغربى من المجنبة الشرقية اتساعه « ١ر٥٠ م » وارتفاعه « ١ر٨٧ م » وسمكه « ١ م » ، والثالث شرقى يطل على القبو الشرقى من الرواق اتساعه « ٢ر٤٠ م » وارتفاعه « ٣ر٣٠ م » وسمكه « ١ر٠٥ م » ، والرابع شمالى ملتصق بالعقد الجنوبى الحامل لقبة رواق المحراب وإن كان عقد القبو أكثر ارتفاعاً من عقد القبة ، حيث يبلغ ارتفاعه « ٤ر٣٦ م » واتساعه « ٣ م » وسمكه « ٩٠ سم » .

القبو الشرقى : يتكون أيضاً من مساحة شبه مربعة أبعادها « ٣ر٤٥ × ٣ر٣٠ م » مغطاة بقبو مدبب ارتفاعه « ٥ر٦٠ م » ، تستند أضلاعه على الجدار الشرقى للجامع بالإضافة إلى ثلاثة عقود : الأول شمالى ملتقص بعقد القبة الشمالية الشرقية من رواق المحراب اتساعه «٢ر٨٥ م » وارتفاعه « ٤ر٣٦ م » وسمكه « ٨٠ سم » ، والثانى جنوبى مشترك مع القبو الشرقى من المجنبة الشرقية ، اتساعه « ١ر٥٠ م » وارتفاعه « ٢ر٩٠ م » وسمكه « ١ م » ، والثالث غربى مشترك مع القبو الغربى السابق ذكره .

يطل القبو على الخارج بشباك اتساعه « ١ر٠٥ م » وارتفاعه « ١ر٤٥ م » وعمقه «٩٠سم» يغلق عليه مصراعا باب من الخشب [شكل ١٢] .

القسم الغربى : يتكون من مساحة مستطيلة أبعادها « ٣ر٦٠ × ٤ر٣٠ م » مغطاة بقبة مدببة ارتفاعها « ٧ر٦٠ م » مبنية من الآجر ومكسوة بملاط من النورة ، تتكون من أربع مناطق انتقال مكونة من مثلثات كروية ذات أشكال دالية ـ مشابهة لمثلثات قباب رواق المحراب ـ حولت المربع إلى مثمن يحمل الرقبة الدائرية ، والتى تحمل بدورها خوذه مدببة مغطاة بطبقة

---

(١) لا يمكن تبينها بدقة بسبب طبقات التى تغطيها.

(٢) انظر «السبب فى ذلك فى الفصل الثالث من الباب الثالث.

من الملاط ، تستند مناطق الانتقال المذكورة على الجدار الغربى للجامع بالإضافة إلى ثلاثة عقود مدببة : الأول شمالى مشترك مع القبة الغربية من رواق المحراب ، والثانى شرقى مشترك مع قبو القسم الأوسط من الرواق الثانى للمصلى ، والثالث جنوبى مشترك مع القبة الشمالية من المجنبة الغربية ، اتساعه « ٥٠ر١ م » وارتفاعه « ٤٣ر٢ م » وسمكه «٠٥ر١ م » .

وتطل هذه القبة على الخارج من خلال شباك مستطيل فتح فى جدارها الغربى اتساعه « ٧٥ سم » وارتفاعه « ٣٢ر١ م » وعمقه « ٨٥ سم » .

الإيوان :

يطل على الصحن من الجهة الجنوبية إيوان شبه مربع أبعاده « ٩٥ر٤ × ٣٥ر٤ م » أرضيته أكثر ارتفاعاً من مستوى أرضية الصحن بـ « ٢٠ سم » ، وقد بنيت جدران الإيوان بواسطة قوالب الآجر بسمك « ٠٥ر١ م » بالنسبة للجدارين الشرقى والغربى وسمك « ٣٥ر١ م » بالنسبة للجدار الجنوبى ، ويغطى الإيوان قبو مدبب ارتفاعه « ١٠ر٦ م » مبنى أيضاً بقوالب الآجر بنفس بناء أقبية الظلات الأخرى .

ويكتنف الإيوان مدخلان : الأول شرقى يؤدى إلى دركاة المدخل ، والآخر غربى يؤدى إلى القاعة المستطيلة الغربية .

وكان الإيوان يشتمل على زخارف نباتية وهندسية وكتابية تغطى الجدران وبدن القبو ، اختفت معظمها تحت طبقات الطلاء ، تبدأ الزخارف من ارتفاع « ٥٠ر١ م » عن الأرض بشريط يدور حول جدران الإيوان يتكون من اطارين ضيقين من الزخارف قوامها خطوط مقوسة متقاطعة تشبه أفرع العنب ، يحصر الإطاران بينهما شريطاً عريضاً من الزخارف الكتابية محفورة حفراً بارزاً تضم آيات قرآنية نفذت بالخط النسخى على مهاد من الفروع النباتية والأوراق الثلاثية وأنصاف المراوح النخيلية . حيث يبدأ النص الكتابى من بداية الجدار الغربى للإيوان بقوله تعالى : ﴿بسم الله الرحمن الرحيم يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيرا ، ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيرا إنما نطعمكم) وتستمر على الجدار الجنوبى ﴿ لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكورا إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريرا فوقاهم الله ذلك اليوم ولقاهم نظرة وسروراً وجزاهم بما صبروا جنة وحر ﴾ ،

ويكتمل النص على الجدار الشرقى للإيوان بقوله تعالى ﴿ يرا متكئين فيها على الأرائك لايرون فيها شمساً ولا زمهريراً ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا . صدق الله العظيم ﴾ [1] [شكل ٢٨] .

ويعلو هذا الشريط على جدران الإيوان وبدن القبو زخارف محفورة حفراً خفيفاً قوامها أطباق نجمية ثمانية وإثنى عشرية وأنصافها ملونة باللون الأحمر والأسود والدهنى مشابهة لتلك الموجودة على قبو المحراب من ظلة القبلة .

القاعة الجنوبية الغربية :

يكتنف الإيوان من الجهة الغربية قاعة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب بطول « ٧٥ر٦م » وعرض « ٤٥ر٣ م » قسمت إلى مساحتين شبه مربعتين الشرقية منهما أبعادها « ٧٠ر٢ × ٤٥ر٣ م » والغربية « ٣٠ر٣ × ٤٥ر٣ م » ، يغطى كل مساحة منهما قبة مدببة محمولة على أربع مناطق انتقال مكونة من مثلثات كروية تبرز منها أشكال دالية ، وقد حولت هذه المثلثات الكروية مربع القبة إلى مثمن شغلت أضلاعه وزواياه بصفين من المقرنصات حولت المثمن إلى دائرة رقبة القبة ومناطق انتقال القبتين محمولة على سبعة عقود ستة منها ملاصقة للجدران والسابع مشترك بين القبتين ، ارتفاع كل عقد منها « ٢٠ر٣ م » وسمكه « ٧٥ سم » .

وهذه القاعة تطل على الخارج بشباكين معقودين فى جدارها الجنوبى اتساع كل منهما «٧٥سم » وارتفاعه « ١ م » وعمقه « ٦٥ سم » ، يغشى كل شباك ستارة جصية مخرمة على هيئة معينات ، كما تفتح هذه القاعة على الصحن بفتحة معقودة فى الجدار الشمالى للقبة الشرقية اتساعها « ٢٠ر١ م » وارتفاعها « ٩٠ر٢ م » وعمقها « ١ م » ، كما تفتح أيضاً على القبة الجنوبية من المجنبة الغربية بفتحة معقودة اتساعه « ٨٠ر١ م » وارتفاعها « ٩٠ر٢ م » .

الحجرة الجنوبية الشرقية :

يكتنف دركاة المدخل من الجهة الشرقية حجرة شبه مرتفعة أبعادها « ٣٠ر٣ × ٦٠ر٣ م» ، مغطاة بقبو مدبب [شكل ٢٩] مماثل لقبو الدركاة وأقبية المجنبة الشرقية .

---

(١) سورة الإنسان ، الآيات ٧ ـ ١٤ .

يتم الوصول إلى هذه الحجرة من خلال فتحة باب فى ضلعها الغربى - الشرقى بالنسبة للدركاة - اتساعه « ٣٥ر٢ م » وارتفاعه « ٨٠ر٢ م » ، وفى الضلع الجنوبى للحجرة فتحة شباك سدت حالياً بجدار أقل سمكاً من الجدار الأصلى ولذلك يظهر عمق الشباك على هيئة كتبية .

أما عن وظيفة الحجرة فإنه لا يمكن تحديدها بدقة ولذلك من المرجح أن تكون مخصصة لإحدى الوظائف الثلاثة الآتية :

* لاقامة أحد المرتبين فى الجامع وهم : الإمام ، القيم ، المؤذن ، ناظر المدرسة ، ناظر الوقف ، المدرسين .
* كتاباً (معلامة) لتحفيظ القرآن الكريم لأيتام المسلمين .
* مخزن لآلات الجامع وغلات أوقافه مثل : الفرش والسرج والشموع . . . الخ .

المجنبة الشرقية :

تتكون المجنبة الشرقية من مساحة مستطيلة تمتد من الشمال إلى الجنوب بطول « ٥٠ر١٠ م» وعرض « ٢٥ر٨ م » ، تنقسم إلى بلاطتين عموديتين على المصلى بواسطة بائكتين من الدعامات المستطيلة تحمل عقوداً مدببة فاطمية الطراز .

البلاط الغربية :

يبلغ طول هذه البلاطة « ٥٠ر١٠ م » ، واتساعها « ٩٠ر٣ م » مغطاة بقبو مدبب ارتفاعه « ٢٠ر٦ م » مبنى بالآجر ، يستند ضلعاه الطويلان على بائكتين معقودتين احداهما تطل على الصحن والأخرى مشتركة مع البلاطة الشرقية ، مكونة من دعامة فى الوسط طولها «٧٥ر١م» وعرضها « ٠٣ر١ م » تحمل - بالإشتراك مع كتف فى الطرف الجنوبى للقبو ملتصق بجدار دركاة المدخل وكتف فى الطرف الشمالى للقبو ملتصق بالدعامة المتعامدة المشتركة مع بائكة الصحن - عقدان مدببان اتساع كل منهما « ٧٠ر٢ م » وارتفاعه « ٢١ر٣ م » وسمكه «٠٣ر١ م » ، أما ضلعاه القصيران فيستند الشمالى على عقد مشترك مع الرواق الجنوبى للمصلى ، ويستند الجنوبى على جدار دركاة المدخل ، وقد فتح فى الطرف الجنوبى من الجدار الشرقى لهذه البلاطة كتبية مستطيلة ارتفاعها « ٢٠ر١ م » واتساعها « ٧٠ سم » وعمقها « ٤٥ سم » وهذه الكتبية ربما كانت فى الأصل مدخلاً يفضى إلى حجرة السلم .

البلاطة الشرقية :

تمثل هذه البلاطة مساحة مستطيلة طولها « ٦٥ر٨ م » وعرضها « ٣٠ر٣ م » وهى فى ذلك أقل طولاً من البلاطة الغربية لوجود حجرة السلم المقتطعة منها فى الطرف الجنوبى ، وقد فتح فى الجدار الشرقى للبلاطة كتبيتان احداهما فى الطرف الشمالى للجدار والأخرى فى الطرف الجنوبى ، تتكون كل منهما من دخلة مستطيلة ارتفاعها « ٦١ر١ م » واتساعها « ٢٠ر١ م » وعقمها « ٦٠ سم » وربما كانت الكتبيتان عبارة عن شباكين لإضاءة البلاطة وخاصة أنه لا توجد شبابيك فى هذا القبو سوى عدد من الفتحات الصغيرة المعقودة تشغل الجزء العلوى من الجدار والتى لا تسمح بدخول الإضافة الكافية ، مع ملاحظة ترك المساحة الوسطى فيما بين الكتبيتين خالية من أى فتحات وربما كانت تضم كتبية أو شباكاً ثالثاً لإضاءة البلاطة وتم سده بعذ ذلك لأسباب غير معروفة ، وقد غطيت البلاطة أيضاً بقبو مدبب ارتفاعه « ٢٠ر٦ م » ، يستند ضلعاه الطويلان على الجدار الشرقى للجامع وعلى عقود البائكة المشتركة مع القبو الغربى ، أما ضلعاه القصيران فيستند الشمالى على عقد مشترك مع القبو الشرقى للرواق الجنوبى من المصلى ويستند الجنوبى على جدار حجرة السلم .

المجنبة الغربية : [شكل ١٤]

تختلف المجنبة الغربية عن المجنبة الشرقية من حيث المساحة والتغطيات فهى مكونة من مساحة مستطيلة تمتد من الشمالى إلى الجنوب بطول « ٥٠ر١٠ م » وعرض « ٩٠ر٣ م » تشكل بلاطة واحدة عمودية على المصلى ، قسمت إلى مساحتين شبه مربعتين أبعاد كل منها «٦٥ر٤× ٩٠ر٣ م » بواسطة عقد مدبب عمودى على جدارى المجنبة اتساعه « ٦٠ر٣ م » وارتفاعه « ١٠ر٤ م » وسمكه « ٢٠ر١ م » تستند احدى رجليه على الجدار الغربى للجامع بينما تستند الرجل الأخرى على كتف ملتصق بالجدار الشرقى للمجنبة يبرز عنها « ٣٠ سم » وسمكه « ٢٠ر١ م » .

يغطى كل من مساحتين المذكورتين قبة مدببة تقوم على رقبة دائرية محمولة على مثمن ترتكزعلى أربع مناطق انتقال تتكون كل منها من عدد من المقرنصات الدالية تبدأ بواحدة وتنتهى بعشر حطات ، تستند مناطق انتقال القبة الشمالية منها على الجدار الغربى للجامع وثلاثة عقود مدببة : الأول شمالى مشترك مع القبة الغربية من الرواق الجنوبى للمصلى ، والثانى شرقى يطل على الصحن ، والثالث جنوبى مشترك مع القبة المجاورة لها من ناحية الجنوب .

أما مناطق انتقال القبة الجنوبية من المجنبة الغربية فتستند أيضاً على الجدار الغربى للجامع وثلاثة عقود : الأول شمالى مشترك مع القبة الشمالية ، والثانى شرقى يطل على الصحن ، والثالث جنوبى مشترك مع القاعة الجنوبية الغربية من المجنبة الجنوبية اتساعه « ٨٠ر١ م» وارتفاعه « ٨٦ر٢ م » وسمكه « ١ م » .

ويلاحظ أن هذه المجنبة كانت تفتح على الصحن بثلاث فتحات معقودة تم سد الفتحة الوسطى وبنى ملاصقاً لها الكتف الحامل للعقد المشترك بين قبتى الظلة عندما أعيد بناء تغطيات هذه المجنبة .

وتتصل المجنبة الغربية بالميضأة المجاور لها من الخارج بواسطة فتحة باب يقع فى الطرف الجنوبى للمجنبة اتساعه « ٣٥ر١ م » وارتفاعه « ٦٥ر٢ م » وعمقه « ٠٣ر١ م » .

ملحقات الجامع :

يشتمل الجامع على ملحقين مهمين هما : الميضأة ـ البئر [شكل ١٠]

(أ) الميضأة : [شكل ٣٠]

تقع الميضأة فى الجهة الجنوبية الغربية من الجامع ، ملاصقة للجزء الجنوبى من الواجهة الغربية ، وهى عبارة عن مساحة مستطيلة تمتد من الشمال إلى الجنوب بطول « ٥٠ر١٤ م » وعرض « ٥٠ر٨ م » محاطة بثلاثة جدران ـ من الجهات : الجنوبية طوله « ٥٨ر٨ م » والشمالية طوله « ٢٥ر٨ م » والغربية طوله « ٧٧ر١٤ م » ـ مبنية بقوالب الآجر المحروق بسمك « ٥٠ سم » على هيئة صفوف أفقية تتخللها على مسافات معينة مداميك من الأحجار الصغيرة غير المهندمة ، وكانت الجدران مكسوة بطبقة من الملاط سقط الجزء السفلى منها ، ويتوج الجدران صف من قوالب الآجر على هيئة مثلثات قمتها لأعلى وقاعدتها لأسفل .

يتم الوصول إلى الميضأة عن طريق فتحة باب يقع فى الطرف الغربى للجدار الجنوبى اتساعه « ٧٥ سم » وارتفاعه « ٨٠ر١ م » وكذلك من خلال فتحة باب يصل بين الميضأة والجنبة الغربية للجامع .

يتوسط الميضأة بركة مستطيلة تمتد من الشمال إلى الجنوب بطول « ٧ م » وعرض « ٢٠ر٤م» وعمق « ٥ر١ م » تملأ بالمياه التى تتجمع من الأمطار الساقطة على سطح الجامع ، وفى المواسم القليلة المطر يتم تزويد البركة بالمياه من البئر المجاورة للجامع .

يحاذى البركة من الجهة الشمالية حوض مستطيل يمتد من الشرق إلى الغرب بطول « ٢٠ر٤ م » وعرض « ٢ م » وعمق « ٥٠ سم » تصب فيه المياه الآتية من سطح الجامع ومن المجرى المائى الممتد من البئر حتى البركة بهدف تصفيتها من الشوائب ثم تخرج المياه من الحوض إلى البركة بعد تصفيتها .

ويوجد بجوار البركة على امتداد الضلع الغربى لها عدد من حمامات الوضوء [1] يتكون كل منها من حجرة مربعة « ١ × ١ م » فى صدر كل حمام منها دخلة مستطيلة يوضع فيها الإناء الذى تؤخذ بواسطته المياه من البركة وكذلك أمتعة المتوضئ الخاصة أثناء الوضوء .

(ب) البئر : [شكل ٣١]

يتم تزويد الجامع بما يحتاجه من مياه من خلال مياه الأمطار التى تتجمع على سطح الجامع وتنساب عبر مجارى هابطة ملاصقة لجدار الواجهة الغربية وتصل إلى الحوض ومنه إلى البركة ، وفى المواسم القليلة المطر يتم تزويد الجامع بالمياه اللازمة والتى تستخرج من بئر مجاورة للركن الشمالى الغربى للجامع وهى عبارة عن حفر دائرية الشكل قطرها « ٣ م » وعمقها « ٢٠ م » مبنية بالآجر يعلوها دعامتان مربعتان يصل بينهما حامل من الخشب توضع عليه حبال الدلاء التى تجر بواسطتها المياه من قعر البئر لتصب فى حوض مستطيل مجاور للبئر من الجهة الشمالية أبعاده « ١ × ١٥ م » مبنى بالآجر ومكسو بطبقة من القضاض [2] ، ومن هذا الحوض تنساب المياه إلى مجرى مائى ينقل المياة إلى الحوض المجاور للبركة ، يتكون المجرى من جدار سميك مبنى بالآجر بارتفاع « ١ م » ينقسم من أعلاه إلى جدارين تتوسطهما قناة مكشوفة ميكسوة بالقضاض . ويوجد بجوار البئر من الجهة الغربية حوض مستطيل طوله « ١ م » وعرضه « ٧٥ سم » وعمقه « ٢٥ سم » مخصص لشرب الدواب والذى يملأ بالمياه من خلال فتحة فى الضلع الغربى للحوض الشمالى .

وفى الجهة الجنوبية من البئر حجرة مربعة الشكل مخصصة لحفظ آلات البئر كالآت سحب المياه ـ الحبال والدلاء ـ وآلات تنظيف البئر والمجرى المائى .

---

(١) هذه الحجرات مخصصة للإستنجاء حيث يأخذ المرء المياه من البركة بواسطة إناء ويذهب للإستنجاء فى هذه الحجرات ، أما بالنسبة لعملية الوضوء نفسها فتتم مباشرة من البركة .

(٢) سبق تعريف القضاض .

الفصل الثانى
المساجد الصغرى الباقية بمدينة حيس

تضم مدينة حيس تسعة عشر مسجداً ـ غير الجامع الكبير ـ من المساجد الصغرى ، منها اثنا عشر [1] مسجداً شيدت خلال عصرى الدولتين الرسولية والطاهرية ، منها سبعة مساجد مازالت على عمارتها الأصلية [2] وهى التى سوف تكون موضوع الدراسة فى هذا الفصل وهى :

١ ـ مسجد الكيلة .

---

(١) بالنسبة للمساجد السبعة الأخرى فإن ثلاثة مساجد منها تعود إلى ما قبل العصر الرسولى وهى مسجد الجبارى وهو مسجد مجهول المنشى والنسبة ، ومسجد الجيلانى نسبة إلى شيخ الطريقة الصوفية المعروفة بالقادرية واسمه «عبد القادر بن موسى الجيلانى المتوفى سنة (٥٦١هـ/ ١١٦٦م) (انظر) عبدالله محمد الحبشى، الصوفية والفقهاء فى اليمن، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، ص ٣٩. وكذلك مسجد الموفى الأسفل والذى من المحتمل أنه جدد فى العصر الطاهرى نظرا لتشابه زخارفه المعمارية مع زخارف المدرسة الهتارية بحيس، والمساجد الأربعة الأخرى ربما بنيت فى الفترة ما بين سقوط الدولة الطاهرية سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م واستيلاء العثمانيين على اليمن سنة ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م، حيث كانت الدولة الطاهرية قد سقطت على يد جيش الدولة المملوكية الجركسية فى مصر والتى سقطت أيضا وفى نفس السنة على يد العثمانيين فأعلن قادة الحملة المملوكية على اليمن ولائهم للدولة العثمانية وحكموا باسمها حتى أرسل العثمانيين واليا على اليمن وهو سليمان باشا الخادم سنة ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م، وقد استمر العثمانيين يحكمون اليمن حتى سنة ١٠٤٥م/ ١٦٣٥م، عندما تمكن الإمام المؤيد محمد بن القاسم من إخراجهم من اليمن. (انظر) سيد مصطفى سالم، الفتح العثمانى، ص ١٥٥ ـ ١٦٩ ـ ٤٠٤ ـ ٤٠٥.

(٢) أما بالنسبة للخمسة مساجد الأخرى فقد أعيد تجديد مسجدين منها فى العصر العثمانى وبنفس طرازهما المعمارى وهما مسجد الهنود الذى كان يقيم فيه حجاج الهند أثناء توجههم إلى مكة حيث كانت سفن حجاج الهند تصل إلى عدن ومنها يتوجهون برا إلى مكة مرورا بحيس، ومسجد الطواشى ويعرف حاليا باسم الطاوسى والذى ربما ينسب إلى أحد طواشية العصر الرسولى وخففت الكلمة إلى الطاوسى، وأما المساجد الثلاثة الأخرى فقد هدمت تماما فى العصر الحديث وأعيد بنائها بمواد بناء وتغطيات حديثة وهذه المساجد هى، مسجد السيد جعفر والذى كان باقيا حتى سنة ١٩٨٢م حيث يظهر فى الصور الجوية للمدينة بنفس تخطيطه الأصلى، ومسجد الدحن، ومسجد الدقاق.

٢ ـ مسجد ابن أبى الخل .
٣ ـ مسجد ابن على .
٤ ـ مسجد البخارى (الحضرمى) .
٥ ـ مسجد الموفى الأعلى .
٦ ـ مسجد الخامرى .
٧ ـ مسجد ركيز .

ونظراً لأن هذه المساجد يتكون كل منها من وحدات معمارية منفصلة عن بعضها تقريباً ، وأهم وحدة معمارية فيها هو المصلى الذى ميزه المعمار عن غيره عن طريق بنائه أكثر ارتفاعاً من بقية الوحدات فضلاً عن زخرفته أحياناً وشطف أركانه ، وأما باقى الوحدات وخاصة الفناء فإن المعمار لم يهتم به بل ان الجدران التى تحيط به جاءت بسيطة وتخلو من أى مميزات معمارية .

ولذلك فقد قمت بوصف أهم جزء فى المسجد وهى المصلى من الخارج والداخل ثم تلاه يوصف الفناء وما يشتمله من عناصر كالمئذنة والميضأة ، ويلى ذلك باقى العناصر الأخرى إن وجدت .

١ ـ مسجد الكيلة

الموقع :

يقع مسجد الكيلة وسط ربع السوق فيما بين مسجد الجبارى من الجنوب ومسجدى الهنود وعبد القادر الجيلانى من الشمال ، والمسجد فى موقعه هذا يتوسط الحى التجارى للمدينة .

المنشئ والتسمية :

هذا المسجد من المساجد المجهولة التاريخ والمنشئ نظراً لعدم نسبته إلى شخصية معينة بالإضافة إلى عدم ذكر المصادر والمراجع لاسم بانيه أو تاريخ بنائه ، وزاد من صعوبة التعرف على تاريخ بنائه خلوه من أى كتابات يمكن أن توضح تاريخ البناء [١] .

---

(١) أمكن تأريخ هذا المسجد من خلال الدراسة التحليلية والمقارنة للتخطيط والعناصر المعمارية . (انظر) الخاتمة .

أما عن تسميته « بمسجد الكيلة » فترجع إلى وقوعه بجوار السوق المخصص لبيع الحبوب والذى يعرف باسم « سوق الكيلة » نسبة إلى الوعاء الذى تقاس به الحبوب والمعروف بالمكيال .

الوصف المعمارى : [شكل ٣٢]

يتكون مسجد الكيلة من مساحة مستطيلة تمتد من الشمال إلى الجنوب بطول « ٥٠ر١٢ م » وعرض « ١١ م » من الشرق إلى الغرب ، تضم مصلى يشغل القسم الشمالى من المساحة ، وفناء فى القسم الجنوبى بالإضافة إلى مئذنة وميضأة وبئر .

• المصلى :

يتكون المصلى من الخارج من مساحة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب بطول « ٩ م » وعرض « ٣٠ر٥ م » محاطة بأربعة جدران مبنية بواسطة قوالب الآجر بسمك « ١ م » وارتفاع « ٢٥ر٣ م » ومكسوة بطبقة من النورة .

تطل الواجهة الجنوبية [شكل ٣٣] على الفناء بطول « ٨ م » يتوسطها كتلة محراب الفناء التى تتكون من كتف بارز عن الواجهة بمقدار « ٢٠ سم » واتساع « ٦٠ر١ م » وارتفاع «٧٥ر٢م » تنتهى من أعلاها بشكل مشطوف ، يتوسط كتلة المحراب دخلة مستطيلة اتساعها «٦٧ سم » وارتفاعها « ٢ م » وعمقها « ٦٠ سم » متوجة بعقد مدبب الدخلة حنية محراب باتساع « ٤٥ سم » وارتفاع « ٦٠ر١ م » متوجة بعقد مدبب أيضاً .

ويكتنف المحراب من الجانبين بابان يفضيان من الفناء إلى داخل المصلى [شكل ٣٣] يتكون كل منهما من فتحة رأسية متوجة بعقد منكسر : الباب الشرقى اتساعه « ٦٠ر١ م » وارتفاعه « ٩٥ر١ م »« والغربى اتساعه « ١٨ر١ م » وارتفاعه « ٩٥ر١ م » .

وتتصل هذه الواجهة بكل من الواجهتين الشرقية الغربية يركن مشطوف من أسفل ينتهى بمقرنصات بسيطة ذات ثلاث حطات وكذلك الحال بالنسبة لاتصال الواجهتين المذكورتين مع الواجهة الشمالية .

والواجهات الثلاث الأخرى ـ الشمالية والشرقية والغربية ـ ملاصقة للمنازل المجاورة بحيث لا يمكن معها وصف هذه الواجهات وان كان من المرجح أنها كانت تطل على شوارع

مجاورة نظراً لوجود الأركان المشطوفة التى غالباً ما يراعى عملها احتراماً للطريق العام ، ويتوج واجهات المسجد شرافات متباعدة على هيئة رأس السهم والتى سبق أن رأيناها فى شرافات الجامع الكبير .

وقد غطى المصلى بقبتين مدببتين [شكل ٣٤] تتكون كل منهما من الخارج من مثمن يعلو مستوى السطح بحوالى « ١٥ سم » يحمل رقبة إسطوانية تستند عليها القبة المدببة والتى تنتهى بعمود من المعدن على هيئة حربة تتقاطع مع شكل هلال ، ويزين بدن القباب من الخارج صفوف من الثقوب المصمتة بالإضافة إلى كسوتها بطبقة من ملاط النورة البيضاء .

وأما من الداخل فإن المصلى يتكون من مساحة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب بطول «٧ م » وعرض « ٣٠ر٣ م » من الشمال إلى الجنوب ، قسمت بواسطة عقد عمودى على جدار القبلة إلى مساحتين شبه مربعتين أبعاد كل منها « ٠٥ر٣ × ٣٠ر٣ م » ارتفاع العقد « ٩٠ر٢ م » واتساعه « ٧٥ر٢ م » وسمكه « ٩٠ سم » تستند رجلاه على كتفين : جنوبى يبرز عن الجدار الجنوبى بـ « ٢٠ سم » وعرض « ٩٠ سم » وشمالى يبرز عن جدار القبلة بـ «٣٥سم» وعرض « ٦٠ر١ م » يتفرع إلى فرعين يحصران بينهما حنية المحراب [شكل ٣٥] .

يغطى كل من المساحتين قبة مدببة الشكل ارتفاعها عن الأرض « ٦ م » تقوم على رقبة دائرية محمولة على مثمن شغلت زواياه وأضلاعه بستة صفوف ذات أشكال دالية مشابهة لمناطق الانتقال المتصلة معها ، يرتكز المثمن على أربع مناطق انتقال على هيئة مثلثات كروية شغلت بعدة صفوف من الأشكال الدالية . فى حين شغلت رقبتى القبتين بقطعتين خشبيتين تمتدان من الشمال إلى الجنوب تعلق عليهما سرج الإضاءة .

● **المحراب :**

يتوسط الجدار الشمالى محراب يقع داخل الكتف الشمالى الحامل لعقد القبتين ، وهو مكون من دخلة اتساعها « ٩٠ سم » وارتفاعها « ٨٥ر١ م وعمقها « ٨٣ سم » متوجة بعقد مدبب زين وجهه بعقد زخرفى خماسى الفصوص .

وأما الجدران الشرقى والغربى للمصلى فيشغل كل منهما كتبية اتساعها « ٨٠ سم » وارتفاعها« ١ م » وعمقها « ٣٥ سم » توضع فيهما المصاحف والكتب الموقوفة على المسجد ، كما يكتنف البابين فى الجدار الجنوبى دخلتان صغيرتان أبعادها « ٢٠ × ٨٠ × ١٨ سم » يتوج

كل منها عقد ثلاثى المفصوص يشبه الورقة الثلاثية الغائرة ، وهذه الدخلات احداها مخصصة لحفظ أمتعة المصلين أثناء الصلاة والأخرى مخصصة لوضع قنديل أو مشكاة للإضاءة .

• الفناء :

يشغل الفناء الجزء الجنوبى من المسجد ، وهو أكثر اتساعاً من المصلى إذ يبلغ طوله من الشرق إلى الغرب « ١١ م » ومن الشمال إلى الجنوب « ٧ر٢٠ م » محاط بثلاثة جدران من الجهات الشرقية والغربية والجنوبية ـ بالإضافة إلى الواجهة الجنوبية للمسجد من الجهة الشمالية ـ مبنية بقوالب الآجر بسمك (٥٠سم) وارتفاع (٢م) متوجه بصف من قوالب الآجر المثلثة وضعت قاعدتها لأسفل وقمتها لأعلى كنوع من الشرافات وقد كسيت جدران الفناء بطبقة من النورة بينما فرشت أرضيته بطبقة من القضاض .

وفى الطرف الغربى من الجدار الجنوبى من الفناء المدخل الوحيد للمسجد وهو من النوع البسيط الخالى من أى مظاهر جمالية ، يتكون من كتلة مدخل أكثر ارتفاعاً من جدار الواجهة حيث يبلغ ارتفاعها « ٥٠ر٢ م » يتوسطها باب اتساعه « ١ م » وارتفاعه « ٩٠ر١ م » يفضى إلى الفناء وكان يغلق عليه مصراعان من الخشب استبدل حديثاً بباب من الحديد .

• المئذنة : [شكل ٣٦]

تقع فى الركن الجنوبى الشرقى من الفناء ارتفاعها « ٥ م » ، مكونة من قاعدة شبه مربعة أبعادها « ٢٠ر١ × ٣٠ر١ م » وارتفاعها « ٢ م » ، بنيت جدرانها بواسطة الآجر بسمك « ٣٠ سم » ، وقد استغل المعمار تجويف القاعدة لعمل خزان مياه أبعاده « ٩٠ × ١٠٠ سم » يملأ بالمياه من بئر المسجد ومنه يأخذ المصلين بواسطة المغارف حاجاتهم من المياه للوضوء من خلال فتحتين معقودتين فى الضلع الغربى من الخزان ، وقد غطى الخزان بقبو نصف دائرى .

يعلو القاعدة ـ خزان المياه ـ بدن المئذنة شبه المربع أبعاده « ٢٠ر١ × ٣٠ر١ م » وارتفاعه « ٥٠ر٢ م » مجوف من الداخل بنيت جدرانه بقوالب الآجر بسمك « ٢٥ سم » ويغطى البدن قبة ضحلة ارتفاعها « ٥٠ سم » وفتح فى أضلاع البدن الجنوبية والشرقية والغربية ثلاث نوافذ ذات عقود مدببة فاطمية الطراز لتوزيع صوت المؤذن ، وفى الضلع الشمالى للبدن فتحة باب اتساعه « ٥٠ سم » وارتفاعه « ٣٠ر٢ م » متوج بعقد مدبب مماثل لعقود نوافذ البدن . يصعد

المؤذن إليه بواسطة سلم صاعد يبدأ من الفناء بثلاث درجات عمودية على الجدار الشرقي للفناء ثم ينكسر السلم يميناً باتجاه الجنوب بخمس درجات تنتهى عند باب المئذنة .

• البئر :

فى الركن الشمالى الشرقى للفناء توجد بئر عميقة ذات قطر مستدير أحيطت فوق سطح الأرض ببناء مربع أبعاده « ٩٠ × ٩٠ سم » وارتفاعه « ٢٫٤٠ م » يعلوه قطعة خشبية مستعرضة تسحب من عليها حبال الدلاء لنزع المياه من البئر .

• الميضأة :

وفى المساحة المحصورة بين المئذنة والبئر والتى يبلغ طولها « ٢٫٧٥ م » كانت توجد ميضأة ملاصقة للجدار الشرقى من الفناء على هيئة عدد من حمامات ومقاعد الوضوء ، حيث تنزع المياه من البئر وتصب فى الخزان أسفل المئذنة ومنه يأخذ المصلون المياه ويتوضأون فى الميضأة ، وقد أزيلت حمامات ومقاعد الوضوء لأسباب مجهولة ولكن أمكن الإستدلال على وجودها بواسطة الدخلات المستطيلة التى تشغل الجدار الشرقى للفناء ، وعددها ثلاث دخلات أبعادها « ٢٠ × ٤٠ × ٩٢ سم » قسمت كل دخلة إلى قسمين علوى وسفلى بواسطة قطع الأخشاب ، وكانت هذه الدخلات مخصصة لوضع أمتعة المصلين أثناء الوضوء ، وكذلك لوضع الأوانى الخاصة بالوضوء .

٢ ـ مسجد ابن أبى الخل

الموقع :

يقع مسجد ابن أبى الخل فى الطرف الشمالى لمقبرة حيس الشرقية على يمين الطريق المؤدية إلى قرية السلامة [١] الواقعة شمال شرق حيس ، والمقبرة المذكورة تفصل بين مسجد ابن أبى الخل فى الشمال ومسجد الخامرى فى الجنوب .

وموقع المسجد والمنازل الواقعة إلى الشمال منه تتبع الربع الشمالى لمدينة حيس المعروف بربع الحضرمى .

---

(١) الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ، جـ١ ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، طراز اعلام الزمن ، ص ٦٢ .

التسمية :

يعرف مسجد ابن أبى الخل حالياً باسم « مسجد البلخلى » وهى تسمية محرفة حدث بها اختصار لبعض الحروف وإضافة بعضها [1] . والتمسية الحقيقية للمسجد هى « مسجد ابن أبى الخل » نسبة إلى عالمين جليلين من علماء مدينة المهجم وهما : أبو العباس أحمد بن الحسن بن أحمد بن يوسف بن أبى الخل المتوفى سنة ٦٩٠ هـ/ ١٢٩١ م ، وابن عمه أبو عبدالله عبد الرحمن بن أحمد بن عبدالله بن محمد يوسف بن أبى الخل المتوفى أيضاً بحيس سنة ٧١٨ هـ/ ١٣١٨ م ، وهما من الفقهاء آل أبى الخل القاطنين فى مدينة المهجم والذين ذكر الشرجى أن عددهم يربو على ثلاث مئة وستين حافظاً للقرآن [2] .

ترجمة المنشئ :

ولد أبو العباس ليلة الأربعاء ١٦ شوال من سنة ٦٤٨ هـ/ ١٢٥٠ م فى مدينة المهجم ، تفقه بعمه صالح بن أحمد وبالإمام اسماعيل بن محمد الحضرمى [3] وبلغ درجة كبيرة من العلم حيث يصفه الخزرجى بأنه كان « فقيهاً بارعاً ماهراً عارفاً حجاجاً غواصاً على دقائق الفقه عارفاً بأخبار المتقدمين صاحب فنون متسعة بحيث كان وحيد عصره فى علمه » [4] ، ولما بلغ السلطان المظفر (٦٤٧ ـ ٦٩٤ هـ/ ١٢٤٩ ـ ١٢٩٥ م) كماله ونبله وسعة علمه وأنه يصلح للقضاء استدعاه إلى مدينة تعز ليوليه قضاء الأقضية فى تهامة ولكن الفقيه أبو العباس اعتذر عن قبول القضاء فقبل السلطان عذره ثم استأذن الفقيه من السلطان ليعود إلى بلده فأذن له وأثناء عودته توجع واشتد به الألم فوصل حيس مريضاً وتوفى بها يوم الأربعاء ٦ شوال سنة ٦٩٠ هـ/ ١٢٩١ م ، ودفن فى مقبرتها الشرقية على يمنين الخارج من مدينة حيس إلى قرية السلامة [5] .

---

(١) من عاد أهل اليمن اختصار الكلمات الطويلة وإضافة حروف أخرى عليها حتى يسهل نطقها ، وهو ما يعرف فى اللغة العربية باسم النحت « ومعناه تركيب كلمتين أو أكثر فى كلمة واحدة مثل ، الطلبقه وتعنى ، أطال الله بقاءك» ، أانظر ، أحمد حسين شرف الدين ، لهجات اليمن قديما وحديثا . مطبعة الجبلاوى ، القاهرة ، ١٩٧٠م ، ص ٥٤ ، فإذا ما طبقنا ذلك على كلمة (ابن أبى الخل) فقد حذفت كلمة (ابن) واستبدلت بأل التعريف وحذف حرف الياء من (أبى) وكذلك حذف حرف الألف من كلمة (الخل) وأضيف إلى آخرها ياء النسبة فأصبحت الكلمة (البلخلى) .

(٢) الشرجى ، طبقات الخواص ، ص ١٥١ ، عبد الرحمن بعكر ، كواكب يمانية ، ص ٥٦٧ .

(٣) الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ، جـ١ ، ص ٢٢٢ ، طراز اعلام الزمن ، ص ٦٢ .

(٤) الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ، جـ١ ، ص ٢٢٢ ، طراز اعلام الزمن ، ص ٦٢ .

(٥) الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ، جـ١ ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، طراز اعلام الزمن ، ص ٦٢ .

أما ابن عمه أبوعبدالله عبد الرحمن فقد كان أحد فقهاء المهجم وإن كنا لا نعرف متى ولد ولا بمن تفقه حيث اكتفى الخزرجي بوصفه أنه كان فقيهاً فاضلاً عارفاً كاملاً له معرفة بالحديث والتفسير والفقه وعلم الحقيقة [1] ولكن يمكن القول أنه تفقه على الأقل على يد الفقهاء من أسرة آل أبي الخل الذين يوصفون بعلم الفقه وحفظ القرآن [2] .

وكان هذا الفقيه قبل موته قد تعرضت أسرته لظلم شديد من والى مدينة المهجم فتوجه على رأس مجموعة من أقربائه إلى تعز لتقديم شكوى إلى السلطان المؤيد ضد والى المهجم وأثناء عودتهم من تعز مرض الفقيه فى الطريق ولم يصل حيس إلا وقد توفى فدفن بجوار ابن عمه سنة ٧١٨هـ [3] .

وسبب موت هذين الفقيهين يكتنفه الغموض لحدوثه أثناء عودتهما من تعز فقد توفى أبو العباس عقب اعتذاره عن تولى القضاء فى تهامة ولكن السلطان المظفر كره معاصاته له وأعطاه مهلة للتفكير ، ويبدو أن المتضررين من تولى هذا الفقيه القضاء فى تهامة أرادوا أن يقطعوا عليه خط الرجعة في قبول تولى القضاء فدسوا له السم وتخلصوا منه حيث يذكر الخزرجي ذلك بقوله » ويقال أنه مات مسموماً والله أعلم » [4] .

أما ابن عمه أبو عبد الله فقد مات فى حيس أيضاً أثناء عودته من تعز بعد أن قدم شكواه إلى السلطان المؤيد عن ظلم والى المهجم لأسرته ، ويبدو أنه كان لوالى المهجم بعض المتعاونين معه فى تعز فتخلصوا من الفقيه كما تخلصوا من ابن عمه قبل ذلك بثمانية وعشرين عاماً .

ونظراً لمكانة هذين الفقيهين العلمية والدينية فقد دفنا بعد موتهما فى المسجد ، حيث اقتطعت القبة الضريحية من المصلى وحولت إلى قبة ضريحية [5] .

---

(١) الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ، جـ١ ، ص ٣٥١ ، طراز اعلام الزمن ، ص ١٣٥ .

(٢) سبق الحديث عن هذه الأسرة فى الفصل الأول ، ص

(٣) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، جـ١ ، ص ٣٥١ ، طراز اعلام الزمن ، ص ١٣٥ .

(٤) الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ، جـ١ ، ص ٢٢٣ .

(٥) هدمت هذه القبة فى عهد المهدى عباس ـ حكم (١١٦١ـ١١٨٩هـ // ١٧٤٨ ـ ١٧٧٥م) وقيل فى عند ابنه المنصور ، وذلك بناءا على فتوى الإمام محمد بن عبدالوهاب صاحب الدرعية وكذلك فتوى الإمام الشوكانى . (انظر) ، الشوكانى ، محمد بن على (ت١٢٥٠هـ) ، شرح الصدور بتحريم رفع القبور . دار الوطن للنشر والإعلام ، ١٣٦٦هـ ، حسين عبدالله العمرى (دكتور) ، مئة عام فى تاريخ اليمن الحديث ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٤م ، ص ٢١٠ .

الوصف المعمارى : [شكل ٣٧، ٣٨]

يتكون مسجد ابن أبى الخل من مساحة مستطيلة الشكل تمتد من الشرق إلى العزب بطول قدره « ١٦ م » ومن الشمال إلى الجنوب « ١٣ م » ، تضم مصلى ، وقبة ضريحية ، ويتقدم المصلى والقبة من جهة الشمال فناى الجزء الغربى منه حول إلى مقبرة مكشوفة ، ولذلك يمكن تقسيم المبنى إلى قسمين هما : المصلى ، والفناء .

المصلى من الخارج :

يتكون المصلى من مساحة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب طولها من الخارج « ٥٠ر٥م» وعرضها « ٥٠ر٥ م » بنيت جدرانها بقوالب الأجر المحروق بسمك « ٨٠ سم » وارتفاع «٥ر٤م » وكسيت بطبقة من ملاط النورة البيضاء ، وقد بنيت أركان المصلى بشكل مشطوف فى الأسفل ينتهى الشطف بمقرنصات بسيطة ذات حطتين [شكل ٣٧] ، ويلاحظ أن جدران المصلى تخلو من أى فتحات من الخارج فيما عدا المدخل الذى يقع فى الجدار الشمالى جدار القبلة ـ على يمين المحراب ، والذى يتكون من دخلة رأسية ارتفاعها « ٣٤ر٢ م » واتساعها «٥٢ر١ م » متوجة بعقد ثلاثى الفصوص ، يتوسط الدخلة باب ارتفاعه « ٨٥ر١ م » يفضى إلى داخل القبة الشرقية ، وكان يتوج جدران المصلى من أعلى شرافات سقطت جميعها ولم يتبق منها سوى بعض القواعد .

وعلى يسار الباب تقع كتلة المحراب البارزة عن جدار الواجهة بحوالى « ٥٠ سم » بارتفاع المبنى ، أركانها مشطوفة من أسفل حتى ارتفاع الثلثين ثم تنتهى بمقرنص بسيط ذى حطتين .

يزين الواجهة الشمالية من كتلة المحراب دخلة بسيطة متوجة من أعلى بعقد ثلاثى الفصوص ، يتوسط الدخلة أشكال زخرفية بارزة منفذة بواسطة قوالب الآجر المكسوة بالجص على هيئة خطوط مستقيمة ودائرية متداخلة مع بعضها بحيث تشبه زخرفة المفروكة بالإضافة إلى شكل معين قسم من الداخل إلى أربعة معينات .

وكان يغطى المسجد قبتان مدببتان هدمت القبة الغربية التى تعلو الضريحين ولم يتبق سوى القبة الشرقية التى تغطى مكان الصلاة وهى مبنية بالآجر ومكسوة بطبقة من الملاط ، تتكون القبة من رقبة دائرية تعلو مستوى سطح المسجد بحوالى « ١ م » تعلوها خوذة القبة مدببة الشكل مبنية بالآجر ومكسوة بطبقة من الملاط [شكل ٣٧] .

أما من الداخل فإن المصلى ـ بما فيه القبة الضريحية ـ يتكون من مساحة مستطيلة طولها

« ٤٠ر٨ م » وعرض « ٩٠ر٣ م » قسمت إلى مساحتين مربعتين بواسطة عقد مدبب عمودى على جدار القبلة اتساعه « ٣ م » وارتفاعه « ٧٥ر٢ م » وسمكه « ٦٠ سم » تستند رجلاه على كتفين ملاصقين للجدارين الشمالى والجنوبى من المصلى يبرز كل كتف عن الجدار بمقدار « ٤٥ سم » .

المصلى من الداخل :

تمثل القبة الشرقية المكان الذى تقام فيه الصلاة وهى تتكون من مساحة مربعة أبعادها « ٩٠ر٣ × ٩٠ر٣ م » ، فى الجدار الشمالى منها يقع مدخل المسجد وكذلك المحراب الذى لا يتوسط الجدار وإنما يميل نحو الشرق قليلاً ، يتكون المحراب من صدر ارتفاعه « ٢ م » واتساعه « ١٢ر١ م » ينتهى أعلاه بعقد مدبب منكسر ، يتوسط الصدر حنية مجوفة ارتفاعها « ٨٣ر١ م » واتساعها « ٩٠ سم » وعمقها « ٩٥ سم » مغطاة بطاقية نصف دائرية ذات عقد نصف دائرى يتوج الحنية ، حليت الحنية المجوفة بشريط بارز يفصل بين الحنية والطاقية ربما كان يضم نصاً كتابياً أو زخارف نباتية والتى لا يمكن التعرف عليها بسبب تغطيته بطبقة سميكة من ملاط النورة أخفت تحتها أى معالم يمكن أن نستدل منها على نوعية زخارف المحراب خاصة والمسجد عامة .

ويشغل منتصف كل من الجدارين الشرقى والجنوبى دخلة مجوفة ارتفاعها « ٥٣ر١ م » واتساعها « ٧٠ سم » وعمقها « ٤٠ سم » ، تمثل كتبيتين لحفظ المصاحف وربما كانتا شباكين لإضاءة المسجد وتم سدهما بعد ذلك :

ويغطى المصلى قبة مدببة الشكل ارتفاعها عن الأرض « ٥٠ر٦ م » تستند على رقبة دائرية محمولة على أربع مناطق انتقال ذات مقرنصات متعددة الحطات على هيئة عش النحل ، تستند مناطق الانتقال الشرقية على جدران المسجد ، أما الغربية فتستند على جدران المصلى وعلى العقد المدبب الذى يفصل بين المصلى والقبة الضريحية .

• القبة الضريحية :

كانت فى الأصل جزءاً من المصلى ثم حولت إلى قبة ضريحية دفن فيها أبو العباس بن أبى الخل فى الفترة ما بين وفاته سنة ٦٩٠ هـ ووفاة ابن عمه ٧١٨ هـ ، وهى تماثل القبة الشرقية من حيث المساحة ، يتوسط جداريها الشمالى والغربى كتبيتان اتساع كل منهما « ٦٧ سم »

وعمقها « ٤٥ سم » وارتفاعها « ٥٣ر١ م » ، وفى الجدار الجنوبى مدخل مستحدث كان فى الأصل شباك ، وعندما هدمت القبة الضريحية وسد العقد الفاصل بينها وبين القبة الشرقية بجدار قام المسئول عن المسجد بتوسيع الشباك الجنوبى للقبة الضريحية وتحويله إلى مدخل خاص بها .

أما بالنسبة للجدران فقد هدمت مع القبة الضريحية إلى نصف ارتفاعها تقريباً وهى مماثلة من حيث الطول والسمك وطريقة البناء مع القبة الشرقية ، ولم يتبق من القبة التى كانت تغطى الأضرحة إلا منطقتى الانتقال الشرقيتين وهما مماثلتان لمناطق انتقال القبة الشرقية والمكونة من مقرنصات متعددة الحطات [شكل ٣٩] .

• الفناء :

يتقدم المصلى والقبة الضريحية من الجهة الشمالية فناء مكشوف أرضيته أكثر ارتفاعاً من أرضية المسجد ، وقد أحيط الفناء بسور من الآجر بارتفاع « ١ م » وسمك « ٥٠ سم » ، يمتد الفناء من الشرق إلى الغرب بطول « ١٦ م » وعرض « ٨٥ر٥ م » اقتطعت منه مساحة مستطيلة أمام القبة الضريحية استخدمت كمكان وضع فيه ركام الأتربة وقوالب الآجر التى نتجت عن هدم القبة الضريحية ، ثم استغلت بعد ذلك هذه المساحة كمكان للدفن ، وقد أضيف للفناء مساحة أخرى تقع شرق المصلى وشرق الفناء طولها « ١٣ م و وعرضها « ٥٢ر٣ م » فتح فى الضلع الشرقى لها مدخل المسجد اتساعه « ٢٠ر١ م » . وفى الجزء الجنوبى من المساحة المضافة للفناء يوجد خزان مياه مستحدث أضيف فى السنوات الماضية عندما تم توصيل المياه إلى المسجد .

• المئذنة :

تقع المئذنة فى الفناء الشرقى ملاصقة للركن الشمالى الشرقى للمصلى ، مكونة من قاعدة مربعة مصمتة طول ضلعها « ٢٠ر١ م » وارتفاعها « ٧٠ سم » مبنية بقوالب الآجر ، يعلوها بدن مربع بنفس اتساع القاعدة وارتفاعه « ٨٠ر١ م » مجوف من الداخل ، بنيت جدرانه بقوالب الآجر بسمك « ٢٠ سم » ، يغطى البدن قبة مدببة ارتفاعها « ٥٠ سم » ، وفى الضلع الجنوبى من البدن يوجد باب المئذنة ارتفاعه « ٥٠ر١ م » واتساعه « ٥٥ سم » يفضى إلى تجويف البدن المربع أبعاده « ٨٠ × ٨٠ سم » .

ويتم الصعود إلى المئذنة بواسطة سلم مكون من خمس درجات عمودية على الجدار الشرقى للمصلى ثم ينعطف يميناً بمقدار درجتين تنتهى عند باب المئذنة .

٣ ـ مسجد ابن على

الموقع :

يقع مسجد ابن على فى الجزء الغربى من ربع السوق والذى تسكنه أسرة آل أبى الحياء[١] يفصل بينه وبين مسجد الدحن ـ الواقع إلى الشمال منه شارع يأتى من مسجد المدرسة الواقع جنوب شرق مسجد ابن على .

التسمية والوظيفة :

يعرف هذا المسجد باسم مسجد ابن على نسبة ـ كما يروى ـ إلى عبد القادر بن على بن أبى الحياء ، على أننا لم نجد فيما أطلعنا عليه من مصادر ومراجع تحدثت عن العلماء من آل أبى الحياء ذكر لأى من علمائها يعرف بهذا الإسم ، وربما أن عبد القادر المذكور أحد أبناء على بن عثمان بن أبى بكر بن أحمد بن عمر بن عبد الصمد بن حسن بن أبى الحياء ، حيث يذكر عبد الرحمن بعكر أن على بن عثمان هذا تزوج بحفيدة السلطان المجاهد على بن داود الرسولى والتى كانت تعرف بجهة سكن [٢] ، وربما كان عبد القادر هذا إبنًا « لعلى » المذكور من زوجته حفيدة السلطان المجاهد مما يعنى أن والده على بن عثمان هو عم الفقيه عبد الله بن محمد بن عثمان عميد أسرة آل أبى الحياء بمدينة حيس وبانى مسجد ركيز والذى توفى سنة ٨٩١ هـ / ١٢٩٢ م .

ويبدو أن أبناء على بن عثمان لم يكن لهم نصيب من العلم مثل أبناء عمهم ولذلك لم يرد لهم ذكر فى المصادر التى بين أيدينا ومعظمها تؤرخ لطبقات العلماء والفقهاء والصوفية [٣] .

والمسجد بشكله الحالى يؤدى وظيفة واحدة هى الصلاة وربما كان يضم معلامة [٤] فى مؤخرة المسجد .

---

(١) آل أبى الحياء ، سبق التعريف بهم فى الفصل الثانى من الباب الأول .

(٢) عبد الرحمن بعكر ، كواكب يمانية ، ص ٥٧١ .

(٣) من أمثلتها ، طبقات فقهاء اليمن لابن سمره الجعدى ، طبقات صلحاء اليمن للبريهى ، السلوك فى طبقات العلماء والملوك للجندى ، النور السافر فى أخبار القرن العاشر للعيدروس .

(٤) المعلامة ، وجمعها معلامات ، وحجرة مربعة أو مستطيلة مخصصة لتعليم الأطفال وتحفظيهم القرآن الكريم وعلوم الحديث ، وهى ما تعرف فى مصر باسم الكتاب . (انظر) ، اسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ٧٦ ، فاروق حيدر ، التعليم فى اليمن ، ص ٢٠٢ ، محمد السرورى ، مظاهر الحضارة ص ٢١٤ .

الوصف المعمارى : [شكل ٤٠]

يتكون مسجد ابن على من مساحة شبه مربعة تمتد من الشمال إلى الجنوب بطول « ١٤ م » ومن الشرق إلى الغرب بعرض « ١٣ م » تضم مصلىً وفناءً وميضأة .

المصلى :

يشغل المصلى الجزء الشمالى من المسجد ، على هيئة مساحة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب بطول « ١٣ م » ومن الشمال إلى الجنوب بعرض « ٨٠ر٤ م » .

الوصف من الخارج :

بنيت جدران المصلى بواسطة قوالب الآجر المحروق بسمك « ٦٥ سم » وكسيت بطبقة من ملاط النورة البيضاء ، تطل واجهاته الثلاث ـ الشرقية والشمالية والغربية ـ على الشوارع المحيطة وتطل الواجهة الرابعة ـ الجنوبية ـ على الفناء ، وأركان المصلى الأربعة مشطوفة من أسفل وتنتهى بمقرنصات بسيطة من ثلاث حطات مراعاة للطريق العام (١) .

- **الواجهة الشمالية : [شكل ٤١]**

تطل على شارع واسع يفصل بينها وبين المنازل ، يبلغ ارتفاع الواجهة « ٢٥ر٣ م » يشغل منتصفها كتلة محراب تبرز عن سمت الجدار بحوالى « ٩٠ سم » وارتفاع « ٥٠ر٢ م » على كتف مشطوف الأركان ، ينتهى كل شطف منها بمقرنص بسيط .

يعلو كتلة المحراب مئذنة مكونة من بدن مربع « ١٠ر١ × ١٠ر١ م » وارتفاعه « ٢ م » يبرز الضلع الشمالى منه عن كتلة المحراب بحوالى « ٢٠ سم » ، مغطى بقبة صغيرة مدببة ارتفاعها « ٥٠ سم » وفى كل من الأضلاع الشمالية والشرقية والجنوبية للبدن فتحة صغيرة معقودة لتوزيع صوت المؤذن على مختلف الاتجاهات ، بينما شغل الضلع الغربى بباب اتساعه «٦٥سم » وارتفاعه « ٦٥ر١ م » يفضى إلى داخل تجويف البدن حيث يقف المؤذن للآذان ،

---

(١) هذا الكلام ينطبق على الركنين الشمالى الشرقى والشمالى الغربى كونهما يطلان على الطريق ، أما الركنين الجنوبى الشرقى والجنوبى الغربى فقد شطفت كنوع من التماثل مع الأركان الشمالية .

يتم الصعود إليه من خلال فتحة باب فى منتصف الجدار الشمالى للقبة الغربية اتساعه « ٥٠ سم » وارتفاعه « ٦٥ر١ م » يؤدى إلى سلم صاعد ملاصق لجدار الواجهة من الخارج ينتهى عند باب المئذنة .

وقد شغلت الأضلاع الشمالية والشرقية لبدن المئذنة المربع بشريطين من الزخارف : الأول يقع عند مستوى ارتفاع جدار واجهة المصلى نفذت عليه حليات معمارية بواسطة قوالب الآجر على هيئة زخارف نباتية محورة ، والثانى يقع أسفل فتحات المئذنة نفذت عليه زخارف بواسطة قوالب الآجر أيضاً على هيئة خطين متقاطعين نتج عن تقاطعهما أشكال مثلثات ومعينات هندسية .

• الواجهتان الشرقية والغربية :

تطل الواجهة الشرقية على مقبرة وشارع يفصل بين المسجد ومسجد الدحن ، وتطل الغربية على شارع ضيق يفصل بين المسجد والمنازل المحيطة ، تمتد كل من الواجهتين نحو الجنوب بطول « ٨٠ر٤ م » وارتفاع « ٢٥ر٣ م » ، ويتوسط كل منهما دخلة مستطيلة تنتهى بعقد مفصص ، يتوسط الدخلة فتحة شباك ارتفاعها « ١ م » واتساعها « ٧٠ سم » .

• الواجهة الجنوبية :

تطل على فناء المسجد وهى مماثلة من حيث الطول والإرتفاع للواجهة الشمالية وقد فتح المعمار فيها : ثلاثة مداخل يفضى كل مدخل منها من الفناء إلى مربع إحدى القباب الثلاث .

يتكون المدخل الأوسط منها من دخلة مستطيلة ارتفاعها « ٦٠ر٢ م » واتساعها « ١٣ر١م » متوجة بعقد مفصص من خمس عشر فصاً ، الجزء العلوى من الدخلة غشى بستارة جصية مخرمة على هيئة معينات ، وفتح فى الجزء السفلى منها باب اتساعه « ١٣ر١ م و ارتفاعه « ٩٠ر١ م » يفضى إلى مربع القبة الوسطى أمام المحراب ، ويكتنف الباب من الجهة الغربية محراب مسطح على هيئة إطار بارز من الجص متوج بعقد مدبب من الخارج مفصص من الداخل .

أما المدخلان الشرقى والغربى فيتكون كل منهما من : دخلة مستطيلة ارتفاعها « ٦٠ر٢ م » واتساعها « ٧٠ سم » تنتهى من أعلى بعقد مفصص - خماسى الفصوص - يتوسط الدخلة باب ارتفاعه « ٩٠ر١ م » .

وقد توجت واجهات المصلى من أعلى بأربع شرافات مسننة موزعة على الأركان الأربعة .

ويغطى المصلى ثلاث قباب قطاع كل منها عقد مدبب ذو مركزين ، تتكون كل قبة من الخارج من مثمن يعلو مستوى سطح المسجد بحوالى « ٢٠ سم » يحمل رقبة دائرية مدمجة مع القبة التى تنتهى من أعلى بقمة مخروطية ، وقد كسيت القباب الثلاث بملاط من النورة البيضاء ، وزينت بثقوب مصمتة مربعة .

الوصف من الداخل :

يتكون المصلى من الداخل من مساحة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب بطول «٧٠ر١١م » وعرض « ٥٠ر٣ م » من الشمال إلى الجنوب ، قسمت إلى ثلاث مساحات مربعة بواسطة عقدين متعامدين على جدار القبلة قطاع كل منهما عقد مدبب فاطمى ، ارتفاع كل عقد «٣٥ر٢ م » واتساعه « ٣ م » وسمكه « ٦٠ سم » يستند على كتفين ملاصقين للجدارين الشمالى والجنوبى يبرز كل كتف عن الجدار بـ« ٢٥ سم » وعرض « ٦٠ سم » . [شكل ٤٢] .

وقد حول هذان العقدان مساحة المصلى المستطيلة إلى ثلاث مساحات مربعة أبعادها « ٥٠ر٣ × ٥٠ر٣ م » يغطى كل منها قبة محمولة على أربع مناطق انتقال متعددة الحطات تبدأ بواحدة وتنتهى يتسع حطات من المقرنصات التى تشبه عش النحل ، حولت مربع القبة إلى مثمن يعلو مستوى سطح المسجد ، يعلو المثمن رقبة دائرية تحمل قبة مدببة الشكل ترتفع عن الأرض بحوالى « ٤٠ر٥ م »..

يتوسط الجدار الشمالى للقبة الوسطى كتلة محراب اتساعها « ١٧ر١ م » وارتفاعها «١٢ر٢ م » متوجة من أعلى بعقد خماسى الفصوص : الفص الأوسط منها على هيئة ثلاثة فصوص متصلة مزوية بحيث يشبه شكل التاج [شكل ٤٣] .

يتصدر كتلة المحراب حنية مجوفة اتساعها « ١ م » وارتفاعها « ٧٥ر١ م » وعمقها « ٩٠ سم » شغلت بصفين من الدخلات المصمتة فى الصف العلوى أربع دخلات تتكون كل منها من شكل مستطيل ينتهى بعقد ثلاثى الفصوص : الفص الأوسط مماثل للفص الأوسط من عقد كتلة المحراب ، والصف السفلى به أربع دخلات مستطيلة تنتهى بعقود نصف دائرية يعلو الحنية طاقية ذات عقد مدبب ، فى حين يكتنف الحنية عمودان مدمجان اختفت ملامحهما

تحت طبقات النورة ولم يتبق منهما سوى أشكال حليات دائرية بارزة تحلى العمودان مما لا يمكن معها التعرف على الشكل الذى كان عليه العمودان .

أما الجدار الشمالى للقبة الشرقية فيحتوى على كتبية مستطيلة الشكل اتساعها « ٨٠ سم » وارتفاعها « ١٥ر١ م » وعمقها « ٤٠ سم » يغلق عليها مصراعا باب من الخشب ، وفى الجدار الشمالى للقبة الغربية يوجد الباب المؤدى إلى المئذنة [1] ، ويتوسط كل من الجدارين الشرقى والغربى للمسجد فتحة شباك ذات عقد مدبب مماثل لعقود المسجد اتساع الشباك « ٧٠ سم » وارتفاعه « ١ م » وبجوار الشباك من الجهة الجنوبية كتبية لكتبية الجدار الشمالى اتساعها « ٦٠سم » وارتفاعها « ٠٨ر١ م » وعمقها « ٣٠ سم » وهذه الكتبيات وتلك الموجودة فى الجدار الشمالى للقبة الشرقية مخصصة لحفظ المصاحف والكتب ومستلزمات المسجد من سرج وزيت وغيره .

وقد فتح فى الضلع الجنوبى للمصلى ثلاثة مداخل تصل بين المصلى والفناء يكتنف كل مدخل منها دخلتان صغيرتان معقودتان أبعاد كل منها « ٢٨ × ٤٠ × ٥٥ سم » وهى مخصصة لحفظ أمتعة المصلين أثناء الصلاة .

الفناء :

يتكون الفناء من مساحة مستطيلة تمتد بموازارة الواجهة الجنوبية للمصلى بطول « ١٢ م » من الشرق إلى الغرب وعرض « ٤ م » من الشمال إلى الجنوب ، محاطة من الجهات الشرقية والغربية بجدار من الآجر سمكه « ٥٠ سم » وارتفاعه « ٢ م » ومن الجهة الجنوبية بجدار من الآجر أيضاً سمكه « ٤٠ سم » وارتفاعه « ٥٠ر١ م » يفصل بين الفناء والميضأة متوج بصف من الآجر المثلثة قمتها لأعلى [شكل ٨٨] .

وفى الضلع الشرقى للفناء توجد كتلة المدخل وهى أكثر ارتفاعاً من جدار الفناء ، إذ يبلغ ارتفاعها « ٥٠ر٢ م » يتوسطها مدخل اتساعه « ٣٥ر١ » وارتفاعه « ٢ م » يغلق عليه مصراعا باب من الخشب الحديث ، وفى الضلع الجنوبى باب آخر اتساعه « ١ م » يؤدى إلى الميضأة .

---

(١) سبق ذكره عند الحديث عن المئذنة .

الميضأة :

تقع خلف الجدار الجنوبى للفناء وبشكل موازى له وإن كانت أقل مساحة من مساحة الفناء حيث يبلغ طولها من الشرق إلى الغرب « ٧٫٥٠ م » ومن الشمال إلى الجنوب « ٤٫٢٠ م » محاطة من الجهات الشرقية والغربية والجنوبية بجدار مبنى بالآجر بسمك « ٥٠ سم » وارتفاع « ٢ م » ، فى الجزء الغربى من الميضأة كانت تقع البركة وحولها عدد من مقاعد الوضوء ، وقد غطيت البركة حالياً بسقفه مسطح من الأسمنت المسلح فتح فى الركن الشمالى الشرقى منها فتحة صغيرة أبعادها « ٣٠ × ٣٠ سم » ، لاستخراج المياه من البركة بواسطة الدلو .

يتم الوصول إلى الميضأة من خلال بابين : الأول يقع فى الجدار الجنوبى للفناء ، والثانى يقع فى الجدار الشرقى للميضأة والذى يفضى من الشارع إلى الميضأة مباشرة دونما الحاجة إلى المرور فى الفناء .

ويكتنف الميضأة من الجهة الشرقية مساحة مربعة محاطة بجدار قليل الإرتفاع ، تضم عدد من المقابر ربما كانت تابعة للمسجد وربما أنها مستحدثة نظراً لوجود مقبرة مجاورة للمسجد من الجهتين الشرقية والجنوبية .

٤ ـ مسجد البخارى « الضرمى »

الموقع :

يقع مسجد البخارى فى الربع الشمالى لمدينة حيس والمعروف بربع الحضرمى ، وبالتحديد قرب الركن الشمالى الغربى لقلعة حيس ، يفصل بينهما شارع ضيق .

التسمية :

يعرف هذا المسجد باسم مسجد الحضرمى نسبة إلى الفقية اسماعيل بن محمد الحضرمى الذى ينسب إليه الربع الذى يقع فيه المسجد ، كما يعرف باسم مسجد البخارى نسبة إلى إشتهار الفقيه المذكور بتدريس الحديث النبوى وخاصة صحيح البخارى بالإضافة إلى اعتياد أهل حيس حتى يومنا هذا على قراءة صحيح البخارى طوال شهر شعبان من كل عام كعادة أهل تهامة .

ترجمة المنشئ :

ينسب المسجد إلى الفقيه اسماعيل بن محمد الحضرمى بن اسماعيل بن على بن عبد الله بن اسماعيل بن أحمد بن ميمون الحميرى الحضرمى ، ولد سنة (٦١٠ هـ) / (٤ / ١٢٠٥ م) فى مدينة الضحى التى انتقل إليها والده من حضر موت واستوطنها [١] ، وقد تفقه اسماعيل الحضرمى على يد والده وجماعة من كبار العلماء منهم يونس بن يحيى والبرهان الحضرمى ، وكان نقالاً لفروع الفقه غواصاً على دقائقه ، وبعد أن أكمل تعليمه فى مدينة الضحى انتقل إلى زبيد للأخذ عن علمائها فاستوطنها وتزوج فيها بابنتى الفقيهين : أبى بكر بن حنكاس والفقيه وأبو الخير بن منصور الشماخى [٢] ، وقد اشتهر بتدريس الحديث النبوى على صحيح البخارى حيث اجتمع به السلطان المظفر يوسف (٦٤٧ ـ ٦٩٤ هـ) أكثر من مرة ليسمع عليه صحيح البخارى ثم عينه السلطان المظفر على القضاء الأكبر بتهامة ، وفى إحدى المرات التى كان المظفر يقرأ فيها صحيح البخارى على الفقيه المذكور فأمر الفقيه ، القارئ عندما وصل إلى ذكر الخمر أن يعيدها ففهم السلطان مراده وأمر بإبطال الخمر ثم تراجع عن أمره فكتب إليه الفقيه اسماعيل كتاباً على شقف من الفخار ـ وقيل من العظم ـ ما نصه (يا يوسف قد عزلت نفسى [عن القضاء الأكبر بتهامة]) [٣] .

وكان الفقيه اسماعيل كثير التنقل بين مدارس اليمن لأنه (كان مبارك التدريس انتفع به جماعة كثيرون من مدارس اليمن) [٤] ومن أهم العلوم التى كان يدرسها الحديث النبوى وعلم النحو ، وكانت وفاته بمدينة الضحى يوم ٩ ذى الحجة سنة (٦٧٦ هـ / ١٢٢٧ م[٥] .

الوصف المعمارى : [شكل ٤٤]

يتكون المسجد من مساحة مستطيلة تمتد من الشمال إلى الجنوب بطول « ٢١ م » وعرض «١٦ م » من الشرق إلى الغرب ، تضم مصلى وفناء وميضأة .

---

(١) الجندى ، السلوك ، جـ٢ ، ص ٢٣٣ .
(٢) الجندى ، السلوك ، جـ٢ ، ص ٣٧ .
(٣) الجندى ، السلوك ، جـ٢ ، ص ٣٧ .
(٤) الجندى ، السلوك ، جـ٢ ، ص ٣٩ .
(٥) الجندى ، السلوك ، جـ٢ ، ص ٣٩ .

المصلى :

يشغل كتلة المصلى الجزء الشمالى من مساحة المسجد على هيئة مستطيل يمتد من الشرق إلى الغرب بطول « ١٦ م » وعرض « ٣٠ر٦ م » ، محاط بأربعة جدران مبنية بقوالب الآجر بسمك « ١٥ر١ م » فى الجدارين الشمالى والجنوبى و « ١ م » فى الجدارين الشرقى والغربى ، ويبلغ ارتفاع الجدران « ٣٥ر٣ م » مكسوة بطبقة من النورة نفذت عليها العديد من الزخارف المعمارية .

الوصف من الخارج :

للمصلى أربع واجهات تطل الجنوبية على الفنار وتطل الشرقية على شارع ضيق وكانت الشمالية تطل على شارع ضيق أيضاً ولكن حالياً تلتصق المنازل بهذه الواجهة وكذلك بالواجهة الغربية .

• الواجهة الجنوبية : [شكل ٤٥]

فتح المعمار بها ثلاثة مداخل يؤدى كل منها من الفناء إلى مربع إحدى قباب المسجد ، المدخل الأوسط منها عبارة عن دخلة مستطيلة ارتفاعها « ٣٠ر٣ م » واتساعها « ٧٥ر١ م » ترتد نحو الداخل على مرتين يتوج الإرتداد الداخلى عقد مدبب ويتوج الإرتداد الخارجى عقد مفصص مكون من أحد عشر فصاً الفص الأوسط على هيئة فصين متقابلين ، يتوسط الجزء السفلى من الدخلة : باب اتساعه « ٥٥ر١ م » وارتفاعه « ٩٧ر١ م » وعمقه « ١٥ر١ م » يفضى إلى مربع القبة الوسطى ، بينما كان يشغل صدر المدخل ستارة جصية مخرمة على هيئة خطوط رأسية مائلة ومتقاطعة نتج عن تقاطعها عدد من المعينات ، وقد سقطت هذه الستارة وحل محلها جدار مستحدث .

أما المدخلان الشرقى والغربى فيتكون كل منهما من دخلة مستطيلة ارتفاعها « ٣٠ر٣ م » واتساعها « ٦٠ر١ م » فى المدخل الشرقى و « ٥٠ر١ م » فى الباب الغربى متوجة بعقد مفصص مماثل لعقد المدخل الأوسط ، وفى الجزء السفلى من الدخلة باب اتساعه « ٤٥ر١ م » وارتفاعه « ٩٧ر١ م » يفضى إلى مربع القبة الشرقية أو الغربية ، يعلو عتب الباب ستارة جصية مخرمة على هيئة معينات معشقة بالزجاج [١] .

---

(١) تعرف هذه الستائر فى اليمن باسم القمريات أو العقود . (انظر)، الفصل الثالث من الباب الثالث .

ويكتنف كل مدخل منها نصفا عمودان زخرفيان يبدآن من ارتفاع « ١ م » ويمتدان حتى نهاية مثمنات القباب المطلة على الفناء ، والتى تبرز عن مستوى ارتفاع الواجهة ، ويتكون كل منها من بدن اسطوانى حلزونى ليس له تاج أو قاعدة ، ويحصر العمودين بينهما على الضلع الجنوبى لمثمنات القباب : دخلتان غائرتان رأسيتان تحصران بينهما عمودين قصيرين مماثلين للعمودين السابقين ، ويتوج الواجهة فى الأركان وفى المناطق المحصورة بين مثمنات القباب : شرافات على هيئة أوراق ثلاثية .

• الواجهة الشمالية :

تماثل الواجهة الجنوبية من حيث الطول والارتفاع وسمك الجدران ، تتوسطها كتلة محراب تبرز عن مستوى الواجهة بـ « ٦٠ سم » وعرض « ٣٠ر١ م » شطفت أركانها من أسفل وينتهى الشطف على هيئة مقرنص بسيط ذو ثلاث حطات ، وقد زينت أضلاع كتلة المحراب البارزة بدخلات مصمتة معقودة فى حين توجت قمة كتلة المحراب بشرافات مماثلة لشرافات المسجد .

وهذه الواجهة ملتصقة حالياً بالمنازل المجاورة ولكن يبدو أنها كانت تطل على شارع نظراً لقيام المعمار بشطف أركان الواجهة وأركان كتلة المحراب البارزة مراعاة للطريق العام .

• الواجهتان الشرقية والغربية :

تبدأ كل منهما بركن مشطوف ينتهى بمقرنص بسيط ذو ثلاث حطات مشترك مع الواجهة الشمالية ، القسم السفلى من الواجهة يخلو من الزخرفة يشغل منتصفه دخلة معقودة ارتفاعها « ١٥ر٢ م » واتساعها « ٢٣ر١ م » متوجه بعقد مفصص من أحد عشر فصاً ، كان يشغل الجزء السفلى منها نافذة والجزء العلوى ستارة جصية ، وقد سدت النافذة والستارة فى وقت لاحق بجدار من الآجر ، يعلو مستوى جدار الواجهة الضلع الشرقى لمثمن القبة الشرقية أو الضلع الغربى لمثمن القبة الغربية بارتفاع « ١٥ر١ م » زين بأربعة اعمدة زخرفية حلزونية إثنان منها فى ركنى ضلع المثمن والآخران فى الوسط فوق عقد النافذة ، وبين كل عمود وآخر دخلة مستطيلة رأسية مصمتة ، حل محل الدخلة الوسطى ميزاب تصريف مياه الأمطار ، ويعلو الواجهة شرافات متلاصقة كل منها على هيئة ورقة ثلاثية .

• **التغطيات :**

يغطى المصلى من الخارج ثلاث قباب تقوم على مثمنات تعلو مستوى الواجهات بـ « ١٥ر١ م » تنتهى بشرافات متلاصقة على هيئة أوراق ثلاثية يعلو كل مثمن رقبة دائرية تحمل بدن القبة المدبب الذى ينتهى عند القمة بعمود اسطوانى قصير من الآجر يحمل هلالاً من المعدن يتقاطع مع شكل الحربة ، وقد بنيت القبة بقوالب الآجر وكسيت بطبقة من ملاط النورة ويشغل بدن كل قبة صفان من الثقوب المصمتة .

الوصف من الداخل :

يتكون المصلى من الداخل من مساحة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب بطول « ١٤ م » وعرض « ٤ م » قسمت إلى ثلاث مساحات مربعة بواسطة عقدين عموديين على جدار القبلة اتساع كل منهما « ٧٠ر٣ م » وارتفاعه « ٢٠ر٣ م » وسمكه « ١ م » تستند أرجل العقود على أربعة أكتاف ملاصقة للجدارين الشمالى والجنوبى يبرز كل كتف بـ « ١٥ سم » وعرض « ١ م » .

• **القبة الوسطى :**

تتكون من مربع طول ضلعه « ٤ م » ، يتوسط الجدار الشمالى منها كتلة محراب على هيئة دخلة رأسية ارتفاعها « ٣ م » واتساعها « ٥٦ر١ م » ، متوجة بعقد مدبب مفصص ـ خمسة عشر فصاً ـ فى صدر الدخلة حنية محراب مجوفة اتساعها « ١٠ر١ م » وارتفاعها « ١٣ر٢ م » وعمقها « ٣٥ر١ م » [شكل ٤٦] متوجة بعقد ذو تسعة فصوص ، ويغطى تجويف حنية المحراب طاقية محارية تنطلق اشعاعاتها من أسفل الطاقية إلى حواف عقد المحراب ، وكانت الحنية مزخرفة بعدة صفوف من المحاريب اختفت تحت طبقة من النورة ولم يتبق منها سوى بعض حواف الصف العلوى منها .

يكتنف المحراب أربعة أعمدة حلزونية مشابهة لتلك الموجودة الجنوبية للمصلى ، وان كانت أعمدة المحراب تنتهى بتيجان على هيئة نصف قبة ، ويقابل المحراب فى الجدار الجنوبى المدخل الأوسط للمصلى ، ويغطى هذه المساحة المربعة قبة مدببة ارتفاعها عن الأرض

« ٦٠ر٦ م » مبنية بقوالب الآجر ومكسوة بطبقة من النورة البيضاء مما لا يمكن معها معرفة ما إذا كانت القبة مزخرفة من الداخل أم لا .

وهذه القبة محمولة على رقبة دائرية مزينة بصف من المحاريب ، تقوم الرقبة على مثمن يرتكز على أربع مناطق انتقال كل منها مكون من : مثلث كروى شغل بعدد من صفوف الأشكال الدالية .

● القبتان الشرقية والغربية :

تتكون مساحة كل منهما من مربع طول ضلعه « ٤ م » فى الجدار الشمالى لكل منهما كتبية مستطيلة ارتفاعها « ٣٠ر٢ م » واتساعها « ٣٦ر١ م » متوجة بعقد مفصص ـ تسعة فصوص ـ ، وقد قسمت الكتبية إلى قسمين يعلوان بعضهما بواسطة كتلة خشبية مستعرضة أسفل رجلى العقد مباشرة ، وهاتان الكتبيتان كانتا فيما يبدو شباكين يطلان على الشارع الذى كان يمر بحاذاة الواجهة الشمالية ، وعندما بنيت المنازل ملاصقة لجدار المصلى كان لابد من سد الشبابيك وتحويلها إلى كتبيات ، يقابل كتبية القبة الشرقية المدخل الشرقى للمصلى ويقابل كتبية القبة الغربية المدخل الغربى ، وهذان المدخلان يصلان بين الفناء والمسجد ، وفى كل من الضلع الشرقى والغربى للقبتين كتبية مستطيلة معقودة بعقد مدبب اتساعها « ٢٣ر١ م » وارتفاعها « ١٥ر٢ م » كانتا فى الأصل شباكين يطل كل منهما على الشارع الذى كان يمر بحاذاة الواجهة ، وقد سدت هذه الشبابيك فى وقت لاحق إذ لا يزال إطارى الشباكين وعقديهما ظاهران من الداخل والخارج .

وقد حول مربعا القبتين إلى مثمن بواسطة مناطق انتقال تتكون كل منها من تسعة صفوف من المقرنصات الدالية ، يعلو المثمن رقبة دائرية تحمل بدن القبة المدبب والذى يرتفع عن الأرض بـ « ٦٠ر٦ م » ، وقد كسيت القبتان من الداخل بطبقة من الملاط أخفت المعالم التى يمكن الاستدلال منها على أن القبتين كانتا مزخرفتين ، وأما رقاب القباب فقد شغلت كل منها بصف من المحاريب البارزة .

الفناء :

يحتل الفناء القسم الجنوبى من المسجد ، وهو مكون من مساحة شبه مستطيله تمتد من الشرق إلى الغرب بطول « ١٥ م » ومن الشمال إلى الجنوب بعرض « ٢٠ر١٥ م » فى الواجهة

الشرقية و « ٧٠ر١٢ م » فى الواجهة الغربية بنيت جدرانه المحيطة به من الجهات الشرقية والغربية والجنوبية بقوالب الآجر بسمك « ٥٠ سم » على هيئة صفوف أفقية تتخللها صفوف من الأحجار الصغيرة غير المهندمة .

تطل الواجهة الشرقية على الشارع المجاور لها بطول « ٢٠ر١٥ م » وارتفاع « ٤٠ر١ م» يتوسطها كتلة المدخل الوحيد للمسجد وهى مكونة من حجر يبرز عن مستوى الواجهة بـ «٥٠سم » وارتفاع « ٣ م » واتساع « ٧٠ر١ م » متوج بشرافات على هيئة أوراق ثلاثية ، يتوسط كتلة المدخل دخلة مستطيلة رأسية ارتفاعها « ٦٥ر٢ م » واتساعها « ٥٠ر١ م » ترتد نحو الداخل على ثلاثة مستويات ، يتوج الإرتداد الداخلى عقد مدبب ويتوج كل من الإرتدادين الخارجيين عقد زخرفى مفصص ذو تسعة فصوص ، فى حين يتصدر الدخلة فتحة باب اتساعها « ١٠ر١ م » وارتفاعها « ٦٢ر١ م » وعمقها « ١٠ر١ م » تعلوها عتب من الحجر ، يعلوها ستار جصية تمتد حتى قمة عقد صدر المدخل ، تتكون الستارة من عدد من الصلبان البارزة كل منها مكونة من أربع أوراق متقابلة الرءوس نتج عن تقابلها أشكال معينات غائرة ، ويكتنف صدر المدخل من الجانبين عمودان زخرفيان مشابهان للأعمدة الزخرفية التى تزين الواجهة الجنوبية للمسجد .

وأما الواجهة الغربية للفناء فقد تهدمت ولم يبق منها سوى بقايا جدار ارتفاعه « ٥٠ سم » يفصل بين الفناء والمساحة الغربية الملحقة ، فى حين بنيت الواجهة الجنوبية بشكل منحرف به تعرجات فى بعض الأجزاء مما يلى جدار خزان المياه ، وهى تطل على شارع يفصل بين المسجد والقلعة ، وهذه الواجهة مصمتة مبنية بالآجر بارتفاع « ٥٠ سم » وسمك « ٥٠ سم » وكسيت بطبقة من الملاط .

فى الجزء الجنوبى من الفناء توجد مساحة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب بطول «١١م» وعرض « ٥٠ر٧ م » محاطة من الجهتين الشمالية والشرقية بجدار ارتفاعه « ٥٠ سم » ومن الجهتين الجنوبية والغربية بجدارى الفناء ، وهذه المساحة مملوءة بالأتربة وكسرات قوالب الآجر مما يرجح معها أنها كانت تضم مبنى أو قاعة مخصصة للتدريس .

• المئذنة : [شكل ٤٧]

تقع فى الطرف الشرقى للفناء أمام المدخل الرئيسى للمسجد وهى مبنية بقوالب الآجر ومكسوة بطبقة من ملاط النورة ، يبلغ ارتفاع المئذنة « ٦٠ر٤ م » مكونة من قاعدة مستطيلة

مصمتة طول كل من ضلعيها الشرقى والغربى « ١١ر٢ م » والضلعين الشمالى والجنوبى «٨٥ر١ م » وارتفاعها « ٤٥ر١ م » يعلوها بدن مثمن ارتفاعه « ٢ م » طول كل ضلع من أضلاعه « ٧٥ سم » ينتهى البدن بقمة مخروطية مقرنصة ارتفاعها « ٧٥ سم » مكونة من عدد من المثمنات تعلو بعضها بحيث يضيق كل مثمن عما تحته ، وقد فتح المعمار فى كل من الأضلاع الشرقية والغربية والجنوبية نافذة معقودة بعقد مدبب أبعادها « ٢٥ × ٥٠ سم » مخصصة لتوزيع صوت المؤذن على مختلف الإتجاهات . أما مدخل المئذنة فيقع فى الضلع الشمالى للبدن المثمن إتساعه « ٥٠ سم » وارتفاعه « ٥٠ر١ م » يفض إلى داخل تجويف البدن حيث يقف المؤذن ، ويتم الوصول إلى باب المئذنة بواسطة سلم صاعد ملتصق بالضلع الشمالى لقاعدة المئذنة طوله « ٢ م » مكون من جدارين شرقى وغربى يحصران بينهما درجات السلم الذى يبدأ من الركن الشمالى الغربى للقاعدة ويرتفع باتجاه الشرق بعدد خمس درجات ثم ينعطف السلم يميناً بثلاث درجات تنتهى عند باب المئذنة .

المساحة الغربية الملحقة (الميضأة) :

ملحق بالفناء من الجهة الغربية مساحة مستطيلة تتجه من الشمال إلى الجنوب بشكل موازى لجدار الفناء الغربى بطول « ٧٠ر١٢ م » وعرض « ٨ م » محاطة - إلى جانب الجدار الغربى للفناء - بثلاثة جدران من الشمال والجنوب والغرب مبنية بالآجر بنفس طريقة بناء جدران الفناء ، ارتفاع كل من الجدارين الشمالى والغربى « ٥٠ر٢ م » وهما ملاصقان للمنازل المجاورة وارتفاع الجنوبى « ١ م » ، يتخلل كل من الجدارين الشمالى والغربى دخلات أبعادها « ٢٠ × ٤٠ × ٧٥ سم » مماثلة للدخلات الموجودة فى جدران الميضات فى المساجد الأخرى والمخصصة لحفظ الأمتعة أثناء الوضوء ، ولذلك ربما كانت هذه المساحة عبارة عن ميضأة المسجد بما فيها البركة والحمامات وإن كنا لا نستطيع الجزم بذلك نظراً لأن أرضيتها مليئة بالأتربة والمخلفات التى لا يمكن معها معرفة ما تخفيه تحتها .

٥ - مسجد الموفى الأعلى

الموقع :

يقع مسجد الموفى الأعلى وسط ربع السوق إلى الشرق من مسجد الهنود حيث يفصل بين المسجدين مسجد ثالث يعرف باسم مسجد الموفى الأسفل .

اسم المسجد :

يعرف هذا المسجد باسم مسجد الموفى نسبة إلى الأسرة القائمة على المسجد وهم بنى الموفى والذين يقومون بخدمة المسجد المجاور له من جهة الغرب والذى يحمل نفس الاسم ولذلك أضيف إلى اسم مسجد الموفى (موضوع الدراسة) لفظ الأعلى أو «الفوقانى » وأضيف إلى المسجد الآخر لفظ الأسفل أو (الأ تحت) حتى يمكن التفريق بين المسجدين .

الوصف المعمارى : [شكل ٤٨]

يتكون مسجد الموفى الأعلى من مساحة مستطيلة تمتد من الشمال إلى الجنوب بطول «١٠ر١١ م » ومن الشرق إلى الغرب بعرض « ٧٠ر٩ م » ، تضم مصلىً وفناءً يحتوى على عدد من الوحدات المعمارية منها : المدخل الرئيسى والمئذنة ، وملحق بالفناء من الجهة الشرقية ميضأة تضم خزان للمياه وبئر .

المصلى :

يتكون من مساحة مستطلية تمتد من الشرق إلى الغرب بطول « ٧٠ر٩ م » ومن الشمال إلى الجنوب بعرض « ٦٠ر٤ م » ، بنيت جدرانها بقوالب الآجر على هيئة صفوف أفقية تتخللها بعد كل خمسة أو ستة مداميك صف من الأحجار الصغيرة الغير مهندمة مع استخدام مادة النوزة فى المونة وكذلك فى كسوة الجدران من الداخل والخارج ، يبلغ سمك كل من الجدارين الشمالى والجنوبى « ٦٥ سم » وكل من الجدارين الشرقى والغربى « ٥٥ سم » .

١ ـ الوصف من الخارج :

تعتبر الواجهة الجنوبية التى تطل على الفناء هى الواجهة الرئيسية للمصلى نظراً لأن الواجهتين الشرقية والغربية ملاصقتان للمنازل المجاورة بينما تطل الشمالية على فناء أحد المنازل المجاورة .

تفتح الواجة الجنوبية على الفناء بثلاث فتحات الوسطى منها عبارة عن حنية محراب مجوفة عمقها « ٣٠ سم » وارتفاعها « ٣٥ر١ م » واتساعها « ٦٥ سم » يتوجها عقد منكسر

ويكتنف حنية المحراب عمودان اسطوانيان مدمجان ، ويتصدر حنية المحراب ستارة جصية مخرمة على هيئة مثلثات تسمح برؤية المصلين داخل المصلى وكذلك تسمح بتسلل إضاءة خافتة إلى مربع القبة الوسطى ، يعلو عقد حنية المحراب شريط بارز ربما كان يضم زخارف كتابية أو نباتية أو هندسية اختفت معالمها تحت طبقات الطلاء .

وقد دعمت هذه الواجهة بدعامة ساندة سمكها « ٦٠ سم » تمتد فيما بين عضادتى البابين الشرقى والغربى بطول « ٨٥ر٤ م » ، يرتفع حتى مستوى ارتفاع جدار الواجهة ثم ترتد بشكل مشطوف حتى تلتصق بمثمنات القباب ، وقد فتح فى منتصف الدعامة فتحة معقودة أمام محراب الفناء بارتفاع « ٧٠ر١ م » واتساع « ٨٥ سم » وعمق « ٦٠ سم » وبذلك أضيف عمق آخر لمحراب الفناء بحيث أصبح عمقه « ٩٠ سم » .

يكتنف الدعامة الساندة مدخلان : يؤدى الشرقى منها إلى مربع القبة الشرقية ، ويؤدى الغربى إلى مربع القبة الغربية يتكون كل منهما من دخلة رأسية ارتفاعها « ٣ م » واتساعها « ٣٠ر١ م » متوجة بعقد خماسى الفصوص ، يتصدر الدخلة باب اتساعه « ١٠ر١ م » وارتفاعه « ٧٠ر١ م » ينتهى أعلاه بعقد مدبب يعلوه دخلة معقودة مصمتة .

أما الواجهتان الشرقية والغربية فكان يتوسط كل منهما شباك اتساعه « ٥٠ سم » وارتفاعه « ٦٠ سم » ، حول الشباك الشرقى إلى كتبية بينما سد الشباك الغربى نهائياً .

والواجهة الشمالية للمصلى تطل على فناء المنزل المجاور ، دعم القسم الأوسط منها بدعامة سانده سمكها « ١ م » مشابهة لدعامة الواجهة الجنوبية ، وقد اختفى بروز كتلة المحراب من الخارج داخل سمك الدعامة . [شكل ٤٩] .

وقد غطى المصلى بثلاث قباب قطاع كل منها عقد مدبب (فاطمى) محمولة على رقبة دائرية تستند على ثلاثة مثمنات تعلو بعضها تبرز عن مستوى ارتفاع جدران الواجهات ، وكل قبة من القباب الثلاث تنتهى بعمود من الآجر على مستويين يحمل كل عمود عصا معدنية على هيئة حربة تتقاطع مع هلال لم يتبق منها سوى هلال القبة الشرقية .

٢ ـ الوصف من الداخل :

يتكون المصلى من الداخل من مساحة مستطيلة طولها « ٦٠ر٨ م » وعرضها « ٣٠ر٣ م » قسمت إلى ثلاث مساحات مستطيلة بواسطة عقدين عموديين على جدار القبلة اتساع كل عقد منها « ٩٠ر٢ م » وسمكه « ٧٠ سم » وارتفاعه « ٢٠ر٢ م » ، تستند رجلاه على كتفين

احدهما ملاصق لجدار القبلة ـ الشمالية ـ والآخر ملاصق للجدار الجنوبى يبرز كل كتف عن مستوى الجدار « ٢٠ سم » .

حولت المساحات المربعة الثلاث إلى مثمن بواسطة أربع مناطق انتقال على هيئة مثلثات كروية شغلت بمقرنصات دالية ، تستند على العقدين العموديين المذكورين وعلى الجدارين الشرقى والغربى للمصلى ، بالإضافة إلى ستة عقود موازية ثلاثة منها ملاصقة لجدار القبلة وثلاثة ملاصقة للجدار الجنوبى حيث أن مساحات القباب أكثر امتداداً من الشمال إلى الجنوب « ٣٠ر٣ م » عنها من الشرق إلى الغرب « ٤٠ر٢ م » ولذلك أضطر المعمار إلى تصغير الإمتداد من الشمال إلى الجنوب بعمل عقود جنوبية وشمالية موازية للجدارين الشمالى والجنوبى حتى يتمكن من إقامة القباب على مساحات مربعة ، يعلو مناطق الانتقال ثلاثة مثمنات تعلو بعضهاتحمل رقبة دائرية خالية من الفتحات تقوم عليها قبة مدببة ترتفع عن الأرض «٢٥ر٥م» .

يتوسط الضلع الشمالى للقبة الوسطى حنية محراب مجوفة ، اتساعها « ٢٥ر١ م » وارتفاعها « ٦٠ ر١ م » وعمقها « ١ م » ، مغطاة بطاقية مدببة زين عقدها بعقد زخرفى سباعى الفصوص ، وكان يكتنف حنية المحراب عمودان مدمجان لم يبق منهما سوى موضعهما على جانبى الجنية على هيئة ركنين غائرين [شكل ٥٠] .

ويتوسط كلٌ من الجدارين الشماليين للقبتين الشرقية والغربية دخلة مخصصة لحفظ أمتعة المصلين أثناء الصلاة ، بينما كان يتوسط كل من الجدارين الشرقى والغربى للمصلى شباك حُول الشرقى إلى كتبية بينما سد الغربى تمامًا ، وبجوار كل شباك منهما من الجهة الشمالية دخلتان معقودتان تعلوان بعضهما مخصصتان لوضع أدوات الإضاءة السفلية عمقها «٤٠سم» واتساعها «٣٠سم» وارتفاعها «٣٠سم» متوجة بعقد منكسر مفصص والعلوية ارتفاعها «٩٠سم» واتساعها «٤٠سم» فى الجزء السفلى منها دخلة ذات عقد مدبب والجزء العلوى على هيئة معين ذو قمة يتصل بالجزء السفلى بأخدود غائر بحيث يبدو جزئى الدخلة وكأنهما شرافة .

الفناء :

يتقدم المصلى من الجهة الجنوبية فناء مستطيل يمتد من الشرق إلى الغرب بطول «٨٠ر٨م»

ومن الشمال إلى الجنوب بعرض « ٠٥ر٦ م » ، محاط من الجهات الشرقية والغربية والجنوبية بثلاثة جدران : الشرقى ارتفاعه « ٢٠ر١ م » وارتفاع كل من الجنوبى والغربى « ٤٥ر٢ م » ، وكل جدار منها مبنى بقوالب الآجر وملاط النورة بسمك « ٤٥ سم » ، تنتهى الجدران من أعلى بصف من قوالب الآجر المثلثة موضوعة على قاعدتها ، وقد فرشت أرضية الفناء بطبقة من القضاض ، وفتح فى الجدار الغربى من الفناء تسع فتحات معقودة لحفظ الأمتعة أبعاد كل منها « ٢٠ × ٣٥ × ٤٥ سم » . ويضم الفناء عدد من الوحدات المعمارية منها :

• كتلة المدخل :

تقع فى الطرف الشرقى من الجدار الجنوبى للفناء مكونة من كتلة معمارية مستطيلة الشكل تمتد من الشرق إلى الغرب بطول « ٤ م » ومن الشمال إلى الجنوب « ٧٠ر٢ م » ، فى الطرف الشرقى منها باب ارتفاعه « ٩٠ر١ م » واتساعه « ١٠ر١ م » ، ينتهى بعقد مدبب يؤطره عقد ثلاثى ، يفضى الباب إلى دركاة مستعرضة من الشرق إلى الغرب بطول « ٢٠ر٣ م » وعرض « ٨٠ر١ م » قسمت إلى مساحتين مربعتين بواسطة عقد عمودى على الجدارين الشمالى والجنوبى للدركاة ، غطيت كل مساحة منها بقبو مدبب متقاطع .

فى الجدار الشمالى للدركاة بابان : الشرقى منهما يواجه الباب الخارجى ارتفاعه «٧٥ر١م» واتساعه « ٨٠ سم » يؤدى إلى الميضأة مباشرة ، والمدخل الغربى ارتفاعه « ٣٥ر٢ م » واتساعه « ٢٥ر١ م » حيث ينعطف الداخل من الباب الخارجى نحو اليسار ثم نحو اليمين عبر هذا الباب إلى الفناء . ويواجه الباب الأخير فى الجدار الجنوبى للدركاة عدد من الثقوب الرأسية تسمح بمرور إضاءة خافتة إلى الدركاة .

يتوج جدران كتلة المدخل شريط من الزخارف البارزة منفذة بواسطة قوالب الآجر قوامها : شريطان متقاطعان نتج عن تقاطعهما أشكال معينات ومثلثات ، يعلو الشريطين المتقاطعين تشكيلان زخرفية على هيئة اطارات صليبية بارزة تحصر بداخلها أصلبة غائرة ، يعلوها صف من الشرافات المتلاصقة كل شرفة منها عبارة عن شكل مخروطى مثقوب الوسط ينتهى بشكل رأس السهم .

• المئذنة :

تعلو كتلة المدخل وهى عبارة عن بدن مربع طول ضلعه « ٢٠ر١ م » وارتفاعه « ٢ م »

مجوف من الداخل كان يغطيه قبة سقطت فى زمن غير معلوم ، ويشغل كل من الأضلاع الشمالية والشرقية والجنوبية نجمه سداسية بارزة يبدو أنها حلت محل فتحات توزيع صوت المؤذن والتى لا تزال آثارها ظاهرة داخل تجويف البدن ، أما الضلع الغربى من البدن فقد شغل بباب يفضى إلى داخل البدن ، اتساعه « ٣٠ سم » وارتفاعه « ٦٥ر١ م » ، يتم الوصول إليه بواسطة سلم طوله « ٦٠ر١ م واتساعه « ٦٠ سم » ملاصق للجدار الغربى لكتلة المدخل حيث يرتفع بعدد « ست درجات » ثم ينعطف يساراً بعدد « ثلاث درجات » تنتهى عند باب المئذنة ، ويكتنف درجات السلم جداران يشبهان ريشتى المنبر .

• الميضأة :

تقع فى الجهة الشرقية من الفناء وتتكون من مساحة مستطيلة تمتد من الشمال إلى الجنوب بطول « ٦٠ر٥ م » وعرض « ٦٠ر٣ م » ، فى الركن الجنوبى الشرقى منها توجد بئر عميقة كانت تستخرج منها المياه اللازمة للوضوء ، ويتوسط الجدار الشرقى للميضأة خزان مياه طوله « ٥ر٢ م » وعرضه « ١ م » ينتهى من أعلى بشكل مشطوف يلتصق بجدار الميضأة بحيث يبدو وكأن الخزان مغطى بنصف قبو ، فى الضلع الغربى للخزان فتحة معقودة تستخرج من خلالها المياه اللازمة للوضوء بواسطة أوانى خاصة ، وفى الضلع الشمالى للميضأة مساحة خالياً حالياً وربما كانت تضم عدد من حمامات الوضوء .

٦ ـ مسجد الخامرى

الموقع :

يقع مسجد الخامرى فى الجهة الشرقية من مدينة حيس إلى الجنوب من مسجد ابن أبى الخل حيث يفصل بين المسجدين المقبرة الشرقية للمدينة .

ترجمة المنشىء :

يعرف هذا المسجد باسم : مسجد الخامرى نسبة إلى أحد فقهاء الصوفية [1] وهو «عمر بن

---

(١) الصوفية ، يقال أنها مشتقة من لبس الصوف وهو علامة على الزهد وترك الدنيا ، بينما الصوفية ينكرون ذلك ويقولون أنها مشتقة من الصفاء . انظر ، عبد الرحمن الشجاع ، الحياة العلمية ، ص ٢٠٧ .

محمد الخامرى» ، نسبة إلى الطريقة الصوفية المعروفة باسم «الخامرية» وقد أخذها من مكة ونشرها بمدينة حيس [1] وكان عمر الخامرى من الصوفية الذين بالغوا فى الزهد والتقشف حيث يصفه كل من ابن الديبع وبامخرمة بأنه (كان رجلاً مجذوبًا [2] لـه كـرامـات ومكاشفات) [3] وكانت وفات هذا الصوفى بمدينة حيس يوم الإثنين ٣ بذى القعدة سنة ٨٨١هـ/ ١٤٧٧م [4] وقيل سنة ٨٨٢هـ/ ١٤٧٨م [5] ودفن بها فى المقبرة الشرقية حيث يوجد مسجده المنسوب إليه وقبته الضريحية التى دفن بها.

الوصف المعمارى: [شكل ٥١ ، ٥٢]

يتكون مسجد الخامرى من مساحة مستطلة غير منتظمة تمتد فيها الواجهة الشمالية «٢٦م» والواجهة الجنوبية «٣٤م» والواجهة الشرقية «٢٠م» والواجهة الغربية «٥٠ر٢٤م» ، ويشتمل على مصلى وفناء يضم قبة ضريحية صغيرة ومئذنة تعلو المدخل الرئيسى وميضأة بالإضافة إلى قبة ضريح الخامرى.

المصلى :

يتكون المصلى من مساحة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب بطول «٦٠ر١٨م» وعرض «٥٠ر٤م» محاطة بأربعة جدران بنيت بواسطة قوالب الأجر بسمك «٧٥سم» فى الجدارين الشمالى والجنوبى و «٥٥سم» فى الجدارين الشرقى والغربى ، وارتفاع كل جدار منها «٣م» وقد جعل المعمار أركان المسجد بشكل مشطوف من أسفل حتى ثلثى ارتفاع الجدران ثم تنتهى بمقرنصات بسيطة ذات حطتين ، وكسيت الجدران بملاط من النورة البيضاء.

تطل الواجهة الجنوبية على الفناء بخمسة أبواب يفضى كل باب منها إلى مربع إحدى

---

(١) إبراهيم المقحفى، معجم المدن ، ص ٢٠٣ .

(٢) المجذوب ، من اسطفاه الحق لنفسه واصطفاه بحضرة أنسه وأطلعه بجناب قدسه ففاز بجميع المقامات والمراتب بلا كلفة المكاسب والمتاعب . انظر ، الجرجانى ، على بن محمد الشريف . كتاب التعريفات ، مكتبة لبنان . بيروت ، ١٩٦٩م، ص ١٢٣ .

(٣) ابن الديبع ، بغية المستفيد، ص ١٥٤ ، بامخرمة ، قلادة النحر ، جـ٣، ص ١١٣٢ .

(٤) ابن الديبع ، بغية المستفيد، ص ١٥٤ .

(٥) بامخرمة، قلادة النحر، جـ٣، ص ١١٤٠ .

القباب الخمس التي يتكون منها المصلى، كل باب منها مكون من فتحة مستطيلة ارتفاعها «٩٠ر١م» واتساعها «٩٥سم» يتوج الباب الغربى منها عقد خماسى الفصوص أما بقية الأبواب فيعلوها عقود مدببة، وقد تم سد الباب المواجه للمحراب الأوسط وحول إلى شباك وكذلك سد الباب المجاور له من الجهة الغربية لوجود قبة صغيرة ملاصقة للجدار، حيث حول الباب إلى حنية محراب للقبة المذكورة، كما سد الباب الجنوبى الشرقى المؤدى إلى القبة الشرقية.

والواجهة الشمالية للمصلى تطل على شارع ضيق، وهذه الواجهة لم تُبنَ على استقامة واحدة بل يوجد بها بعض الإنكسارات البسيطة حيث يوجد انبعاج بسيط نحو الداخل فى منطقة التقاء القبة الوسطى بالقبة الشرقية المجاورة لها.

ويوجد فى هذه الواجهة كتلتى محراب بارزتين: الأولى تتوسط جدار القبة الوسطى على هيئة نصف دائرة تبرز عن جدار الواجهة بـ «١م» والثانية تتوسط جدار القبة المجاورة للقبة الوسطى من جهة الغرب على هيئة مربع يبرز عن الواجهة بـ «٧٠سم» ونستدل من ذلك على أن المسجد كان فى الأصل مكون من ثلاث قباب ثم أضيفت له قبتان من جهة الشرق مع هدم الجدار الشرقى للقبة الشرقية القديمة، وعمل محراب جديد فى منتصف المسجد حل محل الجدار المهدوم، وهذا يفسر لنا وجود انبعاج فى جدار الواجهة وكذلك وجود محرابين فى المسجد.

فتح فى الجدار الشمالى للقبتين الشرقيتين والقبة الغربية ثلاث نوافذ تطل على الشارع اتساع كل منها «٧٢سم» وارتفاعها «٩٥سم» يغلق عليها مصاريع خشبية.

أما الواجهتان الشرقية والغربية فقد فتح فى كل منها نافذة مماثلة لنوافذ الواجهة الشمالية كانت النافذة الشرقية تطل على شارع ضيق ـ سدت بجدار فى عصر لاحق ـ بينما تطل النافذة الغربية على مساحة من الفناء محصورة بين المصلى والمدخل الرئيسى، وقد توجت واجهات المصلى بشرافات ثلاثية سقط معظمها.

ويغطى المصلى خمس قباب قليلة الإرتفاع قطاع كل منها نصف دائرة مكونة من الخارج من رقبة دائرية ارتفاعها «٥٠سم» تحمل قبة مبنية من الأجر ومكسوة بطبقة من الملاط زين بدنها بصفين من الثقوب المصمتة يبعد كل ثقب عن الآخر حوالى «٩٠سم» وتنتهى كل قبة بعمود صغير من الأجر [شكل ٥١].

وأما من الداخل فإن المصلى عبارة عن مساحة مستطيلة طولها «٥٠ر١٧م» من الشرق إلى الغرب وعرضها «٣م» أرضيته منخفضة عن أرضية الفناء، قسمت المساحة المستطيلة إلى خمس مساحات مربعة «٣×٣م» بواسطة أربعة عقود مدببة عمودية على جدار القبلة ارتفاع كل عقد «١٥ر٢م» وسمكه «٦٢م»، تستند أرجل العقود مباشرة على جدارى المصلى الجنوبى والشمالى [شكل ٥٣].

يتوسط جدار القبلة الوسطى كتلة محراب ارتفاعها «١٥ر٢م» إتساعها «١م» متوجة بعقد مدبب، يتوسطها حنية مجوفة ارتفاعها «٩٠ر١م» واتساعها «٧٠سم» وعمقها «١٠ر١م» مغطاة بطاقية مدببة، وإلى يسار المحراب محراب آخر يقع فى منتصف القبة الغربية المجاورة للقبة الوسطى وقد سد هذا المحراب لعدم الحاجة إليه بعد عمل المحراب الشرقى، وفى الجدران الداخلية عدد من الفتحات الصغيرة المعقودة لحفظ أمتعة المصلين أثناء الصلاة.

ويغطى المصلى - كما سبق الذكر - خمس قباب نصف دائرية مكسوة بملاط من النور تستند كل قبة على رقبة دائرية محمولة على أربع مناطق انتقال حولت مربع القبة إلى دائرة الرقبة مباشرة، وكل منطقة من مناطق الانتقال مكونة من مثلث كروى شُغل بثمانية صفوف من الأشكال الدالية.

الفناء:

يلى المصلى من الناحية الجنوبية والغربية فناء مكشوف طوله «١٦ر٢٢م» من الشرق إلى الغرب وعرضه «٢٧ر١٨م» من الشمال إلى الجنوب، أحيط بثلاثة جدران - بالإضافة إلى الواجهة الجنوبية للمصلى - من الجهات الشرقية والغربية والجنوبية، مبنية بقوالب الآجر بسمك «٥٥سم» وارتفاع «٢م» فى كل من الجدارين الشرقى والغربى و«٦٧ر١م» فى الجدار الجنوبى، قسم الفناء إلى ثلاثة مساحات مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب بواسطة جدارين: الشمالى يبدأ من على مقربة من الركن الشمالى الغربى للميضأت بجدار متعامد على الواجهة الجنوبية للمصلى فيما بين القبة الوسطى والقبة الشرقية المجاورة لها ويمتد جنوبا حتى جدار الميضأة الشمالى بطول «٦م»، ثم ينكسر غربا بطول «١٣م»، يتوسط هذا الجدار حنية محراب مكشوفة عمقها «٦٠سم» واتساعها «٧٠سم»، أما الجدار الجنوبى فيتصل من الجهة الشرقية بجدار الميضأة الغربى عند حدود الباب الغربى لها، ثم يمتد غربا بطول «١٦م»،

ولم يتبق من ارتفاع هذا الجدار سوى «٥٠سم»، وقد ملئت المساحة المحصورة بينه وبين الجدار الجنوبى للفناء بأكوام من الأتربة وكسرات قوالب الآجر، ولذلك من المحتمل أن هذه المساحة كانت تضم قاعة للدرس أو خلاوى للصوفية وربما أن هذه الأتربة أيضًا نقلت من القبة الضريحية عندما هدمت ووضعت فى هذه المساحة نظرًا لعدم وجود مساحات خالية من القبور حول المسجد.

يشتمل فناء المسجد على عدد من الوحدات المعمارية هى :

• كتلة المدخل الرئيسى : [شكل ٥٤]

تقع فى الركن الشمالى الشرقى وهى عبارة عن مساحة مربعة أبعادها من الخارج «٧٠ر٣× ٧٠ر٣م» مبنية من الآجر بسمك «٦٠سم» وارتفاع «٧٠ر٣م»، فى الضلع الغربى منها تقع فتحة المدخل مكونة من دخلة رأسية ارتفاعها «٢٥ر٣م» واتساعها «٢٥ر٢م» متوجة بعقد خماسى الفصوص، يتوسط الدخلة باب الدخول ارتفاعه «٢م» واتساعه «٢٥ر١م» يؤدى إلى دركاة مربعة أبعادها «٤٠ر٢ × ٤٠ر٢م» مغطاة بقبة مدببة ضحلة ارتفاعها عن الأرض «٣٥ر٣م» محمولة على أربع مناطق انتقال من المقرنصات متعددة الحطات تبدأ بواحدة وتنتهى بخمس حطات، وهذه القبة لا تظهر من الخارج نظرًا لقيام المعمار برفع الجدران حتى تساوت مع ارتفاع القبة وملء ما بين القبة والجدران بالدبش لعمل أرضية مسطحة تقوم عليها المئذنة التى تعلو كتلة المدخل.

وفى الضلع الجنوبى لدركاة المدخل باب اتساعه «١٧ر١م» وارتفاعه «٢٠ر٢م» يفضى من الدركاة فى الفناء، ولذلك يعتبر المدخل الرئيسى للمسجد من المداخل المنكسرة حيث ينعطف الداخل إلى الدركاة يمينًا إلى الفناء. وقد شغلت الجدران الشرقية والشمالية للدركاة بدخلات مصمتة ارتفاعها «٩٣سم» واتساعها «٥٢سم» وعمقها «٣٥سم» متوجة بعقود من النوع المعروف بالعقد حدوة فرس المنفوخ [شكل ٥٥].

• المئذنة : [شكل ٥٦]

يعلو كتلة المدخل مئذنة صغيرة بنيت جدرانها بقوالب الآجر بسمك «٢٥سم» مكونة من بدن مثمن مجوف من الداخل ارتفاعه «٨٧ر١م»، أضلاعه الثمانية مختلفة المقاسات بالنسبة

للعرض تتراوح ما بين «٥٠سم» و«٨٠سم»، فى الضلع الجنوبى من المثمن يقع باب المئذنة ارتفاعه «٦٠ر١مو واتساعه «٥٠ سم» يفضى إلى تجوف البدن المثمن، وفى كل من الضلع الشرقى والشمالى والغربى نافذة معقودة اتساعها «٣٥سم» وارتفاعها «٥٠سم» مخصصة لتوزيع صوت المؤذن على مختلف الإتجاهات، ينتهى البدن المثمن بقمة مخروطية الشكل مكونة من أربعة مثمنات تعلو بعضها بحيث يضيق كل مثمن عما تحته، ارتفاع كل مثمن «١٥سم» وقد شغلت الزوايا المرتدة للمثمنين الثالث والرابع بأنصاف قباب صغيرة بحيث تظهر قمة المئذنة على هيئة قمة مخروطية مقرنصة (١).

ويتم الصعود إلى المئذنة بواسطة سلم يلى المئذنة من الجهة الجنوبية مكون من ثلاث درجات عمودية على الجدار الغربى للفناء ثم ينعطف السلم يمينًا بسبع درجات تنتهى عند سطح كتلة المدخل ومنه إلى باب المئذنة.

• المدخل الجنوبى : [شكل ٥١]

يشتمل الفناء على مدخل آخر فرعى يقع فى الركن الجنوبى الغربى منه حيث يرتد الجدار الجنوبى للفناء بمقدار «٧٠ر٣م» باتجاه الشمال ثم يعود لاستقامته نحو الغرب بمقدار «٣م» مكونًا صدر المدخل الجنوبى المحصور بين الإرتداد من الشرق والقبة الضريحية من الغرب، وهذا المدخل من النوع البسيط مكون من دخلة اتساعها «٠٧ر١م» وارتفاعها «٢٣ر٢م» متوجة بعقد مدبب يتصدر الدخلة باب ارتفاعه «٦٧ر١م» واتساعه «٠٧ر١م» يفضى إلى ممر مجاور للجدار الشرقى للقبة الضريحية، ومن الممر يمكن للداخل أن يصل إلى الفناء أو القبة الضريحية أو البركة.

• القبة الضريحية الصغرى:

فى الجزء الشمالى من الفناء توجد قبة صغيرة ملاصقة لمدخل قبة المصلى الغربية الواقعة على يسار المحراب، وهى مربعة الشكل أبعادها من الخارج «٢٠ر٣ × ٢٠ر٣م»، ومن الداخل «١٠, ٢ × ٦٠ر٢م» مبنية بقوالب الآجر بسمك «٥٥سم» وارتفاع «٥٠ر٢م»، مغطاة بقبة مدببة ارتفاعها من الداخل «٥٠ر٣م» محمولة على أربع مناطق انتقال مكونة من مثلثات كروية ذات أشكال دالية.

---

(١) مماثلة لقمة مئذنة الجامع الكبير

ويمكن الدخول إلى القبة من خلال فتحة باب فى الضلع الغربى لها اتساعه «٥٥سم» وارتفاعه «٣٥ر١م» يفضى إلى داخل القبة والتى يوجد فى الضلع الشمالى لها ـ المشترك مع قبة المصلى ـ عقد يبدو حاليًا من نوع العقود المعروفة بالعقد المدائنى وربما كان فى الأصل عقد مفصص يعلو المدخل المؤدى إلى قبة المصلى، وقد سُد هذا العقد بجدار بحيث لا يظهر من داخل المصلى وإنما يظهر من داخل القبة الضريحية يتوسطه محراب استحداث عند بناء القبة ارتفاعه «١٠ر١م» واتساعه «٢٥سم» وعمقه «١٦سم».

• الميضأة:

تقع فى الركن الجنوبى الشرقى من الفناء عبارة عن مساحة مستطيلة تمتد من الشمال إلى الجنوب بطول «٩سم» وعرض «٦م»، محاطة بجدارين من الجهات الشمالية والغربية تفصل بينها وبين الفناء، فتح فى كل جدار منها باب نصل من خلاله إلى الميضأة التى يتوسطها بركة مستطيلة الشكل تتجه من الشمال إلى الجنوب بطول «٦م» وعرض «٤م» وعمق «٧٠ر١م»، ويحيط بالبركة عدد من مقاعد الوضوء بالإضافة إلى عدد من الحمامات فى الضلع الجنوبى للبركة مخصصة للإستنجاء حيث يأخذ المتوضىء المياه من البركة بأوانى خاصة ويستنجى فى الحمامات التى تتسرب مياهها عبر مجارى خاصة إلى خارج المنشأة، أما بالنسبة للوضوء فيتم مباشرة من البركة، وفى الركن الشمالى الغربى للبركة فسقية مربعة محصورة بين البركة والباب الشمالى للميضأة حيث يغسل المصلون أرجلهم قبل الدخول إلى الميضأة.

وقد شغل الجدار الشرقى للفناء المطل على البركة بسبع دخلات مستطيلة رأسية أبعادها «٢٠×٣٠×٦٠سم» يتوج كل دخلة عقد مفصص حدوة فرس يشبه لسان البخاريات، ويتم تزويد البركة بالمياه إما من الأمطار المتجمعة فى سطح المصلى وفناء المسجد وإما من بئر مجاورة للمسجد من الجهة الشرقية، والتى تستغل حاليًا كمصدر لتزويد المدينة بما تحتاجه من المياه.

• القبة الضريحية:

تقع فى الجهة الغربية من الفناء ملاصقة لجداره الغربى من الخارج مكونة من مساحة شبه مربعة أبعادها «٥٠ر٨×٢٥ر٩م»، بنيت جدرانها بقوالب الآجر المحروق بسمك «٥٥سم»، ويتم الوصول إليها من خلال باب فى الطرف الشمالى لمساحة القبة الضريحية.

ونظراً لتهدم القبة الضريحية ومعظم جدرانها فسوف نكتفى بذكر بقاياها على النحو التالى :

١ ـ جدار شرقى ملاصق للجدار الغربى للفناء من الخارج طوله «٣٠ر٦م» وارتفاعه «٣م ، يتوسط هذا الجدار حنية مجوفة تتجه إلى الشرق على هيئة محراب ارتفاعه «٢٥ر١م» واتساعه «٧٥سم» وعمقه «٧٥سم» .

٢ ـ فى المنطقة المحصورة بين المحراب وباب الضريح المؤدى إلى الفناء يوجد كتف بارز عن الجدار بحوالى «٥٠سم» يميل أعلاه نحو اليسار على هيئة رجل عقد يعلوه فى الركن عند اتصاله بالجدار الشرقى منطقة انتقال على هيئة مقرنص متعدد الحطات .

٣ ـ يلى حنية المحراب المذكورة من الجهة الجنوبية نافذة ارتفاعها «٩٤سم» واتساعها «٥٥سم» كانت تطل على فناء المسجد ثم أغلقت بجدار عندما هدمت القبة الضريحية .

٤ ـ مازال أساس الجدار الجنوبى للقبة باقيًا مما يلى النافذة جنوبًا مكون من عدد من المداميك بالإضافة إلى جزء بارز عن الجدار عند اتصاله بالجدار الشرقى وكذلك جزء من منطقة الإنتقال .

٥ ـ يقع قبر عمر الخامرى فى منتصف المساحة المحصورة بين الكتف الشمالى والجدار الجنوبى ، وهو عبارة عن بناء مستطيل يتجه من الشرق إلى الغرب طوله « ٢ م » وعرضه «١م» مبنى بالآجر بارتفاع « ٥٠ سم » وغطى بقبو مدبب مكسو بطبقة من النورة ، فى الضلع الجنوبى منه فتحة رأسية مستطيلة « ٢٠ × ٣٠ سم » لإدخال البخور إلى داخل القبر .

مما سبق يمكن التوصل للآتى :

(أ) لم تكن المساحة المربعة للضريح كلها مغطاة وإنما كانت توجد فيها قبة ضريحية ملاصقة للجدار الشرقى للفناء تعلو ضريح الخامرى وكان يحيط بالقبة الضريحية فناء من الجهات الشمالية والغربية .

(ب) كان المدخل الحالى للضريح يفضى من فناء المسجد إلى فناء القبة الضريحية ومنه عبر باب فى الجدار الشمالى للقبة نصل إلى داخلها وهذا يفسر وجود ميل إلى اليسار فى الكتف الملاصق للجدار الشرقى والذى يمثل جزءاً من رجل عقد مدخل القبة الضريحية .

(جـ) نظراً لأن باب القبة الضريحية يقع فى جدارها الشمالى ـ جدار القبلة ـ فقد وضعت حنية المحراب فى الجدار الشرقى كعلامة على اتجاه رأس الميت عند الدفن ولم يكن للدلالة على اتجاه القبلة التى تتجه إلى الشمال وليس إلى الشرق .

هذا وقد ضمت القبة الضريحية وكذلك فنائها عدد من القبور القديمة والحديثة ومنها قبر والى حيس ـ من قبل الأئمة بعد خروج العثمانيين من اليمن سنة ١٠٤٥ هـ ـ محمد بن أحمد بن أمير المؤمنين الحسن بن على بن داود المتوفى سنة ١٠٦٣ هـ [(١)] .

٧ ـ مسجد ركيز

الموقع :

يقع مسجد ركيز فى ربع المحل الواقع إلى الغرب من ربع السوق حيث يفصل بين الربعين المقبرة الغربية لمدينة حيس .

تسمية المسجد :

يعرف هذا المسجد باسم مسجد ركيز ، نسبة إلى الفقيه أحمد بن عمر بن عبد الصمد بن أبى الحياء والذى كان يلقب بركيز ، وكان معاصراً للدولة الرسولية فى عهد مؤسسها السلطان المنصور نور الدين عمر ٦٢٦ ـ ٦٤٧ هـ / ١٢٢٩١ ـ ١٢٤٩ م كما كان ابنه أبو بكر معاصراً لعهد السلطان المظفر يوسف ابن السلطان المنصور نور الدين عم ، [(٢)] ٦٤٧ ـ ٦٩٤ هـ / ١٢٤٩ ـ ١٢٩٥ م .

وكان الفقيه أحمد السابق ذكره وذريته من بعده يسكنون ـ طوال العصر الرسولى ـ قرية الحرابة جنوب مدينة حيس فلما دمرت القرية فى العصر الطاهرى [(٣)] انتقل أحد أحفاد الفقيه أحمد المذكور ويدعى الفقيه الشيخ عبد الله بن محمد بن عثمان بن أبى بكر بن الفقيه أحمد

---

(١) الوزير، عبدالله بن على، طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى (تاريخ اليمن خلال القرن الحادى عشر الهجرى السابع عشر الميلادى) (١٠٤٥ ـ ١٠٩٠هـ/ ١٦٣٥ ـ ١٦٨٠م)، تحقيق ، محمد عبد الرحيم حازم، مركز الدراسات والبحوث اليمنى صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ١٣٣ ، محمد محمد زباره، نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف إلى سنة ١٣٥٧هـ، مركز الدراسات والبحوث اليمنى صنعاء، ص ٧١٨ـ٧١٩.

(٢) رتبه السلطان المظفر وذريته من بعده على خانقاه حيس وجعل راتبهم ثمانية امداد من الطعام سنويا (انظر)، عبد الرحمن بعكر، كواكب يمانية ، ص ٥٧١ .

(٣) عبد الرحمن بعكر، كواكب يمانية، ص ٥٧٢ .

السابق ذكره من قرية الحرابة إلى الموضع المعروف بالمحل غربى مدينة حيس ، وفى هذا الموضع بنى الشيخ عبد الله وأقاربه منازلهم وكذلك قام ببناء مسجد يؤدون فيه الصلاة ، وقد عرف هذا المسجد باسم جد الأسرة « أحمد ركيز » ثم تناسى الناس اسم أحمد وأصبح يعرف باسم « مسجد ركيز » .

وظيفة المسجد :

يقوم مسجد ركيز بوظيفتين :

الأولى : وظيفة العبادة حيث تقام فيه الصلوات الخمس المفروضة[١] .

الثانية : اشتماله على قباب ضريحية تضم عدداً من مقابر أسرة منشئ المسجد منها ضريح جد الأسرة الشيخ أحمد ركيز وضريح المنشئ الفقيه عبد الله .

ترجمة المنشئ :

ينتسب الفقيه الشيخ عبد الله بن محمد بن عثمان بن أبى بكر بن أحمد ركيز إلى أسرة آل أبى الحياء القاطنين فى مدينة حيس والذين يتصفون بالعلم والفقه ، وكان الفقيه المذكور إماماً فى العلوم الشرعية وشيخاً كبيراً فى الطريقة الصوفية بالإضافة إلى مهارته الفائقة فى علوم الطب ، وكذلك له مشاركة فى الشعر [٢] ، وكان هذا الفقيه معاصراً للصوفى الحيسى عمر بن محمد الخامرى المتوفى سنة ٨٨١ هـ / ١٤٧٧ م ، والمدفون فى مسجده السابق ذكره ، وقد توفى الفقيه عبد الله المذكور سنة ٨٩١ هـ / ١٤٨٦ م [٣] ودفن بمسجده موضوع الدراسة .

الوصف المعمارى : [شكل ٥٧ ، ٥٨]

يتكون مسجد ركيز من مساحة غير منتظمة تمتد من الشرق إلى الغرب فى أقصى اتساع لها

(١) أما صلاة الجمعة فكانت تؤدى فى الجامع الكبير والذى ما زال حتى اليوم يمثل الجامع الوحيد فى المدينة والذى تقام فيه صلاة الجمعة .

(٢) عبد الرحمن بعكر ، كواكب يمانية ، ص ٥٧٢ .

(٣) عبد الرحمن بعكر ، كواكب يمانية ، ص ٥٧٠ .

بطول « ١٩ م » ومن الشمال إلى الجنوب فى أقصى اتساع لها « ٥٠ر١٦ م » تضم مصلى ومقصورة وقبتين ضريحيتين بالإضافة إلى فناء ومئذنة .

المصلى :

يتكون المصلى من قبتين شمالية وجنوبية .

• القبة الشمالية :

تتكون من مساحة شبه مربعة أبعادها « ٥ × ٥٠ر٤ م » بنيت جدرانها بقوالب الآجر المحروق بسمك « ٩٠ سم » وارتفاع الجدران « ٢٠ر٣ م » ، كسيت بطبقة من ملاط النورة من الداخل والخارج [شكل ٥٧]

أما من الداخل فإن القبة تتكون من مساحة شبه مربعة طولها من الشمال إلى الجنوب « ٢٠ر٣ م » ومن الشرق إلى الغرب « ٧٠ر٢ م » ، يتوسط الضلع الشمالى منها حنية محراب مجوفة اتساعها « ٧٠ سم » وارتفاعها « ٧٥ر١ م » وعمقها « ٤٥ سم » متوجة بعقد حدوة فرس ، وعلى يسار المحراب خزانة صغيرة ذات عقد منكسر مفصص ارتفاعها « ٤٠ سم » واتساعها « ٤٠ سم » وعمقها « ٢٥ سم » مخصصة لوضع المصاحف .

يغطى هذه المساحة قبة مدببة ارتفاعها « ٤٠ر٥ م » كانت مكسوة من الداخل والخارج بطبقة من ملاط النورة سقطت عنها الكسوة الداخلية ، وهذه القبة مقامة على أربع مناطق انتقال كل منها مكون من مثلث كروى مشغول بسبعة صفوف من الأشكال الدالية ، حولت المربع إلى دائرة الرقبة الحاملة للقبة ، تستند مناطق الانتقال على ثلاثة عقود ـ شرقية وغربية وجنوبية ـ بالإضافة إلى جدار القبلة : العقد الشرقى يفتح على المقصورة اتساعه « ٣٠ر٢ م » وارتفاعه « ١٧ر٢ م » وسمكه « ٨٥ سم » يستند على كتفين ملاصقين للجدار الشمالى والجنوبى ، والعقد الغربى كان يفتح على القبة الضريحية الشمالية وهو من النوع المفصص ـ ذو خمسة عشر فصاً ـ وأما العقد الجنوبى فيفتح على القبة الجنوبية للمصلى .

• القبة الجنوبية :

يبدو أن المصلى كان فى الأصل يتكون من قبة واحدة وعندما تزايد عدد سكان ربع المحل

المجاور للمسجد قام المنشىء - أو أحد أحفاده - بتوسعة المصلى من الجهة الجنوبية [1] حيث قام المعمار بتوسيع المدخل الجنوبى للقبة الأصلية وحوله إلى عقد مشترك مع القبة المضافة يبلغ اتساعه « ٩٠ر١ م » وارتفاعه « ٩٠ر٢ م » وسمكه « ٩٠ سم » ، وفى العام الماضى ١٩٩٣ م هدم الجزء السفلى من الجدار الشرقى للقبة المضافة وعمل جسر من الأسمنت يحمل الجزء العلوى من الجدار ، وعمل سقف من الأسمنت للجزء الشمالى من الفناء المحصور بين المئذنة والقبة الجنوبية للمصلى بحيث أصبح متصلاً مع القبة .

تتكون القبة المضافة من مساحة مربعة أبعادها من الخارج « ٥ × ٥ م » وهى بذلك أكثر اتساعاً من القبة الشمالية - الأصلية - بنيت جدرانها بواسطة الآجر المحروق بسمك « ٧٠ سم » وارتفاع « ٧٠ر٣ م » وهى بذلك أكثر ارتفاعاً من القبة الشمالية ، وكسيت جدرانها بطبقة من الملاط .

وتتميز جدران هذه القبة بأن ركنيها الجنوبيين جاءا على هيئة أركان مشطوفة تنتهى بمقرنص بسيط من ثلاث حطات .

وتبلغ مساحة القبة من الداخل « ٦٠ر٣ × ٦٠ر٣ م » غطيت بقبة مدببة ارتفاعها عن الأرض « ٧٠ر٥ م » مقامة على أربع مناطق انتقال مماثلة لمناطق انتقال القبة الشمالية .

وفى منتصف الجدار الجنوبى لهذه القبة يوجد المدخل المؤدى من الفناء إلى المصلى ، والذى يتكون من دخلة رأسية اتساعها « ٣٢ر١ م » وارتفاعها « ٩٠ر٢ م » متوجة من الداخل والخارج بعقدين مزدوجين العلوى : مكون من عقد مدبب خماسى الفصوص والسفلى مكون من عقد منكسر خماسى الفصوص أيضاً ، فى الجزء السفلى من الدخلة باب : اتساعه « ١٢ر١ م » وارتفاعه « ٦٠ر١م » .

ويوجد على يسار المدخل السابق محراب مجوف اتساعه « ٤٥ سم » وارتفاعه « ٣٠ر١ م » وعمقه « ٢٥ سم » متوج بعقد مدبب ، وهذا المحراب يستخدم علامة على اتجاه القبلة وكذلك يتخذ محراباً للصلاة فى الشهور الحارة حيث كانت تؤدى الصلوات الليلية فى الفناء .

---

(١) كان من الصعب توسعته من الجهة الشمالية بسبب المحراب ولا من الجهة الشرقية بسبب المقصورة ولا من الجهة الغربية لوجود القباب الضريحية .

المقصورة[1]

تقع المقصورة ملاصقة للجدار الشرقى للقبة الشمالية من المسجد وتتكون من قاعة شبه مربعة أبعادها من الخارج « ٧٠ر٣ × ٨٥ر٣ م » بنيت جدرانها بقوالب الآجر بسمك « ٧٠سم» وارتفاع « ٥٠ر٢ م » جدارها الجنوبى يعتبر امتداداً للجدار الجنوبى للقبة الشمالية للمسجد وأما جدارها الشمالى فيرتد نحو الداخل حيث تبرز واجهة القبة الشمالية للمسجد عن واجهة جدار المقصورة بحوالى « ٦٣ سم » [شكل ٥٧] غطيت المقصورة بقبة قطاعها عقد مدبب نصف دائرى ارتفاعها « ٥ م » مقامة على مناطق انتقال مماثلة لمناطق انتقال القباب الأخرى فى المسجد .

وتتكون المقصورة من الداخل من مساحة شبه مربعة أبعادها « ٥٠ر٢ × ٣ م » ، فى الجدار الشمالى منها كتلة محراب اتساعها « ٧٥ سم » وارتفاعها « ٣٢ر٢ م » تنتهى من أعلى بعقد ثلاثى الفصوص ، يتوسط صدر كتلة المحراب : حنية مجوفة اتساعها « ٥٥ سم » وارتفاعها « ٦٠ر١ م » وعمقها « ٤٠ سم » ، ويقابل المحراب فى الجدار الجنوبى فتحة شباك اتساعها « ٦٠سم » وارتفاعها « ٩٠ سم » تطل على الفناء الشرقى .

وهذه المقصورة كانت مخصصة لاستراحة الفقية عبد الله بن محمد بن عثمان بن أبى بكر - مؤسس المسجد - ليصلى فيها ما شاء من الصلوات النافلة ، وربما كان الفقيه يقوم بإلقاء الدروس فيها على طلبته .

وقد توجت جدران المسجد والمقصورة بشرافات مكونة على هيئة أوراق ثلاثية .

القباب الضريحية :

كان المسجد يضم قبتين ضريحيتين :

---

(١) المقصورة ، من قصر الشيء يقصره قصرا أى حبسه وتجمع على مقاصير وهى عبارة عن حجرات مربعة أو مستطيلة تخصص لإقامة العلماء أو لصلاة النساء ومن أقدم أمثلتها فى اليمن ، مقصورة المدرسة الياقوتية بذى السفال (٨٤٠هـ) (نظر) ، إسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ٢٢٨ ، مصطفى شيحه ، المدخل . ص ٧٠ ، محمد محمد الكحلاوى (دكتور) ، مقاصير الصلاة فى العصر الإسلامى ، دراسة أثرية معمارية ، مجلة كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، العدد الثالث ، ١٩٧٩م ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

• القبة الشمالية :

ملاصقة لقبة المصلى الشمالية من جهة الغرب ، يتوسطها ضريح جد أسرة آل ركيز : الشيخ أحمد بن عبد الصمد بن حسين بن أبى الحياء المعروف بركيز ، وكانت هذه القبة تتصل بقبة المصلى الشمالية من خلال عقد كبير مشترك بين القبتين ، يزين وجه هذا العقد المطل على القبة الضريحية عقد زخرفى مفصص مكون من خمسة عشر فصاً .

• القبة الجنوبية :

كانت ملاصقة للقبة الضريحية الشمالية من الجهة الجنوبية وان كانت أقل اتساعاً منها ، ومن المرجح أن هذه القبة بنيت قبل بناء القبة الجنوبية للمصلى ، حيث قام المعمار ببناء القبة الضريحية الجنوبية ملاصقة للقبة الضريحية الشمالية وباتساع أقل بهدف ترك المساحة المحصورة بينها وبين المئذنة كفناء يتقدم القبة الشمالية من المصلى ، وعندما بنيت القبة الجنوبية للمصلى على امتداد القبة الشمالية احتلت جزءاً من الفناء الشرقى بحيث بنى الجدار الغربى لها ملاصق للجدار الشرقى للقبة الضريحية الجنوبية ، ولما كان باب القبة الضريحية المذكورة يقع فى الجدار الشرقى فقد حول إلى شباك على النحو التالى : أبقى المعمار فتحة باب القبة الضريحية كما هو وعمل فى جدار قبة المصلى الجنوبية الملاصق للباب شباك معقود ولكن باتساع وارتفاع أقل من فتحة الباب الملاصق للشباك ، بعد أن هدمت القباب الضريحية [(١)] ، سدت فتحات قباب المصلى المطله على القباب الضريحية بحدارن من الآجر فظهر شباك القبة الضريحية الشرقى وكأنه محراب يتجه نحو الشرق .

أما بالنسبة لعمارة هاتين القبتين فلم يتبق منهما سوى فتحة العقد المشترك مع قبة المصلى الشمالية وفتحة الشباك المطلة على القبة الجنوبية من المصلى بالإضافة إلى بقايا مناطق الانتقال الملاصقة لجدران المصلى والتى كانت تحمل القباب الضريحية ، وكذلك بقاء القبور التى كانت تقع داخل القباب الضريحية .

الفناء :

يضم مسجد ركيز فناء يتقدم المصلى والقباب الضريحية من الجهة الجنوبية ، يمتد من الشرق

---

(١) هدمت القباب الضريحية فى النصف الثانى من القرن ١٨ م ، (انظر) ، حسين العمرى ، مئة عام ، ص ٢١٠ .

إلى الغرب بطول « ١٩ م » من الشمال إلى الجنوب بعرض « ٥٠ر٤ م » ، كما يمتد الفناء من طرفه الشرقى نحو الشمال بموازاة القبة الجنوبية للمصلى حتى حدود المقصورة بطول « ٥ م » وعرض « ٥٠ر٣ م » ، وكذلك يمتد الطرف الغربى للفناء نحو الشمال بموازاة أساسات الجدار الغربى للقبتين الضريحيتين ، وبعد أن يجاوز حدود الواجهة الشمالية للقبة الضريحية ينعطف الفناء نحو الشرق حتى كتلة محراب المصلى من الخارج .

ويبدو أن الجزء الغربى من الفناء استحدث بعد هدم القباب الضريحية حيث قام أحد أحفاد منشئ المسجد من أسرة آل أبى الحياء ببناء سور يحيط بموقع القباب الضريحية ، وقبور الأسرة المجاورة لها .

وقد بنيت جدران فناء المسجد بقوالب الآجر بارتفاع « ٢ م » وسمك « ٤٠ سم » وكسيت بطبقة من الملاط .

وللفناء المذكور مدخلان : الأول جنوبى مواجه للمقصورة اتساعه « ١ م » وارتفاعه « ٨٠ر١ م » والآخر يقع فى الطرف الجنوبى من الواجهة الغربية للفناء حيث ينكسر هذا الجزء من الواجهة نحو الشرق ثم نحو الجنوب نظراً لوجود بعض القبور التى تعذر معها استكمال بناء الجدار بشكل مستقيم ، وهذا المدخل يبدو أنه استحدث مع بناء السور المحيط بمقبرة المسجد ، وربما أن المدخل والإنكسار كان فى الأصل جزءً من جدار مستقيم يمتد حتى الركن الجنوبى الغربى للقبة الضريحية الجنوبية ، وقد استغل الفناء فى عمل مبنى حديث كتوسعة للمسجد ولم يتبق منه سوى الفناء الغربى الذى يحتوى على قبور .

● **المئذنة : [شكل ٥٧]**

للمسجد مئذنة تقع ملاصقة للجدار الشرقى للفناء من الخارج مبنية بقوالب الآجر ومكسوة بطبقة من ملاط النورة يبلغ ارتفاعها « ٥٠ر٧ م » ، تتكون من قاعدة مربعة عبارة عن خزان للمياه ارتفاعه « ٨٠ر١ م » مغطى بقبو ، يعلو القاعدة بدن اسطوانى ارتفاعه «٢٠ر١م»، يعلوه شرفة دائرية من الآجر محمولة على عدة صفوف من المقرنصات ، يعلو الشرفة بدن اسطوانى آخر ارتفاعه « ٣ م » ينتهى أعلاه بشرافات على هيئة أوراق ثلاثية تحيط بقمة المئذنة المكونة من قبة مدببة مخروطية ارتفاعها « ٧٠ سم » .

يتم الصعود إلى المئذنة من خلال فتحة باب فى الجدار الشرقى للفناء اتساعه « ٧٠ سم »

وارتفاعه « ٥٠ر١ م » ، يفضى إلى سلم صاعد بجوار القاعدة المربعة يدور حول البدن الأسطوانى السفلى مستنداً على كتف ملاصق للقاعدة والبدن الأسطوانى من الخارج وينتهى عند الشرفة ومنها إلى داخل البدن الأسطوانى العلوى عبر فتحة باب فى الجهة الجنوبية منه اتساع الباب « ٥٠ سم » وارتفاعه « ٦٠ر١ م » ، وكان يوجد داخل البدن الأسطوانى العلوى مصطبة يقف عليها المؤذن لترديد الآذان ، وقد فتح فى الاتجاهات الشرقية والغربية والشمالية والجنوبية فوق مستوى باب المئذنة أربعة شبابيك مستطيلة ذات عقود منكسرة لتوزيع صوت المؤذن على مختلف الاتجاهات .

• الميضأة :

لا أحد يعرف أين كانت تقع ميضأة المسجد وربما كان موقعها خارج الجدران من الجهة الشرقية نظراً لوجود خزان المياه تحت المئذنة ، وأما الميضأة الحالية فهى مستحدثة وقد بنيت ملاصقة للجدار الشرقى من الفناء من الخارج حيث هدم الجدار الشرقى للفناء وأصبحت الميضأة تطل مباشرة عليه .

الفصل الثالث

المدارس الباقية فى مدينة حيس

كانت مدينة حيس باعتبارها مركزاً من مراكز التعليم فى عصر بنى رسول وبنى طاهر ، نضم العديد من المدارس والمساجد والخانقاوات التى تقوم بوظيفتى العبادة والتدريس ، ومن أهمها :

الجامع الكبير ، والذى كان فى الأصل مدرسة ومسجد كما ورد فى النص التأسيسى لوجود على المدخل الرئيسى [1] ، وكذلك الخانقاه [2] التى شيدها السلطان المظفر يوسف بن عمر بن على بن رسول ، وكان أحد شيوخها الفقيه أبو الخطاب عمر بن أبى بكر العراف .

وأما المدارس فكان من أهمها المدرسة الياقوتية [3] التى شيدتها جهة الطواشى اختيار لدين ياقوت قبل سنة ٨٤٢ هـ ، والتى ورد ذكرها أثناء ترجمة الفقيه أبو بكر بن أحمد بن حسين (ت ٨٤٢ هـ) بأنه كان من المدرسين بها وكذلك المدرسة الهتارية ، ومدرسة المعجار ، والمدرسة الإسكندرية .

وفيما يلى وصف مفصل لمدارس مدينة حيس الباقية من العصرين الرسولى والطاهرى .

١ ـ مسجد المدرسة (الياقوتية)

الموقع :

يقع مسجد المدرسة فى الجزء الجنوبى الغربى من ربع السوق فيما بين مسجد ابن على ومسجد الدحن شمالاً ، ومسجد الجبارى شرقاً ، ومدرسة المعجار جنوباً .

---

(١) سبق وصفه في الفصل الأول من الباب الثانى .

(٢) الخانقاه ، من المنشآت الدارسة ، وقد سبق الحديث عنه ضمن أعمال المظفر فى الفصل الأول من الباب الثانى .

(٣) المدرسة الياقوتية ، انظر مسجد المدرسة من هذا الفصل .

التسمية :

يعرف هذا المبنى عند الأهالى وفى الخرائط الرسمية والصور الجوية لمدينة حيس باسم « مسجد المدرسة » ، وهى تسمية تدل على أن المبنى كان يستخدم مسجداً للصلاة ، ومدرسة للعلم ، وهذه التسمية محيرة لسببين :

الأول : إنه لم يرد فى المصادر والمراجع التاريخية ذكر لمبنى بهذا الاسم فى مدينة حيس .

الثانى : عدم وجود نصوص تاريخية على المبنى تكشف عن ماهيته بحيث تؤيد أو تنفى هذه التسمية .

وإن كانت المصادر قد ذكرت قيام الرسوليين ببناء منشأتين دينيتين ـ غير الجامع الكبير :

الأولى خانقاه السلطان المظفر ، وإن كانت المصادر لم تحدد أيضاً تاريخ بنائه ، واكتفت بالإشارة إلى أن من أعمال السلطان المظفر بناء الخانقاه المظفر به بمدينة حيس [1] ، ولذلك يمكن تأريخه بفترة حكم السلطان المظفر الممتدة من سنة ٦٤٧ ـ ٦٩٤ هـ/ ١٢٥٠ ـ ١٢٩٥ م .

والثانية المدرسة الياقوتية ، والتى ذكرها الأكوع فى كتابه المدارس [2] نقلاً عن البريهى[3] ، وابن دعسين [4] ، حيث تذكر هذه المصادر أثناء ترجمة الشيخ رضى الدين أبو بكر بن أحمد

بن أبى بكر بن أحمد بن دعسين (ت ٨٤٢ هـ) أنه رتب فى آخر حياته مدرساً بالمدرسة الياقوتية بحيس .

وقد ذكر الأكوع : أن المدرسة ربما كانت من إنشاء جهة الطواشى اختيار الدين ياقوت زوج السلطان الرسولى الظاهر يحى بن الأشرف والتى توفيت بعد سنة ٨٤٠ هـ [5] .

إلاأن هذه النصوص لا يمكن الاستدلال منها على أن مسجد المدرسة هو أحد المنشأتين

---

(١) الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ، جـ١ ، ص ١٣٣ ، العسجد المسبوك ، ص ٢٧٢ ، البريهى ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ١٢٠ ، ١٢١ ، ابن الديبع ، بغية المستفيد ، ص ٨٤ ، إسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ١٨٥ .

(٢) إسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ٢٣٠ .

(٣) البريهى ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ٢٧٥ .

(٤) ابن دعسين : عبدالملك بن عبد السلام بن عبد الحفيظ ، ولد سنة ٩٥٢ ، وتوفى سنة ١٠٠٦ هـ ، وكتابه يعرف باسم قرة العين بمعرفة بن دعسين ، فرغ من تأليفه سنة ٩٩٣هـ ، وما زال الكتاب مخطوط لم يطبع ، (انظر) ، عبدالله الحبشى ، مصادر الفكر ، ص ٣٨٢ ، ٣٨٢ ، ٤٣٤ .

(٥) إسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ٢٣٠ .

السابقتين ، لأنه قد يكون هناك منشآت أخرى شيدت فى حيس خلال العصر الرسولى ولم يرد لها ذكر فى المصادر والمراجع .

وأمام هذا الصمت من المراجع التاريخية عن حقيقة مسجد المدرسة ، كان لابد من وضع افتراضين :

الافتراض الأول : أن مسجد المدرسة هو المدرس الياقوتية « حيث يتبادر إلى الذهن قرب التسميتين من بعضها وخاصة إذا ما اعتبرنا أن عبارة « مسجد المدرسة » ربما يقصد بها المسجد الذى كان جزءاً من المدرسة الياقوتية ، وخاصة أنه لم يبق من مسجد المدرسة سوى كتلة المصلى ، وفناء مكشوف ، وخزانى مياه ، أما بقية أجزاء المبنى فقد اندثرت واندثرت معها التسمية الحقيقية للمبنى ، ولذلك ربما أطلق على الجزء المتبقى من المبنى - المصلى - اسم مسجد المدرسة الياقوتية ، ومع الزمن تجاهل الناس كلمة « الياقوتية » وبقيت التسمية « مسجد المدرسة» تميزاً عن بقية مساجد حيس .

الافتراض الثانى : أن مسجد المدرسة هو الخانقاة المظفرية وكان الدافع إلى هذا الافتراض ما ذكرته البعثة الألمانية [١] أن مسجد المدرسة هو الخانقاة المظفرية .

ولكن هذا الافتراض يواجه نفس مشكلة الافتراض الأول وهى عدم وجود دليل تاريخى يؤيد ما ذكرته البعثة الألمانية [٢] . فضلاً عن أن صغر حجمه لا يتناسب مع كونه خانقاه سلطانية ينفق فيها على الواردين اليها كل يوم مقدار ما يحمله الجمل الضخم الشديد من الطعام خارجاً عن اللحم والتمر والحلويات وخارجاً عن نفقات المرتبين فى الخانقاة [٣] .

ولذلك ، فإن الباحث يرجح أن يكون مسجد المدرسة هو « المدرسة الياقوتية » نظراً لتناسب حجمه مع حجم المدارس الياقوتية الأخرى ، وكذلك تشابه تخطيطه مع تخطيطات المدارس الأخرى بحيس ، ومع كثير من مدارس زبيد [٤] .

وظيفة مسجد المدرسة :

كان مسجد المدرسة (الياقوتية) يقوم بوظيفة العبادة نظراً لوجود مسجد فى المدرسة وهو

---

(١) Fin ster, Barbara: Archaologishe Berichte, Band III, 1986, P. 261.

(٢) أوردت البعثة فقط صورة لكتلة محراب مسجد المدرسة وكتبت تحتها (خانقاة حيس) .

(٣) الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ، جـ١ ، ص ٢٣٣ ، العسجد المسبوك ، ص ٢٧٢ ، إسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ٨٥ .

(٤) انظر الفصل الأول من الباب الثالث .

ما بقى من مبانيها ، وكذلك وظيفة التعليم المتمثل فى إلقاء الدروس فى المسجد وفى القاعة الجنوبية (الدارسة) ، حيث أن منشئة المدارس الياقوتية فى كل من زبيد ، عدن ، ذى السفال ، حيس [١] أوقفت بعض الأراضى والعقارات على هذه المدارس ، حتى تستمر فى أداء رسالتها .

ورتبت فى كل مدرسة عدد من المرتبين لإدارة المدرسة والإشراف عليها وعلى أوقافها ومن هؤلاء : الناظر ، الإمام ، المؤذن ، القيم ، معلم القرآن ، أربعة أيتام لتعليم القرآن وحفظه [٢] .

ومن المدرسين الذين كانوا يدرسون فى المدرسة الياقوتية بحيس الفقيه ابن دعسين السابق ذكره ، والذى كان إماماً عالماً أخذ الفقه عن أئمة عصره ، وتصدر للإفتاء والتدريس ، وتولى القضاء فى موزع ، ثم عزل نفسه لما علم أن راتبه من المكوس [٣] ، وقد رتب مدرساً فى المدرسة المذكورة أواخر عمره ، فسكن حيس واجتهد فى نشر العلم حيث أخذ عنه الفقه جماعه من أهلها ، ومنهم الفقيه يوسف بن محمد السكسكى وابن أخيه رضى الدين أبو بكر بن عمر وغيرهما ، وقد ظل مدرساً فى المدرسة حتى وفاته سنة ٨٤٢ هـ .

ولهذا الفقيه العديد من المؤلفات ، منها : « الدار النضيد فى أنساب بنى أسيد » ذيل به كتاب جده أبو بكر بن أحمد بن دعسين المتوفى سنة ٧٥٢ هـ ، والمعروف باسم العقد الفريد فى أنساب بنى أسيد [٤] .

الوصف المعمارى لمسجد المدرسة [شكل ٥٩] .

يتكون مسجد المدرسة من مساحة مستطيلة ، تمتد من الشمال إلى الجنوب بطول « ١٨ م » ، ومن الشرق إلى الغرب بطول « ١٤ م » ، تضم مصلى وفناء مكشوفاً يشغل الركن الجنوبى الشرقى منه عدد من الحمامات ، وإلى الغرب منها خزان للمياه .

---

(١) انظر هذه المدارس عند إسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ٢٢٨ - ٢٣١ ، وانظر وصف المدرسة الياقوتية بذى السفال عند عبدالله الراشد ، المنشآت المعمارية ، ص ٩٦ - ٩٩ ، وانظر : وصف المدرسة الياقوتية بزبيد عند محمد سيف النصر ، نظرة عامة ، ص ١٠٩ ، عبدالله الراشد ، المنشآت المعمارية ، ص ٢٣٧ - ٢٤٣ .

(٢) ذكرت المصادر التاريخية ووثيقة وقف المدرسة الياقوتية بذى السفال مسميات وظائف المربين ومهمة كل وظيفة ، أما بقية المدارس الياقوتية فلم يرد ذكر للمرتبين فيها نظراً لاختفاء وثائق الوقف الخاصة بها . انظر . إسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ٢٩٩ .

(٣) المكوس ، جمع مكس وهو فى البيع ، والمكس ، الجباية ، والماكس هو العشار (أى الجابى) والمكس ، الضرائب ما يأخذه العشار . وفى الحديث : « لا يدخل صاحب مكس الجنة » . الرازى ، مختار الصحاح ، ص ٦٣٠ .

(٤) إسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ٢٣٠ ، البريهى ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، عبدالله الحبشى ، مصادر الفكر ، ص ٤٢١ .

ولذلك يمكن تقسيم المبنى إلى : مصلى ، فناء .

المصلى :

يعتبر المصلى الجزء الوحيد الباقي من المنشأة ، وهو مكون من مساحة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب بطول « ١٤ م » ، وعرض « ٦ م » ، بنيت جدرانه بقوالب الأجر المحروق ، وكسيت بطبقة من ملاط النورة البيضاء من الداخل والخارج .

الوصف من الخارج :

للمصلى أربع واجهات فيها الأركان الشمالية مشطوفة من أسفل حتى ارتفاع ثلثى الواجهات ، ثم يعلو الشطف مقرنصات بسيط متعددة الحطات تضيق كلما ارتفع إلى أعلى [شكل ٦٠] .

الواجهة الجنوبية : تطل على الفناء المكشوف وهى مكونة من جدارن طوله « ١٤ م » وارتفاعه « ١٠ر٤ م » ، وسمكه « ١ م » ، يتوسطه مدخل يفضى إلى مربع القبة الوسطى ، يتكون من دخلة مستطيلة رأسية محورية على المحراب [شكل ٦١] ، ارتفاعها « ٣ م » واتساعها « ٦٠ر١ م » ، متوجه بعقد مدبب يزينه عقد آخر مفصص (سباعى الفصوص) ويتوسط الدخلة فتحة باب ارتفاعه « ٢٥ر٢ م » واتساعه « ٣٥ر١ م » .

ويكتنف المدخل الأوسط شباكان : شرقى يطل على مربع القبة الشرقية ، وغربى يطل على مربع القبة الغربية ، يتكون كل شباك منهما من دخلة رأسية ارتفاعها « ٢ م » واتساعها « ٢٠ر١ م » فى صدر كل منها شباك ارتفاعه « ٣٥ر١ م » ، واتساعه « ٢٠ر١ م » . يتوج الشباك الشرقى منهما عقد مدبب مزين بعقد مفصص ويتوج الشباك الغربى أيضاً عقد مدبب خماسى الفصوص فيه الفص الأوسط على هيئة قوسين منفرجين .

وهذان الشباكان كانا فى الأصل مدخلين مماثلين للمدخل الأوسط ، ثم بنى الجزء السفلى من فتحتى المدخلين وحولا إلى شباكين .

أما الواجهة الشمالية فتطل على شارع واسع ، وهى مماثلة للواجهة الجنوبية من حيث الطول والارتفاع ، يتوسط الواجهة كتلة محراب تبرز عنها « ٤٠ سم » ، بعرض « ٢ م » ، وارتفاع مساو لارتفاع الواجهة ، بينما شطفت أركان كتلة المحراب وتوجت بمقرنصات مشابهة لمقرنصات أركان المصلى .

ويكتنف كتلة المحراب شباكان يطلان على مربع القبة الشرقية والقبة الغربية ، يتكون كل منهما من دخلة رأسية مشابهة من حيث الشكل والقياسات للشباك الغربى من الواجهة الجنوبية ، وقد سد الشباك الغربى منهما بجدار من الأجر وحول عمق الشباك من الداخل إلى مخزن للمفاتيح الكهربائية [1] .

أما الواجهتين الشرقية والغربية ، فتطل كل منهما على شارع أيضاً طول كل واجهة « ٦م» ، وارتفاعها « ٤٠ر٤ م » وهما حالياً خاليتان من الشبابيك ، وإن كانتا فى الأصل كل منهما تحتوى على شباك حيث لا تزال فتحة الشباك موجودة من الداخل ، وهما مماثلان من حيث الشكل والقياسات لشبابيك الواجهة الشمالية .

وقد توجت جدران الواجهات من الخارج بشريط من الزخارف الهندسية قوامها تشكيلات بارزة نفذت بواسطة قوالب الأجر ، تضم مثلثات ومعينات نتجت عن تقاطع خطين بارزين [شكل ١٥٢] . فى حين شغلت واجهة كتلة المحراب من الخارج بعنصر زخرفى هندسى يشبه المفروكة [شكل ٦٢] نفذ بواسطة قوالب الأجر قوامه عقدان ثلاثيان متقابلان يتداخلان مع بعضهما ويقطعهما من أعلى وأسفل خطان أفقيان .

ويغطى المصلى ثلاث قباب مدببة ، القبة الوسطى منهما أكثر ارتفاعاً من القباب الجانبية ، وكل قبة منهما بنيت بواسطة قوالب الأجر المحروق ، وكسيت بطبقة من ملاط النورة من الداخل والخارج .

وكل قب من القباب الثلاث مقامة على مثمن يظهر فوق مستوى السطح يفتح فى أربعة أضلاع منه أربع فتحات لإدخال الضوء ، ويعلو المثمن رقبة دائرية ـ رقبة القبة الوسطى أكثر ارتفاعا ـ تحمل القبة التى تنتهى من أعلى بعمود من الأجر ذو قمة مخروطية ، ويتخلل بدن كل قبة عدد من الثقوب المصمتة .

الوصف من الداخل :

يتكون المصلى من الداخل من مساحة مستطيلة طولها « ١٢ م » وعرضها « ٤ م » ، قسمت إلى ثلاث مساحات مربعة بواسطة عقدين عموديين على جدار القبلة ، يغطى كل مساحة منهما قبة .

---

(١) وضع فيها عداد للكهرباء ومفاتيح الإضاءة .

القبة الوسطى : مربعة الشكل « ٤ × ٤ م » ، مغطاة بقبة مدببة ترتفع عن الأرض «١٠ر٧م» محمولة على أربع حنايا ركنية على هيئة محارات [شكل ٦٣] . تستند على أربعة عقود مدببة ارتفاع كل عقد « ١٠ر٣ م » ، واتساعه « ٦٠ر٢ م » ، وسمكه « ١ م » ، منها عقدان عموديان على جدار القبلة تستند أرجلهما على أربعة أكتاف ملاصقة لجدار القبلة ـ الشمالى ـ والجدار الجنوبى ، يبرز كل كتف عن الجدار « ٧٠ سم » ، وعرض « ١ م » . والعقدان الآخران ملاصقان لجدار القبلة والجدار الجنوبى ، حولت الحنايا الركنية مربع القبة إلى مثمن حولت زواياه بواسطة حطتين من المقرنصات إلى دائرة تحمل رقبة القبة [شكل ٦٤] الحطة الثانية من المقرنصات تمتد لتلتقى بالحطة الثانية من الزاوية المجاورة لها ، وكل حطة من هذه الحطات شكلت على هيئة ربع قبة ذات ضلوع تشبه المحارة .

المحراب

يتوسط الجدار الشمالى للقبة الوسطى كتلة محراب مجوفة ارتفاعها « ١٠ر٣ م » ، واتساعها « ٥٠ر١ م » يعلوها عقد مدبب ، ويتصدر كتلة المحراب دخله ارتفاعها « ١٥ر٢ م » متوجه بعقد مدبب يحصر بينه وبين العقد العلوى فتحة رأسية معقودة أبعادها « ١٠ × ٢٠ × ٣٠ سم » ، ربما كانت تمثل نافذة للإضاءة وربما كانت مخصصة لوضع بعض متعلقات المصلى كالسرج مثلاً .

يتصدر الدخلة حنية محراب نصف دائرية ارتفاعها « ٩٠ر١ م » ، واتساعها « ١ م » ، وعمقها « ٩٠ سم » ، تنتهى بطاقية نصف دائرية ، ويكتنف حنية المحراب عمودان مدمجان قطاع كل منهما نصف دائرة ، وقد كسى العمودان بطبقة سميكة من الملاط أخفت المعالم الحقيقية للعمود .

القباب الجانبية :

يكتنف المساحة الوسطى من الجهتين الشرقية والغربية مساحتان مربعتان مماثلتان لمساحة القبة الوسطى ، يغطى كل منهما قبة مدببة ارتفاعها « ٦ م » وهما بذلك أقل ارتفاعاً من القبة الوسطى ـ محمولة على أربع مناطق انتقال مكونة من ست حطات من المقرنصات على هيئة عش النحل تنتهى بصف من الأشكال الدالية [شكل ٦٥] . وتستند مناطق الانتقال على أربعة عقود ثلاثة منها ملاصقة للجدران ، والرابع مشترك مع القبة الوسطى . وقد حولت مناطق الانتقال المساحة المربعة إلى مثمن تعلوه رقبة تحمل القبة المدببة .

وقد فتح المعمار في الجدران الشمالية والجنوبية للمساحتين أربعة شبابيك ارتفاع كل منها « ١ر٨٠ م » ويتوج كل شباك عقد مفصص ، أما الجدارين الشرقي والغربي للمساحتين فيتوسط كل منهما كتبية عمقها « ٥٥ سم » وارتفاعها « ١ر٨٠ م » واتساعها « ١ م» كانتا في الأصل شباكين حولتا إلى كتبيات في وقت لاحق .

وتشتمل جدران المصلى وقبابه على زخارف نباتية وكتابية وهندسية نفذت بأسلوب الحفر ـ بنوعيه البارز والغائر ـ والتلوين ، حيث شغلت بواطن القباب الثلاث بجامات دائرية تحتل مركز القبة [شكل ٦٦] ، ويتدلى منها أربع بخاريات قوام كل منها جامة دائرية تخرج منها ورقتان ثلاثيتان متدابرتان . بينما شغلت رقاب القباب الثلاث بأشرطة دائرية من الزخارف الكتابية اختفت تحت طبقة الملاط .

أما الجدران فقد شغلت بعناصر زخرفية متنوعة تساقطت معظمها ، ولم يتبق سوى القليل على جدران القبة الوسطى وخاصة جدار القبلة حيث زينت حنية المحراب بعدة صفوف من المحاريب الزخرفية لم يبق منها سوى تلك التي تشغل الجزء السفلي من الحنية .

أما المساحات التي تكتنف المحراب فقد شغلت كل منها بصفتين رأسيين من الزخارف البارزة قوامها في كل صف خمسة دروع بارزة محدبة ومقعرة بالتبادل نفذت بواسطة الصب بالقالب .

كما زينت جدران المصلى من الداخل بشريط من الزخارف يسير حول العقود الحاملة للقباب ـ سواء العمودية أو الموازية لجدار القبلة ـ وعقود الشبابيك وعقود المداخل والمحراب ، قوام زخارفه شريطان ضيقان من الزخارف الهندسية مكونة من خطين متقاطعين نتج عن تقاطعهما أشكال معينات ومثلثات ، ويحصر الشريطان بينهما شريط عريض من الكتابات المنفذة بالخط الثلث على مهاد من الزخارف النباتية قوامها فروع ملتفة تخرج منها أشكال أوراق ومراوح نخيلية . إلا أنه مما يؤسف له أن هذا الشريط تساقط معظمه ولم يبق منه سوى القليل مما لا يمكن قراءته بسبب عدم اكتمال الحروف أولاً ، وتغطيته بطبقة من الملاط ثانياً .

ويعلو الشريط الكتابي على الجدران التي تعلو العقود العمودية على جدار القبلة ـ فيما بين مناطق الانتقال ـ جامات دائرية غائرة تتوسطها أشكال بخاريان بارزة [شكل ٦٤] مكونة من جامات دائرية تخرج من أعلاها ورقة ثلاثية ويخرج من أسفلها ورقة ثلاثة أيضاً ، لكن الفص الأوسط من الورقة لم ينفذ نظراً لقرب قمة العقد من إطار الجامة ، مما اضطر المزخرف إلى الاكتفاء بعمل الفصين الجانبين من الورقة الثلاثية فظهرت وكأنها قاعدة إناء .

وأما كوشات العقود العمودية على جدار القبلة د فقد شغلت أيضاً بأشكال بخاريات مشابهة لتلك الموجودة على بواطن القباب [شكل ٦٣] . بينما شغلت بواطن العقود بزخارف نباتية وهندسية اختفت ملامحها تحت طبقة الطلاء الذى يطلى به المسجد فى رمضان من كل عام .

الفناء :

يمثل الفناء القسم الأكبر من مساحة مسجد المدرسة ، حيث يحتل مساحة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب بطول « ١٣ م » وعرض « ٥٠ر١١ م » من الشمال إلى الجنوب ، محاط بثلاثة جدران من الجهات الشرقية والغربية والجنوبية بنيت بقوالب الأجر بسمك « ٥٠ سم » وارتفاع « ٦٠ر١ م » .

ويشغل منتصف الجدار الشرقى المدخل الرئيسى والوحيد للمبنى والذى يتكون من فتحة باب اتساعها « ١ م » وارتفاعها « ٨٦ر١ م » يصل بين الشارع والفناء وأما بقية الجدران فقد شغلت بعدد من الفتحات ذات العقود المنكسرة المفصصة أبعاد كل منها « ٢٥ × ٣٠ × ٥٠سم » ، مخصصة لوضع أمتعة المصلين أثناء الوضوء أو الصلاة .

الميضأة :

تقع فى الركن الجنوبى الشرقى من الفناء وهى مكونة من عدد من حمامات الوضوء المستحدثة والتى يبدو أنها بنيت مكان الحمامات القديمة .

وإلى الغرب من الحمامات يوجد خزان مياه مستطيل الشكل طوله « ٥٠ر٢ م » ، وعرضه «١٠ر١ م » ، مبنى فوق سطح الأرض بارتفاع « ٥٠ر١ م » مغطى بقبو مدبب ارتفاعه «٦٣سم» فى الضلع الشمالى منه فتحتان معقودتان ، مخصصتان لاستخراج المياه من الخزان أبعاد كل منها « ٣٥ × ٥٥ سم » . وهذا الخزان ربما بنى بعد سقوط المبانى التى كانت تقع إلى الغرب من الميضأة بدليل أن الخزان الأصلى يوجد إلى الشمال من الميضأة وهو مربع الشكل أبعاده « ١ × ١ م » محفور فى الأرض بعمق « ٢ م » ومغطى بشكل نصف قبة فى الضلع الشرقى منها فتحة لاستخراج المياه .

وفى الركن الجنوبى الغربى من الفناء مساحة مربعة أرضيتها أكثر ارتفاعاً من أرضية الفناء ـ وفى نفس الوقت مساوية لأرضية الميضأة ـ بحوالى « ١ م » حيث يتم الصعود إليها بواسطة

سلم ذو خمس درجات ، ويفصل بين هذه المساحة والفناء جدار ارتفاعه « ٥٠ر١ م » وسمكه « ٥٠ سم » .

وهذه المساحة يبدو أنها كانت تمثل قاعة الدرس التى ربما كانت متشابهة لقاعات الدرس فى مدارس : الهتارية والمعجار والإسكندرية .

٢ـ مدرسة الهتارى

الموقع :

تقع مدرسة الهتارى على الشارع الرئيسى يربط بين مدينة حيس وطريق تعز زبيد الحديدة ، وبالتحديد إلى الغرب من الجامع الكبير .

اسم المدرسة :

تعرف هذه المدرسة باسم « مدرسة الهتارى » نسبة إلى أحد أفراد أسرة ال « الهتار » الذين ينتسبون إلى عالم زبيد « عيسى بن إقبال الهتار » أحد علماء القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى [١] ، وحفيده العلامة الشهير « طلحة بن عيسى بن أبى بكر بن عيسى بن إقبال الهتار » [٢] ، الذى كان معاصراً للدولة الرسولية (توفى سنة ٧٨٠ هـ) [٣]

ومازالت هناك بقية لأسرة الـ « الهتارة » يسكنون مدن التربية وزبيد وحيس [٤] حتى يومنا هذا .

الوصف المعمارى : [شكل ٦٧ ، ٦٨] :

تتكون المدرسة من مساحة مربعة طول ضلعها « ١٦ م » بنيت جدرانها بقوالب الأجر على هيئة مداميك ـ صفوف ـ أفقية مغطاة بطبقة من ملاط النورة ، تضم المساحة مصلى وفناءً وقاعة تدريس .

---

(١) له مسجد يعرف باسمه فى قرية التربية شرق زبيد . (انظر) ، عبدالرحمن بعكر ، كواكب يمانية ، ص ٥٢٦ .

(٢) له ضريح مشهور ومسجد منسوب إليه شمال شرق زبيد . (انظر) ، عبد الرحمن بعكر ، كواكب يمانية ، ص ٥٢٦ .

(٣) الخزرجى ، العقود اللؤلؤية ، جـ٢ ، ص ١٦٧ .

(٤) عبد الرحمن بعكر ، كواكب يمانية ، ص ٥٢٧ .

المصلى :

عبارة عن مساحة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب بطول « ١٥ م » ، ومن الشمال إلى الجنوب بعرض « ٥٠ر٥ م » محاطة بأربعة جدران سمك كل منها « ٩٠ سم » ، وارتفاع « ٤م » ، الأركان الأربعة للمصلى مشطوفة من أسفل حتى ارتفاع « ٢ م » ينتهى كل شطف منها بمقرنص بسيط ذو حطتين .

الوصف من الخارج :

تطل الواجهة الشمالية من المصلى على أرض فضاء [شكل ٦٩] ، ويتوسط الواجهة كتلة محراب بارزة على هيئة كتف ناتئ عن الجدار بـ « ٤٥ سم » وعرض « ٦٠ر١ م » مشطوف الأركان حتى ارتفاع « ٢ م » ويتوج ركنى كتلة المحراب شرافتين تتخذان شكل الركن وكل شرافة منهما على هيئة ورقة خماسية .

والواجهة الجنوبية تطل على الفناء يتوسطها دخلة مستطيلة معقودة ، ارتفاعها « ٧٥ر١ م » واتساعها « ٦٥ سم » فى صدرها حنية محراب مجوفة ارتفاعها « ٦٥ر١ م » ، واتساعها « ٥٥ سم » وعمقها « ٤٥ سم » مغطاة بطاقية تطل على الفناء بعقد مدبب ، يعلوها شباك مستطيل ارتفاعه « ١٥ر١ م » ، واتساعه « ٧٠ سم » متوج بعقد خماسى الفصوص مماثل لشباكى الواجهتين الشرقية والغربية ، وقد غشى الشباك بستارة جصية الجزء السفلى منها مخرم والجزء العلوى مصمت .

ويكتنف محراب الفناء مدخلان ، يفضى كل منهما إلى مربع إحدى القباب الجانبية يتكون كل مدخل [شكل ٧٠] من دخلة مستطيلة ارتفاعها « ٣ م » واتساعها « ٦٠ر١ م » فى الجزء السفلى منها باب ارتفاع « ٩٥ر١ م » واتساعه « ٥٠ر١ م » . يغلق عليه مصراعا باب من الخشب ، والجزء العلوى من الدخلة على هيئة فتحة متوجة بعقد مدبب مفصص ـ من أحد عشر فصاً ـ غشيت الفتحة بستارة جصية مخرمة على هيئة معينات نتجت عن تقاطع خطوط مائلة .

والواجهتان الشرقية والغربية تطلان على أراضى فضاء [شكل ٦٧] ، يتوسط كل واجهة دخلة مستطيلة ، الجزء العلوى منها على هيئة عقد مفصص مغشى بستارة جصية ، والجزء السفلى يمثل شباك ارتفاعه « ١ م » ، واتساعه « ٨٥ سم » مغشى من الخارج بقضبان من الحديد ، ويغلق عليه من الداخل أربعة مصاريع خشبية : مصراعان علويان ومصراعان

سفليان . ويتوج واجهات المصلى شرافات على هيئة أوراق خماسية ارتفاع كل منها « ٤٥ سم» ويغطى المصلى ثلاث قباب مدببة ترتفع عن الأرض « ٦ م » مبنية بقوالب الأجر ومكسوة بطبقة من ملاط النورة من الداخل والخارج ، وزين البدن الخارجى لكل قبة بصفين من الثقوب المصمتة ، وتنتهى القبة من أعلى بعمود قصير من الأجر يعلوه هلال من المعدن .

وصف المصلى من الداخل :

يتكون المصلى من الداخل من مساحة مستطيلة طولها « ١٣ م » وعرضها « ٧٠ر٣ م » ، قسمت إلى ثلاث مساحات مربعة يغطى كل منها قبة .

يتوسط جدار القبلة من المساحة الوسطى كتلة محراب ارتفاعها « ٣ م » واتساعها « ٢٠ر١ م» متوجة بعقد مدبب يتصدرها حنية مجوفة قطاعها نصف دائرة عمقها « ١ م » واتساعها « ١ م » وارتفاعها « ٢ م » متوجه بعقد مدبب . ويكتنفها عمودان مدمجان قطاع كل منهما نصف مثمن ذو أضلاع على هيئة زوايا حادة وبدن كل عمود منهما مقسم إلى ثلاثة أقسام رأسية بواسطة ثلاثة حليات ، بحيث يبدو كل عمود وكأنه مكون من مجموعة من أعواد القصب حزمت بثلاثة أحزمة . وعلى جانبى كتلة المحراب عمودان حلزونيان زخرفيان ارتفاع كل منهما « ٢٠ر٢ م » .

ويتوسط كل من الجدارين الشرقى والغربى للمصلى دخلة مستطيلة ارتفاعها « ٢ م » واتساعها « ٨٥ سم » يشغل الجزء السفلى منها شباك ارتفاعه « ١ م » ، والجزء العلوى عبارة عن دخلة مصمته تشمل الوجه الداخلى للستارة الجصية التى تغشى هذا الجزء من الخارج ، ويلاحظ أن الشباك الغربى لا يعلوه عقد من الخارج [شكل ١٧٢] ، أما من الداخل فإن العقد ظاهر .

ويكتنف كل شباك دخلتان : الشمالية عبارة عن كتبية ارتفاعها « ١ م » واتساعها « ٧٠سم» وعمقها « ٥٠ سم » يغلق عليها مصراعا باب من الخشب ، والجنوبية أصغر حجماً من الكتبية أبعادها « ١٠ × ٢٥ × ٧٠ سم » متوجة بعقد مخروطى مفصص حدوة فرس يشبه لسان البخاريات .

وعلى جانبى كل باب من أبواب المصلى ـ فى الجدار الجنوبى ـ دخلتان ذات عقود مشابهة لعقود الدخلات السابقة الموجودة فى الجدارين الشرقى والغربى .

وقد غطى المصلى بثلاث قباب مدببة كل قبة منها محمولة على رقبة دائرية تستند على أربع

مناطق انتقال مكونة من مثلثات كروية [شكل ٧١] ، مشغولة بعدة صفوف من الأجر المثلثة على هيئة مقرنصات دالية متعددة الحطات ، تستند على جدران المصلى بالإضافة إلى عقدين عموديين على جدار القبلة ارتفاع كل منهما « ٣ م » واتساعه « ٤٠ر٣ م » وسمكه « ٩٠ سم » ترتكز أرجلهما على أربعة أكتفا ملاصقة للجدارين الشمالى والجنوبى ، يبرز كل كتف منهما بمقدار « ١٥ سم » ، وعرض « ٩٠ سم » .

الفناء :

يقع جنوب المصلى وهو مكون من مساحة تمتد من الشرق إلى الغرب بطول « ٨٠ر١٤ م » وعرض « ٦ م » محاط من الجهتين الشرقية والغربية بجدارين من الآجر بنيا على هيئة صفوف أفقية تتخللها مداميك من الأحجار الصغيرة الغير مهندمة ، سمك كل جدار منهما « ٦٠ سم » وارتفاعه « ٧٠ر٢ » ، وقد كسيت هذه الجدران بطبقة من ملاط النورة .

ويلاحظ أن الجدار الغربى للفناء يبرز عن الجدار الغربى للمصلى بمقدار « ١ م » ولذلك نجد أن الفناء أكثر اتساعاً من كتلة المصلى ، ويتوسط الجدار الغربى السابق ذكره عند مستوى أرضية الفناء فتحة مخصصة لتصريف مياه الأمطار من الفناء إلى الخارج ، والتى تعرف باسم « مخلل » (١) .

وأما الجدار الجنوبى للفناء فيمتد من الركن الجنوبى الشرقى للفناء حتى الركن الجنوبى الشرقى لقاعة الدرس بطول « ٥٠ر٧ م » وارتفاع « ٢ م » يتوسطه من داخل الفناء خزان المياه والمئذنة .

وأما مدخل المنشأة ، فيقع فى الطرف الجنوبى من الجدار الشرقى للفناء ، وهو مكون من فتحة باب اتساعها « ١ م » وارتفاعها « ٩٠ر١ م » ، يغلق عليها مصراعا باب من الخشب يفضى إلى جزء من الفناء محصور بين كتلة الخزان والمئذنة وبين الجدار الشرقى للفناء .

ويتخلل جدران الفناء ثمان دخلات : أربع منها فى الجدار الشرقى ، وثلاث فى الجدار الغربى ، وواحدة فى الجدار الجنوبى ، كل دخلة منهما عبارة عن فتحة رأسية أبعادها « ٢٥ × ٣٥ × ٥٥ سم » متوجة بعقد مفصص حدوة فرس مخصصة لوضع أمتعة المصلين .

---

(١) مَخْلَلْ : جمعها مخاليل ، وهى المجارى الخاصة بتصريف مياه الأمطار ، (انظر) ، الخزرجى ، العسجد المسبوك ، ص ٤٥٧ .

خزان المياه والمئذنة :

فى الجزء الجنوبى من الفناء فيما بين قاعة الدرس ومدخل المدرسة يوجد خزان مياه تعلوه مئذنة .

خزان المياه :

يتكون من كتلة مستطيلة طولها « ١٥ر٢ م » وعرضها « ٥٠ر١ م » وارتفاعها « ٧٥ر٣ م » بنيت جدرانه بسمك « ٣٥ سم » وكسيت أرضيته وجدرانه من الداخل بطبقة من القضاض حتى تمنع تسرب المياه ، ويغطى الخزان قبو نصف دائرى .

فى الضلع الغربى للخزان فتحتين معقودين تستخرج من خلالهما المياه اللازمة للوضوء ، أبعاد كل منهما « ٣٥ × ٥٠ سم » وفى الضلع الجنوبى للخزان فتحة مماثلة يتم بواسطتها تزويد الخزان بالمياه من البئر الواقعة جنوب المبنى ، وقد سدت هذه الفتحة بعد الاستغناء عن مياه البئر عندما زودت المدرسة بمياه مشروع المدينة .

يلى الخزان من جهة الجنوب ممر يعلوه قنطرة معقودة اتساعه « ١٥ر١ م » وارتفاعه « ٥٠ر١ م» يحمل السلم الصاعد إلى المئذنة .

المئذنة : [شكل ٦٧]

يعتبر خزان المياه بمثابة قاعدة للمئذنة التى تعلوه مباشرة ، وتتكون من بدن مربع أبعاده « ١٥ر١ × ١٥ر١ م » وارتفاعه « ١٠ر٢ م » بنيت جدرانه بسمك « ٢٥ سم » فى الضلع الشمالى منه فتحة باب معقودة ارتفاعها « ٨٥ر١ م » واتساعها « ٤٠ سم » يؤدى إلى داخل تجويف البدن المربع (٦٥ × ٦٥ سم) ، حيث يقف المؤذن لترديد الأذان . وفى كل من الضلع الشرقى والغربى والجنوبى عند مستوى ارتفاع رأس الإنسان ـ فتحة مقعودة أبعادها « ٢٥ × ٥٠ سم » مهمتها توزيع صوت المؤذن على الجهات المختلفة . ويغطى البدن قبة صغيرة نصف دائرية ارتفاعها « ٥٠ سم » يعلوها عمود من المعدن يحمل هلال .

ويتم الوصول إلى باب المئذنة بواسطة سلم صاعد يبدأ من الأرض بخمس درجات تتجه نحو الشرق ثم ينعطف السلم جنوباً ويرتفع فوق الممر المعقود بعشر درجات تنتهى عند باب المئذنة ويكتنف درجات السلم من الجانبين جدارين من الأجر كل منهما متدرج بأربعة مستويات .

قاعة الدرس :

تقع فى الجزء الجنوبى الغربى من الفناء ، وهى مكونة من مساحة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب بطول« ١٠ر٩ م » وعرض « ٥٠ر٤ م » بنيت جدرانها بقوالب الأجر أيضاً بسمك « ٧٥ سم » وارتفاع « ٦٠ر٣ م » ، كسبت بطبقة من الملاط . وقد شطفت أركان القاعة من أسفل ينتهى كل شطف بمقرنص بسيط من حطتين مماثل لمقرنصات أركان المصلى ، ويتوج واجهات القاعة أربع شرافات موزعة على الأركان مكونة على هيئة ورقة خماسية ، وقد سقطت شرافات الأركان الجنوبية .

تطل الواجهة الشمالية من القاعة على الفناء بفتحتين معقودتين ، اتساع كل منهما « ٥٠ر٢م » وسمكها « ٧٥ سم و وارتفاعها « ٣٥ر٢ م » تستند عقودها على دعامة مستطيلة فى الوسط وطولها « ٨٠ر١ م » وسمكها « ٧٥ سم » ، وكتفين ملاصقين للجدارين الشرقى والغربى ، يبرز كل منهما بمقدار « ٤٠ سم » ، وأركان الدعامة والكتفين مشطوفة من أسفل ، وكل شطف ينتهى بمقرنص ذو حطتين .

وأما بقية الواجهات فتطل الشرقية على الفناء والمئذنة ، وتطل الغربية على أرض فضاء ، وتطل الجنوبية على ملحقات المدرسة وعدد من المقابر .

ويغطى القاعة قبتان مدببتان بنيتا بقوالب الأجر وكسيتا بطبقة من الملاط ، يشغل بدن كل قبة صفين من الثقوب المصمتة ، وتنتهى كل قبة بعمود من الأجر متدرج على ثلاثة مستويات .

وتتكون القاعة من الداخل من مساحة مستطيلة طولها « ٦٠ر٧ م » وعرضها « ٣ م » ، قسمت إلى مساحتين مربعتين « ٣ × ٣٥ر٣ م » بواسطة عقد عمودى على الجدارين الشمالى والجنوبى اتساعه «٧٠ر٢م» وارتفاعه«٣٥ر٢م» تستند رجلاه على كتفين يبرزان بمقدار «١٥سم» أحدهما ملاصق للجدار الجنوبى والآخر ملاصق للدعامة الوسطى المطلة على الفناء .

ويغطى كل من المساحتين المربعتين قبة مدببة القبة الشرقية ترتفع عن الأرض بمقدار « ٥ م » والغربية بمقدار ٦ م » .

وكل قبة منها مقامة على أربع مناطق انتقال مماثلة لمناطق انتقال قباب المصلى ، وإن كانت مناطق انتقال قباب القاعة تستند فى كل قبة على أربعة عقود : عقدان ملاصقان للجدران ، وعقد يطل على الفناء ، والرابع مشترك بين القبتين .

ويتخلل الجدران الشرقية والغربية والجنوبية للقاعة ست دخلات بواقع دخلتين فى كل

جدار وكل دخلة منها مكونة من فتحة رأسية أبعادها « ٢٣٠ × ٤٠ × ٦٠ سم » متوجة بعقد مدبب .

ملحقات المدرسة :

تضم المدرسة نوعين من الملحقات هما : المطاهير ، والبئر ، وقد اندثرت المطاهير ولم يبق منها شيء أما البئر فما زالت باقية على بعد « ٥ م » من الواجهة الجنوبية لقاعة الدرس . وهى مكونة من حفرة دائرية محيطها « ٥٠ر٥ م » محفورة فى الأرض بعمق كبير ومحاطة بجدران تظهر فوق مستوى سطح الأرض على شكل جدار مستدير ارتفاعه « ٦٥ر١ م » فى الجهة الشمالية منه فتحة تسحب من خلالها المياه بواسطة الدلاء التى تشد من على قطعة خشبية مستعرضة على دعامتين ، وتصب المياه إلى حوض صغيرة ومنه تنساب المياه عبر مجرى مائى ينتهى عند الفتحة الجنوبية للخزان ، وإن كان المجرى أيضاً قد اندثر ولم يبق منه سوى جزء بسيط ملاصق للجدار الجنوبى من الفناء على مقربة من الخزان .

٣ـ « مدرسة المعجار »

الموقع والتسمية

تقع مدرسة المعجار فى الجزء الجنوبى من ربع السوق جنوب مسجد الجبارى وبجوار سوق العجور [1] ، ولذلك عرفت باسم « مدرسة المعجار » نسبة إلى السوق المذكور .

الوصف المعمارى : [شكل ٧٢] :

تتكون المدرسة من مساحة مستطيلة تمتد من الشمال إلى الجنوب بطول « ٢٠ م » وعرض « ٥٠ر١٣ م » تضم مصلى وفناء وقاعة درس وحجرة مخزن ومئذنة وخزان مياه .

المصلى :

يتكون المصلى من مساحة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب بطول « ٥٠ر١٣ م » وعرض

---

(١) العجور ، هى أعواد الذرة الجافة والتى تجمع بعد حصاد سنابلها على شكل حزم وتباع فى سوق خاص بها كأعلاف للماشية .

« ٥ م » بنيت جدرانه بواسطة قوالب الأجر بسمك « ٧٠ سم » وارتفاع « ٧٥ر٣ م » ، وكسيت بطبقة من ملاط النورة البيضاء .

الوصف من الخارج :

الواجهات الشمالية والشرقية والغربية للمصلى ملاصقة للمنازل المجاورة ولذلك نجد أن شبابيك المصلى تفتح على أفنية المنازل مما يدل على أن المدرسة كانت محاطة بأرض فضاء أو شوارع ، ثم استولى عليها الأهالي وضموها إلى منازلهم .

أما الواجهة الجنوبية فتطل على فناء المدرسة يتوسطها محراباً مجوفاً ، اتساعه « ٦٦ سم » وارتفاعه « ٣٨ر١ م » يعلوه شباك مغشى بستارة جصية مخرمة .

يكتنف المحراب مدخلان : الشرقي يؤدي إلى مربع القبة الشرقية ، والغربي يؤدي إلى مربع القبة الغربية ، يتكون كل مدخل منهما من دخلة مستطيلة رأسية [شكل ٧٣] ارتفاعها «٣ م» واتساعها « ٥٠ر١ م » ، متوجة بعقد منكسر مفصص يشغل الجزء السفلي من الدخلة باب اتساعه « ٤٠ر١ م » وارتفاعه « ٧٠ر١ م » يغلق عليه مصراعا باب من الخشب ، ويشغل الجزء العلوي من الدخلة ستارة جصية مكونة من خطوط مائلة متقاطعة نتج عن تقاطعها أشكال معينات .

ويتوج واجهات المصلى شرافات على هيئة ورقة خماسية تبعد كل شرفة عن الأخرى بمقدار « ١ م » .

ويغطى المصلى ثلاث قباب قطاع كل منهما نصف دائرة بنيت بالأجر ، وكسيت بطبقة من الملاط ، يعلو كل قبة عمود من الأجر متدرج على هيئة ثلاث درجات تضيق كلما ارتفع العمود إلى أعلى .

وصف المصلى من الداخل :

يتكون المصلى من مساحة مستطيلة طولها « ١٠ر١٢ م » وعرضها « ٦٠ر٣ م » مغطاة بثلاث قباب ، يتوسط الجدار الشمالي للقبة الوسطى كتلة محراب [شكل ٧٤] مكونة من دخلة اتساعها « ٢٠ر١ م » ، وارتفاعها « ٩٠ر٢ م » متوجة بعقد خماسي الفصوص ، يتصدر الجزء السفلي من الدخلة حنية مجوفة اتساعها « ٩٠ سم » وارتفاعها « ٩٠ر١ م » وعمقها «٩٥

سم » متوجة بعقد وطاقة مدببة ، فى حين يشغل الجزء العلوى من كتلة المحراب ـ فيما بين عقد الحنية وعقد الصدر المفصص ـ حلية معمارية زخرفية على هيئة ثلاثة ارتدادات غائرة ، وكل ارتداد منها على هيئة ثلاثة ارباع الدائرة .

ويتوسط الجدار الشمالى للقبتين الشرقية والغربية كتبيتان أبعاد كل منهما « ٤٥ × ٨٠ × ١٢٥ سم » كما يشغل الجدران الجنوبية للقباب الثلاث ست دخلات صغيرة تكتنف محراب الصحن وأبواب المصلى من الداخل ، أبعاد كل دخلة منها « ٢٥ × ٣٥ × ٦٥ سم » تنتهى بعقد منكسر مفصص يشبه لسان البخاريات ، وهذه الفتحات مخصصة لحفظ امتعة المصلين أثناء الصلاة ، ويشغل كل من الجدارين الشرقى والغربى للمصلى كتبية فى الجزء الشمالى من الجدار مكونة من دخلة اتساعها « ٨٠ سم » وارتفاعها « ٢٥ر١ م » وعمقها « ٤٥ سم » قسمت إلى قسمين بواسطة لوح خشبى مستعرض ، وبجوار الكتبية من الجهة الجنوبية دخلة شباك ذات عقد مدبب ارتفاعها « ٦٥ر١ م واتساعها « ٨٠ سم » [1] .

قسمت مساحة المصلى المستطيلة إلى ثلاث مساحات مربعة أبعاد كل منها « ٦٠ر٣ × ٦٠ر٣ م » بواسطة عقدين مدببين عمدين على جدار القبلة ، ارتفاع كل عقد « ١٥ ر٣ م » ، واتساعه « ٤٠ر٣ م » وسمكه « ٧٥ سم » وتستند أرجل العقود على أربعة أكتاف ملاصقة للجدارين الشمالى والجنوبى يبرز كل كتف عن الجدار بمقدار « ١٠ سم » .

يحمل العقدان السابقان مع جدران المصلى فى كل مساحة مربعة : أربع مناطق انتقال مكونة من مقرنصات متعددة الحطات تبدأ بواحدة وتنتهى بإحدى عشرة حطة منفذة بواسطة قوالب الأجر على هيئة عش النحل [شكل ٧٥] . حولت مربع كل قبة إلى مثمن اختفى تحت صفين من المثلثات تشبه الأشكال الدالية والتى نفذت بواسطة قوالب الأجر المثلثة على مستويين .

يعلو مثمن كل قبة رقبة دائرة تحمل القبة التى ترتفع عن الأرض بمقدار « ٦٠ر٥ م » ، وقد كسيت القباب من الداخل بطبقة من ملاط النورة أخفت تحتها أى أثر يمكن الاستدلال منه على أن القباب كانت مزخرفة .

الفناء :

يلى المصلى من الجهة الجنوبية فناء مكشوف طوله من الشرق إلى الغرب « ٥٠ر١٢ م »

---

(١) سدت هذه الشبابيك عندما بنيت المنازل ملاصقة للمسجد .

وعرضه من الشمال إلى الجنوب « ١٠ م » ، يحده من الجهتين الشمالية والجنوبية : المصلى وقاعة الدرس ، ومن الجهتين الشرقية والغربية جدارين سمك كل منهما « ٥٠ سم » وارتفاعه « ٨٠ر١ م » فى الجدار الغربى ثلاث دخلات ابعاد كل منها « ٢٥ × ٣٥ × ٦٥ سم » ، متوجة بعقد مخروطى الشكل ، وهذه الدخلات مخصصة لوضع أمتعة المصلين .

وفى الركن الجنوبى الشرقى من الفناء يقع المدخل الرئيسى للمدرسة ، مكون من فتحة باب اتساعها « ٥٠ر١ م » وارتفاعها « ٢ م » .

وقد أضيف لفناء المدرسة مساحة مستطيلة تقع خلف المدخل الرئيسى من الخارج طولها «٨م » وعرضها « ٥٠ر٤ م » فى الضلع الشرقى لها مدخل آخر بنفس أبعاد المدخل الرئيسى الذى تحول إلى مدخل ثانوى يربط بين المساحة المضافة والفناء الأصلى .

تشتمل المساحة المذكورة على خزان مياه ملاصق لجدار المئذنة وحجرة المخزن ، يتكون من مساحة مستطيلة طولها « ٣٠ر٢ م » وعرضها « ٦٠ر١ م » بنيت جدرانه من الأجر بسمك « ٣٠سم » ، يشغل كل من ضلعيه الشرقى والجنوبى فتحة معقودة لاستخراج المياه من خلالها ، وهذا الخزان مستحدث مع حجرة المخزن .

المئذنة : [شكل ٧٦]

تقع المئذنة فى الركن الجنوبى الشرقى من الفناء ملاصقة لحجرة المخزن ، وهى مكونة من قاعدة مربعة أبعادها « ٢٥ر١ × ٢٥ر١ م » ، كانت فى الأصل خزاناً للمياه ، يعلو القاعدة بدن مربع أبعاده « ١٥ر١ × ١٥ر١ م » بنيت جدرانه بسمك « ٢٥ سم » ينتهى أعلاه بأربع شرافات فى الأركان الأربعة ، ويغطى البدن قبة صغيرة ارتفاعها « ٥٠ سم » .

فى الضلع الغربى للبدن يقع باب المئذنة اتساعه « ٣٠ سم » وارتفاعه « ٧٥ر١ م » متوج بعقد مدبب ، وهذا الباب يؤدى إلى داخل تجويف البدن المربع حيث يقف المؤذن للأذان .

ويشغل الجزء العلوى من البدن فى الأضلاع الثلاثة الأخرى ـ الشرقية والشمالية والجنوبية ـ ثلاث فتحات معقودة أبعاد كل منها « ٣٠ × ٥٠ سم » ، مخصصة لتوزيع صوت المؤذن على الاتجاهات المختلفة .

يتم الوصول إلى المئذنة بواسطة سلم صاعد ملاصق للجدار الشمالى من حجرة المخزن بطول « ٦٠ر١ م » مكون من جدارين يشبهان شكل ريشتى المنبر والدرابزين . يحصران بينهما سلم مكون من عشر درجات تنتهى عند باب المئذنة . وقد هدم الجدار الجنوبى للسلم وحل محله الجزء العلوى من الجدار الشمالى لحجرة المخزن .

قاعة الدرس :

تقع فى الضلع الجنوبى للفناء مكونة من مساحة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب بطول « ٨٠ر٨ م » وعرض « ٥٠ر٤ م » بنيت جدرانها بقوالب الأجر بسمك « ٦٥ سم » وارتفاع «٣٥ر٣ م » تطل على الفناء بفتحتين معقودتين بعقود منكسرة اتساع كل منها « ٣٠ر٢م»وارتفاعها « ٣٥ر٢ م » تستند على دعامة فى الوسط مستطيلة الشكل طولها «١ م»وعرضها « ٦٥ سم » بالإضافة إلى كتفين جانبيين شرقى وغربى يبرز كل منهما عن الجدار « ٢٥ سم » .

الجزء الغربى من القاعة على هيئة إيوان عمقه « ٢٥ر١ م » وعرضه « ٦٠ر٢ م » مغطى بقبو مدبب ارتفاعه عن الأرض « ٣٠ر٢ م » .

أما الجزء الشرقى من القاعة فقد قسم إلى مساحتين شبه مربعتين أبعاد كل منهما « ٧٥ر٢ × ٢٠ر٣ م » بواسطة عقد مدبب عمودى على الجدار الجنوبى ارتفاع العقد « ٣٥ر٢ م » واتساعه « ٦٠ر٢ م » . وقد غطيت كل مساحة بقبة مدببة مماثلة لقباب المصلى ، وكل قبة منهما ترتفع عن الأرض بمقدار « ٥٠ر٥ م » محمولة على مناطق انتقال مكونة من مثلثات كروية شغلت بأشكال دالية ، تستند على أربعة عقود ، إثنان منها ملاصقان للجدران ، والثالث يطل على الفناء ، والرابع مشترك بين القبتين .

ويشغل الجدران الشرقية والغربية والجنوبية للقاعة دخلات مستطيلة بعضها ذات عقود منكسرة مفصصة وبعضها ذات عقود مخروطية ، أبعاد كل دخلة منها « ٢٥ × ٣٥ × ٦٥ سم » وهذه الفتحات مخصصة لحفظ الكتب والمصاحف وألواح القراءة .

حجرة المخزن : [شكل ٧٦]

تقع فى الجزء الجنوبى من الفناء ملاصقة للجدار الشرقى من قاعة التدريس ، وملاصقة أيضاً للجدار الجنوبى من المئذنة ، وهى عبارة عن مساحة مربعة الشكل أبعادها من الخارج «٥٠ر٤ × ٥٠ر٤ م » ، ومن الداخل « ٨٥ر٣ × ٨٥ر٣ م » ، يقع مدخلها فى الجدار الشرقى لها على يسار خزان المياه .

وهذه الحجرة كانت فى الأصل ميضأة يتم الوصول إليها من خلال مدخل شرقى ـ المدخل الحالى للحجرة ـ ومنها نصل إلى الفناء من خلال مدخل آخر محصور بين قاعة الدرس والمئذنة ، ونستدل على أن هذه الحجرة كانت أصلاً ميضأة من خلال الآتى :

١ ـ وجود خزان مياه أسفل المئذنة تقع فتحات استخراج المياه منه فى الضلع الجنوبى للخزان ، وقد سدت هذه الفتحات عندما بنيت الحجرة نظراً لعدم الحاجة إليها بعد عمل الزيادة وبناء خزان جديد .

٢ ـ الجدران العلوية للحجرة وكذلك سقفها بنيت بمواد حديثة عكس الجدران الأصلية التى بنيت بمواد بناء مشابهة لمواد بناء قاعة الدرس والمصلى .

٤ ـ المدرسة الاسكندرية

الموقع :

تقع المدرسة الاسكندرية فى الجزء الشمالى من ربع السوق ، إلى الجنوب من الجامع الكبير ، تطل واجهتها الغربية على شارع متفرع من الشارع الرئيسى الذى يصل مدينة حيس بطريق تعز زبيد الحديدة .

اسم المدرسة :

تعرف هذه المدرسة حالياً باسم « المدرسة الاسكندرية » نسبة إلى القائد المملوكى « اسكندر موز » [١] ، الذى حكم زبيد من سنة [٩٣٧ ـ ٩٤٣ هـ] / [٣٠/ ١٥٣١ م ـ ٣٦/ ١٥٣٧ م] نيابة عن الدولة العثمانية بعد سقوط الدولة المملوكية فى مصر سنة ٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م [٢] .

وظيفة المدرسة :

من خلال التخطيط المعمارى للمدرسة يمكن القول أنها كانت تقوم ـ إلى جانب العبادة ـ بوظيفة التدريس لأكثر من مذهب ـ لوجود إيوانين ـ بالإضافة إل يتدريس القرآن وعلومه فى القاعة الجنوبية .

---

(١) اسكندر موز : هو الأمير اسكندر بن سولى ، تولى حكم اليمن سنة ٩٣٧ هـ بعد توجه مصطفى بيرم إلى الهند ، كانت فترة حكمه مليئة بالحروب والصراعات مع أقرانه الأمراء والمماليك ، ومع أهل اليمن بقيادة الإمام شرف الدين الذى استولى على معظم المناطق الجبلية وحاصر المماليك فى زبيد فى حين استرد أحمد بن عامر الطاهرى مدينة عدن وغيرها من المدن الطاهرية والمناطق الجنوبية ، ولم يتبق بيد اسكندر موز سوى زبيد وما حولها . (انظر) ، النهزوالى ، البرق اليمانى ، ص ٥٦ ـ ٥٩ .

(٢) سوف يتم مناقشة تاريخ بناء المدرسة واسم المنشىء الحقيقى لها فى الخاتمة .

وربما أن المنشئ أراد أن يتم فى هذه المدرسة مذهبى : الإمام الشافعى الذى يدين به الحكام وغالب سكان اليمن ، ومنهم قضاة حيس [1]، ومذهب الإمام أبو حنيفة الذى يدين به بعض سكان تهامة ومنهم عامة الناس من سكان حيس [2] .

الوصف المعمارى للمدرسة [شكل ٧٧] :

تتكون المدرسة من مساحة مستطيلة تمتد من الشمال إلى الجنوب بطول « ٢٢ م » ، ومن الشرق إلى الغرب بعرض « ٦٠ر١٧ م » تضم دور قاعة مغطاة بقبة يكتنفها إيوانان مقبيان ، وفناء مكشوف ، وقاعة درس جنوبية ، ومئذنة ، وملحقاً بها أيضاً ميضأة تقع بجوار الضلع الغربى للفناء وقاعة الدرس .

الدور قاعة والإيوانين :

تتكون الدور قاعة والإيوانين من مساحة مستطيلة تمتد من الشرقى إلى الغرب بطول « ٦٠ر١٧ م » وعرض « ٥٠ر٨ م » بنيت جدرانها بقوالب الأجر بسمك « ٢٥ر١ م » فى الجدارين الشمالى والجنوبى للدورقاعة ، و « ٧٥ر١ م » فى الجدران الشمالية والجنوبية للإيوانين ، و « ١٥ر١ م » فى الجدارين الشرقى والغربى للإيوانين ، وقد كسيت الجدران بطبقة من الملاط من الداخل والخارج .

الوصف من الخارج :

تطل واجهات الدورقاعة والإيوانين على الفناء والشوارع المحيطة بجدران شطفت أركانها من أسفل ينتهى كل شط بمقرنص بسيط متعدد الحطات .

الواجهة الشمالية :

تطل على شارع ضيق يفصل بين المدرسة وبين المنازل المجاورة ، ارتفاع الواجهة على مستويين : الأول عند الإيوانان وارتفاعها « ٥٠ر٣ م » ، والثانى عند الدورقاعة بارتفاع « ٧٥ر٤ م » .

---

(١) الجندى، السلوك، جـ٢، ص ٣٨٥.

(٢) الجندى، السلوك، جـ٢، ص ٣٧٥، ٣٨٣.

يتوسط جدار الدورقاعة الشمالى كتلة محراب تبرز عن الواجهة بروزاً خفيفاً بمقدار « ١٠ سم » على هيئة كتف ناتئ يرتفع حتى مستوى ارتفاع الإيوانات ثم يرتد بشكل مشطوف حتى يلتصق بجدار الواجهة .

ويلى مستوى ارتفاع جدران الدورقاعة مثمن القبة بارتفاع « ١٫٣٥ م » يعلوه رقبة دائرية تحمل قبة كبيرة قطاعها نصف دائرى ، مبنية بالآجر ومكسوة بطبقة من الملاط ، ويزين بدنها صفين من الثقوف المصمتة . وتنتهى قمة القبة بعمود من المعدن تخرج منه أشكال جناحية موازية لاتجاه القبلة .

ويكتنف كتلة المحراب من الخارج دخلتان معقودتان بعقود مدببة ارتفاع كل منهما « ٢٫٨٥ م » واتساعها « ١٫٢٠ م » فى صدرها شباك ارتفاعه « ١٫٢٠ م » اتساعه « ١٫٢٠ م » ، وكذلك يتوسط الواجهة الشمالية للإيوان الغربى دخلة معقودة ارتفاعها « ٢٫٥٠ م » واتساعها « ١ م » يتوسطها شباك مسدود حالياً ، أما واجهة الإيوان الشرقى فتخلو من أى فتحات .

الواجهة الجنوبية :

مشابهة من حيث الطول وارتفاع الجدران ـ فى الإيوانين والدورقاعة ـ للواجهة الشمالية يتوسطها مدخل ذو عقد مدبب يؤدى إلى داخل الدورقاعة ، اتساع المدخل « ٢ م » وارتفاعه « ٣٫٢٥ م » ، وإلى الغرب منه محراب تذكارى مجوف مكون من دخلة مستطيلة رأسية ارتفاعها « ٣ م » واتساعها « ١٫١٠ م فى صدرها حنية مجوفة متوجة بعقد مدبب ، ارتفاع الحنية « ٢٫٤٥ م » واتساعها « ١ م » وعمقها « ٥٥ سم » .

ويتوسط الجدار الجنوبى للإيوان الغربى مدخل آخر يفضى إلى داخل الإيوان يتكون من دخلة ارتفاعها « ٢٫٤٠ م » واتساعها « ١٫٧٥ م » يتوسطها باب ارتفاعه « ٢ م » واتساعه « ١٫٣٥ م » ، وهذا المدخل كان فى الأصل ـ فيما يبدو ـ شباك مشابه للشباك الشمالى المقابل له نظراً لتشابههما من حيث الشكل والمقاس .

الواجهتان الشرقية والغربية :

تمثل واجهتا الإيوانان الشرقى والغربى وكل واجهة منهما ارتفاعها « ٣٫٥٠ م » ، تطل الشرقية على شارع ضيق بجدار سميك من الأسفل ثم يرتد عدة مرات نحو الداخل فيما يرجح معها أن الواجهة سقطت وأعيد بنائها مرة أخرى ، فى حين تطل الواجهة الغربية على أرض فضاء تفصل بين المدرسة والشارع [شكل ٧٨] .

وفى كل واجهة منهما شباكان ، وكل شباك مكون من دخلة معقودة اتساعها « ١ م » وارتفاعها « ٥٠ر٢ م » فى صدرها شباك مستطيل ارتفاعه « ٤٠ر١ م » واتساعه « ٨٠ سم » .

وفى الجزء العلوى من الواجهتين ثلاث فتحات صغيرة اثنتان سفليتان وواحدة علوية ، تساعد فى الإضاءة والتهوية .

الوصف من الداخل :

تتكون الدور قاعة والإيوانين من الداخل من مساحة مستطيلة طولها « ٣٠ر١٥ م » وعرضها « ٦ م » عند الدور قاعة و « ٥ م » عند الإيوانين .

الدور قاعة :

مربعة الشكل أبعادها « ٦ × ٦ م » مغطاة بقبة كبيرة ترتفع عن الأرض بمقدار « ١٠ م » محمولة على رقبة دائرية مشغولة بصف من المحاريب البارزة على هيئة باتكة من العقود المدببة [شكل ٧٩] ، تستند رقبة القبة على مثمن مرتفع شغلت زواياه بصفين من قوالب الأجر المثلثة على هيئة مقرنصات دالية يعلوها ثلاث صفوف أخرى مماثلة ، وقد فتح المعمار فى أربعة من أضلاع المثمن شبابيك مغشاة بمصبعات من خشب الخرط .

وقد حول مربع القبة إلى مثمن بواسطة أربع مناطق انتقال مكونة من حنايا ركنية كبيرة [شكل ٧٩] تستند على جدران الدور قاعة وعقود الإيوانين الجانبيين .

والقبة الحالية مبنية بقوالب الأجر المحروق على هيئة صفوف دائرية تنتهى عند مركز القبة ، وهى ليست أصيلة ، وإنما أعيد بناؤها أواخر النصف الأول من القرن ١٤ هـ/ ٢٠ م ، وفى فترة معاصرة لبناء قبة المدرسة الوهابية بزبيد التى جددت سنة « ١٣٤٣ هـ/ ٢٤ ـ ١٩٢٥ م»[1] نظراً لتشابه القبتين من حيث أسلوب البناء والحجم ، وكذلك ترك بواطن القبتين بدون كسوة من الداخل ، مما يدل على أن المدرستين جددتا فى فترة واحدة .

يتوسط الجدار الشمالى للدور قاعة ـ جدار القبلة ـ كتلة محراب [شكل ٨٠] ارتفاعها «٤٥ر٣ م » واتساعها « ٨٠ر١ م » متوجه بعقد مفصص مكون من أربعة خطوط بارزة وغائرة يخرج من مناطق التقاء الفصوص أشكال معينات مثقوبة .

---

(١) Al Arosi, Mohamed Ali : Les Madrasas de la Ville do Zabid Au Yémen 1994, Universiti, de Provence 2 Volume. P. 163.

يتصدر كتلة المحراب حنية مجوفة ارتفاعها « ٢٠ر٣ م » واتساعها « ٦٠ر١ م » وعمقها « ٩٠ سم » متوجه بعقد مفصص مماثل للعقد السابق .

وقد قسمت حنية المحراب إلى ثلاثة أقسام تعلو بعضها يفصل بين كل قسم وآخر أفريز بارز من الجص ، وربما كانت هذه الأقسام وكذلك طاقية المحراب مشغولة بزخارف متنوعة اختفت تحت طبقات الملاط والألوان الحديثة التى تدهن بها المدرسة كل عام .

ويكتنف الجزء العلوى من كتلة المحراب حلية معمارية زخرفية تبدأ من أسفل عقد صدر المحراب وتتصل به ثم تمتد قليلاً إلى أسفل ثم تلتف نحو اليمين أو اليسار ، ثم إلى أعلى على هيئة نصف جذع شجرة بارز ينتهى عند بداية عقد صدر المدخل يعلوه نصف شجرة محورة تشبه المراوح النخيلية وإذا ما جمع نصفى الشجرة من على جانبى المحراب فإنهما يكونان شجرة نخيل متكاملة .

وعلى جانبى كتلة المحراب دخلتان مستطيلتان اتساع كل منهما « ٢٠ر١ م » وارتفاعها « ٨٥ر٢ م » متوجه بعقد مدبب يتوسط كل دخله شباك ارتفاعه « ٢ م » واتساعه « ١ م » يغلق على كل شباك مصراعى باب من الخشب .

الإيوانات :

يكتنف الدور قاعة من الشرق والغرب إيوانات مقبيان :

الإيوان الشرقى [شكل ٨١]

مستطيل الشكل عمقه « ٥٠ر٤ م » واتساعه « ٥ م » مغطى بقبو مدبب ارتفاعه « ٧٠ر٣ م » الجدارين الشمالى والجنوبى للإيوان أكثر سمكاً من جدارى الدور قاعة ، وكان يغشى واجهة القبو نص كتابى لم يبق منه شىء .

فى الجدار الشرقى للإيوان دخلتان معقودتان إتساع كل منهما « ١ م » وارتفاعها « ٥ر٢ م » يتوسط كل دخلة فى الجزء العلوى شباك ـ مسدود حالياً ـ يطل على الشارع ارتفاعه « ٤٠ر١ م» واتساعه « ٨٠ سم » ، والجزء السفلى من الدخلة عمقه « ٥٠ سم » مخصص لوضع أمتعة المصلين .

وفى الجدار الشمالى للإيوان دخلة صغيرة أبعادها « ٤٠ × ٥٠ × ١١٠ سم » مخصصة لحفظ الكتب والمصاحف .

الإيوان الغربى [شكل ٨٢]

مماثل للإيوان الشرقى من حيث الشكل والقياس والشبابيك ، إلا أن الإيوان الغربى يتميز عن الشرقى بوجود شباك فى الجدار الشمالى مماثل لشبابيك الدور قاعة ، كما يتميز بوجود مدخل فى الجدار الجنوبى يربط بينه وبين الفناء .

الفناء :

يقع على امتداد الواجهة الجنوبية للدور قاعة والإيوانين بطول « ٥٠ر١٤ م وعرض « ٦٠ر٥ م » أرضية مفروشة بطبقة من القضاض .

ويحد الفناء من الجهتين الشرقية والغربية جدارين : الجدار الغربى يطل على الميضأة بارتفاع « ٤٠ر٢ م » وسمك « ٥٥ سم » ينتهى من أعلى بصف من قوالب الأجر المثلثة ، ويتوسط الجدار فتحة باب متوجة بعقد منكسر نصل من خلاله إلى الميضأة ويكتنف الباب دخلتان مخصصتان لحفظ أمتعة المصلين أبعاد كل دخلة « ٢٥ × ٣٥ × ٥٠ سم » متوجة بعقد منكسر .

أما الجدار الشرقى فيمثل الواجهة الرئيسية للفناء والتى تطل على شارع يمر بموازاة الواجهة التى تضم عدد من الوحدات المعمارية هى :

المدخل الرئيسى :

يقع فى الطرف الشمالى للجدار الشرقى من الفناء ، يتكون من كتلة مدخل ارتفاعها « ٥٠ر٤ م » متوجة بصف من الشرافات الملتصقة بقيمة جدار كتلة المدخل وكل شرافة منها مكونة من قاعدة متدرجة على مستويين ، يخرج منها مستطيل يعلوه مربع يخرج منه ذراعان نحو اليمين ونحو الشمال ويعلو المربع من أعلى ذراعان مائلان على هيئة حرف (٧) يتوسطه معين .

ويتوسط كتلة المدخل دخلة مستطيلة ارتفاعها « ٤ م » واتساعها « ٨٠ر١ م » فى الجزء العلوى منها صدر المدخل متوج بعقد مفصص مزدوج مماثل لعقد محراب الدور قاعة ، وتنتهى قمته على هيئة حزمة نباتية بينما يشغل كوشتى العقد أهلة ووريدان سداسية وقد غُشى الصدر ـ فيما بين باب الدخول وعقد الصدر ـ بستارة جصية وهمية مشغولة بزخارف نباتية على هيئة شجرة محورة ذات فروع ملتفة .

وفى الجزء السفلى من الدخلة باب ارتفاعه « ٥٠ر٢ م » واتساعه « ٤٠ر١ م » يفضى إلى الفناء ، وقد بنى أمامه من الداخل جدار طوله « ٢ م » وارتفاعه « ٥٠ر١ م » ولذلك يظهر المدخل وكأنه منكسر ، وكان الهدف من بناء الجدار منع المارة فى الشارع من رؤية من فى الفناء .

المئذنة : [شكل ٨٣]

تحتل الركن الجنوبى الشرقى للإيوان الشرقى ، حيث يعتبر الركن جزء من قاعدة المئذنة التى تبرز عن مستوى الواجهة الشرقية للإيوان بحوالى « ٣٠ سم » .

وتتكون المئذنة من قاعدة مربعة مصمته ارتفاعها « ٥٠ر٣ م » [شكل ١٩٧] ، يعلوها بدن مجوف ارتفاعه « ٥٠ر١٠ م » وعرض كل ضلع من أضلاعه « ١ م » . فى الضلع الجنوبى للبدن باب اتساعه « ٥٠ سم » وارتفاعه « ٦٥ر١ م » تنتهى عند بداية القسم السادس من البدن (الجوسق) .

ويتم الوصول إلى باب المئذنة من خلال باب يقع فى الركن الجنوبى الشرقى من الفناء ارتفاعه « ٥٠ر١ م » واتساعه « ٥٥ سم » يؤدى إلى سلم صاعد عمودى على الجدار الشرقى للفناء ثم ينعطف السلم شمالاً بموازاة الجدار الشرقى ماراً فوق قنطرة معقودة تتقدم الباب الرئيسى من الداخل وينتهى السلم عند مساحة مربعة (بسطة) تتقدم باب المئذنة . وفى الضلع الغربى للبدن المثمن باب آخر مماثل للباب الجنوبى نصل منه من داخل البدن إلى سطح الإيوان الشرقى .

وقد قسم بدن المئذنة المثمن إلى ستة أقسام رأسية تعلو بعضها يفصل بين كل قسم وآخر افريز بارز من الجص [شكل ٨٣] .

القسم الأول : يعلو القاعدة ويشغل ضلعيه الجنوبى والغربى ، مدخلى المئذنة السابق ذكرهما ، وأما بقية الأضلاع فقد شغلت بدخلات معقودة تضم زخارف هندسية ونباتية ، وفى الدخلة الشرقية منها نص كتابى نصه « ناظر الوقف صالح أحمد أحمد » [1] .

أما الاقسام من الثانى حتى الخامس فقد شغلت أضلاعها بدخلات معقودة كل دخلة منها محاطة بإطارين بارزين يحصران بينهما أخر غائر مقسم إلى أجزاء مستطيلة رأسية بواسطة

---

(١) هذا النص يعود إلى ما قبل ثلاثين عامًا من الآن ، حيث أن ناظر الوقف المذكور هو والد ناظر الوقف الحالى واسمه (أحمد صالح أحمد أحمد عكيش).

قوالب الأجر ، يحصر الإطاران داخلهما ستارة جصية تضم زخارف بارزة تختلف من ستارة إلى أخرى كما تختلف من قسم إلى آخر قوام زخارفها : عناصر هندسية على هيئة معينات وانصافها متداخلة مع بعضها كما تتداخل مع دوائر تخرج منها أوراق ثلاثية مثقوبة ، أما على هيئة دوائر متماسة تحصر كل دائرة منها دائرة مطموسة ، وبعض الستائر شغلت بعناصر نباتية محورة على هيئة أفرع ملتفة تخرج منها أوراق ثلاثية محورة ، والبعض الآخر من الستائر شغلت بعناصر مجردة هندسية على هيئة عمود ينتهى أعلاه بشكل هلال يحصر بداخله ورقة ثلاثية ، ويتقاطع العمود مع عدد من الخطوط تنكسر أطرافها إلى أعلى على هيئة زاوية قائمة ثم نحو الجانبين مماثلة لتلك التى تتقاطع مع العمود المعدنى الذى يعلو قبة الدور قاعة وقمة المئذنة .

كما زخرفت بعض الستائر بأشكال نجمية سداسية أو أشكال جامات دائرية تحصر بداخلها أشكال أصلبه تنتهى أطرافها بأربع أوراق ثلاثية متقابلة الرؤوس ، ويخرج من الجامة أو النجمة فرعان نباتيان ملتفان يعلوهما ورقة ثلاثية فيما يشبه المروحة النخيلية المحورة .

أما القسم السادس من البدن المثمن فيمثل جوسق المئذنة حيث حلت النوافذ محل الستائر الجصية ، يتوج كل نافذة عقد مفصص ذو دلايات ويتوسط كل نافذة شباك معقودة اتساعه «٣٨ سم» وارتفاعه « ٥٠ سم » .

ويتوج المئذنة قمة مخروطية مقرنصة [1] ارتفاعها « ١ م » مكونة من عدد من المثمنات تعلو بعضها بحيث يضيق كل مثمن عما تحته ، بينما تتجه زوايا كل مثمن إلى منتصف أضلاع المثمن الذى يعلوه . وقد شغلت زوايا المثمنات المتجهة إلى الداخل بأنصاف قباب ، فى حين تنتهى القمة بقبيبة مفلطحة تحمل عمود معدنى يحمل ثلاث تفافيح معدنية أكبرها أوسطها .

قاعة الدرس :

تقع فى الضلع الجنوبى للفناء ، وتمتد من الشرق إلى الغرب بطول « ١٣ م » وعرض «٨٠و٥ م » بنيت جدرانها بارتفاع « ٩٠ر٣ م » وسمك « ١ م » .

تطل واجهتها الشرقية على أرض فضاء تابعة للمدرسة يوجد بها بئر مياه خاصة بالمدرسة ، وأما الواجهة الغربية فتطل على الميضأة ، أما الواجهة الجنوبية فملاصقة لعدد من المحلات التجارية المستحدثة . بينما تطل الواجهة الشمالية على فناء المدرسة بثلاث فتحات معقودة :

---

(١) تشبه قمتى مئذنة الجامع الكبير ومئذنة مسجد الخامرى بحيس .

عقدان كبيران اتساع كل منهما « ٧٠ر٢ م » وارتفاعه « ٢٥ر٣ » يفتح كل عقد منهما على مربع إحدى القباب ، والعقد الثالث صغير اتساعه « ٧٠ سم » وارتفاعه « ٤٠ر٤ م » يمثل واجهة القبو المطلة على الفناء .

والعقود الثلاثة السابقة مقامة على دعامتين مستطيلتين طول الدعامة الشرقية « ٣٥ر١ م » والغربية « ٥٠ر٢ م » وعرض كل منهما « ١ م » بالإضافة إلى كتفين أحدهما ملتصق بالجدار الشرقى ويبرز عنه بمقدار « ٣٠ سم » والآخر ملتصق بالجدار الغربى يبرز عنه « ٧٠ سم » . وقد شطفت زوايا الدعامات والأكتاف السابقة من أسفل ، ينتهى الشطف أسفل أرجل العقود بمقرنصات بسيطة ذات حطتين .

وتتكون قاعة الدرس من الداخل من مساحة مستطيلة طولها « ١١ م » وعرضها « ٨٠ر٣م» قسمت إلى ثلاث مساحات : مساحتان مربعتان « ٨٠ر٣ × ٨٥ر٣ م » ومساحة مستطيلة «٣٠ر١ × ٨٥ر٣ م » .

المساحتان المربعتان :

يغطى كل منهما قبة مدببة ارتفاعها عن الأرض « ٦ م » مبنية بقوالب الأجر ومكسوة بطبقة من الملاط ، يتوج قمة كل قبة عمود من الأجر .

تقوم القباب على رقاب دائرية محمولة على مناطق مكونة من مثلثات كروية شغلت أوجهها بتسعة صفوف من الأشكال الدالية ، وتستند على أربعة عقود عقدان يطلان على الفناء ، وعقد مشترك بين القبتين وعقد رابع مشترك مع القبو ، ارتفاع كل عقد منها «١٠ر٣م» واتساعه ٤٥ر٣ م » .

ويشغل الجدار الغربى للقبة الغربية ثلاث دخلات مصمته أوسعها وأكبرها الدخلة الوسطى اتساعها « ٨٥ سم » وارتفاعها « ٥٠ر١ م » وعمقها « ٥٠ سم » وكانت فى الأصل شباكاً يطل على الميضأة ، والدخلتان الأخريان أبعاد كل منهما « ٤٠ × ٥٠ × ١٠٠ سم » تمثلان كتبيات لحفظ الكتب والمصاحف وألواح تعليم وحفظ القرآن للأطفال .

وفى الجدار الجنوبى لكل قبة دخلتان مماثلتان للدخلة الوسطى من الجدار الغربى مما يرجح أنها كانت شبابيك تطل على الخارج وسدت عندما بنيت المحلات التجارية الملاصقة للقاعة من الخارج .

المساحة المستطيلة :

تحتل الجزء الشرقي من قاعة الدرس ، وهي مغطاة بقبو مدبب من الداخل منكسر من الخارج ارتفاعه عن الأرض « ٤ر٥٠ م » يطل على الصحن بعقد مدبب .

يتوسط الضلع الشرقي للقبو ثلاث دخلات : الشمالية منها تمثل شباكاً يطل على المساحة الفضاء - الشرقية - والبئر ، ارتفاع الشباك « ٢ر٥٠ م » واتساعه « ١ م » متوج بعقد مدبب . ويكتنف الشباك من الجهة الجنوبية كتبيتان مماثلتان لكتبيات الجدار الغربي للقاعة .

الميضأة :

تقع في الجهة الجنوبية الغربية من المدرسة ملاصقة للجدار الغربي للفناء وقاعة الدرس وهي مكونة من مساحة مستطيلة تمتد من الشمال إلى الجنوب بطول « ١٣ م » وعرض « ٦ر٥٠م » يبرز جدارها الجنوبي بمقدار « ٥٠ سم » عن الواجهة الجنوبية للمدرسة .

يحيط بالميضأة ثلاثة جدران - غير الجدار الغربي للفناء وقاعة التدريس - مبنية بقوالب الأجر بسمك « ٧٠ سم » وارتفاع « ٢ م » وكسيت الجدران بطبقة من ملاطة النورة .

يتوسط الجدار الغربي مساحة بارزة نحو الخارج تشبه شإل الدركاة ، تمتد من الشمال إلى الجنوب بطول « ٢ر٦٥ م » وعرض « ١ر٧٥ م » في الضلع الجنوبي منها ، يقع المدخل الخاص بالميضأة والذي يتكون من فتحة باب ارتفاعه « ١ر٨٥ م » واتساعه « ١ر٢٥ م » متوج بعقد زخرفي على هيئة ثلاثة أقواس ويغلق عليه مصراعا باب من الخشب . كما يشغل الجدار الغربي للميضأة خمس دخلات : اثنتان على يسار المدخل واثنتان على يمينه والخامسة في الجدار الغربي للدركاة في حين يشغل الجدار الجنوبي أربع دخلات ، أبعاد كل دخلة من الدخلات السابقة « ٢٥ × ٣٥ × ٥٠ سم » ، ويتوج كل دخلة منها عقد منكسر خماسي الفصوص .

ويتوسط الميضأة بركة مياه مستطيلة تمتد من الشمال إلى الجنوب ، وقد غطيت حديثاً بسقف من الأسمنت المسلح ، ويكتنفها من الجهتين الشمالية والجنوبية مجموعة من الحمامات يفصل بينهما وبين البركة ممران ، وإن كانت معظم الحمامات قد أزيلت ولم يتبق منها سوى الحامات الأربعة الشمالية ، بينما حل محل الحمامات الجنوبية خزان مياه مستحدث ، يتكون كل حمام منها من مساحة مستطيلة محصورة بين جدارين عموديين على الجدار الشمالي للميضأة ويغلق على كل حمام منها باب من الخشب .

الباب الثالث

التخطيطات والعناصر المعمارية والزخرفية لمساجد ومدارس مدينة حيس الباقية

« دراسة تحليلية مقارنة »

الفصل الأول
التخطيطات المعمارية

تعددت وتنوعت التخطيطات المعمارية حسب الوظيفة التى يؤديها المسجد أو المدرسة وكذلك حسب المساحة التى يشغلها . ولذلك يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنواع :

١ ـ تخطيط المسجد الجامع ، ويمثله تخطيط الجامع الكبير بحيس .

٢ ـ تخطيطات المساجد الصغرى ، وتمثلها سبعة مساجد هى : مسجد الكيلة ، مسجد ابن أبى الخل ، مسجد ابن على ، مسجد البخارى (الحضرمى) ، مسجد الموفى الأعلى ، مسجد الخامرى ، مسجد ركيز .

٣ ـ تخطيطات المدارس وعددها أربع هى : مسجد المدرسة ، مدرسة الهتارى ، مدرسة المعجار ، المدرسة الاسكندرية .

(أ) تخطيط الجامع الكبير:

تبين من الدراسة الوصفية أن الجامع الكبير كان فى الأصل مدرسة ومسجداً ، كما جاء فى النص التأسيسى على المدخل الرئيسى ، ولذلك نجد أن تخطيط الجامع جاء ملائماً للوظيفة التى بنى من أجلها .

وبمعنى آخر ، فإن التخطيط العام للجامع يتبع نظام المساجد الجامعة من حيث تكوينه المعمارى على هيئة صحن ومصلى ومجنبات ، مع وجود عناصر المسجد الجامع الأخرى كالمنبر والمئذنة ، وفى نفس الوقت يتناسب مع كونه مدرسة من حيث وجود إيوان خاص بالدراسة ـ الإيوان الجنوبى ـ بالإضافة إلى إمكانية استخدام أقبية المجنبات فى الدراسة والارتفاق [1] [شكل ٨] .

---

(١) لم تكن المدارس اليمنية تحتوى على خلاوى لسكن الطلاب ، وإنما كانوا يقيمون فى نفس الأماكن التى يدرسون بها ، أو فى الدهاليز الجانبية وعقودها المطلة على الشارع كما فى المدرستين المعتبية والأشرفية وغيرهما من المدارس الرسولية . (انظر)، محمد سيف النصر، نظرة عامة، ص ١٠٥ ، ١٠٦ .

ويلاحظ على التخطيط الحالى للجامع عدم حدوث تغييرات كبيرة به تمس جوهر التخطيط العام له ، وإنما كانت التغييرات بسيطة نتجت عن سقوط بعض تغطياته ـ خاصة تغطيات الجزء الشمالى الشرقى ، والجزء الغربى من المصلى ، وتغطيات المجنبة الغربية والقاعة الجنوبية الغربية ـ فى أواخر عصر الدولة الطاهرية نتيجة لسلسلة من الزلازل التى ضربت المنطقة الممتدة من زبيد ـ شمال حيس ـ وحتى موزع ـ جنوب حيس ـ وذلك سنة (٩١٦ هـ/ ١٥١٠ م) ، مما أدى إلى تهدم كثير من المنازل والمساجد وتشعث البعض الآخر [٢] .

ونظراً لأن الأجزاء المتهدمة من الجامع ذات مساحات مستطيلة ، فقد لجأ المعمار إلى إضافة بعض العقود الجديدة لتحويل المساحات المستطيلة إلى مساحات مربعة يسهل إقامة القباب عليها [شكل ٨٥] . ومنها : العقود الملاصقة لعقود بائكة المحراب التى تفصل بين رواقى المصلى فى الجزر الشرقى منه .

وحيث أن المساحة الشرقية من رواق المحراب ذات مساحة مستطيلة ، فقد قام المعمار بإبراز الجدار الشرقى لرواق المحراب نحو الشرق ، ليزيد من مساحتها ، حتى تصبح مساحة مربعة ، وبنى عليها وعلى المساحة المجاورة لها من جهة الغرب قبتان .

ويقودنا هذا إلى تأكيد أن العقد العمودى على جدار القبلة ، والذى كان يفصل بين قبوى الجزء الشرقى من رواق المحراب ـ القبتان حالياً ـ هو عقد أصلى من عصر الإنشاء ، والذى يعتبر امتداداً لعقود الجزء الشرقى من الرواق الثانى للمصلى وعقود المجنبة الشرقية العمودية على جدار القبلة لكى يقاوم عملية رفس العقود .

أما الجزء الغربى من المصلى ، فكان مقسماً إلى مساحتين مربعتين بواسطة عقد موازى لجدار القبلة ، والذى يعتبر امتداداً لبائكة المحراب ، وهذا العقد كان أيضاً موجوداً منذ عصر الإنشاء لمقاومة عملية رفس عقود بائكة المحراب .

وبالنسبة للمجنبة الغربية ، فقد كانت مكونة من مساحة مستطيلة واحدة مغطاة بقبو طولى عمودى على المصلى ، مثله مثل أقبية المجنبة الشرقية . وبعد سقوط القبو قام المعمار بتقسيم المساحة المستطيلة إلى مساحتين مربعتين بواسطة عقد موازى لجدار القبلة ، إلا أن هذا العقد

---

(١) يذكر ابن الديبع حدوث أربع زلازل فى شهر شوال من سنة ٩١٦هـ، واستمرارها حتى أخر شهر ذى الحجة ما بين زلازل كبار وصغار، وقد أضرت بأهل الجهة ضررا عظيمًا حيث تصدعت البيوت الكبار الوثيقة البناء؛ وخربت البيوت الضعيفة البناء، ولم يسلم بيت من التشعث، كما تشققت الأراضى الزراعية، وتهدمت القبور، وسقطت جدران جملة من الأبار، (انظر)، ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص ٢٣٥.

اعترض مكانه وجود فتحة معقودة [1]ـ الفتحة الوسطى ـ تطل على الصحن ، مما اضطر المعمار إلى سد هذه الفتحة بجدار وبناء كتف ملاصق له يحمل العقد .

وأما القاعة الجنوبية الغربية ، فقد اضطر المعمار إلى بناء ستة عقود ملاصقة للجدران ، وعقد سابع عمودى على الجدار الجنوبى ينصف المساحة المستطيلة إلى مساحتين مربعتين يغطى كل منهما قبة .

والجامع بهذا الشكل يعتبر أقدم منشأة رسولية باقية تجمع بين تخطيط الجامع والمدرسة مع وجود بعض المميزات المعمارية التى تدل على ميل الرسوليين إلى التجديد والتميز عن غيرهم ، كما أنه يعد بمثابة النموذج الأول والأصيل للتخطيطات التى سارت عليها تخطيطات المساجد والمدارس الرسولية بعد ذلك مع إضافة نوع من التطوير لكل مسجد أو مدرسة ، وإن كان هذا التطوير لا يمس جوهر التخطيط الأصلى الذى ظل المعمار يحافظ عليه طوال العصرين الرسولى والطاهرى ، ومثال ذلك :

- **الصحن [2] :**

ويتكون من مساحة مربعة مكشوفة محاطة بالمصلى والمجنبات التى تفتح عليه بثلاث فتحات معقودة فى كل جهة ، وجد بعد ذلك فى صورة متطورة فى مدارس تعز ، ومنها المدرسة المعتبية (٧٩٦ هـ) [شكل ٨٦] ، ثم المدرسة الأشرفية (٨٠٠ ـ ٨٠٣) [3] [شكل ٨٧] ، والمدرسة الظاهرية (٨٣٥ هـ) ، وكذلك فى المدرسة العباسية بتعز ، والمدرسة الياقوتية بذى السفال (قبل أو بعد سنة ٨٤٠ هـ) [4] .

ثم انتقل الصحن بصورة أكثر تطوراً إلى مدارس الدولة الطاهرية ، ومنها : المدرسة

---

(١) تطل المجنبة الغربية على الصحن بثلاث فتحات معقودة مماثلة لفتحات الظلة الشرقية .

(٢) الصحن : يعرف فى العمارة اليمنية باسم القاعة إذا كان مخصصًا للدفن ، كما فى المدرسة الأشرفية ، وأحيانًا يعرف باسم الصرحة أو الصرح أو الشمسية نظرًا لتعرضه لأشعة الشمس ، وقد ورد ذلك فى وثائق وقف المدارس الآتية ، سلامة العباسية ، المعتبية ، الأشرفية ، الياقوتية ، الجوهرية ، الظاهرية . (انظر) ، الخزرجى ، العسجد المسبوك ، ص ٥٠٥ ، إسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ١٨١ ـ ٢٢٩ ، Sadek, Noha: Op. Cit. P. 246.

(٣) مصطفى شيحة ، المدخل ، ص ٩١ ، ٩٥ ، عبدالله الراشد ، المنشآت المعمارية ، ص ٢٨٦ ، Sadek, Noha: Op. Cit. P.P., 192, 227, 241.

(٤) عبدالله الراشد ، المنشآت المعمارية ، ص ٨٤ـ١٠٢ .

المنصورية جبن (٨٨٧ هـ) [شكل ٨٨] ، والمدرسة العامرية برداع (٩١٠ هـ) [١] [شكل ٨٩].

● **المصلى :**

إن المصلى فى الجامع الكبير بحيس ، وخاصة القسم الأوسط منه ، والمقسم إلى رواقين بواسطة بائكتين فى كل بائكة ثلاثة عقود ، يمثل الطراز الذى سارت عليه مصليات المدارس الرسولية والطاهرية والذى نراه بعد ذلك فى صورة مماثلة ـ مع اختلاف التغطيات [٢] ـ فى المدرسة التقوية بتعز (٧٧٩ هـ) [شكل ٩٠] . وكذلك فى المدرسة المعتبية (٧٩٥ هـ) [٣] ، واستمر أيضاً فى المدارس الطاهرية ، كما فى المدرسة المنصورية بجبن (٨٨٧ هـ) ، والمدرسة العامرية برداع (٩١٠ هـ) [٤] .

كما يشاهد هذا التخطيط بالنسبة للجزء الأوسط من المصلى فى الجامع الكبير بمدينة القطيع [شكل ٩١] ، والجامع الكبير بمدينة المغلاف بتهامة [٥] .

● **المجنبات :**

تمثل المساحات المستطيلة المغطاة بأقبية فى كل من المجنبتين الشرقية والغربية ، وكذلك الامتدادات الجانبية الشرقية والغربية للمصلى ، الطراز الذى سارت عليه قاعات الدرس الرسولية ، ومنها : المدرسة التقوية ، والمدرستين المعتبية والأشرفية [شكل ٨٦ ، ٨٧] ، وكذلك المدارس الطاهرية المنصورية بجبن ، والعامرية برداع [شكل ٨٨ ، ٨٩] .

● **الجهة الجنوبية :**

تتكون فى الجامع الكبير من الإيوان الجنوبى والقاعة الجنوبية الغربية ودركاة المدخل

---

(١) تتميز المدرستان المنصورية والعامرية بوجود بائكة معقودة محمولة على أعمدة تحيط بالصحن . (انظر)، مصطفى شيحة ، المدخل ، ص ٨٧ ، محمد سيف النصر ، نظرة عامة ، ص ١٠٤ .

(٢) غطى رواقا الجامع الكبير بأقبية مستعرضة ، أما فى مدارس التقوية والمعتبية بتعز ، والمنصورية بجبن ، والعامرية برداع فغطى كل رواق بثلاث قباب .

(٣) مصطفى شيحة ، المدخل ، ص ٩٥ ، محمد سيف النصر ، نظرة عامة ، ص ١٠٤ ، Sodek, Noha, : Op. Cit., P. 235.

(٤) مصطفى شيحة ، المدخل ، ص ٨٨ ، محمد سيف النصر ، نظرة عامة ، ص ١٠٤ .

(٥) Italian. Institute: Archaeological Missions, 1985, P. 390, 1986, P. 434.

والحجرة الجنوبية الشرقية ، وهذه الوحدات المعمارية نشاهدها فى بقية المدارس الرسولية الأخرى مع اختلاف مواقعها .

فقد حل الإيوان الجنوبى فى الجامع الكبير محل الخانقاة فى المدرستين المعتبية والأشرفية ، وحلت دركاة المدخل والقاعة الجنوبية الغربية محل حجرات المخازن فى نفس المدرستين .

• الميضأة :

تقع فى الركن الجنوبى الغربى من الجامع على هيئة مساحة مستطيلة تتوسطها بركة محاطة بعدد من الحمامات [1] . وهذا الموقع لم يتم اختياره مصادفة ، بل كان الاختيار بناء على خبرة معمارية وملاحظة دقيقة لاتجاه الرياح صيفاً وشتاءً ، والتى تكون فى الغالب إما شمالية / شمالية غربية ، أو جنوبية / جنوبية غربية [2] . ولذلك كانت الميضآت تبنى فى المساجد والمدارس اليمنية فى الركن الجنوبى الشرقى كما فى مسجدى الكيلة والخامرى بحيس ، ومدرستى المعتبية والأشرفية بتعز [الأشكال ٣٢ ، ٥٢ ، ٨٦ ، ٨٧] . أو تبنى فى الركن الجنوبى الغربى كما فى الجامع الكبير ومسجد البخارى ومدرسة الاسكندرية بحيس ، وفى الجامع الكبير بصنعاء والمدرسة العامرية برداع [الأشكال ٨ ، ٧٧ ، ٨٩] .

وكان اختيار هذين الموضعين يهدف إلى عدم نقل الرياح للروائح الكريهة من الحمامات إلى المبنى ، وإنما تنقلها بعيداً عن المسجد أو المدرسة .

الأصول المعمارية لتخطيط الجامع الكبير بحيس :

تأثر بنو رسول كثيراً بالمناطق التى عاشوا فيها فى بلاد التركمان والعراق والشام [3] ، والتى كانت خاضعة للسلاجقة وخلفائهم الآتابكة ثم الأيوبيين .

ونلمس هذا التأثر فى عمارة المساجد والمدارس الرسولية التى بنيت على طراز المساجد والمدارس السلجوقية والأتابكية والأيوبية .

---

(١) كانت الحمامات فى العصر الرسولى تبنى على هيئة حجرات صغيرة مربعة تحيط بالبركة ويعطى كل حمام منها قبة كما فى المعتبية والأشرفية وغيرها .

(٢) تتأثر اليمن بمنطقة الضغط الجوى الأسيوى شتاء ، ولذلك تكون الرياح التى تهب عليها فى هذا الفصل شمالية وشمالية غربية ، كما تتأثر بمنطقة الضغط الجوى الاستوائية أو المدارية صيفا ، فتكون الرياح جنوبية أو جنوبية شرقية . (انظر) ، محمد متولى وآخرون ، المرجع السابق ، ص ٨٨ ، ٨٩ .

(٣) سبق فى الفصل التمهيدى ذكر نسب بنى رسول ، والمناطق التى عاشوا فيها قبل مجيئهم إلى اليمن .

فمثلاً تخطيط الجامع الكبير بحيس والذى يعتبر أقدم مسجد رسولى باق حتى اليوم جاء مشابهاً إلى حد كبير لتخطيط الجامع الكبير بخربوط (٥٥١ هـ) [شكل ٩٢ ، وكذلك لتخطيط المدرستين القاسمية بماردين [شكل ٩٣] ، والنورية بدمشق [١] (٥٦٧ هـ / ١١٧٢م)، وإن كانت المدارس الأخيرة تتميز بوجود قبة ضريحية وهى ما لا نشاهده فى عمارة الجامع الكبير بحيس .

كما أن تخطيط جامع حيس يتشابه مع تخطيط مدرسة كوموشتكين فى بصرى (٥٣٠ هـ / ١١٣٦ م) [٢]، وخاصة من حيث التقسيم الداخلى ، كما يتشابه كثيراً مع تخطيط المدرسة الظاهرية بحلب (٦١٦ هـ / ١٢١٩ م) [٣] .

فى حين يتشابه تخطيط الإيوان الجنوبى والمجنبتين الشرقية والغربية بجامع حيس مع مثيلاتها فى مدرستى دار الحديث (٥٤٩ هـ ـ ٥٦٩ هـ / ١١٥٤ر ـ ١١٧٤ م) ، والعادلية بدمشق (٦١٩ هـ / ١٢٩٠ م) [٤] ومدرستى الفردوس والكاملية بحلب [٥] [شكل ٩٤] .

إضافة إلى ذلك ، تميز الجامع الكبير بحيس بوجود سمة جمالية تتمثل فى ذلك التناسق الجميل والتقابل بين فتحات المصلى والمجنبات المطلة على الصحن ـ ثلاث فتحات فى كل جانب ـ والتى شوهدت قبل ذلك فى المنشآت السلجوقية فى إيران ومثيلاتها فى سوريا والأناضول [٦]، مما يدل على تأثر الرسوليين بعمائر البلاد التى عاشوا فيها قبل مجيئهم إلى اليمن .

وإلى جانب تأثر الرسوليين بعمائر تركيا والعراق والشام ، فقد تأثروا أيضاً بعمائر مصر ، والتى عاشوا فيها قبل أن يرسلهم الأيوبيين إلى اليمن .

---

(١) Finster, Barbara: Die Grosse Moschee Von Hais, Band 3, 1986, P.P. 142 -- 145.

أحمد فكرى ، مساجد القاهرة ومدارسها ، جـ٢ ، العصر الأيوبى ، ص ١٠٥ ـ ١٠٧ ،

Creswell K.A.C. : The Muslim Architecture of Egypt, II, Ayyubids and Early Bahrite Mamluks, A.D. 1171 -- 1326, Oxford At the Clarendon Press. Mcmilii, 1959, P. 110.

(٢) Creswell : Op. Cit. P. 107.

أوقطاى أصلان آبا ، فنون الترك وعمائرهم ، ترجمة ، أحمد محمد عيسى ، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ، استانبول ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ / ١٩٧٨م ، ص ٥٢ .

(٣) أحمد فكرى ، مساجد القاهرة ومدارسها ، جـ ٢ ، العصر الأيوبى ، ص ١١١ .

(٤) CresWell : Op. Cit, P.P. 108, 113.

(٥) CresWell : Op. Cit. P.P. 117, 199.

(٦) Italian Institute : Archaeological Missions, 1986. P. 380.

حيث يلاحظ تشابه تخطيط الجامع الكبير بحيس مع تخطيطات بعض مساجد القاهرة الفاطمية ، فمثلاً القسم الأوسط من المصلى يتشابه مع ظلة القبلة فى مسجد ومشهد الجيوشى (٤٧٨ هـ) [شكل ٩٥] (١) ، مع اختلاف بعض التغطيات ، حيث غطى الجزء الأوسط من المصلى بجامع حيس بواسطة أقبية ، بينما غطيت ظلة القبلة بمسجد ومشهد الجيوشى بقبة وسطى تعلو المحراب ، وغطيت بقية أجزاء الظلة بأقبية (٢) ، فضلاً عن تشابه صحن الجامع الكبير والمجنبات الشرقية والغربية بصحن وظلات مسجد الجيوشى المغطاة بأقبية وإن كانت المجنبات فى الجامع الكبير قد زحزحت شرقاً وغرباً لتقابل الأجزاء الشرقية والغربية من المصلى ، مع إضافة بلاطة أخرى للمجنبة الشرقية ، وحلول الإيوان الجنوبى فى الجامع الكبير محل المدخل الجنوبى فى مسجد الجيوشى ، وكذلك حلول مدخل الجامع الكبير محل المئذنة فى الجيوشى .

كما يتشابه القسم الأوسط من المصلى فى الجامع الكبير مع تخطيط المشهد القبلى بأسوان (قرب الشلال) ، والذى يعود إنشاؤه إلى الوزير الفاطمى بدر الجمالى (٤٦٦ ـ ٤٨٧ هـ / ١٠٧٣ ـ ١٠٩٤ م) ، وهذا المشهد مقسم إلى رواقين يغطى كل رواق منهما ثلاث قباب (٣) . وهو ما نراه بعد ذلك فى مصليات المدارس الرسولية والطاهرية مثل : التقوية والمعتبية والأشرفية بتعز ، والمنصورية بجبن والعامرية برداع .

(ب) : تخطيطات المساجد الصغرى :

تشتمل مدينة حيس على عدد من المساجد الصغرى بنيت وفق طراز معين من التخطيط يتمثل فى مصلى مستطيل الشكل مغطى بقبتين أو أكثر حجبت واجهته المطلة على الفناء بجدار فتح فيه مدخل أو أكثر يصل بين الفناء والمصلى .

ويمكن تقسيم مساجد مدينة حيس من حيث التغطيات إلى أربعة طرز :

الأول : مساجد غطى المصلى فيها بقبة واحدة ، ومن أمثلتها مسجد الجبارى (٤) .

---

(١) أحمد فكرى ، مساجد القاهرة ومدارسها ، جـ١ ، العصر الفاطمى ، دار المعارف ، مصر ، ص ٩٠ ، ٩١ .

(٢) أحمد فكرى ، مساجد القاهرة ومدارسها ، جـ١ ، العصر الفاطمى ، ص ١٦١ ، ١٦٢ .

(3) Creswell : The Muslim Architecture of Egypt, I , Ikhshids and Fatimids, A. D939 - 1171, Oxford At the Clarendon Press, Mcmilii, 1951, P . 151 .

(٤) يعود تاريخ هذا المسجد إلى ما قبل العصر الرسولى ، ولذلك لم يدخل ضمن هذه الدراسة .

الثانى : مساجد غطى فيها المصلى بقبتين ، ومن أمثلتها : مسجد الكيلة ، ومسجد ابن أبى الخل ، ومسجد ركيز [1] ، ومسجد عطاء ومسجد الطواشى (الطاوسى) [2] .

الثالث : مساجد غطى فيها المصلى بثلاث قباب مثل : مسجد ابن علي ، ومسجد البخارى (الحضرمى) ، ومسجد الموفى الأعلى ، ومسجد الخامرى [3] ، ومسجد الهنود [4] ، ومسجد الموفى الأسفل [5] ، ومسجد السيد جعفر [6] .

الرابع : مساجد غطى المصلى فيها بقبة وسطى يكتنفها إيوانان صغيران مقبيان من الشرق والغرب ، ومن أمثلتها : مسجد الخماشى ومسجد عسيس ومسجد (مدرسة) التكية [7] .

وما يهمنا من هذه الطرز هما الطرازان الثانى والثالث ، واللذان بنيت وفقهما مساجد حيس فى العصرين الرسولى والطاهرى ، أما الطراز الأول فله مثال وحيد يعود إلى ما قبل العصر الرسولى ، وأما الطراز الرابع فتعود مساجده إلى ما بعد العصر الطاهرى .

• طراز المساجد ذات القبتان :

يتكون المصلى فى مساجد هذا الطراز من مساحة مستطيلة قسمت إلى مساحتين مربعتين - غطيت كل منهما بقبة - بواسطة عقد عمودى على جدار القبلة .

ونظراً لوقوع العقد والكتفان الحاملان له فى منتصف المساحة المربعة ، فقد اضطر المعمار إلى بناء حنية المحراب تتوسط المصلى وبناء كتفين على جانبى المحراب يلتقيان عند قمة المحراب ليحملا رجل العقد ، وهذا ما نراه فى مسجد الكيلة [شكل ٣٢] ، والذى يشبه من

---

(١) أضيف لمسجد ركيز قبتان ضريحيتان من الجهة الغربية وقبة مقصورة من الجهة الشرقية .

(٢) جدد هذان المسجدان فى القرن ١٢هـ/ ١٨م ، وإن كان بناؤهما الأصلى غير معروف المنشأ والتاريخ .

(٣) أضيف لمسجد الخامرى قبتان من الجهة الشرقية بحيث أصبح يتكون من خمس قباب .

(٤) يعود تاريخ هذا المسجد إلى ما قبل العصر الرسولى ، وقد جدد فى العصر الرسولى وخاصة تغطياته المكونة من ثلاث قباب أكبرها الوسطى ، إلا أن حالة المسجد السيئة وخلوه من أى مظهر معمارى أو زخرفى جديد ، صرف النظر عن دراسته .

(٥) جّدد هذا المسجد فى القرن ١٢هـ/ ١٨م .

(٦) بُنى هذا المسجد فى العصر الرسولى ، وكان مشابهًا لمسجد الهنود كما يظهر من الخريطة الجوية التى التقطت سنة ١٩٨٢م وقد هدم المسجد بأكمله وبُنى بمواد بناء حديثة ووفق تخطيط حديث أيضا .

(٧) هذه المساجد الثلاثة بنيت بعد العصر الطاهرى ، حيث أنها تنسب لشخصيات عاشت فى أواخر القرن العاشر ، وخلال القرن الحادى عشر الهجرى .

حيث الشكل تخطيط المصلى فى المدرستين التاجية والعلوية بزبيد (١) .

وقد شوهد المحراب الذى يتوسط الكتف الحامل للعقد الأوسط بعد ذلك فى ضريح السلاطين بنى طاهر بمدينة جبن (٨٦٤ ـ ٨٨٣ هـ) (٢) ، وكذلك فى مسجد ومدرسة ابن الديبع بزبيد (٣) [شكل ٩٦ ـ ١٠٧] .

والمثال الآخر للمساجد ذات القبتين نراه فى تخطيط مسجد ابن أبى الخل (٤) [شكل ٣٨]، وإن كان المعمار قد تجنب فيه بناء المحراب داخل الكتف الحامل للعقد وبناه بدلاً من ذلك على يمين الكتف ، ولذلك نجد أن المحراب يميل نحو الشرق قليلاً عن منتصف الجدار .

وهذا النوع من المحاريب شوهد بعد ذلك فى مساجد تالية ، ومنها عطا ومسجد الطواشى (الطاوسى) بمدينة حيس ، والتى تميل فيها المحاريب عن منتصف جدار القبلة .

كما تحتوى مساجد هذا الطراز على فناء وزعت عليه بقية عناصر المسجد كالمئذنة والميضأة، وإن كان موقع الفناء يختلف فى مسجد الكيلة عنه فى مسجد ابن أبى الخل .

ففى المسجد الأول يقع الفناء فى الجهة الجنوبية ، بينما يقع فى المسجد الثانى فى الجهة الشمالية (القبلية) ، ويمتد أيضاً فى الجهة الشرقية . ولذلك نجد أن المدخل المؤدى إلى المصلى يقع بجوار المحراب من الشرق (٥) ، بينما شغل الجزء الشرقى من الفناء بميضأة مستحدثة ومئذنة ملاصقة للركن الشمالى الشرقى للمسجد .

ومن خلال تخطيط مسجد ابن أبى الخل ، نستنتج أن الفناء الشرقى لم يكن أصلاً موجوداً، وإلا كان المعمار فتح فيه مدخل المسجد بدلاً من وضعه بجوار المحراب ، وهذا يعنى أن الفناء الأصلى للمسجد هو الفناء الشمالى فقط .

---

(١) المدرسة التاجية، ربما نسبة إلى تاج الدين بدر بن عبدالله المظفرى، وكان أحد مماليك السلطان المنصور عمر بن على بن رسول، وبعد مقتله التحق بخدمة ابنه السلطان المظفر، وله العديد من المدارس، توفى بتعز سنة ٦٥٤هـ، وأما بالنسبة للمدرسة العلوية فغير معروفة النسبة. (انظر)، إسماعيل الأكوع، المدارس، ص ١٣٥ ، Sadek Noha., Op. Cit. P. 233.

(٢) إبراهيم أحمد المطاع، المدرسة المنصورية بمدينة جبن باليمن، ص ١٤٦ ، ١٥٠ .

(٣) Steven, D. Ehrlich: Tihámah Architecture - An Architecr's Survey Drawings, Studies on The Thiámah Expedition, 1982, and Related Papers, Edited By: Francine Stone Longman, P. 77.

(٤) حولت القبة الغربية منه إلى قبة ضريحية.

(٥) لم يكن باستطاعة المعمار وضع المدخل فى غير الواجهة نظراً لأن الواجهة الجنوبية من المسجد مشغولة بمقابر، وكذلك الشرقية، وأما الواجهة الغربية فملاصقة لمنازل مجاورة.

وينتمى إلى طراز المساجد المغطاة بقبتين : مسجد ركيز [شكل ٥٨] ، والذى شيد فى العصر الطاهرى ، ويتكون من مساحة مستطيلة تمتد من الشمال إلى الجنوب مغطاة بقبتين وأضيف له بعد ذلك قبتان ضريحيتان فى الجهة الغربية ومقصورة فى الجهة الشرقية .

• طراز المساجد ذات الثلاث قباب :

يتكون المصلى فى مساجد هذا الطراز من مساحة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب ، مغطاة بثلاث قباب متساوية فى الحجم ، فتح فى الضلع الجنوبى للمصلى مدخلان أو أكثر [١] تصل بينه وبين الفناء الذى يقع إلى الجنوب منه . ومن أمثلة هذه المساجد : مسجد ابن على ومسجد البخارى (الحضرمى) ومسجد الموفى الأعلى [الأشكال ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٨] .

وينتمى إلى هذا النوع مسجد الخامرى [شكل ١٥٢] فى تخطيطه الأصلى الذى كان يتكون من المساحة الغربية المغطاة بثلاث قباب ، ثم أضيفت له بعد ذلك قبتان شرقيتان على نفس امتداد القباب الثلاث الأصلية .

وهذا النوع من المساجد ذى الثلاث قباب انتشر كثيراً فى اليمن منذ فترة مبكرة ، وخاصة فى المدن الثانوية ، وأقدم مثال مؤرخ لهذا النوع من المساجد الأجناس بتعز والذى شيد سنة (٦٢٣ هـ) [٢]، وكان مغطى بثلاث قباب [٣]، والذى ربما تأثر بناؤه بالمساجد الفاطمية التى تعود إلى عصر الوزير الفاطمى الأفضل بن بدر الجمالى (٤٨٧ ـ ٥١٥ هـ/ ١٠٩٤ ـ ١١٢١م)، ومنها : مشهد باسوان (٤٩٣ ـ ٥٠٤ هـ/ ١١٠٠ ـ ١١١٠ م) ، ومسجد خضرة الشريفة (٥٠١ هـ/ ١١٠٧ م) [٤]، ومسجد السيدة رقية بالقاهرة (٥٢٧ هـ/ ١١٣٣ م) [٥] [الأشكال ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠] .

ويظهر هذا التشابه على وجه الخصوص فى المصلى المكون من مساحة مستطيلة قسمت إلى

---

(١) يختلف عددها حسب وجود محراب فى الفناء من عدمه .

(٢) لا يعتبر هذا المسجد من المساجد الرسولية رغم أن منشئه هو عمر بن على بن رسول مؤسس الدولة الرسولية ، لأن تاريخ بناء المسجد كان سنة ٦٢٣هـ، أى قبل قيام الدولة بثلاث سنوات ، ولذلك فإنه يعتبر من المساجد الأيوبية .

(٣) ابن المجاور ، جمال الدين أبى الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد الشيبانى ، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، المسماة تاريخ المستبصر ، تصحيح أوسكر لوففرين ، منشورات دار المدينة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م ، ص ٢٣٣ .

(٤) Creswell : The Muslem Architecture of Egypt. Band I. P.P. 223, 224.

(٥) فريد محمود شافعى (دكتور) ، العمارة العربية الإسلامية ، ماضيها ، وحاضرها ، ومستقبلها ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ، ص١٠٤ ، ١٠٥ .

ثلاث مساحات مربعة غطيت بثلاث قباب فى مسجد الأجناس ، بينما غطيت فى المساجد الفاطمية السابقة بقبة وسطى وأقبية جانبية .

ويرجح أن المساجد والمدارس الصغرى بنيت على نفس الطراز المعمارى لمسجد الأجناس . والذى شاع استخدامه كثيراً فى مساجد ومدارس تهامة فى العصرين الرسولى والطاهرى ؛ ومنها مساجد ومدارس حيس ، وكذلك معظم مساجد ومدارس زبيد ، ومنها مسجد الرومى ، ومسجد الهنود (١) ومسجد العدنى (٢) ومسجد الصنوى ، ومسجد الأهدل (٣) ؛ وكذلك مسجد مدينة المتينة ومسجد قرية ديار هريش (٤) ، ومسجد المحيافة ، ومسجد المزجاجى ، ومسجد الشيخ ابكر بمدينة التحيتة (٥) ومسجد عبدالله بن على بمدينة الدريهمى (٦) [الأشكال ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧] .

(جـ) تخطيطات المدارس (٧) :

قسمت المدارس اليمنية من حيث التخطيط إلى طرازين : المدارس الكبرى ، المدارس الصغرى (٨) .

---

(١) Sadek, Noha : Op. Cit., 233.

(٢) Italian Institute : Materials For Atypology of Yemeni Religious Architecture, 1987, Compaign, Draft Report. P. 185.

(٣) Italian Institute : Materials For Atypology of Yemeni 1987, P.P. 186, 188.

(٤) Italian Institute : Archaeological Missions, 1985, P, 386.

(٥) Italian Institute : Archaeological Missions, 1985, P. 385, 1986, P.P. 436, 437.

(٦) Nankivell, John : Tihámah Portfolio - Aselection of Drawings and Commentary By The Artist Studies on The Tihámah, The Report of the Tihámah Expedition, 1982, and Related Papers, Edited by Francine Stone, Longman, P. 63, Steven. D. Ehrlich. Op. Cit. P. 75.

(٧) يختلف تخطيط المدرسة اليمنية عن تخطيط المدرسة المصرية اختلافًا جوهريًا رغم أنهما بدءًا بالمسقط ذو الإيوانين ، إلا أن المدرسة المصرية تطورت بعد ذلك من خلال تعدد الأواوين التى تفتح على الفناء أو الدورقاعة . أما تطور المدرسة اليمنية فقد سار فى اتجاه مغاير لتطور المدرسة المصرية حيث تركز الاهتمام فى المدرسة اليمنية على المصلى (بيت الصلاة) ، وحجبه عن الصحن ، بالإضافة إلى بناء قاعات الدرس والدهاليز المخصصة للتعليم والارتفاق على جانبى الصحن ، وبناء الكتاب والخانقاة فى الجهة الجنوبية من الصحن كما فى المعتبية والأشرفية والظاهرية بتعز والمنصورية جبن والعامرية والبغدادية برداع بينما ظلت المدارس الصغرى تقتصر على تخطيط واحد هو المصلى وقاعة الدرس ، يفصل بينهما فناء مكشوف ، (انظر) ، مصطفى شيحة ، دراسة مقارنة ، ص ٤٥٣ ـ ٤٥٥ .

(٨) محمد سيف النصر ، نظرة عامة ، ص ١٠٧ .

* المدارس الكبرى تتكون من المصلى وصحن ودهاليز تكتنف المصلى من الشرق والغرب كما فى المدرسة المعتبية والأشرفية [شكل ٨٦ ، ٨٧] ، أو تكتنف المصلى من الشمال والشرق والغرب كما في العامرية [شكل ٨٩] ، بالإضافة

إلى قاعات الدرس التى تكتنف الصحن من الشرق والغرب ، وكذلك ممرات الاستطراق والوحدات المعمارية الخاصة بالكتاتيب والخانقاوات والميضات وحجرات المخازن ، ومن أمثلة هذه المدارس : المعتبية والأشرفية والظاهرية الرسولية بتعز ، والمنصورية بجبن [شكل ٨٨] والعامرية [شكل ٨٩] ، والبغدادية برداع الطاهرية [١] .

* المدارس الصغرى تتميز بصغر حجمها وبساطة تخطيطها [٢] ، والذى فرضه ليس ضيق المساحة المراد البناء عليها فحسب ، وإنما أيضاً قلة إمكانيات المنشئ ، فضلاً عن غلبة تدريس المذهب الواحد [٣] ، مما كان له أثره الكبير فى شيوع المدارس ذات الإيوان الواحد (قاعة الدرس) بالإضافة إلى المصلى [٤] . ومن أمثلة هذه المدارس : المدرستين المنصورية العليا والسفلى (٦٢٦ ـ ٦٤٧ هـ) ، والمدرسة الدعاسية (٦٦٥ هـ) ، والمدرسة الزاتية ، والمدرسة الجبرتية (٢٢ ـ ٨٠٦ هـ) ، والمدرسة الفرحانية (بعد سنة ٨٣٦ هـ) وغيرها [الأشكال ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١] .

وإن كان ذلك لم يمنع وجود مدارس تضم أكثر من إيوان (قاعة الدرس) ومع ذلك خصصت لتدريس مذهب واحد ، بينما خصصت الآواوين الأخرى لتدريس الحديث والقرآن ، ومن أمثلتها : المدرسة الفاتنية ، والمدرسة الظاهرية ، والمدرسة الأشرفية [٥] ، وهذا يدلنا على أنه لا توجد هناك علاقة بين عدد الإيوانات وعدد المذاهب التى تدرس فى المدرسة [٦] .

---

(١) مصطفى شيحة ، دراسة مقارنة ، ص ٤٤٥ ـ ٤٤٩ . (٢) محمد سيف النصر ، نظرة عامة ، ص ١٠٩ .

(٣) اقتصرت معظم المدارس على تدريس المذهب الشافعى ، ومن أمثلتها المدرسة المنصورية العليا بزبيد ، وقليل منها اقتصرت على تدريس المذهب الحنفى ، ومن أمثلتها ، المدرسة المنصورية السفلى ، والمدرسة الدعاسية بزبيد ، أما بقية المذاهب فلم يكن لها من الانتشار كمذهب الإمام الشافعى ، (انظر) ، مصطفى شيحة ، دراسة مقارنة ، ص ٤٤٤ ، أضواء على تاريخ العمارة ، ص ٤٧ .

(٤) تتكون المدرسة ذات الإيوان الواحد من مصلى مغطى بقباب أو أقبية أو بأسقف مسطحة يقابله إيوان (قاعة) ، ويفصل بينهما فناء مكشوف وزعت عليه الوحدات المعمارية الأخرى كالميضأة والبركة وخزان المياه والمآذن والمداخل وأحيانًا مصادر المياه (الآبار) ، (انظر) ، مصطفى شيحة ، المدخل ، ص ٩٦ ـ ٩٨ ، دراسة مقارنة ، ص ٤٤٤ ، عبدالله الراشد ، المنشآت المعمارية ، ص ٢٨٥ ، محمد سيف النصر ، نظرة عامة ، ص ١٠٩ .

(٥) عبدالله الراشد ، المنشآت المعمارية ، ص ٢٧٥ .

(٦) حسنى محمد نويصر (دكتور) ، عوامل مؤثرة ، ص ٢٢٤٤ .

* ويمكن إضافة طراز ثالث للمدارس اليمنية وهو ما يعرف بالمدارس الإيوانية ، والتى تتكون من مصلى مكون من دور قاعة مغطاة بقبة مركزية يكتنفها من الشرق والغرب إيوانان مقبيان ، ويقابل المصلى إيوان (قاعة الدرس) مغطى بقباب ، يفصل بينه وبين المصلى فناء مكشوف ، ومن أمثلة هذه المدارس : المدرسة الوهابية بزبيد [شكل ١١٢] [١] . ومدرسة فى مدينة موزع[٢] .

وتتميز مدارس الطرازين الثانى والثالث ، باستقلالية المصلى الذى حجب عن الفناء بجدار كان الهدف منه تخصيص المصلى للعبادة فقط ، كما تتميز هذه المدارس باستخدام قاعات الدرس للارتفاق ونوم الطلبة على عكس مدارس العالم الإسلامى ، التى كانت تخصص فيها خلاوى أو حجرات خاصة لإقامة الطلبة[٣] .

أما بالنسبة لمدارس حيس فإنها تتبع مدارس الطرازين الثانى (المدارس الصغرى) والثالث (المدارس الإيوانية) .

• طراز المدارس الصغرى :

تتكون مدارس هذا النوع فى مدينة حيس من مصلى مغطى بثلاث قباب ، يقابلها قاعة درس مغطاة بقبتين كما فى المدرسة الهتارية [شكل ٦٨] ، أو قبتين وقبو صغير كما فى مدرسة المعجار [شكل ٧٢] ، وربما كانت قاعة الدرس بمسجد المدرسة (الياقوتية) [شكل ٥٩] مغطاة بقبتين مثل قاعة الدرس بمدرسة الهتارى .

ويلاحظ على مدارس هذا النوع تشابه المصلى فيها مع المصلى فى المساجد الصغرى السابق ذكرها سواء فى مدينة حيس أو فى مدن تهامة الأخرى أو فى المساجد المقارن بها خارج اليمن كالمساجد الفاطمية فى مصر .

كما تتشابه هذه المدارس مع المدارس الصغرى فى المدن اليمنية الأخرى وخاصة مدارس مدينة زبيد ، ومنها : المدرسة الجوهرية ، المدرسة المنصورية العليا (٦٢٦ ـ ٦٤٧ هـ) ، [شكل ١٠٨] ، والمدرسة الجبرتية (٧٢٢ ـ ٨٠٦ هـ) [٤] [شكل ١١٠] ، ومدرسة المزجاجى

---

(١) وضع الدكتور محمد سيف النصر هذه المدرسة ضمن المدارس الصغرى . (انظر) ، محمد سيف النصر ، نظرة عامة ، ص ١٠٨ .

(٢) شاهدت هذه المدرسة أثناء زيارتى لمدينة موزع فى يناير ١٩٩٠م ، وقد غاب عن ذهنى أسمها .

(٣) عبدالله الراشد ، المنشأة المعمارية ، ص ٢٧٦ .

(٤) مصطفى شيحة ، المدخل ، ص ٩٧ ، عبدالله الراشد ، المنشآت المعمارية ، ص ١٨٥ ، Sadek, Noha: Op. Cit., P. 233.

(٧٥٣ ـــ ٨٢٩ هـــ) [1] [شكل ١١٣] ، ومدرسة الفرحانية (بعد سنة ٨٣٦ هـ) [شكل ١١١][2] ، ومدرسة الماس [3] ، ومسجد ومدرسة ابن الدبيع [4] [شكل ٩٧] ، ومسجد ومدرسة الدويدار [5] [شكل ٢٤٩] ، والمدرسة الزكارية [6] [شكل ١١٥] ، والمدرسة العلوية الشرقية [7] [شكل ١١٦] .

كما تتشابه قاعة الدرس فى هذه المدارس مع قاعة الدرس فى المدرسة العلوية الغربية [8] (٦٥٠ هـ/ ١٢٥٢ م) [شكل ٩٦] ، وقاعة الدرس فى المدرسة الدعاسية بزبيد ٦٦٥ هـ/ ١٢٦٧ م) [9] [شكل ١٠٩] . وأيضاً وجدت مثل هذه القاعة فى العديد من المساجد الصغرى فى اليمن ، ومن أمثلتها قاعة الدرس بمسجد الصنوى ومسجد العدنى بزبيد [10] ومسجد المزجاجى بالتحيتة ، والجامع الكبير بالقطيع [11] [الأشـكـال ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٥].

وهذا النوع من المدارس انتشر كثيراً فى أقطار العالم الإسلامى ، حيث وجدت فى المدارس السلجوقية كما فى مدرسة قرطاى ومدرسة انجامنار فى قونيه ، وكذلك مدرسة ارطاكوش فى تركيا وكولدى فى سيواب ، كما انتشر فى الشام ومنها : مدرسة الفردوس ، والمدرسة الركنية بدمشق ، ومدرسة ابن العديم بحلب ، وأيضاً فى الغرب الإسلامى ،

---

(١) هذه المدرسة تنسب إلى الفقيه الصالح الشيخ محمد بن محمد بن أبى القاسم المزجاجى المتوفى سنة ٨٢٩هـ/ ١٤٢٦م. (انظر)، إسماعيل الأكوع، المدارس، ص ٢٣٩، عبدالله الراشد، المنشآت المعمارية، ص ٧٨.
Italian Institute : Materials For Atypology of Yemeni, 1987, P.P. 179 - 182.

(٢) مصطفى شيحة، المدخل، ص ٩٨ ، Sadek, Noha : Op. Cit., P.521.

(٣) Steven : D. Ehrlich. Op. Cit., P. 76.

(٤) Steven : D. Ehrlich: Op. Cit. P. 77.

(٥) ربما أن هذه المدرسة هى المدرسة المعروفة بالمدرسة الجوهرية بزبيد نسبة إلى الطواشى أبو الدر جوهر بن عبدالله الدويدار المعروف بجوهر الرضوانى، وكان خادمًا لجهة الطواشى شهاب الدين صلاح أم السلطان المجاهد، وقد توفى الطواشى المذكور سنة ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م (انظر)، الخزرجى، العسجد المسبوك، ص ٢٩٦، العقود اللؤلؤية، جـ٢، ص ١٠١، إسماعيل الأكوع، المدارس، ص ١٨٣، عبدالله الراشد، المنشآت المعمارية، ص ٦٣، Steven. D. Ehrlich: Op. Cit., P. 78.

(٦) Italian Institute : Materials for A Typology of Yemeni, 1978, P. 191.

(٧) Sadek, Noha. Op. Cit., P. 519.

(٨) Sadek, Noha: Op. Cit. P. 517.

(٩) محمد سيف النصر، المدرسة الدعاسية، ص ٩٧.

(١٠) Italian Institute : Materials For A Typology of Yemeni. 1987, P. 175.

(١١) Italian Institute : Archaeological Missions, 1985, P. 388.

وخاصة فى المدارس ذات المذهب الواحد كما فى مدرسة دار المخزن ومدرسة الصهريج ومدرسة العطارين ومدرسة المصباحه فى المغرب [1] .

● طراز المدارس الإيوانية :

وتمثلها فى مدينة حيس المدرسة الاسكندرية ، المكونة من مصلى على هيئة دور قاعة مغطاة بقبة مركزية يكتنفها من الشرق والغرب إيوانان مقبيان ، ويقابل المصلى فى الجهة الجنوبية قاعة درس مماثلة لقاعتى الدرس فى المدرستين الهتارية والمعجار ، وإن كانت قاعة الدرس فى الاسكندرية تحتوى أيضاً على قبو صغير يغطى الجزء الشرقى من القاعة . ويفصل بين القاعة والمصلى فناء مكشوف وزعت عليه الوحدات المعمارية الأخرى حيث يشغل الضلع الشرقى منه المدخل الرئيسى والمئذنة ، ويشغل الضلع الغربى الميضأة [شكل ٧٧] .

إن المصلى المكون من دور قاعة مغطاة بقبة مركزية وإيوانين ليس جديداً على عمارة المدارس اليمنية ، بل وجدت أجزاؤه فى عدة مدارس : فمثلاً القبة المركزية الكبيرة وجدت فى العديد من المدارس الرسولية ، ومنها المدرسة الأسدية باب (٦٧٧ هـ) ، وكذلك المدرسة الاسكندرية بزبيد [2] [الأشكال ١١٧ ، ١١٨] .

كما أن الإيوانين المقبيين وجدت أمثلة مشابهة لهما فى الجامع الكبير بمدينة حيس ، فضلاً عن وجود هذين الإيوانين فى المدرسة الأسدية إب والاسكندرية بزبيد ، إلا أن تغطياتهما جاءت على شكل قباب وليس أقبيه .

أما بالنسبة لقاعة الدرس فهى مشابهة لقاعات الدرس فى مدارس حيس الأخرى ، وكذلك مدارس تهامة عامة سواء من حيث الشكل أو التغطيات .

كما وجد تخطيط المدارس الإيوانية فى صورة مماثلة لتخطيط المدارس الاسكندرية فى العديد من المدن التهامية ومنها مدينة موزع ، وكذلك مدينة زبيد التى تعتبر المدرسة الوهابية (٨٨٣ هـ) فيها نسخة مطابقة للمدرسة الاسكندرية بحيس سواء فى شكل المصلى أو بالنسبة لموقع وشكل قاعة الدرس ، وكذلك موقع الميضأة [3] . والاختلاف الوحيد بين المدرستين

---

(١) عبدالله الراشد ، المنشآت المعمارية ، ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

(٢) أثبتت الباحثة نهى صادق فى دراستها للمدرسة أنها أصلاً تعود إلى العصر الرسولى ، وقد نسبت خطأ إلى اسكندر موز ، نظراً لقيامه بعمل بعض التجديدات فيها ، (انظر) ، Sadek, Noha: Op. Cit., P. 234 .

(٣) قارن بين التخطيطين شكل ١٩٤ ، ٢٤٧ .

جاء فى موقع المئذنة وشكلها ، حيث إن مئذنة الاسكندرية مرتفعة مثمنة وتقع فى الركن الجنوبى الشرقى من المصلى ، بينما هى فى الوهابية مربعة قصيرة (منبرية) وتقع فى الجهة الجنوبية الغربية من الفناء [شكل ١١٢] .

وقد تأثر بتخطيط المصلى ذو الدور قاعة والإيوانين فى المدرسة الاسكندرية بعد ذلك عدد من المساجد فى مدينة حيس ، ومنها مسجد عسيس ، ومسجد الخماشى ، ومسجد (مدرسة) التكية والتى سبق ذكرها فى الطراز الرابع للمساجد الصغرى .

أما عن أصل التخطيط الإيوانى للمدرسة الاسكندرية ، فيبدو أنه تأثر بالمدارس اليمنية التى أنشأت خلال العصرين الرسولى والطاهرى ، وقبل ذلك الأيوبى ، ومنها : مدرسة سنقر (المدرسة الدحمانية) التى بنيت فى العصر الأيوبى ، وذكرها ابن الديبع بقوله : « وعقد فيها إيوانات »[١] . ويعتقد أيضاً أن المدرسة المنصورية بعدن (٦٢٦ ـ ٦٤٧ هـ) كانت على نفس طراز مدرسة سنقر (الدحمانية)[٢] ، والتى ربما أنها تأثرت بمدارس الشام التى بنيت فى عصر الأتابكة وخلفائهم الأيوبين ، وخاصة مدارس مدينة حلب ومنها مدرسة خان آتون (٥٦٤ هـ/ ١١٦٨ م) ، والمدرسة السلطانية (٦٢٠ هـ/ ١٢٢٤ م) [شكل ١١٩] ، والتى يتكون المصلى فيهما من دور قاعة مغطاة بقبة مركزية يكتنفها إيوانان مقبيان[٣] .

فضلاً عن تأثر هذا النوع من المدارس بالمدارس الإيوانية الأيوبية فى مصر ومنها : مدرسة السادات الثعالبة (٦١٢ هـ/ ١٢١٥ م) ، والمدرسة الكاملية (٦٢٢ هـ/ ١٢٢٥ م) ، والمدرسة الصالحية[٤] (٦٤١ هـ/ ١٢٤٣ م) [شكل ١٢٠] . إلا أن مواقع الأيوانات فى المدارس الأخيرة اختلفت عنها فى اليمن ، فبدلاً من وقوعها فى الشمال الغربى والجنوب الشرقى فى مدارس مصر ، وبدلاً من أن تطل الإيوانات على الصحن أو الفناء ، فإن الإيوانات المقبية فى المدرسة الاسكندرية ومثيلاتها فى اليمن تقع فى الجهة الشرقية والغربية ، وبشكل مواز لاتجاه القبلة ، فضلاً عن أن الإيوانين يشرفان على دور قاعة مغطاة بقبة ، يتوسط جدارها الشمالى كتلة محراب .

إضافة إلى ذلك يمكن مشاهدة هذا النوع من التخطيط للمصلى فى المدارس الإيوانية فى

---

(١) ابن الديبع ، بغية المستفيد ، ص ٧٦ .

(٢) Sadek, Noha : Op. Cit., P. 236.

(٣) Creswell : The Muslem Architecture of Egypt. Band II, P.P. 109, 115.

(٤) أحمد بكرى مساجد القاهرة ومدارسها ، جـ ٢ ، العصر الأيوبى ، ص ٣٦ ، ٥٥ ، ٥٠ .

منشآت أخرى وجدت فى مصر ، إلا أنها لم تكن مخصصة للتدريس ، أو بالأصح لم تبنى كمدارس ، ومن ذلك قاعة الدردير بالقاهرة (ق ٦ هـ/ ١٢ م) ، والتى تحولت إلى مسجد فى عصر لاحق لإنشائها [١] [شكل ١٢١] ، وأيضاً أحد مشاهد مدينة أسوان ، والمكون من دور قاعة وإيوانين يتقدمها فناء مكشوف [٢] [شكل ١٢٢] .

ونستنتج مما سبق أن العمارة اليمنية فى العصرين الرسولى والطاهرى تأثرت بالعمائر المعاصرة والمماثلة لها فى الشام ومصر ، نظراً للعلاقة الجيدة التى كانت قائمة بين مماليك مصر وبنى رسول وبنى طاهر فى اليمن ، والتى كان من نتائجها الطيبة تبادل المنتوجات الفنية عن طريق الهدايا ، وكذلك انتقال العلماء والعماريين من الشام ومصر إلى اليمن .

---

(١) أحمد فكرى، مساجد القاهرة ومدارسها ، جـ٢ ، العصر الأيوبى، ص ١٧٢ ، ١٧٣ ، فريد شافعى ، العمارة العربية الإسلامية ، ص ٦٨ ، ٦٩ .

(٢) فريد شافعى ، العمارة العربية فى مصر الإسلامية ، فى عصر الولاة (٢١ ـ ٣٥٨ هـ/ ٦٣٩ ـ ٩٦٩م)، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠ ، ص ٥٤٣ ، ٥٦٢ ، Creswell, K.A.C., & James. W. Allan : Ashort Account of Arly Muslim Architecture, The American University in Cairo, Press, P. 134.

الفصل الثانى
العناصر المعمارية

يتناول هذا الفصل العناصر التالية : (مواد وطرق البناء ، الواجهات ، المداخل ، المآذن ، القباب الضريحية والمقاصير ، الستائر الجصية والخشبية ، الروافع ، العقود ، مناطق الانتقال، التغطيات ، المحاريب ، المنبر) .

(أ) مواد وطرق البناء :

إذا كانت البيئة السهلية الحارة لتهامة فرضت على المعمار فى حيس استخدام القباب والأقبية فى التغطيات ، وفرضت عليه استخدام الآجر فى البناء فذلك نظراً لتوفر التربة الطينية اللازمة لصناعة الآجر ، على عكس مادة الحجر التى تكاد تكون شبه معدومة ، نظراً لأن الجبال القريبة من حيس غير صالحة لاستخراج قطع الأحجار اللازمة للبناء ، فضلاً عن سهولة وسرعة البناء بالآجر عنه فى الأحجار . ومن أهم مواد البناء المستخدمة فى مساجد ومدارس حيس :

• الأجر:

ويصنع فى مدينة حيس نفسها فى محارق (أفران) خاصة وتجلب طينتها من الوديان الزراعية المحيطة بالمدينة ، ويتم تشكيلها بعد خلطها على هيئة قوالب مستطيلة أو مربعة أو مثلثة ، ثم يتم احراقها فى الفرن ، وقد بنيت كل مساجد ومدارس ومنازل حيس سواء فى العصور المبكرة من الإسلام أو فى العصرين الرسولى والطاهرى ثم العصر العثمانى بمادة الأجر والتى ما زالت تمثل إلى يومنا هذا المادة الأساسية للبناء ، وإن بدأ فى السنوات الأخيرة استخدام قوالب الأسمنت بدلاً من الأجر .

• الحجر:

استخدمت الأحجار كمادة مساعدة فى عملية البناء ، حيث ان المعمار كان يضع صفاً من

الأحجار الصغيرة المدورة الشديدة الصلابة ـ والتى تجلب من مجارى السيول ـ بعد كل عدة صفوف من الآجر لإضافة نوع من القوة والتماسك على البناء كما فى جدران الجامع الكبير ، ومسجد البخارى والموفى الأعلى وغيرها [شكل ١١ ، ٤٩] .

كما استخدمت قوالب الأحجار المهندمة ـ كمثال وحيد ـ فى بناء صدر وعضادتى المدخل البارز للجامع الكبير ، وذلك لإعطاء هذا المدخل نوع من التميز عن غيره من المداخل ، وكذلك يهدف كتابة النص التأسيسى عليها مما يمكنها من البقاء أطول فترة ممكنة أمام عوامل التعرية .

ويعتبر هذا الاستخدام للحجر فى بناء صدر مدخل الجامع الكبير المثل الأول والأقدم فى سلسلة المداخل الرسولية التى بنيت بعد ذلك بواسطة الحجر ، كما فى المدرسة الأشرفية ، وإن كانت الأخيرة تتميز باستخدام نظام الأبلق ـ الأخضر والأحمر ـ فى بنائها ، والذى تأثروا به من العمارة المملوكية فى مصر وسوريا [١] .

• النورة :

هى مادة بنائية مساعدة تتكون من مادة كلسية تشبه الجص [٢] ، تستخرج من الجبال ، وتكون على هيئة صخور ضخمة يقوم العمال بتكسيرها إلى قطع صغيرة ، ثم يضعونها فى الفرن لإحراقها ، ثم يوضع فوقها غطاء من الأحجار مع ترك بعض الفراغات بينها ، ويملأ باقى الفرن بالحطب ويوقد عليها حتى تنضج وتتحول إلى قطع حمراء ، وبعد أن يبرد الفرن تستخرج قطع النورة منه ويصب عليها الماء ، والذى ينتج عن تفاعله مع النورة ما يشبه الغليان ، وبذلك تتحول أحجار النورة إلى مادة بيضاء ناعمة [٣] .

والنورة كما يعرفها البعض هى نوع من الجير ، وهو الجص المخلوط بالماء [٤] وتستخدم النورة فى تكسية الجدران كنوع من الملاط ، كما تستخدم النورة المخلوطة بقطع الأحجار الصغيرة ـ النيس ـ فى عمل المونه بين قوالب الأجر ومادة النورة من المواد التى عرفت فى اليمن منذ عصر ما قبل الإسلام حيث استخدمت فى عمل المونة وكسوة الجدران فى المعابد القديمة ، وقد استمر استخدامها فى العصر الإسلامى ، ومازالت تستخدم حتى اليوم فى اليمن ، ولكن فى أمثلة قليلة ونادرة .

---

(١) Sadek, Noha : Op. Cit. P.P. 248, 249.

(٢) مطهر الأرياني، القضاض، الموسوعة اليمنية، جـ ٢، ص ٧٧٠ ـ ٧٧٢ .

(٣) مطهر الأريانى، القضاض، الموسوعة اليمنية، جـ ٢، ص ٧٧٢ .

(٤) محمد عبد الستار عثمان (دكتور)، الإعلان بأحكام البنيان لابن الرامى، دراسة أثرية معمارية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ١٥٣ ، ١٥٤ ، محمد أمين وآخرون، المصطلحات المعمارية، ص ١٢٠ .

• **القضاض :**

هو خليط من مادة النورة ـ السابق ذكرها ـ والماء والنيس والحصى [1] ، ويتم خلط هذه المواد بطريقة معينة تستمر لعدة أيام ، ثم تكسى بها الجدران أو الأرضيات بكل دقة ومهارة فى عملية طويلة حيث، يقوم العمال بتثبيتها على الجدران أولاً ، ثم يستمرون فى عملية طرقها لعدة ساعات حتى لا يتركون أى فراغات تتخللها حتى ولو كانت فقاعات الهواء ، ثم يقومون بتدليكها بواسطة أدوات ملساء حتى تجف تماماً ، ويختتم التدليك بطلاء القضاض بطبقة رقيقة من الشحم ـ لتمنع تسرب المياه ـ مع استمرار التدليك حتى يصبح سطح القضاض أملس مصمت [2] ، وهو فى ذلك يشبه مادة الخافقى فى مصر [3] .

والقضاض من المواد التى عرفت فى عصر ما قبل الإسلام ، حيث استخدمت فى المنشآت القديمة كسد مأرب وغيره من السدود والبرك والقنوات والخزانات ، نظراً لما يتمتع به من خاصية عدم السماح بتسرب المياه من خلاله فضلاً عن استخدامه أيضاً فى جدران المعابد والقصور [4] . لما يتميز به من شدة الصلابة والتماسك .

وقد استمر استخدامه فى العصر الإسلامى كمونة يملأ بها ما بين الجدران ، وكذلك فى كسوة سقوف المساجد من أعلى ، وفى تغطية أرضيات أفنية وصحون المساجد ، كما فى الجامع الكبير بصنعاء ، وجامع شبام [5] .

وفى العصر الرسولى استخدم فى تغطية المساجد والمدارس ومنها سقف وصحن الجامع الكبير فى حيس ، وكذلك فى كسوة خزانات وبرك المياه من الداخل .

• **الخشب :**

لم يستخدم الخشب فى مساجد ومدارس حيس إلا فى القليل النادر نظراً لندرة الأخشاب فى حيس خاصة وتهامة عامة .

---

(١) Al- SELWI : Op. Cit. P.p. 180, 181, Bannenfant, Baul: La, Qadad, Les Maisons Tours De Sana'a, Les Presses Du Cnrs, 1989, P.P. 151 - 161.

(٢) مطهر الأريانى، القضاض، الموسوعة اليمنية، جـ٢، ص ٧٧٠.

(٣) محمد أمين وآخرون، المصطلحات المعمارية، ص ٣٩.

(٤) مطهر الأريانى، القضاض، الموسوعة اليمنية، جـ٢ ، ص ٧٧٠ ، ٧٧١ .

(٥) أزيلت كسوة الصحن فى كل من جامع صنعاء وجامع شبام، وفرشت بقطع من أحجار الحبش «البازلت الأسفنجى».

وقد اكتفى المعمار فى استخدام الخشب ـ فى عملية البناء ـ فى عمل الروابط الخشبية التى تمتد بين طرفى رقبة القبة والتى تعلق عليها السرج (١) .

فضلاً عن استخدام الأخشاب فى الجدران عن طريق وضع صف من الأخشاب بعد كل عدة صفوف من الآجر وخاصة فى الدعامات ، وذلك بهدف استقامة صفوف المداميك وتماسكها ، وكذلك تقوية الجدران حتى يمكنها مقاومة الزلازل (٢) .

ومن أمثلة المبانى التى استخدمت فيها قطع الأخشاب فى البناء : الجامع الكبير بمدينة حيس ، والمدرسة المعتبية ، والمدرسة الأشرفية بتعز ، وجامع المجاهد (الجامع الكبير) بجبن.

• طريقة البناء :

تكاد تكون طريقة البناء واحدة فى مختلف مساجد ومدارس مدينة حيس ، مما يدل على توارث المعماريين لها جيلاً بعد آخر .

وتعتمد هذه الطريقة على بناء الأساسات فى باطن الأرض بعدة صفوف من الأحجار الصلبة غير المهندمة ، ثم يليها فوق سطح الأرض عدة صفوف من الآجر ، يلى ذلك صف أو أكثر من الأحجار الصلبة ، ثم عدة صفوف من الآجر ، وهكذا حتى ينتهى البناء . ونرى ذلك فى جدران الجامع الكبير ومسجد الموفى الأعلى ومسجد البخارى وغيرها .

أما الدعامات ، وخاصة دعامات الجامع الكبير ، فإن المعمار بناها بالآجر حتى ارتفاع (١م) ، يلى ذلك صفين من القطع الخشبية ، يليها عدة صفوف من الآجر حتى ارتفاع (١ م) أيضاً ، يليها صف من القطع الخشبية ، ثم صفان من الأحجار الصغيرة ، ثم صف من القطع الخشبية تستند عليها أرجل العقود ، وكان الهدف من هذا التبادل بين الآجر والخشب والأحجار أن تكون الصفوف مستقيمة متماسكة تستطيع مقاومة الهزات الأرضية والزلازل .

وأما بالنسبة للتغطيات فإن المعمار استخدم فى بناء القباب الطريقة الحلزونية الدائرية بحيث يبدأ الصف الأول فوق رقبة القبة ، ويستمر بشكل حلزونى حتى ينتهى عند مركز القبة ، ويمكن مشاهدة هذه الطريقة فى قبة مسجد الموفى الأعلى ، وقبة المدرسة الاسكندرية .

أما الأقبية ، فقد قام المعمار أولاً ببناء عدة صفوف من الآجر فوق مستوى العقود بشكل أفقى حتى بداية انحناء القبو ، ثم بنى خمسة صفوف فى كل جانب وضع فيها القوالب بشكل

---

(١) السرج : جمع سراج ، وهو مصباح الإضاءة .

(٢) Sadek, Noha : Op. Cit., P. 248.

أفقى بحيث تمتد طولياً داخل الجدار ، ولا يظهر منها سوى الوجه الضيق للقالب [١] ، يلى ذلك خمسة صفوف أخرى وضعت فيها القوالب أفقياً ، ثم أكمل القبو - عند القمة - بصف من القوالب ، وضعت مستعرضة بين طرفى القبو على الوجة الضيق الطويل للقالب (سيف القالب) بحيث يستند أحد طرفى القالب على الجانب الأيمن من القبو والطرف الآخر على الجانب الأيسر منه . وهذا ما نراه فى أقبية الجامع الكبير وأقبية المدرسة الاسكندرية . [شكل ٢٩] .

وأما من الخارج ، فإن الأقبية لا تظهر فى السطح لأن المعمار ارتفع بالجدران التى تستند عليها الأقبية لتتساوى فى الارتفاع مع قمة القبو ، ثم قام بملء الفراغ ما بين الجدران وقمة القبو بمادة الدبش أو المونة الخفيفة ، وبذلك أصبح شكل السقف مسطحاً ، ثم قام بتغطيته بمادة القضاض على شكل طبقة ملساء تساعد على تصريف مياه الأمطار وفى نفس الوقت تمنع تسرب المياه إلى الأقبية حتى لا تتآكل قوالب الآجر فتسقط الأقبية ، ولذلك ظلت هذه الأقبية قائمة حتى يومنا هذا .

(ب) الواجهات :

اهتم المعمار الرسولى والطاهرى بواجهات المدارس والمساجد اهتماماً كبيراً ، وزينها بالعديد من العناصر الزخرفية ، وخاصة الهندسية منها ، والتى نفذت بالحفر البارز والغائر على الجص ، حيث شغلت معظم الواجهات بدخلات مصمتة معقودة بالإضافة إلى أشكال المقرنصات المتعددة الحطات والأشرطة الهندسية المتشابكة والمجدولة والحلزونية والنجوم السداسية والثمانية . . . إلخ . ومن أجمل أمثلة الواجهات الرسولية والطاهرية : الواجهة الشمالية لجامع المظفر بتعز [٢] ، وواجهتى المدرستين الطاهريتين المنصورية بجبن والعامرية برداع [٣] .

أما واجهات الظلات المطلة على الصحن والواجهات الجنوبية للمساجد الصغرى ، فقد اشتملت على حليات معمارية وإطارات زخرفية تؤطر عقود مداخل المساجد ، ومن أمثلتها زخارف واجهة المصلى فى المدرسة الفرحانية بزبيد [٤] .

---

(١) هذه الصفوف وجدت فى الأقبية الكبيرة بالجامع الكبير ، أما الأقبية الصغيرة فقد استمر البناء بنفس طريقة الصفوف السفلية .

(٢) عبدالله الراشد ، المنشآت المعمارية ، ص ٣٠٤ .

(٣) مصطفى شيحة ، المدخل ، ص ٨٧ .

(٤) عبدالله الراشد ، المنشآت المعمارية ، ص ٣٠٦ .

وعلى عكس ما هو مألوف فى المدارس والمساجد الرسولية ، نجد أن المعمار فى مدينة حيس لم يهتم بواجهات المساجد والمدارس التى بناها سواء فى الجامع الكبير أو فى المساجد الصغرى أو المدارس ، حيث لا نرى عليها تلك الزخارف التى تزين واجهات المساجد والمدارس الرسولية والطاهرية .

وقد استغل المعمار فى حيس واجهات المساجد والمدارس ، وفتح فيها المداخل وكذلك الشبابيك والتى راعى فيها التقابل والتماثل ، وإن كانت الشوارع المحيطة أو المجاورة قد لعبت دورها فى تحديد الواجهة الرئيسية للمبنى تبعاً لموقعه منها [1]، فكانت الواجهة التى تطل على شارع ـ أو أهم الشوارع إذا كان المبنى محاطاً بأكثر من شارع ـ هى التى يضع المعمار المدخل فيها بغض النظر عن موقع تلك الواجهة من اتجاه القبلة ـ الشمال ـ فقد تكون الواجهة الجنوبية هى الرئيسية كما فى الجامع الكبير ، ومسجد الكيلة ، ومسجد الموفى الأعلى ، ومسجد ركيز ، وقد تكون الواجهة الشرقية هى الرئيسية كما فى البخارى والمدارس الأربع : (المدرسة ـ الهتارى ـ المعجار ـ الاسكندرية) ، وقد تكون الواجهة الغربية هى الرئيسية كما فى الخامرى ، كما قد تكون الواجهة الشمالية ـ القبلية ـ هى الرئيسية ، وفتح المدخل فيها بجوار كتلة المحراب كما فى مسجد ابن أبى الخل .

ولزيادة أهمية الواجهة الرئيسية كان المعمار أحيانا يضع المئذنة فوق كتلة المدخل كما فى الجامع الكبير ومسجد الموفى الأعلى ومسجد الخامرى ، أو يضعها بجوار المدخل كما فى مسجد البخارى ومدرسة الهتارى ومدرسة المعجار والمدرسة الاسكندرية .

أما بقية الواجهات فإن الشمالية منها كانت تشغل دائماً بكتلة المحراب ، وأما الواجهات الأخرى فكانت إما ملاصقة لمنازل أو لمقابر كما فى مسجد ابن أبى الخل ومسجد الخامرى ومسجد ركيز .

وإضافة إلى ذلك فإن المعمار راعى عند بناء الواجهات تزويدها بمايلى :

• الأركان المشطوفة [2] :

كانت أركان الواجهات وخاصة واجهات المصليات فى المدارس والمساجد الصغرى ،

---

(١) حسنى نويصر ، عوامل مؤثرة ، ص ٢٤٩ .

(٢) وجدت الأركان المشطوفة فى العالم الإسلامى لأول مرة فى العصر الفاطمى وأقدم مثل لها تلك الموجودة فى مسجد الأقمر ٥١٩هـ/ ١١٢٥م) ثم فى الصالح طلائع ٥٥٥هـ ، كما وجدت فى العصر الأيوبى فى ضريح الإمام الشافعى الذى يرجع إلى عصر السلطان الكامل ٦٠٨هـ . (انظر) أحمد فكرى مساجد القاهرة ومدارسها ، جـ١ ، العصر الفاطمى ، ص ١٠٠ ، ١١٠ ، جـ٢ ، العصر الأيوبى ، ص ٣٣ .

وكذلك أركان كتل المحاريب البارزة تشطف من أسفل حتى ارتفاع ثلثى المبنى ، ثم ينتهى الشطف على هيئة مقرنصات متعددة الحطات ، يتراوح عذدها ما بين حطتين إلى خمس ، كما فى مساجد : الكيلة ، وابن أبى الخل ، وابن على ، والبخارى ، والخامرى ، وركيز ، ومدرستى مسجد المدرسة والهتارى ، والأركان المضافة فى العصر الطاهرى فى الجامع الكبير .

وقد راعى المعمار فى عمل الأركان المشطوفة ناحيتين :

الأولى : احترام الطريق العام [1] من خلال تقليل بروز الأركان فى الطريق ، وهذا ينطبق على الأركان التى تطل على الطريق العام .

الثانية : الجمال الزخرفى لا غير ، وهذا ينطبق على الأركان التى لا تطل على الطريق العام ، وإنما تطل على الفناء ـ بالنسبة لإركان المصلى ، أو تكون ملاصقة للمنازل المجاورة .

• الأشرطة الزخرفية :

زودت بعض واجهات المساجد بأشرطة زخرفية متقاطعة كما فى مسجد الموفى الأعلى ، ومسجد المدرسة ، وكذلك زخرفة بعض الواجهات وخاصة فى واجهات كتل المحاريب البارزة ، بأشكال دخلات غائرة معقودة ، أو بأشكال معينات بارزة وزخارف مظفرة كما فى مسجد ابن أبى الخل ومسجد المدرسة .

• الشرافات :

توجت واجهات المساجد والمدارس بما فيها كتل المحاريب البارزة بشرافات متنوعة كان الغرض منها تمييز المساجد والمدارس عن المنازل المحيطة بها ، ومن أمثلة الشرافات التى وجدت على مساجد ومدارس حيس :

الشرافات السهمية : [شكل ١٢٤ أ]

تتكون من قاعدة مربعة يعلوها رقبة صغيرة تحمل شكل معين ، وأحياناً تتكون من قاعدة مربعة يعلوها معين اختفت زواياه السفلية داخل القاعدة .

---

(١) حسنى نويصر ، عوامل مؤثرة ، ص ٢٤٥ .

ويلاحظ على هذا النوع من الشرافات أنها لا توضع متلاصقة وإنما تبعد كل شرافة عن الأخرى بما لايقل عن « ١٠٠ سم » ومن أمثلتها الشرافات الأصلية فى الجامع الكبير وشرافات مسجد الكيلة ومسجد الخامرى ومسجد ركيز .

وتشاهد هذه الشرافات فى مساجد حيس الأخرى كما فى مسجد الهنود وبعض شرافات مسجد الطواشى (الطاوسى) وشرافات قاعة الدرس بمدرسة المشهور كما نشاهد خارج مدينة حيس ومنهاشرافات مسجد الدريهمى (١) ومسجد المزجاجى بالتحينة (٢) .

الشرافات الثلاثية : [شكل ١٢٤ ب]

تتكون على هيئة ورقة ثلاثية الفصوص يلتقى فصاها الجانبيان بفصوص الشرافات المجاورة بحيث تظهر بين كل شرفة وأخرى شكل دائرة مفرغة ، ومن أمثلتها الشرافات المضافة للجامع الكبير فى العصر الطاهرى ، وشرافات مسجد البخارى ، ومن أمثلتها خارج مدينة حيس شرافات المدرسة العامرية برداع (٣)، ومسجد النساء بتعز (٤)، والجامع الكبير بالتحيتة (٥).

الشرافات الخماسية : [شكل ١٢٤ جـ ، د]

تتكون من قاعدة مربعة يعلوها شكل ورقة خماسية النصوص ، ومن أمثلتها : شرافات مدرسة الهتارى ، ومدرسة المعجار ، وشرافات مسجد الطواشى .

وينتمى إلى هذا النوع من الشرافات تلك الشرافات التى تتوج واجهات مسجد ابن على ، إلا أنها تتميز بوجود ثقب فى كل فص من الفصوص الخمسة .

الشرافات الهندسية :: [شكل ١٢٤ هـ]

تتكون من أشكال هندسية مجردة متجاورة قوامها أشكال عقود مدببة تنتهى قمتها على هيئة رأس السهم ، ومن أمثلتها شرافات مسجد الموفى الأعلى والتى تتماثل مع شرافات

---

(١) Steven. D. Ehrlich : Op. Cit. P. 74.

(٢) Italian Institute : Archaeological Missions, 1985, P. 385.

(٣) محمد سيف النصر ، نظرة عامة ، ص ١٣٧ .

(٤) Italian Institute : Materials for A Typology of Yemeni 1987. P. 158.

(٥) Italian Institute : Archaeological Missions, 1986, P. 424.

المدرسة المنصورية العليا [1] بزبيد (٦٢٦ـ٦٤٧ هـ) ، والتى ربما أضيفت للمدرسة فى التجديدات التى حدثت لها سنة (٧٩٢ هـ) على يد السلطان الرسولى الأشرف إسماعيل الثانى [2] .

الشرافات الزخرفية [شكل ١٢٤] :

عبارة عن شرافات ملتصقة بقمة جدار مدخل المدرسة الاسكندرية كمثل وحيد لهذا النوع من الشرافات وتتكون من قاعدة مسننة ـ سنتان ـ يعلوها شكل مربع يخرج منه ذراعان جانبيان يتصلان بأذرع الشرافات المجاورة لها ، ويعلو المربع ذراع ثالث انسلخ إلى نصفين على هيئة حرف V وضع بداخله معين .

(جـ) المداخل :

تنوعت المداخل المسخدمة فى مساجد ومدارس مدينة حيس ما بين مداخل رئيسية ومداخل ثانوية بالإضافة إلى المداخل الخاصة بالمصليات ، وكل نوع من هذه الأنواع له سماته الخاصة به .

• المداخل الرئيسية :

وهى المداخل التى تصل بين الشارع والمسجد أو المدرسة . ولهذا النوع ثلاثة طرز :

الطراز الأول : عبارة عن مداخل تذكارية بارزة [3] وله ثلاثة أمثلة :

المثال الأول : يتكون من حجر بارز مغطى بقبو [4] ومن أمثلته المدخل الرئيسى للجامع

---

(١) محمد سيف النصر ، نظرة عامة ، ص ١٤١ ، عبدالله الراشد ، المنشآت المعمارية ، ص ٣٠٥ .

(٢) ذكر الخزرجى أن الأشرف إسماعيل أمر بترميم المساجد والمدارس بزبيد سنة ٧٩٢هـ، ومن ضمنها المدرسة المنصورية العليا التى كان معظمها خراب وبعضها قائم . (انظر)، الخزرجى ، العسجد المسبوك ، ص ٤٦٢ .

(٣) تعتبر المداخل التذكارية البارزة من المداخل التى ابتكرت وانتشرت فى الغرب الإسلامى ، وأقدم مثال لها المدخل الشمالى لجامع المهدية ٣٠٣هـ/ ٧٤٠م، ثم انتقلت من المغرب إلى مصر فى العصر الفاطمى كما فى مداخل جامع الحاكم فى القاهرة (٤٠٣هـ/ ١٠١١م). (انظر)، كمال الدين سامح (دكتور) ، العمارة الإسلامية فى مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٣ ، ص ٨٢ ، عبدالله الراشد ، المنشآت المعمارية ، ص ٢٩٤ ، عبدالله كامل موسى ، دراسة معمارية مقارنة للعمائر الدينية فى عصر الدولة الصليحية باليمن والفاطمية فى مصر ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٠ ، ص ١٨٤ .

(٤) عرفت المداخل البارزة المغطاة بأقبية فى العصر الفاطمى ، كما فى مسجد ومشهد الجيوشى وجامع الحاكم ومسجد الأقمر والصالح طلائع ، والتى تأثرت بمساجد الغرب الإسلامى كما فى جامع المهدية انظر ، أحمد فكرى مساجد القاهرة ومدارسها ، جـ١ ، العصر الفاطمى ص ١٦١ .

الكبير [شكل ٧] ، والذى يعتبر أقدم مثال للمداخل البارزة الباقية من العصر الرسولى (٦٨٢هـ) لأن مداخل جامع المظفر بتعز والتى تسبق مداخل جامع حيس تاريخياً جددت بعد ذلك على يد السلطانين المجاهد والأشرف الرسوليين ، وكذلك على يد السلطان المنصور عبد الوهاب بن داود الطاهرى (٨٨٣ ـ ٨٩٤ هـ) (١) .

وقد تطورت المداخل البارزة بعد ذلك وانتشرت فى كثير من المدارس الرسولية ومنها مدخل المدرسة المعتبية الذى يعتبر أقرب المداخل شبهاً بمدخل جامع حيس من حيث تغطيته بقبو وإن كان مدخل المعتبية يتوج واجهته عقد مفصص (٢)، أما مداخل المدرسة الأشرفية فتتميز بأنها مغطاة بقباب وليس بأقبية (٣) .

وقد استمر استخدام المداخل البارزة فى العمارة الطاهرية ، كما فى المدرسة المنصورية جبن، والمدرسة العامرية برداع (٤)، والمدرسة البغداية والجامع الكبير برداع (٥) .

وهذا النوع من المداخل البارزة لم يظهر لأول مرة فى العمارة اليمنية فى العصر الرسولى ، وإنما سبق وأن ظهر فى المدخل الشمالى لجامع السيدة بنت أحمد فى جبلة (٦)، والذى تأثر بمداخل المساجد الفاطمية فى مصر كون الصلحيين كانوا يتبعون الخلافة الفاطمية .

المثال الثانى : يتكون من كتلة مدخل مستقلة عن البناء ، وإن كانت لا تبرز عن واجهات المبنى نحو الخارج ، وإنما ترتد نحو الداخل ، أحياناً قد تكون محصورة بين وحدات معمارية أخرى ، وتتكون فى الغالب من مساحة مربعة أو مستطيلة مغطاة بقبة أو أقبية ومتوجة بشرافات . وفى الضلع المطل على الشارع باب يفضى إلى الدركاة ، ومنها ينعطف الداخل يميناً أو يساراً إلى الفناء ، ومن أمثلتها المدخل الغربى لمسجد الخامرى ، والذى غطى بقبة [شكل ١٥٤] ، والمدخل الرئيسى لمسجد الموفى الأعلى المغطى بأقبية متقاطعة(٧) .

وقد وجدت هذه المداخل فى العمارة الرسولية خارج مدينة حيس كما فى المدرسة الأسدية

---

(١) Sadek, Noha : Op. Cit., P. 240.

(٢) مصطفى شيحة ، المدخل ، ص ٩٤، Sadek, Noha: Op. Cit., P. 241

(٣) مصطفى شيحة ، المدخل : ص ٨٩ عبدالله الراشد، المنشآت المعمارية، ص ١٨٣ ، ١٩٩ ، ٢٠٢ .

(٤) مصطفى شيحة ، المدخل ، ص ٨٧.

(٥) المدرسة البغدادية والجامع الكبير برداع من المنشآت الطاهرية، إلا أنهما مجهولا التاريخ والمنشىء.

(٦) عبدالله كامل ، دراسة معمارية مقارنة، ص ٦٦ ، ١٨٣ .

(٧) الأقبية المتقاطعة عرفت فى سوريا قبل الإسلام. (انظر)، أحمد فكرى مساجد القاهرة ومدارسها، جـ١ ، العصر الفاطمى، ص ١٦٢ .

باب (قبل ٦٧٧ هـ) والذى يعتبر أقدم أمثلة هذا النوع من المداخل [١] ، ويليه مدخل المدرسة الياقوتية بزبيد [٢] ، واللذان يشبهان مدخل مسجد الخامرى لولا أن الأخير تعلوه مئذنة .

المثال الثالث : عبارة عن كتلة مدخل تبرز عن جدار الواجهة بروزاً خفيفاً على هيئة كتف يتوسطه باب متوج بعقد مدبب مزين بعقدين زخرفيين مفصصين ، وهذا النوع من المداخل يفضى مباشرة إلى داخل الفناء ، إذ لا توجد دركاة تفصل بين المدخل والفناء ، ومن أمثلته المدخل الرئيسى لمسجد البخارى (الحضرمى) ، ومدخل مدرسة المشهور ، وإن كان الأخير يتميز بوجود مئذنة قصيرة تعلوه .

أما خارج مدينة حيس فيعتبر المدخل الرئيسى للمدرسة الجبرتية بزبيد (ق / ٨ هـ / ١٤ م)[٣] من الأمثلة المشابهة لهذا النوع من المداخل .

الطراز الثانى : عبارة عن مداخل غير بارزة تتساوى واجهتها مع واجهات المساجد والمدارس ، يؤدى فيها باب الدخول إلى الفناء مباشرة ، وقد ميز المعمار بعض هذه المداخل بأن زودها بعقود زخرفية مفصصة تزين العقد المدبب للمدخل كما فى المدخل الشرقى للمدرسة الاسكندرية .

وتنتمى إلى هذا النوع مداخل مسجد الكيلة ، ومسجد ابن علي ، ومسجد ركيز ، ومسجد المدرسة ، ومدرسة الهتارى ، ومدرسة المعجار ، إلا أن هذه المداخل تتميز بالبساطة الشديدة مع خلوها من أى عناصر جمالية (زخرفية) .

وقد راعى المعمار عند اختيار مواقع المداخل الرئيسية للمساجد والمدارس ، موقع الكثافة السكانية القريبة من المسجد أو المدرسة ، وكذلك موقع الشارع المجاور وأهميته ، ولذلك اختلفت مواقع المداخل باختلاف اتجاه الكثافة السكانية وموقع الشارع بالنسبة للمبنى .

• المداخل الثانوية :

وهى مداخل تفضى مباشرة من الشارع إلى داخل كتلة المسجد ، ولها مثال وحيد هو المدخل الشرقى للجامع الكبير ، والذى أضيف فى العصر الطاهرى عندما أعيد بناء الأجزاء المتهدمة من المسجد ، حيث أبرز المعمار رواق المحراب نحو الشرق بمقدار « ٢٠ سم » ،

---

(١) عبدالله الراشد ، المنشأة المعمارية ، ص ١٥٧ .

(٢) عبدالله الراشد ، المنشأة المعمارية ، ص ٢٣٨ .

(٣) مصطفى شيحة ، المدخل ، ص ٩٦ ، عبدالله الراشد ، المنشأة المعمارية ، ص ٢٦٢ .

ووضع فى منتصف الجدار الشرقى للرواق مدخل نصعد إليه بواسطة أربع درجات ، ويتوج المدخل عقد خماسى الفصوص مماثل لعقد المدخل الرئيسى لمسجد الخامرى ، مما يدل على أنهما يعودان إلى العصر الطاهرى [شكل ١٢ ، ٥٤] .

ويبدو أن اختيار موقع هذا المدخل له علاقة بوجود قصر السلطان المظفر ـ قلعة حيس حالياً ـ إلى الشرق من الجامع ، والذى كان مخصصاً لدخول السلطان أثناء تواجده بالمدينة ، ومن المحتمل أيضاً أن يكون هذا المدخل موجوداً أصلاً من عصر الإنشاء ، ولكن موقعه ليس هو الموقع الحالى ، وإنما يرجع إلى الداخل قليلاً فى استقامة مع الجدار الأصلى للجامع .

كما يوجد هناك مداخل ثانوية أخرى تتميز بالبساطة الشديدة تؤدء فى الغالب إلى الميضأة، وهى مكونة من فتحة باب قد يتوجها عقد كما فى مسجد الخامرى ، أو يتوجها إطار زخرفى مفصص كما فى مدخل ميضأة المدرسة الاسكندرية وأحياناً تخلو هذه المداخل من العقود أو الزخارف كما فى مداخل ميضأة الجامع الكبير وميضأة مسجد المدرسة .

• مداخل المصليات :

وهى المداخل التى تربط بين الفناء والمصلى فى المسجد أو المدرسة ويتراوح عددها ما بين مدخل إلى خمسة مداخل ، وهى لا توجد إلا فى المساجد الصغرى والمدارس نظراً لأن المصليات فيها حجبت عن الأفنية بجدران فتحت بها المداخل المذكورة .

وعلى عكس معظم المداخل الرئيسية للمساجد الصغرى والمدارس ، فقد اهتم المعمار بهذا النوع من المداخل فزودها بعقود زخرفية مفصصة متنوعة .

فهناك مداخل ذات عقود مدببة مزينة بعقود مفصصة زخرفية خماسية أو سباعية الفصوص كما فى مداخل مسجد المدرسة [شكل ٦١] .

وهناك مداخل ذات باب مستطيل يتوسط صدر متوج بعقد زخرفى ذى تسعة فصوص أو أحد عشر فصاً ، كما فى مسجد ابن على ومسجد البخارى ، ومدرسة الهتارى ، ومدرسة المعجار [شكل ٤٥ ، ٧٠ ، ٧٣] . وقد وجدت هذه المداخل بعد ذلك فى مسجد الموفى الأسفل ومسجد التكية .

وتنتمى إلى هذا النوع مداخل مسجد ابن أبى الخل ومسجد ابن على (المداخل الجانبية) ، والقبة الغربية لمسجد الخامرى ، وإن كان صدر المدخل فى مسجد ابن أبى الخل متوج بعقد ثلاثى الفصوص وفى مسجد ابن على ومسجد الخامرى خماسى الفصوص .

وإلى نفس النوع تنتمى مداخل المصلى فى كل من الموفى الأعلى ومسجد ركيز ، إلا أن الأول شغل صدر المدخل فيه بدخلة مصمتة وفى الثانى شغل الصدر بعقد زخرفى مفصص آخر .

وقد انتشر هذا النوع من المداخل فى معظم مساجد ومدارس حيس خاصة وتهامة عامة ، نظراً لأن الواجهة الجنوبية ـ كما سبق الذكر ـ تحجب المصلى عن الفناء ، وقد اهتم المعمار بهذه المداخل فقام بزخرفتها وتحليتها بالعقود والزخارف الجصية والكتابية والنباتية والهندسية ، ومن أمثلتها : مداخل المصلى فى كل من المدرستين المنصورية العليا والسفلى ، والمدرسة الجبرتية ، والمدرسة الفرحانية [١] .

(د) المآذن [٢] :

تتميز اليمن بأن لكل منطقة من مناطقها الجغرافية طرازها الخاص والمميز من المآذن ، فمثلا تختلف مآذن صنعاء عن مآذن صعدة أو ثلا ، فى حين تختلف مآذن المناطق السابقة عن مآذن تعز ، والتى تختلف جميعها عن مآذن تهامة أو مآذن عدن .

وعلى نفس الدرجة من التميز ، نجد أن المئذنة اليمنية [٣] عامة لها خصائصها التى تميزها

---

(١) مصطفى شيحة ، المدخل ، ص ١٩٦ ، ١٩٧ ، محمد سيف النصر ، نظرة عامة ، ص ١٤١ ، ١٤٢ .

(٢) عرفت المآذن منذ السنوات الأولى للهجرة النبوية ، فقد روى أن بلالاً كان يؤذن على منارة فى دار حفصة بنت عمر وكان يرقى إليها على اقتاب ، كما أن دار عبدالله بن عمر كان بها اسطوان فى قبلة المسجد يؤذن عليها ، وكانت مربعة ، على أن أول مأذنة بنيت وورد ذكر لبنائها كانت فى جامع البصرة سنة ٤٥هـ ، والتى شيدها زياد بن أبيه كما روى البلاذرى ، وكانت من الحجر ، وتليها المآذن الأربع التى بناها مسلمة بن مخلد فى جامع عمرو بالفسطاط سنة ٥٣هـ ، كما روى ابن دقماق والمقريزى ، ثم تليها مأذنة عمر فى بصرى سنة ١٠٢هـ ، فمأذنة جامع عقبة فى القيروان سنة ١٠٥هـ ، والتى بناها بشر بن صفوان ، وتعتبر أقدم مثال للمآذن الإسلامية الباقية ، والنموذج الذى سارت عليه المآذن بعد ذلك . وتليها فى التاريخ مئذنة قصر الحير الشرقى سنة ١١٠هـ . (انظر) ، أحمد فكرى ، مساجد القاهرة ومدارسها ، المدخل ، ص ٢٧٦ ، فريد شافعى ، العمارة العربية الإسلامية ، ص ١٥٤ ـ ١٥٦ ، العمارة العربية فى مصر ، ص ٦٣٥ ـ ٦٤٠ ، السيد عبد العزيز سالم (دكتور) ، المآذن المصرية ، نظرة عامة عن أصلها وتطورها منذ الفتح العربى حتى الفتح العثمانى ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر ، الاسكندرية ، ص ٩ ، ١٠ ، حسين مؤنس (دكتور) ، المساجد ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد ٣٧ ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والأداب ، الكويت ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ص ١٢٩ ـ ١٣١ ، زكى محمد حسن (دكتور) ، فنون الإسلام ، دار الفكر العربى ، ص ١٤٥ .

(٣) دخلت المآذن إلى اليمن منذ أوائل العصر الإسلامي ، حيث يذكر المؤرخون أن الجامع الكبير بصنعاء الذى بنى سنة ٦هـ وقيل ٨هـ ، كانت به مآذن شيدت فى عهد الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك (٨٦ـ٩٦هـ/ ٧٠٥ـ٧١٥م) على يد أيوب بن يحيى الثقفى ، وقد بقيت هذه المآذن حتى استيلاء على بن الفضل على صنعاء سنة ٢٩٩هـ ، أما المآذن الحالية فترجع إلى بناء الأمير وردسار بن بنيامى الكردى فى العصر الأيوبى سنة ٦٠٣هـ . (انظر) ، محمد أحمد الحجرى ، مساجد صنعاء عامرها وموفيها ، دار إحياء التراث العربى ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨هـ ، ص ٢٤ ، ٢٨ ، مصطفى شيحة ، المدخل ، ص ٣٠ ، ٣٥ ، ٣٦ ، Lewcock, Ronald : the Old Welled City of Sana'a Unesco, 1986, 1987, P. 89.

عن مآذن العالم الإسلامى سواء من حيث تكوينها المعمارى أو الزخرفى [١].

وإذا ما خصصنا الحديث عن مآذن العصرين الرسولى والطاهرى ـ باعتبارها فترة البحث ـ نجد أن الباحث عبد الله الراشد صنف المآذن الرسولية إلى نوعين : بسيط ومتطور .

النوع البسيط : يتكون من قاعدة مربعة يعلوها بدن سريع قصير يصعد إليه بواسطة سلم خارجى بحيث إن المئذنة تشبه المنبر ، ومن أمثلتها مآذن المدرستين المنصورية العليا والسفلى ، والمدرسة الياقوتية والفرحانية [٢] ، وهذه المآذن يمكن أن نطلق عليها اسم المآذن المنبرية [٣] .

النوع المتطور : يتكون من قاعدة مربعة أو مثمنة يعلوها بدن مثمن ذو تجويفات على هيئة محاريب صماء معقودة تعلوه شرفة مزدانة من الخارج بحنايا صماء كبيرة وصغيرة ، يعلوه بدن أخر ذو تجويفات ، تعلوه شرفة أخرى يعلوها بدن ثالث متوج بقمة صغيرة نصف كروية ، ومن أمثلتها مآذن المدرسة الأشرفية [٤] [شكل ١٢٥] وتشبيها المئذنة الأصلية التى كانت قائمة فى جامع المظفر بتعز [٥] ، وكذلك مئذنة المدرسة الظاهرية التى سقطت فى النصف الأول من هذا القرن [٦] [شكل ١٢٦] ، وكذلك مئذنة المدرسة المنصورية بجبن [شكل ١٢٧] ، وهذه المآذن يمكن أن نطلق عليها اسم طراز مآذن المدرسة الأشرفية كونها أقدم مآذن رسولية باقية حتى اليوم من هذا النوع .

وفى تصنيف الراشد لهذه المآذن أدخل مئذنة المدرسة الفرحانية بزبيد ضمن مآذن النوع الأول ـ البسيط ـ [٧]مع أنها فى الحقيقة تختلف عن مآذن هذا النوع اختلافاً جوهرياً ، إذ أن مئذنة الفرحانية تتكون من قاعدة مثمنة متداخلة مع جدار الفناء يعلوها بدن مثمن ذو تجويفات ـ مثل تجويفات مآذن الأشرفية ـ يعلوه بدن مثمن آخر مصمت زخرفت أضلاعه بأشكال

---

(١) عبد الله الراشد، المنشآت المعمارية ، ص ٣٠١ .

(٢) عبد الله الراشد، المنشآت المعمارية، ص ٣٠٢ .

(٣) نظراً للتشابه الكبير بين هذا النوع من المأذن وبين المنبر ، سواء فى شكل السلم ذو الجدارين والذى يشبه ريشتى ودرابزين وسلم المنبر وكذلك البدن المربع المغطى بقبة والذى يشبه جوسق المنبر ، فقد أطلقت عليها اسم (المآذن المنبرية) بدلا من (المآذن البسيطة) التى أطلقها عليها عبدالله الراشد .

٤) مصطفى شيحة، المدخل، ص ٩٢ .

٥) سعاد ماهر، العمارة على مر العصور، جـ١ ، [لوحة ١٩١].

(٦) إسماعيل الأكوع، المدارس ، ص ٢١٩ .

(٧) عبد الله الراشد، المنشآت المعمارية، ص ٣٠٢ .

معينات يعلوه مثمن ثالث على هيئة جوسق ذو ثمان فتحات معقودة لتوزيع صوت المؤذن ويعلو الجوسق قمة مخروطية مقرنصة [1] [شكل ١٢٨] .

وهذا النوع من المآذن ظهر فى الحقيقة لأول مرة فى الجامع المظفرى بالمهجم والذى بنى قبل سنة (٦٦٥ هـ) ، ولذلك تعد أقدم مئذنة رسولية باقية حتى اليوم [شكل ١٢٩] وهى مكونة من نفس تكوينات مئذنة المدرسة الفرحانية ، وإن كانت مئذنة المهجم أكثر ارتفاعاً من مئذنة الفرحانية .

ولذلك يمكن إطلاق اسم « طراز مآذن المهجم [2] على هذا النوع من المآذن لأن أقدم مثل لهذا النوع وجد فى جامع المظفر فى المهجم، مضيفين بذلك نوع ثالث من المآذن إلى النوعين السابقين (المآذن المنبرية ، مآذن الأشرفية) .

ونستخلص مما سبق أن المآذن الرسولية تنقسم إلى ثلاثة أنواع : المآذن المنبرية ، وطراز مآذن المهجم ، وطراز مآذن الأشرفية . وقد انتشرت الأنواع الثلاثة فى المناطق الغربية والجنوبية من اليمن .

فمثلاً المآذن المنبرية وجدت فى معظم مساجد ومدارس تهامة ، وإن كانت قد وجدت أيضاً وفى مدارس تعز وجبن ورداع ، ولكن على هيئة جوسق زخرفى يعلو المحراب كما فى الجامع المظفر بتعز والمدرسة المنصورية بجبن ، أو يعلو المدخل الجنوبى كما فى المدرسة العامرية برداع [3] .

أما طراز مآذن المهجم فتراه فى المدرسة الفرحانية السابقة الذكر ، وكذلك فى الجامع الكبير بزبيد [4] [شكل ٣٠] والجامع الكبير بإب [5] ، والجامع الكبير بجبن ، وكلها جددت فى العصر الطاهرى .

أما بالنسبة لطراز مآذن الأشرفية فلم ينتشر فى تهامة وإنما كان انتشاره فى المدن الهامة ،

---

(١) تعتبر القمة المخروطية المقرنصة بمئذنة جامع المهجم من أقدم أنواع هذا النوع من القمم، والتى استخدمت فى المآذن اليمنية . (انظر)، مصطفى شيحة، المدخل، ص ٩٨ ، عبدالله الراشد، المنشآت المعمارية ص ٢٥٨ .
Finster, Barbara : Archaologishe Berichte. Band III, P. 259.

(٢) تتفق مآذن هذا الطراز مع طراز مآذن الأشرفية فى البدن المثمن الأول الذى يعلو القاعدة مباشرة، والذى شغلت أضلاعه الثمانية بحنايا صماء معقودة، أما بقية أجزاء المئذنة فتختلف تماماً سواء فى القاعدة أو فى البدن المثمن العلوى، وكذلك القمة .

(٣) يرجح أن يكون جوسق المدرسة العامرية برداع بمثابة المئذنة الخاصة بها نظراً لعدم وجود مئذنة فيها .

(٤) Finster, Barbara : Archaologishe Berichte. Band III, P. 259.

(٥) مصطفى شيحة، المدخل ، ص ٦٠ .

ومنها : تعز وجبن ومكة وجدة ، كما فى مآذن المدرسة الأشرفية وجامع المظفر والمدرسة الظاهرية بتعز ومئذنة المدرسة المنصورية بجبن ، وإحدى مآذن الحرم المكى [١] ومئذنة مسجد الشافعى بجدة [٢] .

وبناءً على هذا التصنيف للمآذن فى العصرين الرسولى والطاهرى ، يمكن دراسة مآذن مساجد ومدارس حيس ، والتى تنتمى إلى النوعين الأول (المآذن المنبرية) والثانى (مآذن المهجم) .

• **المآذن المنبرية :**

سبق القول أن هذا النوع من المآذن يتكون من قاعدة مربعة يعلوها بدن مربع مغطى بقبة ، ولكن الشىء الجديد فى مآذن حيس أن المعمار استغل القاعدة المربعة لتكون بمثابة خزان لحفظ المياه ، وذلك عن طريق بناء القاعدة مجوفة من الداخل ومسقوفة بقبو سميك - برميلى أو متقاطع - وفى أحد أضلاعه فتحة أو أكثر يملأ من خلالها الخزان بالمياه ، وكذلك تستخرج منها المياه اللازمة للوضوء بواسطة أوانى خاصة .

وأما البدن المربع [٣] الذى يعلو القاعدة ، والذى لا يزيد ارتفاعه عن « ٥٠ر٢ م » فى أعلى مئذنة من هذا النوع ، فقد بنى بشكل مجوف من الداخل حيث يقف المؤذن بداخله لترديد

---

(١) كانت توجد مئذنة فى الحرم المكى مماثلة لمآذن الأشرفية ، وربما أنها من بناء أحد سلاطين بنى رسول .

(٢) ذكرت الدكتورة سعاد ماهر ، أن مسجد الشافعى له مئذنة مماثلة لمآذن بنى رسول وأنها ربما تنسب إلى عصر السلطان المظفر ، انظر : سعاد ماهر ، العمارة الإسلامية على مر العصور ، جـ١ ، ص ٤٤٦ ، ٤٤٨ ، ٤٥١ .

(٣) البدن المربع : ربما كان استمراراً لمآذن المسجد النبوى المربعة التى كان يؤذن عليها بلال والمعروفة بالمطمار والمكونة من بدن مربع من قاعدته إلى أعلاه يرقى إليه المؤذن من خلال أقتاب تلتصق به من إحدى جهاته الأربع ، والتى يبدو أن المآذن بنيت بعد ذلك على طرازها ومنها مئذنة البصرة ٤٥هـ ، ومآذن جامع عمرو بالفسطاط ٥٣هـ ، والتى يقال أنها كانت على هيئة غرف مربعة تعلو سطح الجامع ، وكان يتم الصعود إليها بسلم من الطريق العام ، ثم حولها خالد بن سعيد إلى داخل المسجد ، ويلاحظ أن البدن المربع بفتحاته ومدخله يشاهد فى أحد الأمثلة الباقية فى مئذنة الجامع الكبير بعمان (الأردن) والتى تعود إلى العصر الأموى ، كما أن البدن المربع فى هذا النوع من المآذن يشبه القمة المربعة التى تعلو مئذنة المشهد البحرى بأسوان ، والتى تعود إلى عصر المتوكل العباسى ، وقيل إلى عصر بدر الجمالى (٤٦٩ - ٤٧٤هـ) . (انظر) ، أحمد فكرى ، مساجد القاهرة ومدارسها ، المدخل ، ص ٢٧٦ ، سيد عبد العزيز سالم ، المآذن المصرية ص٢١ ، حسن الباشا (دكتور) ، جامع عمرو ، بحث منشور فى كتاب : القاهرة ، تاريخها ، فنونها ، آثارها ، مؤسسة الأهرام ، ١٩٧٠ ، ص٤٧ ، ٤٨ ، Creswell : Ashort Account. P.P. 217, 218 . فريد شافعى ، العمارة العربية فى مصر ، ص ٥٧٣ ، ٥٧٥ ، عبدالله كامل موسى ، تطور المئذنة المصرية بمدينة القاهرة من الفتح العربى ، وحتى نهاية العصر المملوكى ، دراسة معمارية زخرفية مقارنة مع مآذن العالم الإسلامى ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ص ٦٩ .

الأذان ، ولذلك فتح فى ثلاثة من أضلاعه ثلاثة من أضلاعه ثلاث فتحات معقودة لتوزيع الصوت ، وفى الضلع الرابع باب يفضى إلى داخل البدن الذى نصل إله بواسطة سلم ملاصق للقاعدة ومتعامد عليها أو منكسر ويكتنفه جداران متدرجان يشبهان ريشتى المنبر والدرابزين .

ومن أمثلة مئذنة هذا النوع فى حيس مئذنة مسجد ابن أبى الخل والتى جاء شكلها بسيطاً جداً فيما يبدو أنها تمثل أقدم مئذنة فى حيس ، أما مآذن مسجد الكيلة [شكل ٣٦] ، ومدرستى الهتارى والمعجار [شكل ٧٦] ، فقد جاءت أكثر تطوراً وتناسقاً بين البدن والقاعدة والسلم .

وإلى هذا النوع أيضاً تنتمى مآذن مسجد ابن على ومسجد الموفى الأعلى [شكل ٤١] ، إلا أن مئذنة الأول تتميز بأن المعمار استغل بروز كتلة المحراب كقاعدة للمئذنة ، بينما استغل فى مئذنة الثانى ارتقاع كتلة المدخل ودركاته وبنى المئذنة عليهما .

وإلى نفس هذا النوع أيضاً تنتمى مئذنة مدرسة المشهور (ق ١٢ هـ / ١٨ م) وكذلك مئذنتى مسجد الطواشى ومسجد الخماشى . وهذا النوع من المآذن ، وإن كان يتميز بالبساطة الشديدة والشكل الفريد ، إلا أنه يتميز أيضاً بنوع من التناسق الجميل بين ارتفاع المئذنة وحجم المسجد أو المدرسة ، وبين ارتفاع المنازل المجاورة .

وقد انتشرت المآذن المنبرية فى معظم مدن تهامة ، وأقدم مثل لها وجد فى المدرسة الدعاسية ٦٦٥ هـ [١] ، ثم فى مئذنتى المدرسة المنصورية العليا والمنصورية السفلى (٦٢٦ - ٦٤٧ هـ) [٢] ، والتى ربما أضيفت لهما فى تجديدات سنة (٧٩٢ هـ) [٣] .

ومن الأمثلة الأخرى كذلك مئذنة المدرسة الياقوتية بزبيد (قبل أو بعد سنة ٨٤٠ هـ) [٤] ، والتى تشبه إلى حد كبير مئذنة المدرسة الهتارية ومئذنة مدرسة المعجار بحيس ، كما تشاهد مثل هذه المآذن فى المئذنة الغربية للجامع الكبير ببيت الفقيه والذى بنى فى العصر الرسولى وجدده السلطان الطاهرى المجاهد على بن طاهر فيما بين سنة (٨٦٤ - ٨٨٣ هـ) [٥] .

---

(١) سقط الجزء العلوى من البدن المربع ، ولم يبق منه سوى الجزء السفلى (القاعدة). انظر ، محمد سيف النصر ، المدرسة الدعاسية ، ص ٩٧ .

(٢) عبد الله الراشد ، المنشآت المعمارية ، ص ١٥٠ - ١٥٤ .

(٣) الخزرجى ، العسجد المسبوك ، ص ٤٦٢ .

(٤) عبدالله الراشد ، المنشآت المعمارية ، ص ٢٤٢ .

(٥) Italian Institute : Archaeological Mission. 1985, P. 381.

وكذلك فى المدرسة الوهابية بزبيد (٨٨٣ هـ) ، وفى مسجد المزجاجى بالتحيتة (١) ، ومسجد العدنى ، ومسجد الصنوى (٢) ، ومسجد الماس بزبيد (٣) ، ومسجد عبد الله بن على بالدريهمى ومسجد آخر صغير بها (٤) .

• طراز مآذن المهجم :

تتكون فى الغالب من قاعدة مربعة وبدن مثمن ، ويمكن تقسيمها لى نوعين : مآذن قصيرة ، ومآذن مرتفعة .

ـ المآذن القصيرة :

استغل المعمار كتلة المدخل البارزة لتكون بمثابة القاعدة المربعة للمئذنة ، وبنى عليها مباشرة البدن المثمن المغطى بقمة مخروطية مقرنصة ، وقد فتح فى ثلاثة أضلاع منه ثلاث فتحات لتوزيع صوت المؤذن ، وفى الضلع الرابع فتح باب يفضى إلى داخل البدن حيث يقف المؤذن للأذان ، ويتم الصعود إلى داخل البدن بواسطة سلم مماثل لسلالم المآذن المنبرية .

ومن أمثلة هذه المآذن : مئذنة الجامع الكبير ، ومئذنة مسجد الخامرى (٥) [شكل ٥٦] وإلى نفس النوع تنتمى مئذنة مسجد البخارى ، ألا أنها تتميز باستقلالية القاعدة المربعة عن أى وحدات معمارية أخرى [شكل ٤٧] ، وكذلك مئذنة مسجد ومدرسة التكية بمدينة حيس ، إلا أن قاعدتها استغلت كخزان للمياه .

وقد وجدت مثل هذه المآذن فى مدن تهامة الأخرى ومنها : مئذنة مسجد الفازة ، ومئذنة الجامع الكبير بالدريهمى (٦) .

ويلاحظ أن هذا النوع من المآذن يتشابه مع البدن المثمن العلوى لمآذن الجامع الكبير بصنعاء التى بنيت سنة ٦٠٣ هـ (٧) .

---

(١) Intalian Institute : Archaeological Missions. 1985, P. 385.

(٢) Italian Institute : Materials For Atypology of Yemeni. 1987, P. 175, 189.

(٣) Steven . D. Ehrlich : Op. Cit. P. 74.

(٤) Nankivell, John : Op. Cit. P. 63, 64, Steven. D. Ehrlieh, Op. Cit. P. 74.

(٥) يشبه البدن المثمن لهذه المآذن من حيث الشكل والارتفاع ، البدن المثمن الذى يعلو البرج المستدير الشمالى الشرقى من سور جامع سوسة (ق٥ هـ/ ١١م) والذى يستخدم كمئذنة ، (انظر) ، سليمان مصطفى زبيس ، القبة التونسية ، بحث منشور فى ، كتاب دراسات فى الآثار الإسلامية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص١٠٣ ، ١٠٤ .

(٦) Steven, D. Ehrlich : Op. Cit. P. 74.

(٧) مصطفى شيحة ، المدخل ، ص ١٦٩ ، ١٧٢ ، Finster, Barbara: Archaologishe Berichte, Band III, P. 234.

ـ المآذن المرتفعة :

تتكون من قاعدة مثمنة يعلوها بدن مثمن مرتفع شغلت أضلاعه بعناصر زخرفية على هيئة ستائر جصية أضفت عليه خفة ورشاقة ، وينتهى البدن بجوسق مثمن ذو ثمان فتحات ينتهى بقمة مخروطية مقرنصة .

ولهذا النوع مثال وحيد فى حيس هو مئذنة المدرسة الاسكندرية [شكل ٨٣] ، وهذا النوع وإن كان ينتمى إلى طراز مآذن المهجم إلا أنه يختلف عنها باختفاء البدن المثمن الأول ذو التجويفات حيث أصبحت المئذنة عبارة عن بدن مثمن واحد يعلو القاعدة ، وفى نفس الوقت استبدلت زخرفة المعينات على البدن العلوى لطراز مآذن المهجم بستائر جصية .

وقد وجدت هذه المآذن خارج مدينة حيس كما فى مئذنة الجامع الكبير بجبن ، والجامع الكبير بإب [١] ، وكذلك مئذنة مسجد ومدرسة الدويدار بزبيد [٢] .

هذا وتتميز المآذن المرتفعة عن المآذن القصيرة بما يلى :

* أنها مرتفعة أكثر من المآذن القصيرة ، حيث ترتفع مئذنة الاسكندرية بمقدار « ١٥ متر » .

* القاعدة المصمتة حتى تتحمل الثقل الطارد عليها من البدن المثمن المرتفع .

* تقسيم البدن بواسطة حليات معمارية إلى سبعة أقسام رأسية تنتهى بجوسق ذى ثمان فتحات ، وكسوة أقسام البدن بستائر جصية .

* السلم المروحى الصاعد الذى يبدأ من فوق القاعدة وينتهى عند الجوسق [شكل ٨٤] .

وتشترك مآذن هذا النوع فى مدينة حيس مع مآذن طراز المهجم بالقمم المخروطية المقرنصة[٣] المكونة من عدد من المثمنات تعلو بعضها ، بحيث يضيق كل مثمن عما تحته مع تغطية زوايا المثمنات المتجهة إلى الداخل بأنصاف قباب كما فى مئذنة الجامع الكبير بحيس ،

---

(١) مصطفى شيحة ، المدخل ، ص ٦٠ .

(٢) Steven. D. Ehrlich : Op. Cit, P. 78.

(٣) تعتبر القمم المخروطية المقرنصة من التأثيرات السلجوقية على العمارة اليمنية ، وهذا النوع يتكون من عدة طبقات من المقرنصات تعلو بعضها ، ويضيق قطر كل طبقة كلما ارتفعت ويقل عدد مقرنصاتها حتى تشبه مخروطا ذا زاوية حادة ينتهى بقبيبة صغيرة ، وقد وجد أقدم مثال لها فى ضريح الأمام دور بالعراق ٤٨٢هـ/ ١٠٩٠م أو ٤٨٧هـ/ ١٠٩٧م ، ثم فى ضريح نور الدين بالمدرسة النورية بدمشق سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧٢م ، وقبلها وجد فى مارستان نور الدين بدمشق سنة ٥١٩هـ ، ثم فى ضريح زبيدة بالعراق فى القرن ٧ هـ/ ١٣م ، فريد شافعى ، العمارة العربية الإسلامية ، ص ١٩٢ ـ ١٩٤ .

ومئذنة مسجد البخاري ، ومئذنة مسجد الخامري ، ومئذنة المدرسة الاسكندرية [شكل ٤٧ ، ٥٦ ، ٨٣] .

وقد وجدت هذه القمم المخروطية المقرنصة لأول مرة في اليمن تتوج مئذنة جامع المظفر بالمهجم (٦٦٥ هـ) ، كأقدم مثل باق حتى الآن [١] [شكل ١٢٩] ، ثم انتشرت بعد ذلك في مآذن العصر الرسولي والطاهري ، وخاصة في تهامة ، ومن أمثلتها مئذنة المدرسة الفرحانية[٢] [شكل ١٢٨] ، ومئذنة الجامع الكبير [شكل ١٣٠] ومئذنة جامع الأشاعر بزبيد [٣] ، ومئذنة الجامع الكبير بجبن ، والجامع الكبير بإب [٤] .

وهناك نوع ثالث من المآذن في مدينة حيس ، يتمثل في المئذنة الاسطوانية المكونة من قاعدة مربعة وبدنين اسطوانيين يفصل بينهما شرفة يصعد إليها بواسطة سلم من خارج المئذنة ينتهي عند باب يعلو الشرفة ، وتنتهي المئذنة بجوسق مثمن فتح في أربعة أضلاع منه أربع فتحات معقودة ، ولهذا النوع مثل وحيد يتمثل في مئذنة مسجد ركيز [شكل ٥٧] ، التي تعود إلى العصر الطاهري ، وإن كان هناك مئذنة أخرى أسطوانية هي مئذنة مسجد السيد جعفر إلا أنها مجهولة التاريخ .

وقد وجدت المآذن الاسطوانية أيضاً في مدن تهامة الأخرى ومنها مئذنة الجامع الكبير بالقطيع [٥] ومئذنة مسجد عبد الله بن علي بالدريهمي [٦] ، على أن أقدم مثل باق للمآذن الاسطوانية في اليمن هي المئذنة الشمالية بجامع ذي أشرق [٧] .

هذا وتتميز مآذن حيس عامة ـ بما عدا مئذنة المدرسة الاسكندرية ـ بقلة ارتفاعها الذي فرضه الموقع الجغرافي والطراز المعماري .

فمن حيث الموقع الجغرافي نجد أن مدينة حيس تقع وسط سهل زراعي يخلو من الارتفاعات والانخفاضات التي نراها في مدن الجبال كتعز مثلاً .

ومن ناحية الطراز المعماري نجد أن منازل حيس قليلة الارتفاع لا تزيد في الغالب عن

---

(١) Finster, Barbara : Archaologishe Berichte, Band III, P. 259.

(٢) مصطفى شيحة ، المدخل ص ٩٩ ، عبد الله الراشد ، المنشآت المعمارية ، ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ .

(٣) مصطفى شيحة ، المدخل ، ص ٤٩ ، ٥٢ .

(٤) مصطفى شيحة ، المدخل ، ص ٦٠ .

(٥) Italian Institute : Archaeological Missions, 1985, P. 388.

(٦) Steven, D. Ehrilich : Op. Cit., P. 75.

(٧) مصطفى شيحة ، المدخل ، ص ٦٦ .

طابقين ـ أرضى وأول ـ مما لا تحتاج معه مساجد المدينة إلى مآذن مرتفعة إذ يكفى أن يصعد المؤذن فوق سطح المسجد ليسمعه سكان المدينة .

ولكن المعمار أراد ببناء المآذن تمييز المساجد عن المنازل وخاصة أن هناك تشابهاً بين تخطيطات وارتفاعات وزخرفة المساجد والمنازل (١) ، فضلاً عن أن المئذنة تعتبر من مكونات المسجد الهامة التى لا يستغنى عنها وعن وظيفتها .

(هـ) القباب الضريحية والمقاصير :

تشتمل مساجد حيس على عدد من القباب الضريحية والمقاصير ، ومنها :

• القباب الضريحية (٢) :

يوجد بمدينة حيس ثلاث قباب ضريحية فى ثلاثة مساجد أولاها وأقدمها القبة الضريحية بمسجد ابن أبى الخل (٦٩٠ ـ ٧١٨ هـ) [شكل ٣٩] ، وهذه القبة لم تبن لغرض الدفن ، وإنما كانت فى الأصل جزءاً من المسجد واقتطعت منه وحولت إلى قبة ضريحية ، وقد هدمت هذه القبة فى القرن ١٣ هـ / ١٩ م .

أما القباب الضريحية فى كل من مسجد الخامرى (٨٨٢ هـ) ، ومسجد ركيز فتمثلان قباباً مستقلة حيث بنيت فى مسجد الخامرى بجوار الركن الجنوبى الغربى للفناء من الخارج ، وقد هدمت هذه القبة أيضاً ولم يبق منها سوى بعض الأجزاء وقد سبق وصفها .

أما القبتان الضريحيتان بمسجد ركيز فتقعان بجوار قبتى المسجد من الجهة الغربية ودفن بها بعض أسرة المنشىء ، وقد هدمت هذه القباب أيضاً .

وتعود نشأة القباب الضريحية فى اليمن إلى أوائل القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ، وأقدم قبة ضريحية هما القبتان الضريحيتان اللتان بنيتا فى مسجد فروة بن مسيك

---

(١) تتشابه المنازل مع المساجد فى شكل بنائها وكسوة جدرانها بالنورة ، وكذلك تزيين جدرانها بالزخارف المحفورة ، وأحيانا نجد أن بعد المنازل توجت واجهاتها بشرافات عاثلة لشرافات المساجد .

(٢) نشأت القبة الضريحية فى العالم الإسلامى منذ فترة مبكرة ، وأقدم مثل باق لها قبة ضريح الخلفاء العباسيين فى سامراء المعروفة بقبة الصليبية ، والتى تؤرخ بسنة ٢٤٥هـ / ٨٦٢م ، ثم انتشرت بعد ذلك القباب الضريحية على قبور آل البيت ، وخاصة فى العصر الفاطمى ، ثم على قبور الأمراء والسلاطين الأيوبيين والمماليك . (انظر) ، صالح لمعى مصطفى ، القباب فى العمارة الإسلامية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ص ٢٣ ، ٢٧ .

بصنعاء واللتان تؤرخان بسنة (٤٠٧ هـ/ ١٠١٦ م) [١] وتليهما قبة ضريح الملك على بن محمد الصليحى بزبيد (٤٦٠ هـ/ ١٠٧٠ م) [٢] .

وقد توالى إنشاء القباب الضريحية بعد عصر الدولة الصليحية فوجدت فى كثير من المساجد والمدارس فى العصر الرسولى وبعده .

• المقاصير [٣] :

ويوجد مثال وحيد لها فى مسجد ركيز وتتكون من حجرة مربعة ذات محراب ومغطاة بقبة ، تقع بجوار قبة المسجد الشمالية من الجهة الشرقية ، وهى مخصصة لإقامة المنشئ كى يتعبد فيها [شكل ٥٧] .

وقد عرفت المقاصير فى اليمن منذ العصر الرسولى وأقدم مثل لها كان فى المدرسة الياقوتية بذى السفال [٤] ، وإن كان انتشارها الكبير حدث فى عصر الدولة الطاهرية ، وكانت عبارة عن غرف تعلو أسقف المدارس ، مخصصة لاستراحة السلطان قبل وبعد صلاة الجمعة ، ومنها مقصورة السلطان المنصور عبد الوهاب بن داود بن طاهر بمدرسته المنصورية بجبن ومقصورة السلطان عامر بن عبد الوهاب بمدرسته العامرية برداع [٥] .

وهذا النوع من المقاصير وجد فى العالم الإسلامى منذ فترة مبكرة ، حيث كانت تلحق بالمساجد والمدارس غرف مربعة تخصص لصلاة النساء أو لإقامة العلماء كما فى الجامع الأموى بدمشق ، أو تبنى كخزائن كما فى الجامع الأزهر من العصر المملوكى البحرى [٦] ، أو تبنى كمكتبات كما فى جامع الزيتونة ، كما وجدت مقاصير خاصة بالفقراء ومنها مقصورة مسجد الناصر محمد بالقلعة [٧] .

---

(١) Serjeant, R.P. & R. Lewcock : Sana An Arabian Islamic Sity, World of Islam Festival Trust, P.P. 351, 354.

(٢) Sadek, Noha., Op. Cit., P. 236

(٣) المقصورة المقصود بها هنا الحجرات المخصصة لإقامة المنشىء أو المدرس ، وليست تلك التى توضع أمام المحاريب ليصلى فيها الحاكم.

(٤) إسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ٢٢٨ .

(٥) مصطفى شيحة ، المدخل ، ص ٨٧ .

(٦) محمد الكحلاوى ، مقاصير الصلاة ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

(٧) محمد الكحلاوى ، مقاصير الصلاة ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

(و) الستائر الجصية والخشبية :

غشيت بعض الفتحات فى المساجد والمدارس بستائر صنعت من الجص [1] المفرغ وخاصة فى الأجزاء العلوية ـ الصدر المعقود ـ من المداخل وكذلك الشبابيك والمحاريب التذكارية .

تتكون الستائر الجصية المفرغة من خطوط مائلة متقاطعة نتج عن تقاطعها أشكال معينة تسمح بدخول تيار من الهواء ، وكذلك تسلل ضوء خافت يضئ المساجد والمدارس . ومن هذه الستائر تلك التى تعلو مداخل المصلى فى كل من : مسجد ابن على ، ومسجد البخارى ، ومدرسة المعجار ، وكذلك ستارة المدخل الرئيسى لمسجد البخارى [الأشكال ٤٥ ، ٧٠ ، ٧٣] .

وقد وجدت أمثلة مشابهة لها فى مداخل المصلى فى كل من مسجد الصنوى [2] ، والمدرسة الفرحانية بزبيد [3] ، ومسجد المحيافة ، ومسجد الشيخ ابكر بمدينة التحيتة [4] .

كما استخدمت الستائر المفرغة ذات الرسوم الهندسية على هيئة نجوم وزوايا فى تغشية شبابيك قاعة الدرس بالمدرسة الهتارية والتى تشبه إلى حد كبير الستائر التى تغشى الفتحات المعقودة فى الجدار الجنوبى للمصلى المطل على الصحن فى المدرسة الأشرفية ، وكذلك فى قاعة الدرس الغربية بها [5] . وكذلك الستائر التى تغشى الشبابيك العلوية للجدار الجنوبى من المصلى فى المدرسة الجبرتية [6] وستائر شبابيك الجامع الكبير [شكل ١٣٠] وجامع الأشاعر [7] بزبيد .

وأما الستائر التى تغشى الشبابيك التى تعلو المحاريب التذكارية فى كل من المدرسة الهتارية ومدرسة المعجار [شكل ٦٩] فقد اكتفى الصانع بتخريم الأجزاء السفلية من الستارة على هيئة

---

(١) الستائر الجصية تصنع من الجص المخلوط بالماء على شكل عجينة ، ثم تفرد على لوح خشبى وتشكل حسب الفتحة التى سوف تغشى بها الستارة ، ثم يقوم الصانع برسم الزخارف عليها قبل أن تجف بواسطة البركار والمسطرة ، ثم يقوم بإزالة الأجزاء المراد تخريمها ، ثم تترك لتجف ، وقد تغشى الخروم بالزجاج الملون أو تترك مفرغة . (انظر) ، غازي رجب محمد ، الستائر الجصية فى الفن العربى اليمنى ، (العقود اليمنية) ، مجلة دراسات يمنية ، مركز الدارسات والبحوث اليمنى ، صنعاء ، عدد ٢٨ ، سنة ١٩٨٧م/ ١٤٠٧هـ ، ص ٦٥ ـ ٦٧ .

(٢) Italian Institute : Materials for Atypology of Yemeni, 1987, p. 189.

(٣) مصطفى شيحة ، المدخل ، ص ١٩٦ .

(٤) Italian Institute : Archaeological Missions, 1986, P.P. 436, 437.

(٥) Sadek, Noha : Op. Cit. P.P. 432, 482, 485, 505.

(٦) Italian Institute: Materials for Atypology of Yemeni, 1987, P. 178.

(٧) Italian Institute: Archaeological Missions. 1986, P. 427.

ثقوب مربعة ، وترك الأجزاء العلوية مصمتة ، وهذه تشبه ستائر شبابيك مسجد ومدرسة التكية والستارة التى تعلو محراب مسجد الموفى الأسفل بحيس .

وفضلاً عن ذلك استخدمت الستائر المفرغة فى تغشية الشبابيك التى تتوسط حنايا المحاريب التذكارية كما فى مسجد الموفى الأعلى ، والتى كان الهدف منها رؤية المصلين خارج المسجد للمصلين داخله .

ويرجع السبب فى استخدام الستائر الجصية المفرغة فى مساجد ومدارس حيس - بل ومنازل تهامة عامة وحيس خاصة - إلى الحرارة الشديدة صيفاً ، حيث إن الستائر المفرغة تمنع دخول أشعة الشمس الكثيفة إلى داخل المبنى ، وفى نفس الوقت تسمح بدخول تيار هوائى يلطف جو المبنى على عكس المناطق الباردة كصنعاء مثلاً التى تعشق الستائر فيها بالزجاج الملون لتمنع دخول الهواء البارد إلى المبنى .

والستائر الجصية فن يمنى قديم ، ولكن لا يعرف بالتحديد متى بدأ استخدامها نظراً لعدم وجود دراسات دقيقة لها وأقدم ما أمكن تأريخه من الستائر حتى الآن وجد فى جامع ظفار ذيبين الذى بنى قبل سنة (٦١٤ هـ[١] / ١٢١٧ م) .

وفى العالم الإسلامى ، عرفت الستائر المخرمة منذ العصر المبكر للإسلام فوجدت مصنوعة من الرخام فى الجامع الأموى بدمشق وتعود إلى عصر إنشاء الجامع (٨٦ - ٩٦ هـ / ٧٠٥ - ٤ / ٧١٥ م) ، أما الستائر الجصية فإن أقدم مثال لها عثر عليه فى جامع أحمد بن طولون بالقاهرة (٢٦٥ هـ - ٨/ ٨٧٩ م)[٢] ، تليها ستائر شبابيك المساجد الفاطمية « الأقمر والحاكم والصالح طلائع » وإن كانت ستائر المساجد الأخيرة قد عشقت بالزجاج الملون[٣] .

أما الستائر الخشبية[٤] ، فقد استخدمت فى تغشية الفتحات المعقودة فى مثمن قبة المدرسة الاسكندرية ، وهذه الستائر مصنوعة على هيئة مصبعات دقيقة من خشب الخرط ، والتى

---

(١) بربارة فنستر ، تقارير أثرية من اليمن ، ترجمة ، الدكتور/ عبد الفتاح البركاوى ، الجزء الأول ، المعهد الألمانى للآثار ، صنعاء ، ١٩٨٢ ، ص ١٤٧ .

(٢) غازى رجب ، الستائر الجصية ، ص ٦٩ ، فريد شافعى ، العمارة العربية فى مصر ، ص ٢١٥ .

(٣) غازى رجب ، الستائر الجصية ، ص ٧٠ .

(٤) الستائر الخشبية المصنوعة بطريقة الخرط تتكون من قطع صغيرة مستطيلة فى الغالب ، تشبك مع بعضها على هيئة أشكال هندسية مخرمة وتثبت على الفتحات الخارجية لتمنع من بالخارج من رؤية ما فى الداخل ، وفى نفس الوقت لا تحجب النور والهواء ، ولها عدة أنواع ومسميات منها ، خرط صهريجى ، خرط ميمونى ، خرط بلدى ، (انظر) ، محمد أمين وآخرون ، المصطلحات المعمارية ، ص ٤٠ .

سبق وأن شوهدت على منابر ما قبل العصر الأيوبى فى اليمن كما فى منبر جامع ذى أشرق المؤرخ بسنة (٤٢١ هـ/ ١٠٣٠ م)(١) ، ومنبر جامع السيدة بنت أحمد فى جبلة (٤٨٠هـ/ ١٠٨٧ م)(٢) ، وكذلك منابر العصر الأيوبى كما فى منبر جامع الجند (٥٨٨ هـ/ ١١٩٢ م)(٣) .

(ز) الروافع :

استخدم المعجار فى مساجد ومدارس حيس نوع واحد من الروافع وهى الدعامات (٤) . أما الأعمدة فقد استخدمت كعناصر زخرفية على جانبى المحاريب .

ويرجع سبب تفضيل المعجار للدعامات على الأعمدة إلى البيئة السهلية والصحراوية الحارة لتهامة ، والتى لعبت دوراً كبيراً فى استخدام الدعامات لحمل العقود . إذ أن توفر التربة الطينية الجيدة أوجدت لأهل حيس وتهامة المادة اللازمة لصناعة ما يحتاجونه من مواد البناء المكونة من الآجر المحروق بنفس القدر الذى يفتقدون فيه الأحجار التى كان من الممكن بناء الأعمدة والدعامات منها .

وقد اقتصر استخدام الدعامات على الجامع الكبير نظراً لتعدد أروقته ، وكذلك على قاعات الدرس فى المدارس نظراً لأنها تطل على الأفنية بفتحات معقودة .

وغالباً ما تكون الدعامات مستطيلة أو مربعة كما فى الجامع الكبير وقاعات الدرس فى مدارس الهتارى والمعجار والاسكندرية ، وقد تكون على هيئة متقاطعة أو منكسرة كما فى الدعامات التى تحتل أركان صحن الجامع الكبير ومناطق تقاطع البلاطات بالأروقة ، وقد تكون الدعامات على هيئة حرف T كما فى الدعامات الوسطى لقاعات الدرس فى مدارس الهتارى والمعجار والاسكندرية .

وإلى جانب الدعامات استخدمت الأكتاف بكثر من المساجد والمدارس ، وذلك لحمل العقود وخاصة فى المصليات المغطاة بقباب ، وقد بنيت الأكتاف ملاصقة للجدران كما فى

---

(١) ربيع خليفة ، الفنون الزخرفية ، ص ٧٥ ، ٧٧ ، مصطفى شيحة ، المدخل ، ص ٦٦ .

(٢) ربيع خليفة ، الفنون الزخرفية ، ص ٨٠ ، ٨١ ، مصطفى شيحة ، المدخل ، ص ٦٢ .

(٣) مصطفى شيحة ، المدخل ، ص ١٤٧ ، ربيع خليفة ، الفنون الزخرفية ، ص ٨٢ .

(٤) عرفت الدعامات منذ عصر ما قبل الإسلام ، وقد استخدمت فى العصر الإسلامى فى قبة الصخرة سنة ٧٢هـ/ ٦٩١م ، والجامع الأموى بدمشق ، وفى قصر الأخيضر ١٦١هـ/ ٧٧٨م ، وفى خزانات مياه الرملة بفلسطين ١٧٢هـ/ ٧٨٩م ، وفى رباط سوسة وجامعها وجامع سامراء وأبى دلف . . إلخ ، انظر ، أحمد فكرى ، مساجد القاهرة ومدارسها ، المدخل ، ص ١١٩ .

الجامع الكبير وبقية مساجد ومدارس حيس ، فيما عدا مسجد الخامرى الذى تستند فيه العقود مباشرة على الجدران .

أما عن استخدام الدعامات والأكتاف خارج مدينة حيس فإنه لا يخلو مسجد أو مدرسة فى تهامة عامة من وجود الدعامات والأكتاف فيها سواء فى فترة ما قبل العصرين الرسولى أو فى العصرين الرسولى والطاهرى ، ومن أمثلتها دعامات وأكتاف جامع المظفر بتعز والمدرسة الأشرفية والمعتبية بها والمدرسة الفرحانية ، وجامع الأشاعر ، والجامع الكبير بزبيد ، والأمثلة على ذلك كثيرة لا يمكن حصرها هنا .

(حـ) العقود :

تعتبر العقود من أكثر العناصر المعيارية استخداماً فى مساجد ومدارس حيس ، فقد فرضت البيئة الحارة لتهامة على المعمار الارتفاع بالبناء وخاصة التغطيات بهدف تسهيل حركة الهواء داخل تجويفات التغطيات مما يساعد على تلطيف حرارة الجو . ولذلك كانت العقود هى الوسيلة المناسبة لعملية الارتفاع بالتغطيات ، هذا إلى جانب استخدام العقود فى تتويج المداخل والمحاريب والدخلات المتنوعة .

ومن أهم العقود التى استخدمها المعمار فى مساجد ومدارس حيس :

١ ـ **العقد المدبب** : والذى نراه فى معظم المساجد والمدارس ومن أهم أنواعه المستخدمة :

● **العقد المدبب ذو المركزين** : [1] [شكل ١٣١ م] والذى نراه فى العقد الحامل لقبتى مسجد وضريح ابن أبى الخل ، وكذلك فى العقود الحاملة للقباب فى مسجد المدرسة ومسجد ركيز ، وإن كان عقد المسجد الأخير يتميز بأن المعجار زين واجهة العقد المطلة على القبة الضريحية بعقد زخرفى مفصص ، كما استخدم العقد ذو المركزين فى مداخل المصلى بمسجد الموفى الأعلى ، وعقود محاريب بعض المساجد ومنها محراب مسجد ابن على وعقد الحنية الخارجية لمحراب الفناء فى كل من مسجد الكيلة ومسجد الموفى الأعلى ومسجد ركيز .

وهذا النوع من العقود المدببة وجد فى اليمن منذ القرن الخامس الهجرى والذى نشاهده فى

---

(١) العقد المدبب ذو المركزين ، عرف قبل الإسلام كما فى قصر ابن وردان بحمص ٥٦١ ـ ٥٦٤م ، وإن كان أقدم مثل لهذا العقد قد وجد فى طاق كسرى يعلو شبابيك الواجهة الخلفية ، ٢٤٢ ـ ٢٧٢م ، وقيل من سنة ٥٣١ ـ ٥٧٩م ، وفى العصر الإسلامى استخدم لأول مرة فى عقود المجاز القاطع بالجامع الأموى بدمشق ٨٦ ـ ٩٧هـ/ ٧٠٥ ـ ٧١٥م ، ثم فى قصير عمره ٩٤ ـ ٩٧هـ/ ٧١٢ ـ ٧١٥م . (انظر) ، فريد شافعى ، العمارة العربية فى مصر ، ص ١٧٣ ، ١٧٤ ، ٢٠٧ .

البائكة الرابعة من ظلة القبة بجامع السيدة بنت أحمد فى جبلة [١] واستمر استخدامه فى العصرين الرسولى والطاهرى كما فى الجامع الكبير بزبيد [٢] .

● **العقد المدبب** ذو الأربعة مراكز [شكل ١٣١ ب] ، يتكون من أربعة أقواس ، اثنان صغيران واثنان كبيران مماسين لهما يلتقيان عند القمة ، وترسم الأقواس من أربعة مراكز [٣] . ومن أمثلته فى حيس العقود الحاملة للقباب فى مسجد ابن على .

● **العقد المدبب الفاطمى** [شكل ١٣١ جـ] ، يتكون من قوسين ومن مستقيمين مماسين لهما يلتقيان عند القمة [٤] ، وقد انتشر كثيراً فى العصر الروسولى حيث نراه فى أقدم مثل باق فى العقود الحاملة للقباب وعقود الشبابيك والدخلات فى الجامع الكبير بحيس وأيضاً فى بوابة قصر السلطان المظفر بحيس [شكل ٥] ـ قلعة حيس ـ وفى كثير من المدارس الرسولية الباقية ومنها المدرسة المعتبية والمدرسة الأشرفية .

وقد وجد هذا العقد فى مساجد حيس الأخرى ، ومنها عقود مسجد البخارى ومدرسة الهتارى ومدرسة المعجار ، ومسجد الخامرى إلا أن عقود المسجد الأخير تتميز بأنها قليلة الارتفاع عند القمة .

كما استخدم العقد الفاطمى فى شبابيك مسجد البخارى ومسجد المدرسة ومدرسة الهتارى ومدرسة المعجار وأيضاً فى تتويج الحنية الخارجية لمحراب مسجد الكيلة ومحراب الخامرى ومحراب مدرسة الهتارى ومحراب الفناء بالمدرسة الاسكندرية ، وفى مداخل مسجد المدرسة وفتحات مئذنة البخارى ومئذنة الكيلة ، وفى شبابيك مثمن قبة المدرسة الاسكندرية ، ودخلات قاعة الدرس بها .

أما خارج حيس فقد استخدم فى التجديدات الطاهرية للجامع الكبير فى بيت الفقيه (٨٦٤ ـ ٨٨٣ هـ) [٥] ، وكذلك فى عقود مسجد عبد الله بن على بمدينة الدريهمى [٦] .

---

(١) عبد الله كامل ، العمائر الدينية ، ص ٢١٢ .

(٢) مصطفى شيحة ، المدخل ، ص ٤٧ .

(٣) العقد المدبب ذو أربعة مراكز وجد لأول مرة على واجهة باب بغداد بمدينة الرقة ثم فى جامع أبى دلف فى سامراء . (انظر) ، فريد شافعى ، العمارة العربية الإسلامية ، ص ٢٠١ .

(٤) العقد الفاطمى ، هو ابتكار إسلامى وأقدم مثل له وجد فى جامع الأزهر . (انظر) ، فريد شافعى ، العمارة العربية الإسلامية ، ص ٢٠١ ، العمارة العربية فى مصر ، ص ٢٠٧ .

(٥) Italian Institute : Arcehaeological Missions, 1984, P. 446.

(٦) Nankivell, John : Op. Cit., P. 63.

وقد انتقل العقد الفاطمى من مصر إلى اليمن فى عصر الدولة الصليحية حيث يشاهد فى أقدم مثل باق له باليمن فى محراب وبعض عقود جامع السيدة بنت أحمد فى جبلة ٤٨٠هـ[١] .

٢ـ **العقد النصف دائرى** : [٢]من العقود التى استخدمت أيضاً فى مساجد ومدارس حيس ومن أمثلته العقود الحاملة للقباب فى مسجد الموفى الأعلى ، وفى محراب مسجد ابن أبى الخل ، ومحراب مسجد المدرسة ، وكذلك فى دخلات حفظ الأمتعة فى القبة الضريحية بمسجد ابن أبى الخل ودخلات جدران فناء مسجد الموفى الأعلى .

٣ـ **العقد المفصص** : يتكون من سلسلة من الأقواس الصغيرة المتتالية [٣]، وقد استخدم فى مساجد ومدارس حيس كعقد زخرفى يؤطر العقود المدببة أو النصف دائرية ، ويلاحظ عليه التنوع الكبير فى أشكاله واختلاف عدد فصوصه من مبنى إلى آخر وأحياناً من عقد إلى آخر فى المبنى الواحد ، مما يدل على التذوق الفنى للمعمار وإعجابه الشديد بهذا العقد وتفضيله على غيره ، ولذلك أكثر من استعماله وتفنن فى تنويع أشكاله ومنها :

• **عقد ثلاثى الفصوص** : كما فى مدخل مسجد ابن أبى الخل والدخلة التى تشغل واجه كتلة المحراب من الخارج به وأيضاً فى صدر محراب مقصورة مسجد ركيز .

وقد عرف هذا النوع من العقود المفصصة فى اليمن منذ فترة مبكرة ، ويعتبر أقدم أمثلته الباقية العقود التى تتوج الدخلات على واجهة ظلة القبلة المطلة على الصحن فى مسجد ذى أشرق سنة (٤١٠ هـ[٤] / ١٠١٩ م) . وأما فى العصر الرسولى فإن أقدم أمثلته العقد الذى يتوج حنية محراب المدرسة الدعاسية بزبيد (٦٦٥ هـ [٥] / ١٢٦٧ م) .

---

(١) عبدالله كامل ، العمائر الدينية ، ص ٢١٣ .

(٢) العقد النصف دائرى ، يتكون من نصف دائرة ، وقد وجد منذ العصر الساسانى ، انظر : فريد شافعى ، العمارة العربية فى مصر ، ص ١٧٣ .

(٣) العقد المفصص : ترجع أصوله إلى عصر ما قبل الإسلام حيث شوهد يؤطر عقد المدخل بإيوان كسرى فى طيسفون ، أما فى العصر الإسلامي فوجد منذ العصر العباسى كما فى باب بغداد بمدينة الرقة (١٥٥هـ/ ٧٧٢م)، وفى قصر الأخيضر وجامع سامراء وقصر العاشق ، وقد شهد هذا النوع من العقود قمة تطوره فى العمارة المغربية الأندلسية . انظر ، فريد شافعى ، العمارة العربية الإسلامية ، ص ٢٠٣ ، العمارة العربية فى مصر ، ص ١٨١ ، ٢٠٩ ، السيد عبد العزيز سالم (دكتور) ، قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس ، جزءان مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر ، الاسكندرية ، ١٩٨٤ ، جـ١ ، ص ٣٦٩ ، زكى حسن ، فنون الإسلام ، ص ١٥١ ، عبدالله الراشد ، المنشآت المعمارية ، ص ٢٩٧ .

(٤) مصطفى شيحة ، المدخل ، ص ٦٥ ، ٦٦ .

(٥) محمد سيف النصر ، المدرسة الدعاسية ، ص ٨٥ .

● **العقد خماسى الفصوص** : والذى استخدم فى تزيين عقد الحنية الداخلية لمحراب مسجد الكيلة وصدر محراب مسجد ابن على [شكل ٤٣] ، ومدرسة المعجار [شكل ٧٤]، وكذلك فى المدخل الشرقى للجامع الكبير [شكل ١٢] وصدور مداخل المصلى فى كل من مسجد ابن على ، ومسجد الموفى الأعلى ، ومسجد ركيز ، وكذلك صدر المدخل الرئيسى لمسجد الخامرى [شكل ٥٤] ، وفى شبابيك مسجد المدرسة من الداخل والخارج ، وشبابيك مدرسة الهتارى .

وقد وجد أقدم مثل لهذا النوع من العقود فى العصر الرسولى على بعض التحف الرسولية ومنها : شاهد قبر الملك الواثق نور الدين إبراهيم بن السلطان المظفر (ت ٧١١ هـ/ ١٣١١م) فى مدينة ظفار(١) .

* العقد سباعى الفصوص : استخدم فى تزيين عقد محراب مسجد الموفى الأعلى [شكل ١١٢] ، وفى المدخل الأوسط لمصلى مسجد المدرسة [شكل ٦١] ، وفى شبابيك مسجد ابن على .

وقد وجدت العقود السباعية الفصوص فى المدخل الغربى لجامع المظفر [شكل ١٣٢] والمدخل الجنوبى للمدرسة المعتبية بتعز (٢)، ومسجد المشراعة (٣) بمدينة بيت الفقيه إلا أن هذه العقود تمثل عقود معمارية بينما هى فى حيس زخرفية .

● **العقد ذو التسعة فصوص** : وقد استخدم فى محراب ومداخل وشبابيك مسجد البخارى [الأشكال ٤٥ ، ٤٦] .

● **العقد ذو الأحد عشر فصاً** : استخدم فى عقد المدخل الرئيسى وعقد محراب المدرسة الاسكندرية [شكل ٨٠] .

● **العقد ذو الثلاثة عشر فصاً** : استخدم فى المدخل الأوسط لمسجد ابن على ، ومداخل كتلة المسجد فى مدرسة الهتارى [شكل ٧٠] .

وهذه العقود شبيهة بالعقود الزخرفية المفصصة الموجودة على المدخل الجنوبى للمدرسة

---

(١) استخرج هذا الشاهد من ضريح الواثق بمدينة ظفار العمانية، وهو محفوظ حاليا فى متحف فكتوريا والبرت بلندن، انظر، Porter, V: The art of Rasulids : P.P. 249, 250

(٢) مصطفى شيحة، المدخل، ص ٩٢، Sadek, Noha : Op. Cit., P.P. 317, 368

(٣) Italian Institute : Archaeologicol Missions, 1985. P. 388.

الأشرفية [1] ، وعقود مداخل مسجد العدني بزبيد [2] .

● **العقد ذو الخمسة عشر فصاً** : استخدم فى تزيين صدر محراب مسجد البخارى [شكل ٤٦] .

● **العقد ذو سبعة عشر فصاً** : استخدم فى تزيين صدر محراب المدرسة الاسكندرية [شكل ٨٠] .

مما سبق نستخلص أن العقود الزخرفية المفصصة بأنواعها استخدمت بكثرة فى مساجد ومدارس حيس ، وقد تراوحت فصوصها ما بين ثلاثة إلى سبعة عشر فصاً ، وأن هذا التنوع الكبير فى شكل العقد المفصص يدل على مبلغ الثراء المعجارى والفنى الذى كانت تنعم به الدولتين الرسولية والطاهرية ، إذ لا يخلو مسجد أو مدرسة من مساجد ومدارس هذا العصر من العقود المفصصة ، ومن أمثلتها : مدارس المعتبية ، والأشرفية بتعز ، والمنصورية جبن ، والعامرية رداع .

٤ ـ **العقد المنكسر** : وجد فى صور قليلة على مساجد ومدارس حيس ، ومنها عقود مداخل المصلى بمسجد الكيلة [شكل ٣٣] ، وكذلك دخلات حفظ الأمتعة بمسجد ابن أبى الخل ، والحنية الداخلية لمحراب الفناء فى مسجد الموفى الأعلى ، وفى عقود دخلات حفظ الأمتعة بفناء مدرسة المعجار ، وكذلك فى العقود المضافة الفاصلة بين الأقبية والقباب فى الجزء الشرقى من المصلى بالجامع الكبير ، وعقد المدخل الجنوبى لفناء مسجد الخامرى [شكل ٥١] .

وقد وجد هذا النوع من العقود فى اليمن لأول مرة فى بعض عقود جامع السيدة بنت أحمد فى جبلة (٤٨٠ هـ) [3]، وكذلك فى العقود الحاملة لسقف المصلى فى المدرسة المنصورية العليا ، وعقود قاعة الدرس المطلة على الفناء فى المدرسة المنصورية السفلى [4] .

---

(١) Sadek, Noha : Op. Cit. PP. 407, 408.

(٢) Italian Institute : Materials For Atypology of Yemeni, 1987, P. 175.

(٣) هذا الجامع يعاصر فترة حكم الخليفة الفاطمى الحافظ لدين الله ، وهذا يفسر لنا سبب ظهوره فى هذا الجامع ، إذ أن هذا النوع كان قد استخدم بكثرة فى مصر فى عصر الحافظ كما فى جامع الأزهر . (انظر)، حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، ص ٥١ ، عبدالله كامل موسى ، العمائر الدينية ، ص ١١٤ ، عبدالله الراشد ، المنشآت المعمارية ، ص ٢٨٩ .

(٤) عبدالله الراشد ، المنشآت المعمارية ، ص ١٤٩ ، ١٥٣ .

٥ ـ العقد حدوة فرس [1] : استخدم فى عمائر حيس لأول مرة فى تشكيل قطاع حنية المحراب فى الجامع الكبير سنة (٦٨٢ هـ) على هيئة عقد مستدير حدوة فرس ، ولذلك يعتبر أقدم محراب ذو قطاع حدوى فى اليمن (شكل ١٣٣أ) كما استخدم العقد الحدوى المدبب أيضاً فى تتويج الدخلات الموجودة فى جدران دركاة مدخل مسجد الخامرى [شكل ١٣٣ب]، وكذلك فى العقد الذى يتوج حنية محراب مسجد ركيز .

ومن الأمثلة التى تدل على استخدامه خارج مدينة حيس العقود التى تتوج دخلات واجهة كتلة المصلى فى المدرسة الفرحانية بزبيد (بعد سنة ٨٣٦ هـ) [2]، وأيضاً تلك التى تتوج شبابيك مسجد ومدرسة الماس بزبيد [3] .

٦ ـ عقود متنوعة : هناك عدة أنواع من العقود شاع استخدامها فى مدينة حيس خاصة وتهامة عامة فى تتويج الدخلات والفتحات المخصصة لحفظ الأمتعة ، ومنها : العقود المنكسرة المفصصة والتى تشبه شكل الشرافات المسننة [شكل ١٣٤] كما فى عقود دخلات حفظ الأمتعة فى جدران مسجد الموفى الأعلى ، وميضأة المدرسة الاسكندرية . وقد شوهد هذا العقد يتوج دخلات الأمتعة فى مسجد عبد الله بن على بمدين الدريهمى ومسجد ومدرسة الماس ومسجد ومدرسة الويدار بزبيد [4] .

كما توجت بعض الدخلات بعقود مفصصة منفوخة تشبه شكل لسان البخاريات المفصصة ، ومن ذلك عقود دخلات حفظ الأمتعة بمدرسة الهتارى ، وميضأة مسجد الخامرى [شكل ١٣٤ ب] .

وهذه العقود انتشرت فى العصر الفاطمى فى مصر كما فى مئذنة الحاكم وبوابة زويلة ،

---

(١) العقد حدوة فرس، يتميز بأن تقويسه لا يقف عند الخط الأفقى الذى يقع عليه مركز العقد، ولذلك يظهر على شكل قطاع دائرة أكبر من نصف الدائرة، وقد وجد لأول مرة فى العصر الساسانى كما فى المعارض عند المدائن، وفى طاق غرا، وواجهات العمائر المرسومة على الأوانى المعدنية الساسانية ، وأقدم مثل مؤرخ من عصر ما قبل الإسلام وجد فى معمدانية ، مار يعقوب بمدينة نصيبين سنة ٣٥٩م. ثم ظهر لأول مرة فى العمارة الإسلامية فى عقود الصحن والشبابيك بالجامع الأموى بدمشق، وإن كان انتشاره الكبير حدث فى المغرب الإسلامى كما فى جامع قرطبة ، وفى ظلة القبلة بجامع القيروان، أما فى مصر فنراه فى عقود بائكة جامع ابن طولون المطلة على الصحن، (انظر)، زكى حسن، فنون الإسلام، ص ١٣٩ ، ١٥٠ ، فريد شافعى، العمارة العربية الإسلامية، ص ٢٠٢ ، العمارة العربية فى مصر، ص ١٧٣ ، ٢٠٣ .

(٢) عبدالله الراشد، المنشآت المعمارية، ص ٢٩٧ .

(٣) Steven Ehrlich : Op. Cit. P. 76.

(٤) Steven, Ehrlich: Op. Cit. PP. 75, 78, Nankivell, Uohn : Op. Cit., P. 63.

وكذلك على واجهة بلاطة المحراب فى صحن الأزهر ، وعلى الواجهة الشمالية لمسجد الصالح طلائع ، ونوافذ قبة السيدة رقية [شكل ١٣٤ جـ] .

وإن كانت العقود الفاطمية السابقة الذكر قد تأثرت بمثيلاتها فى الغرب الإسلامى ، والتى تشاهد على هيئة أشكال زخرفية على لوحة بجوار محراب جامع القيروان (٢٤٨ هـ / ٨٦٢م) ، وكذلك فى إحدى الطاقات الخارجية لقبة البهو بمسجد الزيتونة التى بنيت سنة (٣٨١ هـ[١]/ ٩٩١ م) . وقد استمرت هذه العقود أيضاً فى العصر الأيوبى ، فتشاهد على مئذنة المدرسة الصالحية (٦٤١ هـ[٢]/ ٤٣ ـ ١٢٤٤ م) [شكل ١٣٤ د] .

كما توجت بعض الدخلات بعقود تشبه الورقة الثلاثية ومنها دخلات حفظ الأمتعة بمسجد الكيلة [شكل ١٣٤ هـ] . فى حين توجت دخلات أخرى بعقود مخروطية هندسية (مقعرة ومحدبة) كما فى الفتحات التى تشغل الجزء العلوى من الواجهة الشرقية للجامع الكبير ، وكذلك دخلات حفظ الأمتعة فى فناء المدرسة الاسكندرية ، والتى وجدت بعد ذلك تتوج فتحات البدن المثمن لمئذنة مسجد ومدرسة التكية [شكل ١٣٤ هـ] .

وقد وجدت هذه العقود فى مساجد ومدارس مدن تهامة الأخرى ، ومنها عقود دخلات حفظ الأمتعة فى فناء المسجد الصغير بالدريهمى ، ودخلات مسجد ومدرسة ابن الديبع فى زبيد [٣] .

(ط) مناطق الانتقال :

تنوعت مناطق انتقال القباب التى تغطى مساجد ومدارس حيس ، والتى يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنواع : حنايا ركنية ، مقرنصات عش النحل ، مثلثات كروية ذات أشكال دالية .

• الحنايا الركنية[٤] :

تعتبر الحنايا الركنية الحاملة للقبة الوسطى فى مسجد المدرسة من أقدم الحنايا فى مدينة

---

(١) أحمد فكرى، مساجد القاهرة ومدارسها، جـ١ ، العصر الفاطمى، ص ٢٠٣ .

(٢) ذكر أحمد فكرى أن هذه العقود على هيئة المشكاة. (انظر)، أحمد فكرى، مساجد القاهرة ومدارسها، جـ٢، العصر الأيوبى، ص ٦٩، Richard. B. Parker, & Robin, Sabin & Caroloine Wiliams : Islamic Monuments in Cairo Apractical Guide, The American University In Cairo Press. PP. 40, 44, 194.

(٣) Steven, Ehrlich : Op. Cit. PP. 74; 77.

(٤) الحنايا الركنية، أصلها فارسى، وأقدم مثل لها فى العمارة الإسلامية وجد فى باب العامة من قصر الجوسق الخاقانى بسامراء. (انظر)، حسين مؤنس، المساجد ص ١٤٠ ، فريد شافعى، العمارة العربية فى مصر، ص ١٤٤، ١٤٥ .

حيس ، والمكونة على هيئة نصف قبة محارية الشكل ، يعلو الحنايا صف من المقرنصات كل منها على هيئة ربع قبة ، حولت المثمن إلى دائرة الرقبة [شكل ٦٣] . وهذا النوع من المقرنصات وجد فى قباب جامع المظفر [١] بتعز . وكذلك وجد فى مرحلة لاحقة على المثمن الخارجى لقبة موسى بتعز أيضاً [٢] .

وقد اختفت الحنية الركنية فى مساجد ومدارس حيس بعد ذلك حتى منتصف عصر الدولة الطاهرية ، حيث ظهرت مرة أخرى فى الحنايا الحاملة للقبة المركزية فى المدرسة الاسكندرية [شكل ٧٩] ، وإن كانت الحنايا الأخيرة أكبر حجماً نظراً لكبر حجم الدور قاعة ، والذى فرض على المعمار عمل حنايا كبيرة لتحويل المربع إلى مثمن حول بدوره إلى دائرة الرقبة بواسطة صفين من مقرنصات عش النحل ، يعلوهما صفان من الآجر المثلثة على هيئة أشكال دالية .

ويبدو أن المعمار أراد تقليد الحنايا الركنية لمسجد المدرسة ، والمدرسة الاسكندرية فى عمل مناطق قباب الجامع الكبير التى حلت محل الأقبية التى سقطت أواخر عصر الدولة الطاهرية ، ولكن الارتفاع المطلوب للقباب حتى تتساوى مع ارتفاع الأقبية الباقية ـ اضطر المعمار إلى بناء مناطق انتقال مزدوجة مكونة من أربع حطات من المقرنصات (عش النحل) يعلوها حنايا ركنية ، ولذلك ظهرت مناطق الانتقال مزدوجة .

والحنية الركنية كعنصر معمارى استخدمت فى العصر الرسولى [٣] بكثرة ، وكذلك فى العصر الطاهرى ، فنراها فى جامع المظفر ، وفى المدرستين المعتبية والأشرفية بتعز [٤] ، وكذلك فى المدرسة الوهابية بزبيد والتى يلاحظ أن حناياها تتشابه إلى حد التطابق مع حنايا المدرسة الاسكندرية ، كما وجدت الحنايا فى المدرستين المنصورية بجبن والعامرية برداع [٥] والجامع الكبير بجبن ؛ وغير ذلك من المبانى التى شيدت خلال العصرين الرسولى والطاهرى. وهذا لا يعنى أن الحنايا الركنية دخلت إلى اليمن مع مجئ الرسوليين إليها ، وإنما وجدت قبل ذلك فى أقدم مثل باق لها فى قبة البهو بجامع السيدة بنت أحمد فى جبلة (٤٨٠هـ)[٦] .

---

(١) Sadek, Noha : Op. Cit., P. 331.

(٢) Italian Institute: Materials for A Typology of Yemeni, 1987, P. 149.

(٣) سار بنى رسول على نهج أسلافهم الأيوبيين فى اتخاذ الحنايا الركنية والتى سبق وأن شاهدناها فى المبانى المتعددة فى دمشق فى القرن ٦هـ/ ١٢م (انظر)، Sadek Noha : Op. Cit., P. 24.

(٤) مصطفى شيحة، المدخل، ص ٩٠ ، ٩٣، ٩٥ .   (٥) مصطفى شيحة، المدخل، ص ٨٨ .

(٦) عبدالله كامل، المنشآت الدينية ، ص ٢٢٩ .

• **مقرنصات عش النحل [شكل ١٣٥] :**

تتكون من مجموعة من الحطات على هيئة معينات بارزة تبدأ فى الأسفل بمعين واحد ، ثم تزداد كلما ارتفعت إلى أعلى بحيث تختلف عدد حطاتها من مسجد لآخر قد تصل فى بعضها إلى أربعة عشر صفاً من المقرنصات ، كما فى مناطق انتقال قباب مسجد ابن أبى الخل نظراً لتحويل مربع القبة مباشرة إلى دائرة الرقبة .

وتعتبر مناطق انتقال مسجد الكيلة من أقدم أمثلة هذا النوع من مناطق الانتقال والتى شوهدت بعد ذلك فى مسجد ابن أبى الخل [شكل ٣٩] ، ومسجد الموفى الأعلى ، وكذلك فى القباب الجانبية لمسجد المدرسة الياقوتية [شكل ٦٥] ، وإن كانت الأخيرة تشبه مناطق انتقال مسجد الكيلة فى أن كل منهما مكونة من عدة حطات حولت المربع إلى مثمن شغلت أضلاعه بأربعة صفوف من المقرنصات الدالية .

وتعد مناطق انتقال قباب مدرسة المعجار [شكل ٧٥] من أجمل مناطق انتقال هذا النوع فى مساجد ومدارس حيس من حيث دقة التنفيذ ، وجمال التكوين ، وهى مكونة من عشر حطات تنتهى بصفين من الأشكال الدالية تشغل مثمن القباب .

أما مناطق انتقال قباب مسجد الخامرى ومسجد ركيز اللذين بنيا فى العصر الطاهرى ، فيلاحظ عليها أن المعمار لم يوفق فى ترتيب صفوف المقرنصات وربما كان ذلك عدم اهتمام منه وربما أيضاً لقلة خبرته فى عملها .

وقد استمر استخدام هذا النوع من مناطق الانتقال بعد العصر الطاهرى فتشاهد فى مسجد ومدرسة التكية ومساجد الموفى الأسفل والهنود والطواشى ما يدل على تفضيل المعمار لهذا النوع أكثر من غيره .

أما عن أقدم مثل المقرنصات عش النحل فى العمار اليمنية [١] ، فيشاهد فى المدرسة الدعاسية (٦٦٥ هـ) [٢] ، واستمر استخدامها طوال العصر الرسولى فى العديد من المساجد والمدارس ، ومنها المدرسة الزكارية بزبيد [٣] ، وكذلك فى العصر الطاهرى ، كما فى المدرسة المنصورية جبن [٤] [شكل ١٣٥ ب] .

---

(١) أورد Serjeant صورة لهذا النوع من مناطق الانتقال منفذة بالحجر ، وذكر أنها وجدت فى قباب ضريح مسجد فروة بن مسيك فى صنعاء (شيد فى عصر الرسول ﷺ) ، ولكن لم يذكر هل هذه المقرنصات تعود إلى عصر التجديد الأول الذى حدث للمسجد سنة ٤٠٧هـ/ ١٠١٦م أو أنها تعود إلى عصر التجديد الثانى سنة ٩٩٧هـ/ ١٥٨٨م ، وقد هدمت هذه القباب سنة ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٠م . (انظر) ، Serjant: Op. Cit. PP. 351, 345.

(٢) محمد سيف النصر ، المدرسة الدعاسية ، ص ٨٦ .

(٣) Italian Institute : Materlals For Atupology of Yemeni. 1987, P. 193.

(٤) إبراهيم المطاع ، المدرسة المنصورية ، ص ١٩٣ .

• **المقرنصات الدالية [شكل ١٣٦] :**

تتكون من عدة صفوف من قوالب الآجر المثلثة البارزة ، وضعت قاعدتها داخل الجدار ، ورأس المثلث يبرز إلى داخل المسجد ، ويفصل بين كل صف وآخر صف من قوالب الآجر أيضاً ، قاعدتها تبرز نحو فضاء المسجد ورأس المثلث داخل الجدران ، ومن أجمل أمثلة هذا النوع من المناطق تلك الموجودة في مسجد البخاري (الحضرمي) ، والمكونة من تسعة صفوف ، وكذلك مناطق انتقال قباب مدرسة الهتاري [شكل ٧١] ، وقاعة الدرس بالمدرسة الاسكندرية ، ومناطق انتقال القباب الغربية في الجامع الكبير [شكل ٢٧] ، وقد استخدمت هذه الطريقة في عمل مناطق الانتقال الحاملة لشرفة مئذنة مسجد ركيز .

وقد انتشر هذا النوع من مناطق الانتقال في العديد من مساجد ومدارس تهامة ، ومنها مناطق انتقال قباب الجامع الكبير ببيت الفقيه [١] ، وإن كنا لا نعرف هل تعود في المسجد الأخير إلى عصر الإنشاء الرسولي أم إلى عصر التجديد الطاهري ٨٦٤ـ ٨٨٣ هـ . كما تشاهد هذه المناطق في مسجد عبد الله بن علي في الدريهمي [٢] والجامع الكبير بالتحيتة [٣] ومسجد الصنوي بزبيد [٤] .

(ى) التغطيات :

لعبت العوامل المناخية والتضاريسية لسهل تهامة الساحلي الشديد الحرارة صيفاً المعتدل شتاءاً بالإضافة إلى قلة الأخشاب في هذا السهل بالقدر الذى تتوفر فيه التربة الطينية دورها الكبير في لجوء المعمار إلى استخدام وسائل تغطية تتناسب مع البيئة الحارة ، وفي نفس الوقت تعفيه من استخدام الأخشاب ، وتمثلت هذه الوسائل في استخدام الأقبية والقباب في تغطية مساجد ومدارس تهامة عامة وحيس خاصة .

١ ـ الأقبية [٥] :

لا يعرف متى دخلت الأقبية كوسيلة تغطية إلى اليمن نظراً لأن هذا النوع من التغطيات لم

---

(١) Italian Institute : Archaeological Missions, 1984, P. 446.

(٢) Nankivell, John: Op. Cit., P. 63, Steven, Ehrlich : Op. Cit. P. 75.

(٣) Italian Institute: Archaeological Missions. 1986, P. 425.

(٤) Italian Institute : Materials for Atypology of Yemeni. 1987, P. 190.

(٥) الأقبية ، من وسائل التغطية التى انتشرت فى العمارة الساسانية قبل الإسلام كما فى طاق كسرى ، واستخدمت فى العصر الإسلامى منذ العصر الأموى كما فى قصر المشتى والطوبة وحمام الصرخ وقصر الأخيضر ، وفى المنشآت الدينية استخدمت فى الجامع الأموى بدمشق والمسجد الأقصى فى القدس ، ثم انتشرت بعد ذلك فى مصر كما فى مسجد ومشهد الجيوشى ، وقبل ذلك فى المغرب والأندلس ، كما فى جامع سوسة ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م . (انظر) ، فريد شافعى ، العمارة العربية فى مصر ، ص ٥٤ ، ١٦٤ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، أحمد فكرى ، مساجد القاهرة ومدارسها ، جـ١ ، العصر الفاطمى ، ص ١٦١ .

يكن من الأساليب المستخدمة فى المساجد والمدارس اليمنية طيلة القرون الخمسة الأولى من الإسلام .

ولكن يبدو أن الأقبية وفدت إلى اليمن مع مجئ الأيوبيين إليها سنة (٥٦٩ هـ / ٣ ـ ١١٧٤ م) ، نظراً لأن الأيوبيين استخدموا هذا النوع من التغطيات فى مدارسهم التى بنوها فى مصر مثل مدرسة السادات الثعالبة ، والمدرسة الكاملية ، والمدرسة الصالحية ، إلا أننا لا نستطيع تأكيد ذلك نظراً لعدم بقاء أى منشآت معمارية أيوبية تدل على استخدام هذا النوع من التغطيات فى المدارس التى بنوها فى اليمن .

وقد ذكرت بعض المصادر قد أن الأتابك سنقر [١] (بنى مدرسة كبيرة بزبيد وعقد فيها أواوين وهى التى تعرف بمدرسة ابن دحمان نسبة إلى مدرسها)[٢] .

ومن خلال هذا النص يمكن ترجيح استخدام الأيوبيين للأقبية فى مدارسهم ، والذى يبدو أن الرسوليين ـ خلفاء الأيوبيين ـ ساروا على نهج أسلافهم فى البداية فبنوا بعض المساجد والمدارس على نفس الطراز الأيوبى ، حيث يعتقد أن المدرسة المنصورية بعدن (٦٢٦ ـ ٦٤٧هـ) كانت مغطاة بأقبية وخاصة قاعات الدرس فيها[٣] .

ويعتبر الجامع الكبير بحيس أقدم أثر رسولى باق على حالته الأصلية استخدمت فيه الأقبية كوسيلة للتغطية ، وفى نفس الوقت يعتبر الأثر الرسولى الوحيد الباقى الذى غطيت جميع وحدا المعمارية بالأقبية [٤] ، فى حين اشتركت الأقبية والقباب فى تغطية المنشآت التالية تاريخياً لجامع حيس مع غلبة استخدام القباب على استخدام الأقبية .

وهذا يدلنا على أن الرسوليين استخدموا فى بداية فترة حكمهم نفس التغطيات التى كانوا قد ألفوها فى البلاد التى نشأوا فيها فى بلاد التركمان ثم الشام ومصر ، حيث يمكنهم مشاهدة هذا الأسلوب من التغطيات فى الكثير من المساجد الأناضولية التى أنشئت فى الفترة ما بين ٥٤٠ ـ ٦٠١ هـ / ١١٤٥ ـ ١٢٠٤ م [٥] . وكذلك فى تغطيات مساجد ومدارس الشام والعراق ، ومنها جامع خربوط والمدرسة النورية الكبرى ، وأيضاً فى مصر كما فى تغطيات

---

(١) الأتابك سنقر ، سبق التعريف به .

(٢) ابن الديبع ، بغية المستفيد ، ص ٧٦ .

(٣) Sadek, Noha : Op, Cit. P. 236.

(٤) فيما عدا الأجزاء التى سقطت من التغطيات والتى حلت فيها القباب محل الأقبية .

(٥) Sadek, Noha: Op. Cit. PP. 237.

مسجد ومشهد الجيوشى (٤٧٨ هـ) ، وفى المدارس الأيوبية فى القاهرة ومنها السادات الثعالبة ، والمدرسة الكاملية ، والمدرسة الصالحية [١] .

وقد استخدمت الأقبية بأنواعها المختلفة فى تغطيات بعض مساجد ومدارس حيس ، وإن كان القبو المدبب هو الأكثر استعمالاً والذى نراه فى الأجزاء المتبقية من التغطيات الأصلية فى الجامع الكبير [٢] ، ومنها : أقبية القسم الأوسط من المصلى ، وأقبية المجنبة الشرقية والإيوان الجنوبى وحجر ودركاة المدخل والحجرة الجنوبية الشرقية ، أما بقية الأجزاء والمتمثلة فى الجزء الشرقى من رواق المحراب والجزء الغربى من المصلى والمجنبة الغربية والقاعة الجنوبية الغربية ، فقد سقطت أقبيتها وبنيت مكانها قباب مدببة [٣] ونستدل على أن هذه الأجزاء كانت مغطاة بأقبية من خلال الآتى :

١ ـ انخفاض مستوى ارتفاع جدران الأجزاء المغطاة بقباب عن بقية أجزاء الجامع المغطاة بأقبية مما أعطى نوعاً من عدم التماثل بين ارتفاعات الجدران ، ومنها :

(أ) الجزء الشرقى من رواق المحراب المغطى بقبتين فيه الجدار الشرقى والجدار الشمالى أقل ارتفاعاً من جدران الواجهات الشرقية والشمالية للجامع ، فى حين أن الجدران المقابلة للأجزاء القليلة الارتفاع فى الجدران التى تعلو عقود بائكة المحراب والعقد العمودى على جدار القبلة أكثر ارتفاعاً ، مما يدل على أن المعمار لم يهتم بإعادة بناء الجدران المتهدمة إلى نفس الارتفاع الأصلى لها قبل أن تسقط نظراً لأن المعمار استبدل الأقبية بالقباب التى تبرز فوق مستوى السطح ، مما لا يحتاج معها إلى الارتفاع بالجدران الموازية لارتفاع القبة ، وكذلك الحال بالنسبة للجزء الغربى من المصلى .

(ب) الجدرا الخارجى للقاعة الجنوبية الغربية أقل ارتفاعاً من الجدار الداخلى لها ، حيث أن الواقف فى صحن الجامع لا يرى قباب القاعة مما يدل على سقوط الجدار الخارجى فقط ، ولم يهتم المعمار بإعادته إلى ارتفاعه الأصلى لعدم الحاجة إلى ذلك كونه استخدم القباب فى التغطيات بدلاً من الأقبية .

---

(١) أحمد فكرى ، مساجد القاهرة ومدارسها، جـ١ ، العصر الفاطمى، ص ١٦١ ، جـ٢ ، العصر الأيوبى، ص ٣٧، ٥٤ ، ٥٥ ، ٩٣، ٩٤ .

(٢) اعتقدت الباحثة بربارة فنستر أن أقبية الجامع الكبير من النوع البرميلى مع أنها أقبية مدببة .

(٣) ربما أن المعمار الذى تولى ترميم الجامع كان ماهراً فى بناء القباب نظراً لكثرة استخدامها فى تغطيات مساجد ومدارس تهامة عامة وحيس خاصة .

(جـ) الجدران الخارجية والداخلية للمجنبة الغربية متساوية الارتفاع وإن كانت أقل ارتفاعاً من جدران الجامع الأصلية مما يدل على سقوط الأجزاء العلوية من الجدران عند سقوط الأقبية التى تغطيها بدليل :

* وجود فتحة ثالثة تطل على الصحن وقد سدت بجدار يلتصق به كتف يحمل العقد الذى قسم المجنبة الغربية إلى مساحتين مربعتين غطيت كل منهما بقبة .

* الشريط الزخرفى الذى يتوج الواجهات المطلة على الصحن مازالت له بقايا فى الواجهات الجنوبية والشرقية ، بينما أزيل فى الشمالية (بفعل فاعل) . أما فى المجنبة الغربية فإن ارتفاعها لا يصل إلى مستوى ارتفاع الشريط مع وجود جزء ناقص من الشريط فى بداية الواجهة الجنوبية مما يدل على أنه كان مستمراً فى الواجهة الغربية المطلة على الصحن .

٢ ـ سمك الجدران المتهدمة أقل من سمك الجدران الأصلية بدليل وجود ارتداد فى الجدار الجنوبى للقاعة الجنوبية الغربية عند اتصالها بجدار الإيوان الجنوبى لأن الأخير جداره أكثر سمكاً من الجدار الذى بنيت به القاعة ، وقد ظهر التفاوت فى السمك بين الجدارين على هيئة كتف أو ارتداد نحو الداخل .

مما سبق نستنتج أن جامع حيس كان أصلاً مغطى بأقبية مدببة موازية لجدار القبلة فى الجزء الأوسط من المصلى وفى القاعة الجنوبية الغربية ودركاة المدخل ، بينما بقية الأجزاء غطيت بأقبية عمودية على جدار القبلة ، وأن بعض الأجزاء سقطت عنها تغطياتها فأعيد بنائها بقباب .

وفضلاً عن ذلك استخدمت الأقبية المدببة أيضاً فى تغطيات الجزء الغربى من قاعة الدرس بمدرسة المعجار ، وأيضاً فى تغطية الإيوانين الشرقى والغربى بالمدرسة الاسكندرية وإن كانت الأقبية الأخيرة ذات قطاع مدبب أربعة مراكز [شكل ٨١ ، ٨٢] .

وإلى جانب القبو المدبب استخدمت الأقبية المتقاطعة فى تغطية دركاة المدخل بمسجد الموفى الأعلى والتى قسمت إلى مساحتين مربعتين يغطى كل مساحة منهما قبو متقاطع ، ويعتبر هذا القبو المثال الوحيد لاستخدامه فى مدينة حيس [شكل ٤٨] ، فى حين أنه استخدم بكثرة فى تغطيات بعض المساجد فى المدن الأخرى ومنها بعض تغطيات الجامع الكبير ببيت الفقيه والتى ربما كانت من التجديدات الطاهرية للجامع [١] ، كما استخدم أيضاً فى تغطيات دركاة المدخل

---

(١) Italian Institute: Archaeological Missions, 1985, P. 381.

الشرقى بالمدرسة المنصورية بجبن [1] ، والدور الأرضى بالمدرسة العامرية [2] برداع .

أما الأقبية ذات القطاع المنكسر فاستخدمت فى مثال وحيد أيضاً فى حيس فى تغطية الجزء الشرقى من قاعة الدرس بالمدرسة الاسكندرية . كما استخدمت الأقبية البرميلية ـ النصف دائرية ـ فى تغطية العمق الكبير لشبابيك جدار القبلة بالجامع الكبير ، وذلك لتتحمل الثقل الكبير للجدار فوقها ، كما استخدمت هذه الأقبية فى تغطية خزانات المياه وخاصة تلك التى تشغل قواعد المآذن الصغيرة حتى تتحمل ثقل بدن المئذنة فوقها .

تلك كانت بعض الأمثلة على استخدام الأقبية فى العمارة الرسولية والطاهرية فى مدينة حيس والتى تدل على استمرار هذا النوع من التغطيات رغم تفضيل بنى رسول للقبة التى انتشر استخدامها فى معظم تغطيات مساجد ومدارس هذا العصر مما جعل بعض الباحثين يعتقدون أن الأقبية لم تستخدم إلا كأمثلة فريدة [3] . وهذا ليس صحيحاً ، فقد استخدمت الأقبية فى كثير من المساجد والمدارس الرسولية والطاهرية ومنها تغطيات مساجد ومدارس حيس السابق ذكرها ، وكذلك تغطيات كتلة المصلى فى المدرسة الفاتنية بزبيد [4] والتى بنيت قبل سنة ٧٦٨ هو بعض أجزاء المدرسة المعتبية ، ومنها المدخل والخانقاه والدركاة وقاعات الدرس [5] . وكذلك نفس الوحدات السابقة فى المدرسة الأشرفية فيما عدا المداخل [6] ، وأيضاً تغطيات قاعة الدرس بالمدرسة الجبرتية (نهاية القرن ٨ هـ) [7] .

وفى العصر الطاهرى استخدمت الأقبية فى تغطية الطوابق الأرضية للمدارس ومن ذلك الطابق الأرضى فى المدرسة المنصورية جبن [8] ، والطابق الأرضى فى كل من المدرسة العامرية ، والمدرسة البغدادية برداع ، بالإضافة إلى بعض المساجد الأخرى فى تهامة ومنها الجامع الكبير بمدينة بيت الفقيه .

---

(١) إبراهيم المطاع ، المدرسة المنصورية ، ص ٣٤٥ .

(٢) محمد سيف النصر ، نظرة عامة ، ص ١٢٥ .

(٣) Sadek Noha: Op. Cit. P. 238.٣

(٤) Sadek Noha : Op. Cit. P. 233.٤

(٥) أطلقت وثائق الوقف اسم (جمنون) أو (جملول) على الدهاليز وقاعات الدرس المغطاة بأقبية ، (انظر) ، إسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ١٩٩ .

(٦) غطيت مداخل المدرسة الأشرفية بقباب .

(٧) عبدالله الراشد ، المنشآت المعمارية ، ص ٢٦٥ .

(٨) إبراهيم المطاع ، المدرسة المنصورية ، ص ٣٤٥ .

٢ ـ القباب [١] :

استخدمت القباب بشكل واسع فى تغطية الوحدات المعمارية المختلفة لمساجد ومدارس حيس ، إذ لا يخلو مسجد أو مدرسة من وجود القبة فى تغطياته نظراً لما لها من ميزة تخفيف حرارة الجو فى الأماكن التى تغطيها من خلال حركة الهواء فى فراغ القبة ، بالإضافة إلى أن اختيار المعمار للقبة فى التغطية كان بهدف إظهار هذه الوحدات ، ولذلك نجح فى توزيع القباب داخل المنشآة الواحدة فى إطار يتسم بالاتزان والتماثل من حيث تغطية المصلى بقباب متساوية وفى نفس الوقت أوجد نوعاً من التوازن بينها وبين قباب قاعة الدرس [٢] .

ومن أهم القباب المستخدمة فى تغطية مساجد ومدارس حيس :

(أ) **القباب النصف دائرية** : والتى استخدمت فى تغطية المصلى فى مسجد الخامرى[٣]، إلا أنها تتميز بقلة الارتفاع ، كما استخدمت أيضاً فى تغطية مقصورة مسجد ركيز ، وأيضاً فى تغطية الدور قاعة بالمدرسة الاسكندرية والتى تعتبر من أكبر قباب هذا النوع[٤] [شكل ٧٨] .

ومن الأمثلة الأخرى لاستخدام القباب النصف دائرية : قباب مسجد الطواشى (الطاوسى) ومسجد الخماشى فى مدينة حيس وقبة المدرسة الدعاسية بزبيد ٦٦٥هـ[٥] . كما استخدمت القباب النصف دائرية فى تغطية مآذن بعض المساجد ومنها مئذنة مسجد الكيلة ، ومدرسة الهتارى ، وكذلك فى تغطية المدخل البارز لمسجد الخامرى ، إلا أنها من النوع الضحل مثلها مثل قباب المسجد نفسه .

(ب) **القبة ذات قطاع العقد المدبب ذو المركزين** : استخدمت فى تغطية مسجد ابن أبى الخل [شكل ٣٧] ، ولذلك تعتبر أقدم القباب من هذا النوع فى مدينة حيس ، تليها قباب مسجد ابن على [شكل ٤١] ، وقباب مدرسة الهتارى ، والقباب الغربية

---

(١) وجدت القبة منذ القرن الأول الهجرى ، وظلت تستخدم فى التغطيات طوال العصر الإسلامى ، وأقدم مثل باق لها فى الحجرة الساخنة بقصير عمرا ، وقبة بيت المال فى الجامع الأموى وقبة حمام الصرخ ، وكذلك قبة الصخرة ، إلا أنها كانت من الخشب . (انظر) ، فريد شافعى ، العمارة العربية الإسلامية ، ص ١٧٧ ، العمارة العربية فى مصر ، ص ١٩٩ .

(٢) عبدالله الراشد ، المنشآت المعمارية ، ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ .

(٣) تشبه قباب مسجد الخامرى قبة محراب جامع القصبة بتونس ٦٢٦ ـ ٦٢٣هـ/ ١٢٣١ ـ ١٢٣٥م . (انظر) ، سليمان زبيس ، القبة التونسية ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٤) هذه القبة ليست أصلية وإنما تعود إلى تجديدات المدرسة فى أواخر النصف الأول من القرن ١٤هـ/ ٢٠م .

(٥) عبدالله الراشد ، المنشآت المعمارية ، ص ١٥٥ ، محمد سيف النصر ، المدرسة الدعاسية ، ص ٨٦ .

لمسجد ركيز ، وكذلك القباب الشرقية والغربية للجامع الكبير والتى حلت محل الأقبية المتهدمة [1] . ومن أمثلة هذا النوع من القباب فى مدينة حيس قباب مسجد التكية وقباب قاعة الدرس بمدرسة المشهور ، وكذلك قباب المآذن ومنها قبة مئذنة مسجد ابن على ، ومئذنة مدرسة المعجار ، ومئذنة ركيز ، ومئذنة مسجد الطواشى (الطاوسى) .

(جـ) **القباب المدببة ذات قطاع العقد الفاطمى** : ومن أمثلتها قباب مسجد الكيلة ومسجد البخارى ومسجد المدرسة ومدرسة المعجار والتى تتكون كل منها من مثمن تعلوه رقبة دائرية تحمل القبة التى تنتهى بعمود صغير من الآجر ذو قمة مخروطية [الأشكال ٣٤ ، ٤٥] .

وتنتمى إلى هذا النوع قباب مسجد الموفى الأعلى ، إلا أنها تتميز بأن رقبة القبة تقوم على ثلاثة مثمنات تعلو بعضها ومستواها أكثر ارتفاعاً من مستوى ارتفاع جدران المسجد [شكل ٤٩] . وإلى نفس هذا النوع تنتمى أيضاً قباب قاعة الدرس بالمدرسة الاسكندرية ، إلا أنها تختلف عنها بأن مثمنات القباب لا تظهر فوق مستوى السطح .

وقد انتشر هذا النوع من القباب فى العديد من المساجد والمدارس الأخرى التى بنيت أو جددت بعد العصر الطاهرى ، ومنها : قباب مسجد الهنود ، ومسجد الموفى الأسفل ، ومدرسة المشهور .

وقد تميزت بعض قباب المساجد السابقة بوجود عمود معدنى على هيئة حربة يتقاطع مع هلال كما فى مسجد الكيلة ومسجد البخارى ومسجد الموفى الأعلى [شكل ٣٤ ، ٤٩] ، وأحياناً يحمل العمود المعدنى ثلاث كرات معدنية الوسطى منها أكبر فى الحجم كما فى قبة المدرسة الاسكندرية [شكل ٧٨] ، وكانت هذه الحراب والأهلة توضع بشكل موازى للقبلة بهدف تحديد اتجاهها [2] .

والقبة كوسيلة للتغطية لم تفد إلى اليمن مع قدوم الأيوبيين إليها كما حدث بالنسبة للأقبية ، وإنما كانت معروفة قبل ذلك ومنذ أوائل عصر الدولة النجاحية (٤١٢ ـ ٥٥٥ هـ / ١٠٢١ ـ ١١٦٠ م) ، حيث تعتبر قباب الجنابذ الثلاث الواقعة شمال زبيد [3] من أقدم القباب

---

(١) تشبه هذه القباب إلى حد كبير قباب ضريح سلاطين بنى طاهر فى جبن والتى يسميها البعض باسم القباب الهندية (انظر) Italian Institute: Archaeological Missions, 1985, P. 380.

(٢) حسين مؤنس، المساجد، ص ١٣٦ .

(٣) وصفها ابن المجاور أنها قباب مبنية بالآجر والجص . (انظر) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص ٧٥ .

التى بنيت فى اليمن ، وقد دفن فى إحداها آخر ملوك بنى زياد وعمته اللذان قتلا سنة ٤٠٥ هـ[1] ، ودفن فى الثانية على بن محمد الصليحى مؤسس الدولة الصليحية وذلك سنة (٤٦٠ هـ) [2] .

وإن كان من المعتقد أن القبة قد ظهرت قبل ذلك فى اليمن ، حيث ذكر المؤرخون أن الضريح الموجود بمسجد فروة بن مسيك بصنعاء غطى بقباب سنة ٤٠٧ هـ وقد جددت هذه القباب سنة ٩٩٧ هـ[3] .

أما عن أقدم القباب التى مازالت باقية فى اليمن حتى اليوم فتعتبر القبة التى تعلو المجاز القاطع لظلة القبلة بجامع السيدة بنت أحمد بجبلة ٤٨٠ هـ ، والتى تعرف باسم قبة البهو [4] أقدمها على الأطلاق .

وبناء على ما سبق لا يمكن التحديد بدقة متى ظهرت القبة فى اليمن ، وإن كان أقدم ذكر لها يعود إلى سنة ٤٠٧ هـ .

وما يمكن قوله هنا أن الرسوليين كانوا أول من استخدم القباب بكثرة فى اليمن ، والتى أصبحت تغطى معظم المساجد والمدارس ، وإما على هيئة قباب متساوية كما فى المدرسة التقوية والمدرسة المعتبية ، وإما على هيئة قبة مركزية أو أكثر تكتنفها قباب صغيرة كما فى جامع المظفر والمدرسة الأسدية بإب والمدرسة الأشرفية بتعز ، والمدرستين الاسكندرية والكمالية [5] بزبيد .

وهذا الاستخدام المكثف للقبة فى العمارة الرسولية يرجع إلى نفس الأسباب التى دفعتهم إلى استخدام الأقبية فى التغطيات والتى سبق ذكرها ومنها تأثرهم بتغطيات العمائر فى المناطق

---

(١) كان آخر ملوك بنى زياد (٢٠٤ ـ ٤٠٥هـ) طفل صغير كفلته عمته وتولى الوصاية عليه وزير من أصل حبشى يدعى مرجان فقتل الملك الطفل وعمته سنة ٤٠٥هـ، فقام وزير آخر يدعى نجاح بمحاربة مرجان وقتله سنة ٤١٢هـ، ثم أخرج جثمانى الطفل وعمته ودفنهما فى الجنابذ. (انظر)، محمد الحريرى، معالم التطور، ص ١٩ ـ ٢٢، Sadek, Noha, Op. Cit., P. 236.

(٢) ذكر الخزرجى أن المكرم أحمد بن على بعد أن هزم النجاحيين فى زبيد وفك أسر والدته ـ التى أسرها بنى نجاح عندما قتلوا زوجها على بن محمد الصليحى والد المكرم أثناء ذهابه للحج ـ دفن والده فى القبة الثالثة التى كان قد بناها فى الجنابذ بجانب القبة التى دفن فيها آخر ملوك بنى زياد. (انظر)، الخزرجى، العسجد المسبوك، ص ٦٠ .

(٣) Serjeant: Op. Cit., P.P. 351 - 353.

(٤) مصطفى شيحة، المدخل، ص ٦١ .

(٥) ثبت من خلال الدراسة التى أجرتها الباحثة نهى صادق أن المدرستين بنيتا فى العصر الرسولى وليس فى العصر العثمانى، (انظر)، Sadek, Nohae, Op. Cit. P. 234.

التى عاشوا فيها فى تركيا والعراق والشام ومصر ومنها : العمارة الكرخانية التى كانت بيوت الصلاة فيها تغطى كاملة بالقباب كما فى مسجد طلختان بابا فى مرو (ق ٥/ ٦هـ/ ١١/ ١٢م)(١) وكذلك القباب التى تغطى مدارس دانشميند ومدارس بنى ارتق والمدرسة الظاهرية بحلب (٦١٠ هـ/ ١٣ ـ ١٣١٤ م) (٢) ، وكذلك قباب المشاهد والمساجد الفاطمية فى مصر .

ومن خلال ما سبق نستنتج أن عنصر القبة فى العمارة الرسولية والطاهرية جمع بين القبة كعنصر محلى يغطى جزءاً من مسجد أو ضريحاً قبل العصر الرسولى وبين القبة بأعدادها الكبيرة تغطى معظم أجزاء المساجد والمدارس « كتأثير وفد إلى اليمن مع الرسوليين من الشام ومصر » (٣) ، وبمعنى آخر يمثل عنصر القبة الرسولية الروح المحلية الممزوجة ببعض التأثيرات الوافدة عليها .

(ك) ـ المحاريب :

يعتبر المحراب من العناصر المعمارية التى لا يمكن أن يستغنى عنها أى مسجد أو مدرسة لأن المحراب هو العلامة (٤) التى ترشد المصلين إلى اتجاه القبلة ، ولذلك وجد منذ السنة الأولى للهجرة فى أول مسجد بنى فى الإسلام وهو مسجد قبا (٥) ، وتضم مساجد ومدارس حيس نوعين من المحاريب : الأول محاريب رئيسية ، والثانى : محاريب ثانوية أو تذكارية .

• المحاريب الرئيسية :

وتوجد دائماً فى صدر جدار القبلة من ظلة القبلة فى المسجد أو إيوان القبلة من المدرسة ،

---

(١) Sadek, Noha: Op. Cit. P. 237.

(٢) Sadek, Noha : Op. Cit. P. 237.

(٣) Finster, Barbara : The Architecture of the Rasulids, Yemen 3000 Years of Art and Civilisation in Arabias Felix, edited by : Werner Daum, Published by: Innsbruck, Pinguin Verlag, 1988. P. 260.

(٤) عندما بنى رسول الله ﷺ مسجد قبا وضع فى جدار القبلة قطعة حجرية وكذلك فعل أبو بكر وعمر، وأكمل باقى الصحابة بناء المحراب، والذى كان الهدف من بنائه كعلامة تدل المسلمين على اتجاه القبلة، ولذلك يعتبر أول محراب بنى فى الإسلام . (انظر)، فريد شافعى، العمارة العربية الإسلامية، ص ١٥١، وللمزيد (انظر) مناقشة أصل المحراب والنتائج التى تم التوصل إليها عند، فريد شافعى، العمارة العربية فى مصر، ص ٥٨٤ ـ ٦٢٤ .

(٥) فريد شافعى، العمارة العربية فى مصر، ص ٦١١ .

وهى فى مدينة حيس مجوفة [1] . تختلف فى اتساعها وارتفاعها وعمقها من مبنى لآخر ، كما تختلف عن بعضها فى نوعية العقد الذى يتوج حنية المحراب ، فهناك محاريب ذات عقود مدببة أو نصف دائرية أو مفصصة .

ويعتبر محراب الجامع الكبير أقدم محاريب حيس فى العصر الرسولى والذى يؤرخ بسنة (٦٨٢ هـ) ، ولذلك سوف يكون هو أساس الدراسة المقانة مع محاريب بقية المساجد والمدارس [شكل ١٨ ، ٢٠] .

يتكون محراب جامع حيس من حنية مجوفة ذات قطاع حدوى [2] يتوجها عقد مدبب ويغطيها طاقية على هيئة نصف قبة محارية الشكل ويكتنف الحنية عمودان اسطوانيان مدمجان زخرف كل منهما بأشكال زجزاجية على هيئة دالات متكررة لونت باللون الدهنى والأحمر بالتبادل .

وهذا النوع من الأعمدة سبق وأن شوهد فى العمارة السلجوقية والأتابكية كما فى جامع نور الدين بحماة المؤرخ بسنة (٥٥٩ هـ/ ١١٦٤ م) [3] على جانبى المحراب ، وكذلك وجدت أيضاً تكتنف فتح البلاطة الوسطى ـ العمودية على المحراب ـ المطلة على الصحن فى الجامع الكبير بملطية [4] ، وإن كانت الأخيرة أكثر تطوراً بينما نرى التشابه الكبير بين عمودى المحراب فى كل من جامع نور الدين بحماة وجامع حيس الكبير .

أما الطاقية المحارية [5] ، فقد سبق وأن وجدت فى محراب جامع السيدة بنت أحمد فى جبلة (٤٨٠ هـ) .

ويحتوى الجامع الكبير بحيس على محراب آخر يقع إلى الشرق من المحراب الرئيسى ،

---

(١) عرفت المحاريب المجوفة منذ القرن الأول الهجرى ، ويعتبر أقدم محراب باق هو المحراب الموجود فى الضلع الجنوبى من المثمن الخارجى لقبة الصخرة ، ٧٢هـ ، ويليه محراب الجامع الأموى بدمشق ، ثم محراب المسجد النبوى بالمدينة المنورة ، والذى وضعه عمر بن عبد العزيز سنة ٩٠هـ . (انظر) ، فريد شافعى ، العمارة العربية الإسلامية ، ص ١٥٢ ، العمارة العربية فى مصر ، ص ٦١١ ـ ٦١٣ .

(٢) يعتبر محراب جامع قرطبة ذو القطاع الحدوى أقدم المحاريب من هذا النوع والذى شوهد بعد ذلك فى مدرسة السلطان قلاوون بالقاهرة (٦٨٣ ـ ٦٨٤هـ) . (انظر) ، فريد شافعى ، العمارة العربية الإسلامية ، ص ١٥٢ .

(٣) فريد شافعى ، زخارف وطرز سامراء ، مجلة كلية الأداب ، مجلد ١٣ ، جـ ٢ ، جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة) ، ١٩٥٢ ، ص ٢٠ ، لوحة ١٢ .

(٤) أصلان أبا ، فنون الترك وعمائرهم ، ص ٨٢ ، لوحة ٢٣ ، ٢٤ .

(٥) تشبه طاقية محراب جامع حيس مقرنصات مسجد قصر الأخيضر (١٦٠هـ) ، المكونة من حنية ذات طاقية محارية . (انظر) ، فريد شافعى ، العمارة العربية فى مصر ، ص ٤١٢ ـ ٤١٣ .

وهذا المحراب ربما أضيف فى العصر الطاهرى إذ يلاحظ عليه محاولة المعمار تقليد المحراب الأصلى من حيث تضليعات الطاقية وشكل الأعمدة ، وكذلك فى الزخرفة ، إلا أنه لم ينجح فى محاولته فجاء شحل المحراب معبراً عن قلة مهارة المعمار أكثر من كونه مماثلاً للمحراب الأصلى .

أما محاريب مساجد حيس الأخرى فإن بعضها يشبه محراب الجامع الكبير من حيث العقد المدبب الذى يعلو الحنية كما فى محراب مسجد الخامرى (٨٨١ هـ) ومحراب مدرسة الهتارى ولكن اختفت من المحاريب الأخيرة الأعمدة التى تكتنف الحنية وإن كان الركن الغائر[1] الذى يوضع فيه العمود موجود على جانبى الحنية كما أن طاقيتى المحرابين السابقين لا نرى فيهما الزخرفة المحارية .

وينتمى إلى نفس هذا النوع من المحاريب ذات العقود المدببة محراب مسجد الكيلة وإن كان يتميز بأن حنيته مزدوجة ـ حنية داخل حنية ـ والذى فرضها وجود المحراب يتوسط الكتف الحامل للعقد الأوسط الحامل لقبتى المسجد وقد ميز المعمار الحنية الداخلية بعقد زخرفى مفصص يزين وجه العقد فيها .

أما المحاريب ذات العقود النصف دائرية فتوجد أقدمها فى مسجد ابن أبى الخل . ويليه محراب مسجد المدرسة ، إلا أن الأخير يتميز بأن المحراب وضع داخل صدر معقود أكثر ارتفاعاً ويشغل المساحة المحصورة بين عقد الحنية وعقد الصدر دخلة معقودة مصمته .

وقد وجدت محاريب أخرى ذات عقود مدببة مزينة بعقود مفصصة تكتنف الحنايا فيها أعمدة فيها أعمدة مدمجة وأحياناً اختفت الأعمدة وبقيت مواضعها ، فمثلاً هناك محاريب زينت عقود الحنايا فيها بعقود زخرفية مفصصة كما فى مسجد الموفى الأعلى [شكل ٥٠] ، والذى يشاهد بعد ذلك فى محراب الموفى الأسفل ، وهناك محاريب ذات عقود مدببة بينما صدور المحاريب متوجة بعقود مفصصة كما فى محراب مسجد ابن على ومحراب مقصورة مسجد ركيز [شكل ٤٣] ، واللذان يشبهان عقد صدر المحراب فى كل من مسجد الهنود ومسجد الجيلانى ومسجد الخماشى فى مدينة حيس .

وهناك بعض المحاريب زينت فيها عقود الحنايا وعقود الصدرو بعقود مفصصة كما فى محراب مسجد البخارى ، ومحراب مدرسة المعجار [شكل ٤٦ ، ٧٤] .

---

(١) تعرف مواضع أعمدة المحراب بالأركان الغائرة أو النواصى المخلقة ، وهى ظاهرة جديدة عرفت فى العصر الإسلامى المبكر وأقدم مثل لها وجد فى محراب قبة الصخرة فى الجدار الجنوبى ، ثم فى محراب المسجد الأموى ، ومحراب قصر المشتى . (انظر) ، فريد شافعى ، العمارة العربية فى مصر ، ص ٦٢٠ ، العمارة العربية الإسلامية ، ص ١٥٢ .

وإلى هذا النوع أيضاً ينتمى محراب المدرسة الاسكندرية [شكل ٨٠] ، إلا أنه يتميز عن المحرابين السابقين بكثرة الفصوص وصغر حجمها بحيث تبدو كأنها حليات معمارية مفصصة وليس عقود ، وهى بذلك تشبه عقود المحاريب فى كل من مسجد المزجاجى (٧٥٣ ـ ٧٤٩هـ)[١] ، والمدرسة الوهابية بزبيد .

بالإضافة إلى ذلك فقد وجد مثال فريد لمحراب ذو حنية مجوفة قليلة العمق اختفت منه الأعمدة المدمجة ، كما اختفت منه الطاقية والتى حل محلها عقد حدوة فرس كما فى محراب مسجد ركيز الذى بنى فى العصر الطاهرى .

• المحاريب التذكارية [٢] :

هى نوع من المحاريب توضع فى جدار المصلى المطل على الصحن أو الفناء فى المساجد والمدارس ، والهدف منها أن تكون علامة تدل المصلين على اتجاه القبلة ، وكذلك تستخدم كمحاريب للصلاة الليلية فى الفصول الحارة أو فى الصلوات التى يفضل أن تصلى خارج المسجد كصلاة العيدين مثلاً .

وتحتوى معظم مساجد ومدارس حيس على محاريب تذكارية منها محاريب مسطحة [٣] على هيئة حلية جصية (إطار) بارزة تحدد شكل المحراب ، كما فى محراب الجامع الكبير الموجود فى واجهة المصلى المطل على الصحن والذى يعتبر من أقدم المحاريب التذكارية الباقية فى حيس [شكل ٢٦] ، والذى يشبه محرابى مسجد الهنود ومسجد الطواشى اللذين ربما تأثرا به .

---

(١) Italian Institute : Material for Atypology of Yemeni, 1987, P. 172.

(٢) يعتبر محراب جامع عمرو بن العاص فى الفسطاط والموجود فى الواجهة الشمالية الغربية للجامع على يمين المدخل الأوسط أقدم أمثلة المحاريب التذكارية حيث يرجع تاريخه إلى عصر التجديد العباسى للجامع سنة ٢٠٥هـ.

(٣) وجدت المحاريب المسطحة منذ القرن الأول الهجرى وأقدم مثال لها ، المحراب المسطح فى كهف قبة الصخرة ومحراب مكان عبد العزيز فى الغرا بالعراق ، وكذلك المحراب المسطح على جدار فى مدينة سامراء ثم محراب البيت الطولونى فى مدينة العسكر ويليها المحاريب الجصية الموجودة فى جامع ابن طولون والتى تعود إلى العصر الفاطمى ، (انظر) ، فريد شافعى ، العمارة العربية الإسلامية ، ص ١٥٣ ، العمارة العربية فى مصر ، ص ٦٢٢ ـ ٦٢٤ .

شافعى ، العمارة العربية الإسلامية ، ص ١٥٢ ، العمارة العربية فى مصر ، ص ٦١١ ـ ٦١٣ .

أما المحاريب التذكارية فى المساجد الأخرى فهى شبيهة بالمحاريب الرئيسية المجوفة لنفس المساجد ومنها : محاريب مسجد الكيلة ، ومسجد الموفى الأعلى ، ومسجد ركيز ، ومدارس الهتارى ، والمعجار والاسكندرية .

وهذه المحاريب متشابهة فيما بينها إلى حد كبير مع وجود بعض الاختلافات البسيطة ومنها أن محراب مسجد الكيلة ومسجد الموفى الأعلى على هيئة حنية مزدوجة يرجع السبب فيه إلى أن محراب مسجد الكيلة يقع وسط دعامة ساندة للجدار الأصلى أما محراب الموفى الأعلى فإن المعمار فتح فيه شباك يتوسط تجويف الحنية يطل على المسجد . وأما محراب مدرسة الهتارى ومدرسة المعجار فيتميز كل منهما بوجود شباك يعلو عقد الحنية مغشى بستارة جصية مخرمة مما يدل على أنهما ينتميان إلى عصر واحد .

وهذه المحاريب التذكارية لم تكن قاصرة على مساجد ومدارس حيس بل انتشرت فى معظم مساجد ومدارس تهامة نظراً لشدة الحرارة صيفاً حيث كانت تؤدى بعض الصلوات فى الصحن أو الفناء . ومن أمثلة هذه المحاريب تلك التى نشاهدها فى المدرسة المنصورية السفلى (٦٢٦ ـ ٦٤٧ هـ) [١] ، وكذلك فى فناء المدرسة الدعاسية (٦٦٥ هـ) [٢] وإن كان المحرابان الأخيران يعتقد أنهما يعودان إلى التجديدات التى حدثت للمدرستين بعد ذلك .

(ل) ـ المنبر[٣] :

من المعروف أن المنابر فى العصر الإسلامى لم تنصب إلا فى المساجد الجامعة لأن صلاة الجمعة لم تكن تتم إلا فى مسجد جامع .

وتعتبر مدينة حيس ـ حتى اليوم ـ مثال نموذجى لهذا الالتزام بأفضلية المسجد الجامع عن المساجد الأخرى ، حيث إن الجامع الكبير فيها هو المسجد الوحيد الذى يحتوى على منبر وهو أيضاً المسجد الوحيد الذى تقام فيه صلاة الجمعة حتى اليوم والذى يتوافد إليه المصلين من مختلف أحياء المدينة .

والمنبر الحالى يمثل بقايا لمنبر غير متكامل أثرت فيه عوامل الزمن فتهالكت معظم أجزائه

---

(١) عبدالله الراشد ، المنشآت المعمارية ، ص ٢٥٣ .

(٢) محمد سيف النصر ، المدرسة الدعاسية ، ص ٨٦ .

(٣) وجد المنبر منذ عهد رسول الله ﷺ وكان عبارة عن بناء من مرقاتين ، وقيل كان المنبر أولا من طين قبل أن يتخذ من الخشب فى سنة ٧ أو ٨ هـ/ ٦٢٩م . أما عن أقدم منبر باق فى العالم الإسلامى فهو منبر جامع القيروان والذى يعود إلى سنة ٢٤٢ ـ ٢٤٩هـ . (انظر) ، أحمد فكرى ، مساجد القاهرة ومدارسها ، المدخل ، ص ٢٧٧ ، وللمزيد (انظر) ، مناقشة فريد شافعى لأصل المنبر ونشأته فى كتاب ، العمارة العربية فى مصر ، ص ٦٢٤ ـ ٦٣٣ .

واختفت ولم يتبق منه سوى بعض القوائم وبعض القطع الخشبية التى أعيد تشكيلها كإطار حول منبر مبنى بالآجر والأسمنت [شكل ٢٦] . وكان هذا المنبر فى الأصل موضوعاً بشكل عمودى على جدار القبلة فيما بين المحراب والشباك المجاور له من جهة الشرق ثم تغير وضعه إلى الشكل الموازى لجدار القبلة لسببين : الأول حتى لا يأخذ حيزاً من مساحة الجامع إذا ما وضع بشكل عمودى ، والثانى حتى لا يقطع الصف الأول من صفوف المصلين ، وقد أدى تغيير وضع المنبر إلى اختفاء الشباك الشرقى خلفه .

وتمثل الأجزاء المتبقية من المنبر : قائمتى الباب وعقده وجزء من الدرابزين والأربعة قوائم التى تحمل الجوسق بالإضافة إلى ثلاث قطع متبقية من ريشتى المنبر وضعت كقاعدة يقف عليها الخطيب [شكل ١٣٧] ، وكذلك بعض القطع الصغيرة التى وضعت كروابط بين القوائم .

ونظراً لتهالك المنبر واختفاء معظم أجزائه وتغير مواضع القطع المتبقية فإنه من الصعب عمل تصور للمنبر الأصلى ، كما أنه من الصعب معرفة تاريخ المنبر ، وإن كان من المرجح أنه لا يعود إلى العصر الرسولى نظراً لأن الزخارف الموجودة عليه تختلف من حيث الأسلوب والشكل عن زخارف العصر الرسولى سواء على المنابر أو الأبواب أو جدران المساجد والمدارس ، كما أنها تختلف عن زخارف المنابر التى تعود إلى ما قبل العصر الرسولى [1] .

إلا أنه من الملاحظ تشابه زخارف المنبر المحفورة على هيئة وريدات متعددة البتلات وأشكال بخاريات مع زخارف العتب الخشبى الموجود على مدخل المصلى من المدرسة الوهابية بزبيد (٨٨٣ هـ) [2] ، فضلاً عن تشابه شكل الحروف الكتابية مع كتابات منبر جامع جبن مما يرجح أن المنبر أضيف للجامع فى العصر الطاهرى ، وربما تزامن ذلك مع التجديدات الطاهرية للجامع فى أوائل القرن (١٠ هـ / ١٦ م) .

(١) يعتبر منبر جامع دمار أقدم منبر باق حتى الآن فى اليمن ، والذى يعود تاريخه إلى القرن ٤هـ/ ١٠م ، حيث أن زخارفه تتبع زخارف سامراء من الطراز الثالث ويليه فى القدم منبر جامع ذى أشرق ٤٢١هـ ثم منبر جامع السيدة بنت أحمد فى جبلة ٤٨٠هـ فمنبر جامع الجند ٥٨٨هـ . (انظر) ، مصطفى شيحة ، المدخل ، ص ١٤٦ ـ ١٤٨ ، ربيع خليفة ، الفنون الزخرفية ، ص ٦٥ ـ ٨٧ .

(٢) إبراهيم المطاع ، المدرسة المنصورية ، ص ١٧٢ ، ١٧٤ .

الفصل الثالث

العناصر الزخرفية

(أ) طرق الزخرفة :

تعددت الطرق التى نفذت بها زخارف مساجد ومدارس مدينة حيس وكان من أهمها :

● **الحفر البارز والغائر** : استخدمت هذه الطريقة فى تنفيذ معظم زخارف الجامع الكبير سواء على جدار القبلة أو البوائك حيث نفذت الأطباق النجمية وأجزائها بالحفر الغائر ، بينما الخطوط التى تحدد أجزاء الطبق نفذت بالحفر البارز وكذلك الحال بالنسبة للأشرطة الكتابية التى تؤطر عقود الجامع والتى نفذت على مستويين من الحفر المستوى الأول بارز للحروف الكتابية ، والمستوى الثانى أقل بروزاً للأرضيات النباتية [شكل ٢١] .

وبنفس الطريقة نفذت زخارف مسجد المدرسة وخاصة الأشرطة الكتابية والبخاريات التى تزين جدران وكوشات العقود ، وكذلك صفوف المحاريب التى تشغل حنية محراب الجامع الكبير وحنية محراب مسجد المدرسة (الياقوتية) .

كما استخدمت هذه الطريقة فى تنفيذ زخارف الستائر الجصية الوهمية االتى تعلو مدخل المدرسة الاسكندرية وتلك التى تكتنف حنية المحراب بها .

● **طريقة الحز** : وقد استخدمت هذه الطريقة فى تحديد الزخارف الهندسية فى الجامع الكبير والتى تشغل المساحات المحصورة بين الشريط الكتابى العلوى والأجزاء السفلية من الجدران بما فيها كوشات عقود جدار القبلة وبائكتى المحراب والصحن ، وكذلك زخارف جدران الإيوان الجنوبى ودركات المدخل وحجره .

● **طريقة التلوين** [1] : استخدمت الألوان المائية فى الجامع الكبير فى تلوين العناصر

---

(١) طريقة التلوين ، استخدمت كثيراً فى العمارة الإسلامية ، إلا أنه لم يتبق منها الكثير بسبب فساد الألوان أو استبدالها بألوان جديدة أو مواد أخرى ، والأمثلة الباقية لهذه الزخارف المرسومة بعدة ألوان وجدت فى العمارة الألخانية فى إيران كما فى ضريح السيد ركن الدين (٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م) والمدرسة الشمسية فى يزد (٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م) . (انظر)،
Sadek Noha : Op. Cit. P. 251.

الهندسية التى نتجت عن الطريقتين السابقتين ـ الحفر والحز ـ فضلاً عن الزخارف الأخرى التى نفذت بالألوان فقط ، وخاصة تلك التى تعلو الشريط الكتابى العلوى وتغطى بدن قبوى المحراب والصحن .

أما عن الألوان المستخدمة فتقتصر علىَ ثلاثة ألوان هى : اللون الأحمر الغامق (١) ، واللون الذهبى (٢) ، واللون الأسود (٣) .

وتعتبر الزخارف الملونة فى الجامع الكبير من أقدم أنواع الزخارف التى نفذت على مساجد ومدارس بنى رسول والتى نراها بعد ذلك فى العديد من منشآت الدولة الرسولية كما فى قباب مسجد المدرسة بحيس ، وكذلك فى زخارف المدرستين المعتبية والأشرفية بتعز .

وقد استمرت هذه الطريقة فى زخرفة المنشآت الطاهرية ومنها : المدرسة المنصورية بجبن ، والمدرسة العامرية برداع ، والتجديدات الطاهرية لجامع المظفر بتعز .

• **طريقة الصب بالقالب** : استخدمت هذه الطريقة فى عمل الدروع الزخرفية التى تكتنف محراب مسجد المدرسة (الياقوتية) حيث تم صب الجص فى قالب مزخرف ثم نزعت من القالب بعد جفافها وثبتت على الجدران بواسطة الملاط .

• **التكوينات المعمارية** : قوام هذه الزخرفة تشكيلات زخرفية نفذت بواسطة قوالب الآجر على هيئة أشرطة متقاطعة أو على هيئة أشكال نباتية مجردة ومحورة أو أشكال هندسية أخرى ثم كسبت بطبقة من الجص أو النورة .

---

(١) اللون الأحمر الغامق ، قريب الشبه من اللون البنى ، ويعمل على النحو التالى ، يؤخذ من العفص ويرض زمنا حسنا ثم يصب عليه الماء مقدار ما يغمره ثم يترك ساعة واحدة مقدار ما يصير من فوقه بشىء يسير ثم يؤخذ من الزنجفر الرمانى الجيد فيغسل و(طريقة) غسله أن يصب عليه الماء وهو فى الإناء ويحرك ، فإذا ارتفعت له غرة أخذ بها حتى لا يبق منه شىء ثم يصير (يوضع) على أجره حتى تنشف نداوته ثم يسحق حتى يصير مثل المرهم ويضرب بماء العفص ويترك ساعة ثم يؤخذ صمغًا عربيا فيجل بالماء ويلقى عليه ويضرب ضربًا شديدًا . (انظر) ، المظفر يوسف ، المخترع ، ص ٨ب ، ٩ أ .

(٢) اللون الدهنى : ويسمى بلون الزق ، ويصنع كالآتى : يؤخذ من الزرنيخ الأحمر الخالص لا يخالطه شىء ويسحق ناعما ثم يؤخذ زعفران لا يكون فيه زيت ولا دهن ثم يصر (يربط) الزعفران بخرقة (قطعة قماش) ثقيلة وتوضع فى الماء حتى تبتل الصرة ثم تعصر على الزرنيخ ويوضع فيه العفص . (انظر) ، المظفر يوسف ، المخترع ، ص ٨ أ .

(٣) اللون الأسود : يؤخذ من العفص ثلاثة أمثال ، ومن الزاج مثل ومن العفص مثل ونصف ، ينظف العفص (ويضاف) على كل جزء منه ثمانية أجزاء من الماء ، ثم ينقع يوم وليلة وإن كان أكثر فهو أحسن ، ثم يعمل على نار لينة (هادئة) ، حتى يبقى ثلثاه ، فإذا أنهد (ذاب) العفص فقد نضج ، ثم ينقع الصمغ فى ماء يغمره قبل العفص حتى يصير كالعسل ، فإذا طبخ العفص يلقى عليه الصمغ ويترك يسيرًا حتى إذا ذاب فيه حط عليه الزاج بعد أن ينعم سحقه ، فإن كفاه وإلا زاد عليه ، ولا يكن الصمغ إلا منقعا ويصفى بعد خلطه . (انظر) ، المظفر يوسف ، المخترع ، ص ٦ أ ، ب .

ومن أهم الزخارف التى نفذت بهذه الطريقة : الحليات المعمارية التى تشغل الجدران الخارجية للمصلى وكتلة المحراب فى مسجد المدرسة الياقوتية ، وكذلك فى الواجهة الخارجية لكتلة محراب مسجد ابن أبى الخل ، ومئذنة مسجد ابن على ومئذنة ومدخل مسجد الموفى الأعلى والزخارف التى تزين رقبة قبة المدرسة الاسكندرية من الداخل والستائر الوهمية التى تزين أضلاع البدن المثمن لمئذنة المدرسة الاسكندرية .

(ب) الحليات المعمارية :

تشتمل بعض مساجد ومدارس حيس على حليات معمارية زخرفية متنوعة نفذت بواسطة قوالب الآجر ، وتتركز معظم هذه الزخارف على الواجهات الخارجية لكتلة المسجد (بيت الصلاة) وفى المآذن .

ومن أقدم الحليات المعمارية فى حيس تلك التى تتوج الواجهات المطلة على الصحن فى الجامع الكبير ٦٨٢ هـ والمكونة من صف من المثلثات المتجاورة وضعت قواعدها لأسفل ورؤوسها لأعلى ، بالإضافة إلى الحليات المعمارية التى تزين الواجهات الخارجية لحجر المدخل البارز فى نفس الجامع والمكونة من دخلة مصمتة زخرفية متوجة بعقدين توأمين [شكل ١٢ ب] ، فضلاً عن الدخلات المعقودة والمصمتة والتى تزين عضادتى حجر المدخل البارز وتشبه هذه الأخيرة الدخلات المعقودة على واجهات كتلة المحراب البارزة فى مسجد البخارى .

ويلى حليات الجامع الكبير فى القدم تلك التى تزين واجهة كتلة المحراب البارزة فى مسجد ابن أبى الخل (٦٩٢ ـ ٧١٨ هـ) والمكونة من دخلة متوجة بعقد ثلاثى الفصوص ، يتوسط الجزء العلوى من الدخلة معين بارز مقسم إلى أربعة معينات يقطعه من أعلى ومن أسفل خطين أفقيين ، وفى الجزء السفلى من الدخلة زخرفة بارزة مظفرة قوامها معينات وأشكال متقاطعة وقد نفذت هذه الحليات بقوالب الآجر وكسيت بطبقة من الملاط [الأشكال ١٣٨] .

وتشبه حليات واجهة محراب ابن أبى الخل حليات واجهة محراب مسجد المدرسة (الياقوتية) من حيث وجودها تتوسط دخلة معقودة فضلاً عن تكوينها بواسطة قوالب الآجر ، إلا أن الأخيرة مكونة من شكل زخرفى قوامه عقد ثلاثى مزدوج قمته لأعلى يتقاطع مع عقد ثلاثى أخر قمته لأسفل ويقطع منتصف كل عقد خطان أفقيان [شكل ٦٢ ، ١٣٨ ب] ، وهذا النوع من الحليات المعمارية وجد بعد ذلك يزين جدران قاعة الدرس بالمدرسة الوهابية زبيد ٨٨٣ هـ [شكل ١٣٩] .

كما يتوج الواجهات الأربع للمصلى فى مسجد المدرسة حلية معمارية قوامها شريط من الزخارف البارزة المنفذة بقوالب الآجر على هيئة خطوط متقاطعة نتج عن تقاطعها أشكال معينات وأصلبة مكررة [شكل ١٤٠] .

ويمكن رؤية الأشرطة السابقة على واجهات كتلة المدخل بمسجد الموفى الأعلى وكذلك فى الشريط العلوى المتقاطع الموجود على مئذنة مسجد ابن على إلا أن الأخير اختفت منه الأصلبة وحلت محلها أشكال مثلثات تشبه الأشرطة الضيقة التى تحدد الكتابات والجامات الدائرية ذات الأطباق النجمية فى الجامع الكبير ، إلا أن الأشرطة الأخيرة منفذة بالحفر البارز والغائر وليس بالقوالب [شكل ١٤٠] .

كما تشتمل مئذنة مسجد ابن على شريط آخر [شكل ١٤٠] قوامه أشكال معينات كل معين منها يتقاطع مع خط رأسى وخطان مائلان يتصلان بالخطوط المائلة للمعينات المجاورة .

وهذه الأشرطة يمكن مشاهدتها خارج مدينة حيس فى جامع المظفر بتعز [1] ، وكذلك فى المدرسة الياقوتية [2] بزبيد ، والجامع الكبير بها [3] ، وفى مسجد العدنى بزبيد أيضاً [4] . وكذلك فى المئات من المنازل السكنية فى مدينة حيس وزبيد وغيرها من المدن التهامية والمدن اليمنية الأخرى ومنها صنعاء .

ومن الحليات المعمارية الأخرى الأشكال النجمية السداسية والتى تركز وجودها فى حيس على أضلاع المآذن المنبرية كما فى مئذنة مسجد الموفى الأعلى ومئذنة المدرسة الاسكندرية . وهذه النجوم وجدت فى كثير من المنشآت الرسولية والطاهرية خارج مدينة حيس كما فى المدرستين المعتبية والأشرفية بتعز وفى زخارف الجامع الكبير بزبيد [5] والمدرسة المنصورية بجبن والعامرية برداع .

وتعتبر الحليات المعمارية التى تزين الأضلاع الثمانية لمئذنة المدرسة الاسكندرية من أجمل وأكثر الحليات وجوداً فى مساجد ومدارس حيس ، فقد قسم المعمار البدن المثمن إلى ستة أقسام رأسية بواسطة إطارات جصية بارزة ، وزخرف كل قسم بثمان حليات على هيئة ستائر جصية وهمية وكل حلية منها تختلف عن الحليات الأخرى فى نفس القسم وفى الأقسام

---

(١) Sadek, Noha : Op. Cit., PP. 257, 381, 383.

(٢) مصطفى شيحة ، المدخل ، ص ٤٧ ، ١٧٥ .

(٣) Italian Institute : Materials for Atypology of Yemeni, 1987, P. 184.

(٤) Italian Institute : Materials for Atypology of Yemeni, 1987, P. 175.

(٥) مصطفى شيحة، المدخل، ص ١٧٦ .

الأخرى [شكل ٨٣] ، وكل حلية منها تتكون من دخلة معقودة تحصر بداخلها أشكال معينات أو أشكال نجمية سداسية أو خماسية تخرج منها مراوح نخيلية ، أو جامات دائرية يتوسطها أشكال أصلبة أو أشجار محورة أو عناصر نباتية متداخلة مع عناصر هندسية .

وتعتبر الحليات المعمارية فى مئذنة المدرسة الاسكندرية المثال الوحيد لها فى زخرفة المآذن بحيس وإن كانت بعض أجزائها قد شوهدت فى مساجد أخرى ومنها النجمه السداسية أو المعينات والتى وجدت على مئذنة مسجد الموفى الأعلى ومحراب مسجد ابن أبى الخل ومدخل البخارى .

وتشبه حليات مئذنة المدرسة الاسكندرية حليات مئذنة الجامع الكبير بإب وبعض حليات الجامع الكبير بجبن وبعض مأذن زبيد ومنها مئذنة مسجد ومدرسة الدويدار .

(جـ) العناصر الكتابية :

استخدمت الكتابات فى زخرفة جدران الجامع الكبير وجدران مسجد المدرسة على هيئة أشرطة عريضة محصورة داخل أشرطة أخرى ضيقة من الزخارف الهندسية - باستثناء النص التأسيسى على المدخل الرئيسى والذى حفر على الحجر - تدور حول عقود الفتحات أو تؤطر الجزء العلوى من الجدران أو تحتل رقاب القباب من الداخل [١] .

وهذه الكتابات تتضمن اسم المنشئ وتاريخ الإنشاء وعبارات دعائية وآيات قرآنية وأحاديث نبوية نفذت بالحفر البارز على مهاد من الزخارف النباتية بطراز واحد من الكتابة هو الخط الثلث [٢] والذى بدأ استخدامه فى العصر الأيوبى وشاع فى العصرين الرسولى فى اليمن والمملوكى فى مصر بحيث صارت له السيادة على الخطوط الأخرى [٣] .

فعلى المدخل الرئيسى للجامع الكبير توجد ثلاثة نصوص كتابية نفذت بالحفر على الحجر النص الأول : يشغل وجه عقد صدر المدخل ويضم آيات قرآنية نصها ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ادخلوها بسلام آمنين ﴾ [٤] وهذه الآيات تتناسب مع وظيفة المدخل .

---

(١) تشبه هذه الأشرطة تلك الموجودة على الجدران وعلى أوجه العقود فى الجامع المظفر والمدرسة الأشرفية . (انظر) : Sadek, Noha : Op . Cit. PP. 323, 433.

(٢) الخط الثلث ، هو نوع من الخطوط المشتقة من خط النسخ ويتميز بحروفه الكبيرة وألفاته ولاماته المرتفعة فى حين تنبسط حروفه الأفقية وتنزل إلى أسفل ، وقد شاع استعماله فى العصر المملوكى . (انظر) حسين عبدالرحيم عليوه (دكتور)، الخط ، بحث نشر فى كتاب ، القاهرة تاريخها ، فنونها ، آثارها . مؤسسة الأهرام، ١٩٧م، ص ٢٧٧ - ٢٧٩).

(٣) Sadek, Noha : Op. Cit. P. 259.

(٤) سورة الحجر : آية ٤٦ ، وقد وجدت هذه الآية قبل ذلك على المدخل الجنوبى من الواجهة الشرقية من جامع السيدة بنت أحمد فى جبلة سنة ٤٨٠هـ، وكذلك على المدخل الجنوبى للمدرسة الأشرفية ٨٠٠ - ٨٠٣هـ، وعلى المدخل الغربى لجامع المظفر بتعز ، والذى يعتبر من التجديدات الطاهرية للجامع سنة ٨٨٦هـ . (نظر) ، مصطفى شيحه ، المدخل، ص ٩٢ ، Sadek, Noha : Op. Cit. PP. 180, 202.

أما النص الثانى فيوجد على عتب الباب وعضادتيه وهو ما يعرف بشريط الطراز والذى يضمن نص الأمر بالبناء (أمر بعمارة) ثم اسم المبنى ووظيفته (هذه المدرسة المظفرية [1] والمسجد المبارك) [شكل ٩] .

وهذا الجزء من النص يدلنا على أن الجامع الكبير كان فى الأصل يقوم بوظفتين هما وظيفة العبادة (المسجد) ووظيفة التدريس (المدرسة) ولذلك يعتبر أول مدرسة بنيت فى مدينة حيس ، حيث لم يرد فى المصادر التاريخية عن أى مدرسة بنيت فى حيس قبل الجامع الكبير . كما أن كلمة المدرسة هنا ترد لثانى مرة بعد كلمة مدرسة فى نص تأسيس مدرسة أم السلطان المظفر الموجود على الباب الغربى لجامع المظفر . وبالرغم من أن الوظيفة الأساسية للمبنى هو التدريس نظراً لورود لفظ المدرسة قبل لفظ المسجد فإن ذلك لم يمنعه من تأدية وظيفة أخرى بمعنى آخر لم يكن هناك مانع من أن يكون مسجداً للصلاة والذى تحول بعد ذلك إلى مسجد جامع للمدينة .

يلى اسم المنشأة ووظيفتها بعض ألقاب المنشئ ومنها : (مولانا [2] ، السلطان [3] ، الملك [4] وهى ألقاب كانت تطلق على سلاطين بنى رسول فكان السلطان منهم يتلقب قبل أن يتولى الحكم بلقب الملك ، وهو لقب يشترك فيه الأبناء الذكور للسلاطين [5] سواء أكانوا

---

(١) نسبة إلى المنشىء السلطان المظفر يوسف بن عمر بن على بن رسول (٦٤٧ ـ ٦٩٤هـ) .

(٢) مولانا ، مولى ، لقب يطلق فى اللغة على السيد وعلى الملوك والعتيق ، وعلى النسب إلى قبيلة ، وقد استعمل كلقب بمعنى السيادة أحيانا ، وقد استعمل لقب (مولانا) للخلفاء العباسيين وأقدم مثل له اطلاقه على الشيخ محسن بن الحسين بن على بن أبى طالب فى نص تعمير من سنة ٣٥١هـ بمسجد الشيخ محسن فى حلب ، وقد شاع استخدام اللقب عند الخلفاء الفاطميين ، وفى العصر الأيوبى أصبح لقب مولانا من أهم ألقاب السلاطين والملوك ، منذ عهد صلاح الدين الأيوبى الذى أوصى الكتاب فى دساتيرهم باستعماله كعلم على السلطان ، (انظر) ، حسن الباشا ، الألقاب ، ص ٥١٦ ـ ٥٢١ .

(٣) السلطان : فى اللغة السلاطه بمعنى القهر ، وهى مأخوذة من اللغة الآرامية والسريانية وقد وجدت على أوراق البردى العربية منذ القرن الأول الهجرى ، وقد استعملت لأول مرة منذ عهد هارون الرشيد كلقب لخالد بن برمك ولكن لم يصبح اللقب عامًا إلا بعد أن تغلب ملوك المشرق مثل بنى بديه على الخلفاء واستأثروا بالسلطة دونهم فأتخذوا لقب السلطان سمة عامة لهم ثم صار لقبًا عاما على المستقلين من الولاة ، ومنذ عهد السلاجقة أخذ اللقب يتحدد بمدلوله كحاكم أعظم ، وورث الأتابكة اللقب عن السلاجقة وخلفهم الأيوبيين فى مصر ، (انظر) : حسن الباشا ، الألقاب ، ٣٢٣ـ٣٢٩ .

(٤) الملك : لقب يطلق على الرئيس الأعلى للسلطة الزمنية وقد عرف منذ عصر ما قبل الإسلام وأقدم من تلقب به الملك السبئى كرب إيل وتر : وقد ظل اللقب مستعملا حتى ظهور الإسلام حيث اختفى لفترة ثم عاد مرة أخرى وأطلق على الملك الموفق على بن عبدالملك بن نوح من بنى سامان سنة ٣٤٩هـ وعرف بعد ذلك فى بنى بويه والسلاجقة ، وفى العصر الفاطمى تلقب به الأمراء وبعض الوزراء ، كما احتفظ به الأيوبيين فتلقب به صلاح الدين الأيوبى ومن بعده من السلاطين . (انظر) : حسن الباشا ، الألقاب ، ص ٤٩٦ ـ ٥٠٢ .

(٥) كان أبناء السلاطين الرسوليين يتلقبون بلقب الملك ولو لم يكونوا أولياء للعهد ، وقد ورثة الرسوليين عن الأيوبيين الذين كانوا يطلقون هذا اللقب على أبنائهم ومنهم أولاد صلاح الدين . (انظر) : حسن الباشا ، الألقاب ، ص ٥٠٠ .

صغاراً أم كباراً ، فإذا ما تولى أحدهم الحكم أضيف إلى لقبه السابق لقب مولانا السلطان فيقال (مولانا السلطان الملك) بالإضافة إلى الألقاب الفخرية الأخرى والكنية التى كانت تطلق بعضها على أبناء السلاطين منذ ولادتهم فمثلاً كان السلطان المظفر قبل أن يتولى الحكم يلقب بـ (المظفر [1] وأيضاً (شمس الدين) [2] ولما تولى الحكم أضيفت إليه الألقاب الأخرى.

يلى لقب المظفر فى النص التأسيسى اسم السلطان وألقاب واسم أبيه وأسرته ونصها (يوسف بن مولانا السلطان الملك المنصور عمر بن على بن رسول) ثم يختتم النص بالدعاء للسلطان بعبارة (عز نصره) . ويعلو النص التأسيسى قطعتان حجريتان كتب على اليمنى (لاإله إلا الله) وحده وعلى اليسرى (محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

أما نصوص المصلى فقد نفذت بالخط الثلث بطريقة الحفر البارز على الجص أو النورة [شكل ٢٧٩] ، على مهاد من العناصر النباتية لأوراق ثلاثية ومرواح نخيلية وأنصافها ، كما أن قوائم الحروف تنتهى من أعلى بانكسار نحو اليمين ، ومنها الشريط الكتابى الذى يشغل وجه عقد حنية المحراب ويتضمن بعض الآيات القرآنية التى تتناسب مع وظيفة المحراب ونصها ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ، أقم الصلاة ط . ف . . ﴿ طرفى النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ، صدق الله العظيم ﴾ [3] [شكل ٢٠] .

أما جدران المصلى فقد شغلت بشريطين من الكتابات ، الأول يدور حول الفتحات المعقودة وبائكتى الصحن والمحراب ، والآخر يسير حول الجدران العلوية ، والشريط الآخير مغطى بطبقة من الملاط أخفت الكلمات تحتها مما لا يمكن معها قراءة ولوحتى جزء بسيط من

---

(١) المظفر : من الظفر وهو النصر واللقب يشتمل إلى جانب المعنى الحربى مدلولا دينيا إذ أنه يرمى إلى أن صاحبه نظراً لتقواه وصلاحه مؤيد من الله فى انتصاره على أعدائه ، وقد عرف هذا اللقب خلال العصر العباسى فأطلق على مؤنس الخادم (ت ٣٢١هـ) وورد على سكة مؤرخة من سنة ٣٢٣هـ، كما أطلق فى المغرب على ، عبدالملك بن محمد بن أبى عامر فى نص انشاء من سنة ٣٩٥هـ فى كرسى بجامع القيروان، وفى العصر الفاطمى أطلق على أنوشتكين وشاع استعماله فى العصر المملوكى وصار من الألقاب السلطانية ، وأول من تلقب به السلطان المظفر قطز . (انظر) : القلقشندى، أبو العباس أحمد بن على (ت ٨٢١هـ) ، صبح الأعشى بصناعة الإنشا، الجزأين الخامس والسادس، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية ، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، جـ٦ ، ص ٢٨ ، حسن الباشا ، الألقاب ، ص ٤٧٣ ـ ٤٧٤ .

(٢) شمس الدين : من الألقاب المركبة وتدل على أن صاحبه يشبه الشمس فى الظهور وقد تلقب به كثيرون ومنهم السلطان المظفر (صاحب الترجمة) سنة ٦٥٠هـ على سكة زبيد . (انظر) ، حسن الباشا ، الألقاب ، ص ٣٦٠ .

(٣) سورة هود آية ١١٤ .

الشريط . ولكن من خلال تدقيق النظر على هذا الشريط تتبين بعض ملامح أشكال الحروف الكتابية والتى نفذت على مهاد من العناصر النباتية الملتفة تضم أنصاف مراوح نخيلية تشبه إلى حد كبير العناصر النباتية الملتفة الموجودة أعلى محراب جامع المظفر بتعز [١] .

أما الشريط الكتابى الذى يدور حول الفتحات المعقودة فيتضمن آيات قرآنية متتالية من سورة النور تتناسب مع وظيفة المبنى الذى يشع منه نور الإيمان عبادة وعلماً . تبدأ الكتابات من زاوية اتصال العقد العمودى - على يمين المحراب - بجدار القبلة بقوله ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ثم تستمر الكتابات على عقد الشباك الواقع على يمين المحراب بقوله تعالى ﴿ الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة) [٢] وتكتمل الآية حول عقد صدر المحراب وعقد الشباك الواقع على يسار المحراب وربما أن الآيات التالية لآية النور مكتوبة على العقد العمودى الغربى وواجهات عقود بائكة المحراب والعقد الشرقى العمودى على جدار القبلة [شكل ٢٠] .

وهذه الأشرطة تشبه من حيث الشكل أشرطة جدران جامع المظفر والمدرستين المعتبية والأشرفية [٣] والجامع الكبير بزبيد [٤] والمدرستين المنصورية جبن والعامرية رداع [٥] .

وتعتبر نصوص جامات العقد الأوسط من بائكة المحراب من النصوص المهمة فى الجامع ولكن للأسف لم يتبق منها سوى جامتين تحملان عبارات دعائية للسلطان ، الجامة اليمنى عليها عبارة (عز لمولانا السلطان الملك المظفر شمس الدنيا والدين [٦] عــز الإســلام والمسلمين[٧] سيد . . . [٨] [شكل ٢٣] والجامة اليسرى عليها عبارة (. . . من الظالمين [٩]

---

(١) Sadek, Noha : Op. Cit. P. 329.	(٢) سورة النور، آية ٣٥ وما بعدها .

(٣) عبدالله الراشد، المنشآت المعمارية ، ص ١٨٨ ، ٢٠٥ . Sadek, Noha: Op. Cit. P. 181, 182, 196, 211.	(٤) مصطفى شيحة، المدخل، ص ٤٧ .

(٥) مصطفى شيحه، المدخل، ص ٨٨، محمد سيف النصر، نظرة عامة ، ص ١٧ .

(٦) شمس الدنيا والدين : من الألقاب المركبة وقل تلقب به كثيرون منهم السلطان المظفر (صاحب المنشأة) حيث ورد على سكة له من سنة ٦٤٩هـ (أول سنة من سنين حكمه) وقد وجد هذا اللقب أيضا على صينية تحمل اسم السلطان المظفر محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة برقم ١٥١٥٣ . (انظر) : حسن الباشا، الألقاب، ص ٣٦٠، ربيع حامد خليفة، الفنون الإسلامية فى عهد الدولة الرسولية (٦٢٦ ـ ٨٥٨هـ/ ١٢٢٩ ـ ١٤٥٤م) (التحف المعدنية)، مجلة كلية الآداب، جامعة صنعاء، عدن ٨ : سنة ١٩٨٨م، ص ٢١ .

(٧) عز الإسلام والمسلمين : من الألقاب المركبة وكان فى بدايته يقتصر على لقب (عز الإسلام) كما فى ألقاب أحمد بن مروان على نقش مؤرخ بسنة ٤٢٦هـ من ديار بكر ، وكان أيضًا من ألقاب الوزراء الفاطميين ، أما لقب عز الإسلام والمسلمين فهو من ألقاب الرتبة الوسطى من نواب السلطنة وأمثالهم وإن كان يطلق أيضًا على بعض الملوك . (انظر) : حسن الباشا ، الألقاب ، ص ٤٠٠ ، ٤٠١ .

(٨) سيد : يأتى بعدها فى الغالب (الملوك والسلاطين) . (انظر) : القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ٦ ، ص ١٢٤=

أوحد ملوك الزمن [1] سلطان الحرمين [2] والهند واليمن وارث ملك أسعد الكامل) [شكل ٢٤] .

والعبارات الأخيرة لابد أن نقف عندها كثيراً لكونها ألقاباً تطلق لأول مرة ، كما أن مدلولها يتجاوز حدود المكان ـ اليمن ـ إلى أماكن بعيدة ـ الهند ـ مما يدل على امتداد نفوذ السلطان المظفر ـ ولو معنوياً ـ خارج نطاق مملكته المحددة مكانياً .

فمثلاً لقب (أوحد ملوك الزمن) يمكن أن يفسر اتخاذ السلطان له على تفرده بالحكم بعد تغلبه على المنافسين له من أبناء البيت الرسولى ومنه ابن عمه فخر الدين بن بدر الدين الحسن بن على بن رسول وكذلك أخويه المفضل والفائز حيث أن والده ـ السلطان المنصور عمر ـ كان قبيل مقتله قد أقصى ابنه الأكبر المظفر من ولاية العهد وولاه مدينة المهجم وأعمالها وعين ابن الأصغر المفضل ولياً للعهد وحلف العسكر والعلماء والأعيان له ، مما أثار حفيظة المظفر وهم بالخروج إلى بغداد لتقديم شكوى إلى الخليفة العباسى المستعصم بالله ـ باعتباره خليفة المسلمين ـ مما فعله والده من تقديم أخيه الأصغر عليه ، إلا أن مقتل السلطان المنصور فجأة سنة ٦٤٧ هـ أثنى عزم المظفر عن الخروج إلى بغداد وقام بتجميع الموالين له من الجند والرعية واستولى على زبيد ثم عدن وتعز وأسر ابن عمه فخر الدين الذى ادعى السلطنة ثم حاصر أخويه فى حصن الدملوه حتى تم الصلح بينهم واعترفا له بالسلطنة سنة ٦٥٠ هـ .

وأما لقب سلطان الحرمين فكان من الطبيعى أن يتخذ هذا اللقب باعتبار أن الدولة الرسولية هى المسيطرة على الأراضى المقدسة منذ أن تمكن والده السلطان المنصور من الاستيلاء عليها

= (٩) من الظالمين : يسبقها دائما عبارة (منصف المظلومين) والنقص هنا ليس فى نفس الجامة وإنما بداية العبارة كان فى الجامة الوسطى التى سقطت كتاباتها ، وقد وجدت العبارة كاملة على كتابات دركاة المدخل ، وقد أطلق هذا اللقب لأول مرة على نور الدين زنكى سنة ٥٥٨هـ بعد انشائه لدار العدل التى قصد منها رد الظلم عن الناس ، وقد سار المظفر على نهج نور الدين وتلقب بهذااللقب لما كان يشهر عنه من العدل فى الرعية حتى أنه أنشأ له قبة بجوار دار العدل عرفت باسم قبة دار العدل بالقرب من باب العقد من حصن تعز (القاهرة) مقر إقامته بهدف مراقبة الأحكام وإنصاف المظلوم من الظالم . (انظر) : حسن الباشا ، الألقاب ، ص ٥١١ ، ٥١٢ ، الأفضل عباس : العطايا السنية ، ص ٥٨ .

(١) أوحد ملوك الزمن : من الألقاب المركبة ، وقد أطلق لقب الأوحد لأول مرة على الوزير أبو القاسم على بن أحمد سنة ٤٢٧هـ ثم استعمل كلقب مؤلف مع كلمات أخرى ولكن ليس من بينها هذا اللقب ، (انظر) ، حسن الباشا ، الألقاب ، ص ٢١٧ ، ٢١٨ .

(٢) سلطان الحرمين : ليس هناك من تلقب بهذا اللقب إلا المظفر . وإنما كانت الألقاب المضافة إلى الحرمين تأتى بصيغة صاحب الحرمين كما فى نص يخص الصالح نجم الدين أيوب من سنة ٦٤٧هـ وكذلك لقب خادم الحرمين . (انظر) . حسن الباشا ، الألقاب ، ص ٣٧١ ، ٥٠٦ .

سنة (٦٣٩ هـ) / (١ / ١٢٤٢ م) من أيدى الأيوبيين بعد معارك استمرت لعدة سنوات [١]
ولما قتل السلطان المنصور سنة ٦٤٧ هـ انشغل المظفر بمحاربة أخويه فقام أشراف مكة يطرد ولاة بنى رسول منها وتولوا أمرها حتى تمكن المظفر من استردادها من أيديهم سنة ٦٥٢ هـ [٢] .

أما لقب سلطان الهند فهو لقب محير نظراً لأن المظفر كان أول من تلقب به من بنى رسول ولا نعرف السبب الذى دعاه إلى اتخاذه ، خاصة وأن المصادر لم تشر إلى امتداد نفوذ بنى رسول ـ ولو اسمياً ـ على الهند إلا فى عهد السلطان الأشرف اسماعيل الثانى وذلك سنة ٧٩٥هـ [٣] .

وربما أن المظفر قصد به الإدعاء بأحقية دولته الرسولية بميراث أملاك الدولة الأيوبية خاصة وأن آخر سلاطينها الأقوياء الصالح نجم الدين أيوب كان من ضمن ألقابه (ملك الهند والسند واليمن) [٤] .

وقد يفسر ذلك أيضاً على أن المظفر أعطى لنفسه الحق فى اتخاذ هذا اللقب كون الرسوليين هم المسيطرين والمتحكمين بطرق التجارة البحرية مع الهند المارة عبر باب المندب . وإن كان من المرجح أن السلطان المظفر اتخذ لقب سلطان الهند بعد سنة ٦٧٨ هـ عندما تمكن من الإستيلاء على ظفار حيث جاءه رسل الهند والصين مهنئين له بالنصر [٥] .

أما لقب (وارث ملك أسعد الكامل) فإن السلطان المظفر يعتبر أول من اتخذ هذا اللقب من بنى رسول وربما أنه أراد بذلك تأكيد أمرين اثنين :

الأول : نسبة بنى رسول إلى الغساسنة ملوك الشام قبل الإسلام والذين ترجع أصولهم إلى اليمن وكان آخر ملوكهم جبلة بن الأيهم [٦] الذى ينتسب إليه بنو رسول والذى ينتسب

---

(١) محمد عبد العال أحمد، بنو رسول وبنو طاهر، ص ١٠٠ ـ ١٠١ .

(٢) محمد عبدالعال أحمد، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٣٦١ ـ ٣٦٤ .

(٣) فى سنة (٧٩٥ هـ / ١٣٩٣م) أرسل تجار قاليقوط بالهند كتابًا إلى السلطان الأشرف الثانى يعلنون فيه ولائهم له ويستأذنونه بالسماح لهم بالخطبة له على منابر بلادهم فوافق الأشرف على ذلك . (انظر)، الخزرجى، العسجد المسبوك، ص ٤٧٥ ، العقود اللؤلؤية، جـ ٢ ، ص ٢٠٣ ، ٢٠٦ ، محمد عبدالعال أحمد، بنو رسول وبنو طاهر، ص ٤٣٨ .

(٤) حسن الباشا، الألقاب، ص ٥٠٦ .

(٥) محمد عبدالعال أحمد، بنو رسول وبنو طاهر، ص ٤٣٦ .

(٦) جبلة بن الأيهم : آخر ملوك الغساسنة فى الشام، أسلم بعد معركة اليرموك إلا أنه سرعان ما ارتد عن الإسلام وانتقل بمن معه إلى بلاد الروم وعاش فى القسطنطينية وبعد موته انتقل أبناؤه إلى بلاد التركمان واختلطوا مع قبيلة منجك حتى خفى نسبهم ولذلك نسبوا إلى قبيلة منجك . (انظر): الخزرجى، العسجد المسبوك، ص ١٩٠ ، محمد عبد العال أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر، ص ٤٣ ، ٤٤ .

بدوره إلى سبأ ـ عبد شمس ـ بن يشجب بن يعرب بن قحطان جد أهل اليمن عامة [1] .

الثانى : تأكيد أحقية بنى رسول بملك اليمن باعتبارهم من الغساسنة الذين نزحوا منها قبل الإسلام مما يجعلهم الورثة الشرعيين لبلاد اليمن وخاصة مملكة حمير التى كان من اشهر ملوكها التبع اليمانى أسعد الكامل السابق ذكره .

ويبدو أن الهدف الرئيسى من اتخاذ هذا النسب كان اكتساب قلوب عامة الشعب باعتبار أن بنى رسول من أصل يمنى مما يدعم مركزهم فى الحكم ويزيد من قوتهم سياسياً أمام الأئمة الزيديين الذين ينتسبون إلى الرسول (ﷺ) فضلاً عن إشعار أهل اليمن بأن الحروب التى يقوم بها لتوحيد بلاد اليمن تحت حكمه إنما هى استمرار لجهود جده أسعد الكامل الذى وحد بلاد اليمن وأجزاء كبيرة من الجزيرة العربية بما فيها مكة ويثرب ـ المدينة بعد الإسلام ـ حيث تمكن المظفر من استرداد الأراضى المقدسة وكذلك ظفار وأجبر الأئمة على الدخول تحت طاعة الدولة الرسولية حتى أن جهوده المتواصلة لتوحيد اليمن قد وجد لها نوعاً من الاحترام والإعجاب عند خصومه الألداء وهم الزيديين بقيادة الإمام المطهر فعندما توفى المظفر قال فيه المطهر (مات تبع الأكبر مات معاوية الزمان مات من كانت أقلامه تكسر سيوفنا ورماحنا)[2] .

أما الشريط الكتابى الذى يدور حول عقود فتحات الواجهات المطلة على الصحن فإنه معظمه يختفى تحت طبقة سميكة من الملاط ، وقد حاول الباحث إزالة أجزاء من الملاط بهدف التعرف على ما يحتوى عليه الشريط من كتابات ونوعية الخط والزخارف حيث وجد أن الكتابان نفذت بالخط الثلث المحفور حفراً بارزاً تتخلل الكتابات زخارف نباتية قوامها أوراق نباتية وأنصاف المراوح النخيلية ، أما الكتابات فتشتمل على عبارات دعائية بالإضافة إلى بعض ألقاب السلطان واسمه وألقاب واسم أبيه وأسرته يليها لقب (خليل أمير المؤمنين) [3] على يسار الإيوان الجنوبى [شكل ٣٠] وهذا اللقب يشير إلى اعتراف بنى رسول بالخلافة

---

(١) توصل الدكتور محمد عبدالعال أحمد بعد مناقشة الآراء التى قيلت فى نسب بنى رسول إلى أنهم ليسوا من الغساسنة وليسوا من العرب وإنما كان انتسابهم إلى أصل يمنى يهدف إلى اكتسابهم الصفة الشرعية فى الحكم. (انظر) ، محمد عبد العال أحمد، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٤١ ـ ٥٢ .

(٢) الخزرجى ، العسجد المسبوك . ص ٢٧٢ ، اسماعيل الأكوع ، المدارس ، ص ٨٥.

(٣) خليل أمير المؤمنين ، من ألقاب أولاد السلطان وربما كتب به لبعض الملوك ، والخليل بمعنى الصديق ، وقد عرف هذا اللقب لأول مرة فى الخلافة الفاطمية حيث أطلق على اليازورى ثم اتخذه الأيوبيين كلقب لهم بعد أن قام الخليفة المستضيئ بإطلاقه على صلاح الدين ، وقد ورد هذا اللقب على الآثار فى نص انشاء من سنة ٥٨١هـ على قلعة جندى بسوريا ، وفى العصر المملوكى كان اللقب يطلق على أولاد الملوك . (انظر) ، القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ٦ ، ص ٤٧ ، حسن الباشا ، الألقاب ، ص ٢٠٠ ، ٢٠١ .

العباسية حتى بعد سقوطها فى بغداد وانتقالها إلى القاهرة على عكس ما ذكرته بعض المصادر من ادعاء سلاطين بنى رسول الخلافة ومما يؤكد ذلك أن التحف المعدنية الرسولية التى تعود إلى عصر السلطان المظفر نجد عليها هذا اللقب [1] .

وأما بقية كتابات الشريط فتتركز معظمها على واجهة المجنبة الشرقية المطلة على الصحن وتتضمن بعض عبارات التهديد والوعيد لمن يغير وظيفة البناء مما يعتقد معه أنها تمثل جزءاً من وثيقة الوقف أو مختصراً لها ومن هذه العبارات التى أمكن قراءتها [شكل ٣١] . (أيامه الصاراب سلحاً) [2] فى وجه الزمن واعداً يسحنه مصروف المحن ما ﴿ اتخذ هذا ﴾ [3] قبر وسكن) .

ويلى هذه العبارات عدد من الكلمات غير مقروءة يليها التأمين (آمين) ثم يختم الشريط بالصلاة على النبى (ﷺ) (وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وآله وسلم) يليها الغرض من إنشاء المسجد والمدرسة (وذلك ابتغاء وجه الله العظيم وذخراً ليوم العذاب الأليم وتصديق الرسول الكريم قال صلى الله عليه وسلم من بنا مسجداً لله ولو كمفحص قطاة بنا الله له بيتاً فى الجنة) .

ويلى نص الحديث تاريخ الانتهاء من بناء الجامع ونصها (وكان ذلك بتاريخ شهر شوال سنة اثنين وثمانين وستمائة « ٦٨٢ ») [شكل ١٧] وهو تاريخ يعود إلى فترة حكم السلطان المظفر التى استمرت من سنة ٦٤٧ وحتى ٦٩٤ هـ .

وأما كتابات الإيوان الجنوبى فتمثل آيات قرآنية من سورة الإنسان تبدأ بقوله تعالى ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً ﴾ إلى قوله تعالى (وذللت قطوفها تذليلاً . صدق الله العظيم) [4] [شكل ٢٨] .

إن وضع هذه الآيات على جدار الإيوان الجنوبى ربما تعطينا بعض التفسيرات التى قد تعنى أن السلطان كان قد نذر بأن يبنى مدرسة أو مسجداً وهو هنا يوفى بنذره فضلاً عن أن الآيات لتالية للآية السابقة تحض على الإطعام والإنفاق مما قد يفسر معها أن الإيوان الجنوبى كان يتم

---

(١) منها صدرية تحمل اسم السلطان المظفر محفوظة بمتحف الفن الإسلامى برقم ٨٤٥٣ . (انظر) ، ربيع خليفة ، الفنون الإسلامية ، ص ١٩ .

(٢) هذه الكلمات غير مقروءة وربما أن الكلمة الأولى «الطيبات» أو «المظلمات» وأما الثانية فربما كانت «سلاحًا» .

(٣) يلى كلمة (ما) جزء من الشريط مغطى بطبقة من الملاط ربما أن تحتها كلمتان تكملان النص وهما (اتخذ هذا) .

(٤) سورة الإنسان : آية ٧ ـ ١٤ .

فيه إطعام الطلبة والمدرسين فيه وأن الأطعام لم يكن قاصراً على المرتبين فى المسجد وإنما ربما كان ينضم إليهم بعض الفقراء وأهل السبيل .

أما بالنسبة لكتابات دركاة المدخل فإن معظمها أيضاً مغطى بالملاط ولـم يتمكن الباحث من ازالة سوى أجزاء بسيطة من الملاط أيضاً لمعرفة ما تحتويه الكتابات حيث يبدأ النص من الركن الشمالى الشرقى للدركاة حول عقد باب السلم بكتابات مغطاة بالملاط يليها بعض الألقاب الفخرية للسلطان ومنها على الجدار الشمالى للدركاة (١) العالم (٢) العادل (٣) ، المجاهد(٤)، المرابط (٥) ، المؤيد (٦) ، المنصور (٧) .

---

(١) ربما يسبق كلمة «العالم» اسم السلطان وألقابه وفقا لترتيب الألقاب التى أوردها القلقشندى حيث يبدأ اللقب بـ (السلطان السيد الأجل الملك [فلان] العالم العادل . . الخ ، (انظر)، القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٦، ص ١٢٣.

(٢) العالم : من ألقاب العلماء وأيضًا من الألقاب المشتركة بين رجال الحرب والإدارة وهو من الألقاب التى يعتز بها الملوك، وقد ورد لأول مرة على الآثار الإسلامية على نص من سنة ٤٣٣هـ يحمل اسم معز الدولة أرسلان تكين أبى الفضل العباسى، وقد تطور اللقب فى العصر المملوكى ليصبح من ألقاب السلاطين . وفى اليمن ورد هذا اللقب على صينية تحمل اسم السلطان المظفر محفوظة فى متحف الفن الإسلامى برقم ١٥١٥٣ . (انظر) حسن الباشا : الألقاب، ص ٣٩٠، ربيع خليفة ، الفنون الإسلامية، ص ٢١ .

(٣) العادل: من ألقاب الملوك ونحوهم من ولاة الأمور، وهو من ألقاب الصفات، وقد ورد كصفة عامة للسلاطين فى بعض النقوش فأطلق على أبى العباس مأمون بن مأمون خوارزم شاه فى نص مؤرخ بسنة ٤٠١هـ ، كما تلقب به الوزراء الفاطميين ومنهم ابن المغربى، ثم أطلق على سلاطين المماليك، وفى اليمن ورد هذا اللقب على صدرية السلطان المظفر السابق ذكرها (انظر)، حسن الباشا، الألقاب، ص ٣٨٨، ربيع خليفة ، الفنون الإسلامية، ص ٢١ .

(٤) المجاهد: يستمد هذا اللقب من تعاليم الإسلام التى تحث على الجهاد بالنفس والمال فى سبيل نشر الإسلام والحفاظ عليه . وقد ورد هذا اللقب على نص انشاء من سنة ٤٤٢هـ، على جسر تورا بدمشق، كما تلقب به طغتكين بن أيوب فى نص انشاء مدرسة بدمشق سنة ٥٢٤هـ، وأيضا ضمن ألقاب نور الدين زنكى على الجامع النورى بحماة سنة ٥٥٨هـ واستمر اللقب فى العصر المملوكى حيث ورد ضمن ألقاب السلطان الناصر محمد بن قلاوون . وفى اليمن ورد هذا اللقب على صدرية السلطان المظفر السابق ذكرها . (انظر)، حسن الباشا، الألقاب، ص ٤٥١، ٤٥٢هـ، ربيع خليفة ، الفنون الإسلامية، ص ٢١ .

(٥) المرابط: من الرباط وهو ملازمة ثغر العدو، وهو من الألقاب التى ظهرت منذ عهد السلاجقة ثم الأتابكة والأيوبيين كصدى لمرابطتهم وجهادهم للصليبيين، وقد ورد هذا اللقب على الآثار فى نص انشاء من سنة ٤٤٢هـ على جسر تورا بدمشق، كما تلقب به طغتكين بن أيوب والسلطان المملوكى الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٢هـ، وفى اليمن ورد هذا اللقب على صدرية السلطان المظفر السابق ذكرها . (انظر)، حسن الباشا، الألقاب، ص ٤٦٦، ٤٦٧هـ، ربيع خليفة، الفنون الإسلامية، ص ٢١ .

(٦) المؤيد : اسم مفعول من الأيد والمراد به أن الله يؤيده ويقويه وكان هذا اللقب من الألقاب الملكية فأطلق على أحمد بن مروان فى نقش من ديار بكر مؤرخ بسنة ٤٢٦هـ. (انظر): حسن الباشا، الألقاب، ص ٥٢٣ .

(٧) المنصور : نعت خاص بالخليفة العباسى أبو جعفر المنصور، ثم نعت به كثيرون ومنهم عضد الدولة فنا خسرو الذى استولى على بغداد سنة ٣٦٦هـ، كما أطلق على الخليفة الأموى بالأندلس عبدالله بن هشام فى نقش من سنة ٣٩٥هـ، وقد استعمل هذا اللقب فى العصر المملوكى فى مصر . أما فى اليمن فإن هذا اللقب أطلق على مؤسس الدولة الرسولية المنصور عمر بن على بن رسول (٦٢٦ - ٦٤٧هـ) . (انظر)، حسن الباشا، الألقاب ، ص ٥١٢، ٥١٣ .

وهذه الألقاب كان لبعضها دلالات تنطبق على حياة السلطان المظفر ، فمثلاً أطلق لقب (العالم) عليه لأنه كان بالفعل عالماً بمختلف العلوم وعرف عنه كثرة المطالعات وله العديد من المؤلفات فى الحديث والطب وغيرها [1] ، وأما لقب (العادل) فقد كان السلطان موصوفا بالعدل بين الرعية حتى أنه اتخذ قبة له بجوار دار العدل لكى يراقب الأحكام وينصف المظلوم من الظالم [2] .

وأما لقب (المجاهد ، والمرابط) فيبدو أن السلطان المظفر اتخذهما بعد مشاركته فى الجهاد ضد الصليبيين حيث تذكر المصادر التاريخية أن المظفر كان له خمسمائة جندى فى مصر يجاهدون الصليبيين مع تحمله كافة نفقاتهم[3] .

ثم يلى هذه العبارات عدة كلمات غير مقروءة ربما كانت بعضها تحمل لقب السلطان الذى شهر به وهو المظفر ، والذى وجد على العمائر والتحف التى تعود إلى عصره يسبق العبارات التالية (شمس الدنيا والدين) .

يلى الجزء الغير مقروء من النص القاب أخرى منها (شمس الدينا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، منصف المظلومين من الظالمين) [4] يليها بعض الكلمات الغير مقروءة على عقد المدخل الموصل من الدركاة إلى الفناء .

أما كتابات الجدار الغربى للدركاة فتضم العبارات التالية (. . . من الأقربين والأبعدين ، محى العدل) يليها على الجدار الجنوبى للدركاة (فى العالمين [5] ، ممهد قواعد الخلافة [6] ، معدن الفضل والرأفة والرحمة) [7] ، فخر الملوك العصرية [8] .

---

(١) انظر مؤلفات السلطان المظفر فى ترجمته فى الفصل الأول من الباب الثانى .

(٢) الأفضل عباس، العطايا السنية، ص ٥٨ .

(٣) الجندى، السلوك، جـ٢، ص ٥٥٢، الخزرجى، العقود اللؤلؤية، جـ١ ، ص ٢٣٥ ، العسجد المسبوك، ص ٢٧٣، محمد عبدالعال أحمد، بنو رسول وبنو طاهر: ٢٧٤ .

(٤) هذه العبارة سبق شرحها.

(٥) محى العدل فى العالمين، من الألقاب السلطانية وهو لقب يشير إلى احترام الملوك للعدل وقد أطلق على السلطان الأشرف شعبان فى مدرسته سنة ٧٧٠هـ، (انظر): القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٦ ، ص ٦٩، حسن الباشا، الألقاب: ص ٤٦٤ .

(٦) ممهد قواعد الخلافة : الممهد هو الذى يمهد الممالك ويدوخها وقد أضيف إلى الكلمة بعض الكلمات لتكوين ألقاب مركبة. (انظر): القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٦ ، ص ٣٠، حسن الباشا، الألقاب، ص ٥٠٩ ، ٥١٠ .

(٧) معدن الفضل والرأفة والرحمة : لقب مركب من كلمة معدن وتدل على النقاء والأصالة وبعض الكلمات التى تدل على اتصاف السلطان بالشفقة والعطف والرحمة وهذا اللقب لم أجد له تفسيراً فى كتب الألقاب.

(٨) فخر الملوك العصرية : من الألقاب الجديدة التى اتخذها السلطان المظفر وهو لقب مركب.

والألقاب الأربعة الأخيرة من الألقاب الجديدة التى أطلقت لأول مرة على السلطان المظفر، حيث لم يسبقه أحد فى اتخاذها ، ويبدو أنها أطلقت عليه بعد قيامه بعدة أعمال أهلته لاتخاذها ، فمثلاً لقب « محى العدل فى العالمين » أطلق عليه بعد بنائه قبة دار العدل فضلاً عن أنه كان يهتم بالرعية ، ويأمر الولاة والمقطعين بالعدل فيهم ، وألا يكلفونهم فوق طاقتهم ، وإذا بلغه أن أحد الولاة جار على الرعية عاقبة وعزله ولا يوليه مرة أخرى عليهم حتى لا ينتقم منهم [1] ، وقد ذكر الدكتور حسن الباشا أن هذا اللقب أطلق لأول مرة على السلطان المملوكى الأشرف شعبان (حكم ٧٦٤ ـ ٧٧٨ هـ) [2] ، إلا أنه من الملاحظ أن السلطان المظفر قد سبق الأشرف شعبان فى اتخاذ هذا اللقب .

وأما لقب « ممهد قواعد الخلافة » فربما اتخذه السلطان المظفر بعد أن تمكن من القضاء على الإمام الزيدى أحمد بن الحسين سنة ٦٥٦ هـ ، حيث كان الخليفة العباسى المستعصم قد أمره ـ عندما أرسل له الخلعة ـ أن يستأصل هذا الإمام [3] .

وأما لقب « معدن الفضل والرأفة والرحمة » فقد اتخذه السلطان لقبا لما كان يشهر عنه من عدل فى الرعية وعطفه عليهم .

وبعد انتهاء عقد المدخل الرئيسى يعود الشريط الكتابى إلى استقامته متضمناً الألقاب التالية (السيف والقلم ، حائز جلال الرتبتين العلْم والعَلَم) [4] ، وهذين اللقبين نلمس أثرهما على حياة السلطان المظفر ، فإلى جانب اتصافه بالعلم كان كثيراً ما يقود الجيوش بنفسه لمحاربة أعدائه [5] ، والسلطان المظفر هنا يسبق السلطان المملوكى قيتباى فى اتخاذ هذه الألقاب .

ويحتوى الجامع على أشرطة أخرى غير الأشرطة السابقة تسير حول أعالى الجدران والبوائك ، فضلاً عن الأشرطة الكتابية المنفذة على هيئة جامات دائرية تحصر أطباقاً نجمية والتى تعلو العقود العمودية على جدار القبلة وبائكة المحراب ، إلا أن هذه الكتابات غير مقروءة بسبب طبقات الملاط التى تخفيها تحتها ، ولذلك يحتاج الجامع إلى فريق من المرممين

---

(١) الخزرجى، العقود اللؤلؤية ، جـ١ ، ص ٢٣٤، العسجد المسبوك، ص ٢٧٣.

(٢) حسن الباشا، الألقاب ، ص ٤٦٤.

(٣) الخزرجى، العقود اللؤلؤية، جـ١، ص ٩٦ ، ٩٧ ، العسجد المسبوك، ص ٢١٩ ، ٢٢٠ ، محمد عبدالعال أحمد، بنو رسول وبنو طاهر، ص ١٣٧، ١٤١ .

(٤) ربما يسبق كلمة السيف ما يلى (مالك فضيلتى) أو (صاحب) أو (ثقة ثقات) واللقبان المذكوران يدلان على استئثار صاحبهما بالسلطتين العسكرية والمدنية أو سيطرته على العسكريين والمدنيين فى دولته أو تمكنه من شئون الحرب والإدارة. (انظر)، حسن الباشا، الألقاب، ص ٢٩٤، ٣٧٣.

(٥) (انظر)، حروب المظفر وعلمه فى هذه الرسالة، الفصل التمهيدى، الفصل الأول من الباب الثانى.

المتخصصين لإزالة ما أضيف إلى جدرانه من ملاط ودهانات ، وعند ذلك فقط يمكن معرفة ما تحتويه كتابات الجامع الأخرى من نصوص قد تكون آيات قرآنية أو أحاديث نبوية أو عبارات دعائية أو نصوص تجديد الخ .

تلك كانت كتابات الجامع الكبير أما كتابات مسجد المدرسة فقد تساقط معظمها وما بقى منها غطى بطبقة من الملاط حالت دون قراءتها .

(د) ـ العناصر النباتية :

تعتبر العناصر الزخرفية النباتية من أقل العناصر استعمالاً فى الزخرفة على المساجد والمدارس فى مدينة حيس ، وربما كان سبب ذلك تفضيل الفنان للعناصر الهندسية التى كانت فيما يبدو مقبولة أكثر من العناصر النباتية فى زخرفة المنشآت الدينية .

ومن أهم العناصر النباتية الموجودة على مساجد ومدارس حيس :

• الوريدات :

انتشرت كثيراً فى زخرفة العمائر والتحف الإسلامية عامة وكان اختيارها كعنصر زخرفى فقط أما فى العصر الرسولى فإن رسم الوريدة أصبح ذا مدلول خاص باعتبارها شعار الدولة[1] وخاصة الوريدة الخماسية البتلات والتى وجدت على مختلف المنشآت والتحف الرسولية .

ولكن من المستغرب عدم وجود الوريدة الخماسية على مساجد ومدارس حيس وخاصة الجامع الكبير الذى شيده السلطان المظفر الرسولى ، والوريدة الموجودة على هذا الجامع هى السداسية البتلات [2] والتى تحتل مراكز الأطباق النجمية [3] ـ تتوسط الترس ـ التى تزين الجدران .

---

(١) يروى المؤرخ ابن فضل الله العمرى أنه رأى الراية الرسولية وقد رفعها السنجق سنة ٧٣٨هـ فى مكة وكانت عبارة عن قطعة بيضاء فيها ورود حمراء كثيرة، وقد أجمع علماء الآثار على أن هذه الوريدة (الخماسية) كانت شعار بنى رسول. (انظر)، القلقشندى، صبح الأعشى، جـ ٥، ص ٣٤، أحمد عبدالرازق أحمد، الفخار المصرى المطلى فى العصر المملوكى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة القاهرة، ١٩٦٨م. ص٢٤٥، سعيد محمد مصيلحى، أدوات وأوانى المطبخ المعدنية فى العصر المملوكى، دراسة أثرية وفنية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، (١٣٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ص ٢٨١، ربيع خليفة، الفنون الإسلامية، ص ٣١، ٣٢. Sadek, Noha : Op. Cit. P. 361

(٢) عثر على أقدم وريدة سداسية فى اليمن فى الجامع الكبير بصنعاء من سنة ٢٦٥هـ/ ٨٧٩م إلا أن بتلات الوريدة ذات زوايا حادة وليست مقوسة. (انظر)، Finster, Barbara : Archäologishe berichte, Band9, P. 10.

(٣) ربما أراد الفنان من وضع الوريدة داخل ترس الطبق النجمى الذى تنطلق خطوطه إلى مختلف الاتجاهات كنوع من التأكيد على مركزية الحكم، وجهود السلطان التى تهدف إلى توسيع رقعة الدولة فى مختلف الاتجاهات.

وقد وجدت الوريدة السداسية بكثرة على منشآت السلطان المظفر والتحف التى تعود إلى عــصــره [١] ، وهذا لا يعنى أو الوريدة الخماسية لم تكن موجودة فى عصر المظفر ولكن وجودها كان أقل من الوريدة السداسية .

أما المنشآت التى تعود إلى ما بعد عصر السلطان المظفر فتنتشر عليها الوريدة الخماسية أكثر من الوريدة السداسية ومنها المدرسة المعتبية ؛ والمدرسة الأشرفية والتى تشاهد فيها الوريدة الخماسية منتشرة فى مراكز وبواطن القباب والأقبية كما وجدت تحتل مركز الطبق النجمى فى المدرسة التقوية بتعز وكذلك على العملات التى سكت فى عصر السلطان الأشرف اسماعيل وكذلك فى عصر السلطان الناصر أحمد [٢] .

ولذلك تعتقد الباحثة نهى صادق مستدلة بما ذكره ابن فضل الله العمرى وبما ذكره الباحث WILLIAM LEAF ، من أن الوريدة السداسية من قبل آل قلاوون فى مصر كشعار لهم ربما أرادوا به التميز وعدم الاعتراف بالتساوى مع الرسوليين ولا بسلطتهم على الأماكن المقدسة[٣] .

إلا أننا لا نتفق مع هذا الرأس نظراً لأن الوريدة السداسية استعملت بكثرة على المبانى والتحف الرسولية التى تعود إلى أوائل حكم الدولة الرسولية وخاصة فى فترة مؤسس الدولة السلطان المنصور عمر (٦٢٦ ـ ٦٤٧ هـ) وفترة ابنه المظفر يوسف (٦٤٧ ـ ٦٩٤ هـ) بعكس الوريدة الخماسية التى كانت قليلة الاستعمال ، وهم فى ذلك كانوا مازالوا متأثرين بأسلافهم الأيوبيين ـ لقرب عهدهم بهم ـ والتى كانت الوريدات فى عصرهم تتكون فى الغالب من ست وريقات [٤] ، وربما أن الرسوليين اضطروا إلى تغيير شعار دولتهم من الوريدة السداسية إلى الوريدة الخماسية كنوع من المخالفة لآل قلاوون الذين اتخذوا الوريدة السداسية شعاراً لهم ، وهذا يعنى أن التغيير والمخالفة كان من الرسوليين وليس من آل قلاوون .

---

(١) وجدت هذه الوريدة أيضا فى جامع ذمار مما يؤكد صحة ما ذكره الأفضل عباس من أن المظفر جدد جامع ذمار ، (انظر) ، الأفضل عباس ، العطايا السنية ، ص ٥٨ ,. Finster, Barbara: Archäologishe berichte, Band 9, PP. 123, 124. Sadek, Noha: Op. Cit. P. 264.

(٢) Sade, Noha: Op. Cit. P. 361.

(٣) Leaf, William : Development in the System of Armorial Insignia During The Ayyubid and Mamluk Periods Palestine Exploration Quarterly 1983, P. 67.

(٣) Sadek, Noha : Op. Cit. P. 263.

(٤) أحمد عبد الرازق ، الفخار المصرى المطلى ، ص ٣٤٥ .

● **الورقة الثلاثية :**

تعتبر الورقة الثلاثية من أكثر العناصر النباتية استعمالاً فى الزخرفة الإسلامية منذ القرن الأول الهجرى ، وأقدم مثل لها فى اليمن وجد فى الجامع الكبير بصنعاء من التجديدات التى تمت به سنة (٢٦٥ هـ) / (٨/ ٨٧٩ م) (١)، وقد استمر استخدامها بعد ذلك وخاصة فى العصر الرسولى الذى أقبل فيه الفنانون على استخدام الورقة الثلاثية بكثرة .

أما فى مساجد ومدارس حيس فقد تركز وجود الورقة الثلاثية فى الجامع الكبير وخاصة على الجدران التى تعلو العقود العمودية على جدار القبلة الحاملة للأقبية والتى تتكون من عدة صفوف أفقية من الأوراق المتكررة روعى فى ترتيبها وزخرفتها مبدأ التماثل والتقابل والتدابر ، وكذلك فى مراكز الجامات الدائرية التى تزين بواطن العقود وهى مكونة من أربع أوراق ثلاثية مثقوبة الوسط تتقابل رؤوسها عند شكل معين وهى فى ذلك تتشابه مع بعض الأوراق الثلاثية التى وجدت فى زخارف جامع الأزهر وضريح الخلفاء العباسيين بالقاهرة (٢).

كما استخدمت الورقة الثلاثية المحورة فى الأشرطة الضيقة التى تحدد الشريط الكتابى الذى يقع أعلى جدران القبلة والمكونة من خطين افقيين يحصران بينهما خط ثالث متموج منه أوراق ثلاثية معدولة ومقلوبة بالتبادل ، بالإضافة إلى استخدامها كمهاد للزخارف الكتابية وفى تحديد نهايات العبارات والنصوص الموجودة على جدران الجامع حيث رسمت الورقة الثلاثية تستند على نصفى مروحة نخيلية متقابلين وفى نفس الوقت تنحصر بين نصفى مروحة متدابرين ، وقد رسمت بعض الأوراق يخرج من أسفلها لسانان يتجهان نحو الفرع الذى تستند عليه الورقة بينما رسم الفص الأوسط يخرج منه فرعان يتصلان بإطار الشريط الكتابى مع إحاطة الورقة بفصى مروحة نخيلية .

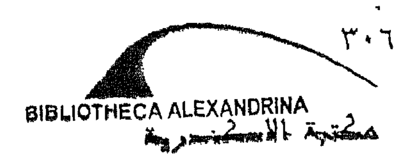
ويلاحظ تشابه الأوراق الثلاثية المرسومة فى الجامع الكبير وخاصة تلك التى استخدمت لتحديد نهايات العبارات مع الأوراق الثلاثية الموجودة فى مسجد صرخه - قرب يريم - والذى يعود تاريخه إلى نهاية العصر الأيوبى وأوائل العصر الرسولى (٣) ، وكذلك مع الأوراق الثلاثية التى تزين مصندقات جامع ظفار ذى بين الذى شيد فيما بين (٦٠٠ - ٦١٤ هـ) / (٣/ ١٢٠٤/ ١٢١٧ م) وكذلك مع الأوراق الثلاثية التى تزين محراب مسجد الصومعة بمدينة

---

(١) Finster, Barbara : Archäologishe berichte, Band 9, PP. 110. 117.

(٢) Shafi,i, Farid : Simple Calyx Ornoment in Islamic Art A Study in arabesque, Cairo university Prees 1957, P. 137.

(٣) Finster, Barbara : Archäologishe berichte, Band 10, P. 236.



حوث والذى يعود تاريخه إلى نفس تاريخ جامع ظار ذى بين [١] وأيضاً مع الأوراق الثلاثية التى تزخرف جامع أسناف بخولان وجامع ذمار [٢] .

وبالإضافة إلى ذلك فقد استخدمت الأوراق المفردة كمهاد للنصوص الكتابية والتى من أهمها : الورقة ذات الفصين كما فى الجامع الكبير وأيضاً استخدمت تشكيلات الأوراق فى زخرفة الستارة الجصية التى تعلو مدخل مسجد البخارى والمكونة من أربع أوراق متقابلة الرؤوس تحصر بينها شكل معين بحيث تظهر الأوراق الأربع وكأنها شكل صليب .

• المراوح النخيلية :

استخدمت المراوح النخيلية وأنصافها فى زخرفة مساجد ومدارس حيس حيث تنتشر أنصاف المراوح فى الفراغات الناتجة عن حفر الحروف الكتابية فى الأشرطة التى تزين واجهات عقود البوائك والفتحات فى الجامع الكبير وكذلك فى الفواصل بين العبارات .

أما المراوح النخيلية الكاملة فقد استخدمت بشكل محور تتوج قمم العقود فى الجامع الكبير وخاصة عقود المصلى وعقد المحراب المسطح فى صحن الجامع ، أو تعلو النجوم السداسية التى تشغل بعض ستائر مئذنة المدرسة الاسكندرية وهى فى ذلك تشبه المراوح النخيلية الموجودة على جدران المدرستين المعتبية والأشرفية إلا أنها فى المدارس الأخيرة تتشابك مع أوراق ثلاثية وأزهار [٣] .

والمراوح النخيلية وأنصافها استخدمت بكثرة فى زخارف العمائر اليمنية قبل العصر الرسولى ومنها تلك التى تزين مصندقات الأسقف الخشبية فى الجامع الكبير بصنعاء [٤] وجامع أسناف بخولان [٥] وأيضاً تلك التى تزين جدران جامع ذمار [٦] والتى تتشابه مع أنصاف المراوح النخيلية فى كثير من المساجد الإسلامية فى مصر وفارس [٧] .

---

(١) بربارة فنستر ، تقارير أثرية ، ص ٩١ ، ١٤١ .

(٢) Finster, Barbara : Archäologishe berichte, Band 3, PP. 122, 124, 166, 169, 172.

(٣) Sadek, Noha : Op. Cit. P. 257.

(٤) Finster, Barbara : Archaologishe berichte, Band 9, PP. 112, 113.

(٥) Finster, Barbara : Archaologishe berichte, Band 3, PP. 169, 171.

(٦) Finster, Barbara : Archaologishe berichte, Band 3, PP. 122.

(٧) Shafi,i, Farid : Op. Cit. PP. 155, 159, 161, 163.

• الأشجار :

استخدمت الأشجار فى زخرفة جدران المدرسة الاسكندرية بحيس ومنها نصفا شجرة النخيل اللذان يكتنفان المحراب فضلاً عن اشتمال الستائر الجصية التى تزين البدن المثمن فى المئذنة على عدد من الأشجار المحورة ، وأيضاً الستارة الجصية التى تزين صدر المدخل الرئيسى لنفس المدرسة .

وهذه الأشجار وخاصة التى تكتنف المحراب تشبه نصفى الشجرة اللذين يكتنفان محراب المدرسة الوهابية بزبيد (٨٨٣ هـ) ، وكذلك محراب مدرسة المزجاجى بزبيد (١) .

(هـ) ـ العناصر الهندسية :

استخدمت العناصر الهندسية بكثرة فى زخرفة مساجد ومدارس حيس ومن أهم أنواع هذه العناصر :

• الأطباق النجمية (٢) :

تعتبر من أكثر وأجمل الزخارف الهندسية التى رسمت على جدران المصلى والإيوان الجنوبى وحجر المدخل فى الجامع الكبير بحيس . [شكل ١٠] .

وقد نفذت هذه الأطباق بواسطة الحفر البارز والغائر وبعضها نفذ بواسطة الحز مع تلوين أجزاء الطبق النجمى بألوان متعددة من أهمها اللون الأحمر واللون الأسود واللون الذهبى [شكل ١٤١] .

وكما تعددت ألوان أجزاء الطبق تعددت أشكاله وأحجامه ما بين أطباق صغيرة وكبيرة ثمانية وعشارية واثنى عشرية مع وجود نجوم خماسية تفصل بينها .

ويمكن مشاهدة الأطباق النجمية على صدور الشبابيك فى المصلى والتى تكتنف المحراب وكذلك على الجامات الدائريةالتى تعلو العقود العمودية على جدار القبلة ، وفى الأجزاء العلوية من الجدران وفى بواطن الأقبية فى المصلى وكذلك على جدران الإيوان الجنوبى وحجر المدخل .

---

(١) Italian Institure, Materials for Atypology of Yemeni, 1987, P. 182.

(٢) الأطباق النجمية هى زخرفة هندسية ابتكرها المسلمون فى القرن (٦ هـ/ ١٢م) . انظر : فريد شافعى ، العمارة العربية فى مصر ، ص ٢١٩ .

أما بالنسبة لزخارف مسجد المدرسة فهى غير واضحة المعالم وربما كان من بينها الأطباق النجمية وخاصة فى مراكز القباب وفى البخاريات والتى وجدت أمثلة مشابهة لها فى المدارس الرسولية الأخرى ، ولكن لا نستطيع تأكيد ذلك نظراً لأن الزخارف مغطاة بطبقة من السناك والملاط مما لا يمكن معها تحديد نوعية الزخارف الدقيقة التى تشغل بواطن القباب .

وتعد زخرفة الأطباق النجمية من العناصر التى انتشرت بصورة مكثفة على العمائر الرسولية وأقدم مثال لها تلك الأطباق النجمية المحفورة حفراً بارزاً وغائراً على مئذنة جامع المظفر بالمهجم (قبل ٦٦٥ هـ) [١] والتى تتشابه إلى حد كبير مع الأطباق النجمية فى الجامع الكبير بحيس ، التى تلى زخارف جامع المهجم من حيث التاريخ .

ولذلك تعتبر زخارف الأطباق النجمية فى جامع المهجم النموذج الذى سار عليه المزخرفون بعد ذلك فى بقية مساجد العصر الرسولى سواء فى جامع حيس أو المدرسة المعتبية أو المدرسة الأشرفية [٢] وكذلك الأجزاء العلوية من جدران جامع المظفر بتعز [٣] والتى لانستطيع تحديد تاريخها نظراً لتعدد التجديدات التى حدثت للجامع سواء فى العصر الرسولى أو العصر الطاهرى .

وقد استمر استخدام الأطباق النجمية فى الزخرفة على مساجد ومدارس الدولية الطاهرية كما فى المدرسة المنصورية جبن (٨٨٧ هـ) والجامع الكبير بزبيد [٤] والتى تعود إلى فترة التجديد الطاهرى للجامع ، كما تشاهد على المدرسة العامرية برداع (٩١٠ هـ) .

• المعينات :

استخدمت المعينات ـ بالإشتراك مع أشكال اللوزات [٥] والأشكال المزواه فى زخرفة الأجزاء السفلية من جدران ظلة القبلة فى الجامع الكبير بحيس وخاصة فى المساحة المحصورة بين الشريط العلوى والجزء السفلى من الجدار بما فيها كوشات عقود الشبابيك والمحراب والتى لونت بألوان مختلفة منها اللون الأحمر للمعينات واللون الأسود للوزات واللون الدهنى للأشكال المزواه .

---

(١) Finster, Barbara : Achaologishe Berichte, Band 3, P. 200.

(٢) Sadek, Noha : Op. Cit. P. 257.

(٣) Sadek, Noha : Op. Cit. P. 258.

(٤) مصطفى شيحة ، المدخل ، ص ٢٤٧ .

(٥) تشبه لوزات الطبق النجمى .

كما استخدمت المعنيات فى زخرفة بواطن عقود بائكة المحراب والتى نفذت بواسطة الحفر بنوعية البارز والغائر على هيئة خطوط مزودوجة متقاطعة ومائلة نتج عن تقاطعها أشكال معينات ربما كانت مزخرفة بأوراق ثلاثية متدابرة يفصل بينها دوائر وربما كانت مقسمة إلى أشكال لوزات ومعينات مماثلة لتلك التى تشغل جدار القبلة والتى تتشابه مع أشكال المعينات لتى وجدت على لوح خاصة يحمل نص تجديد رخام الكعبة المشرفة على يد السلطان المظفر سنة ٦٨٠ هـ(١) ، [شكل ٦] .

وقد وجدت زخرفة المعينات على مساجد أخرى بمدينة حيس ومن أهمها المعين الموجود على واجهة كتلة محراب مسجد ابن أبي الخل إلا أنه منفذ بواسطة قوالب الآجر وليس الحفر ، وأيضاً على مئذنة المدرسة الاسكندرية والتى يقرب شكلها من معينات بواطن عقود بائكة المحراب فى الجامع الكبير من حيث الشكل أما من حيث التنفيذ فإن معينات مئذنة المدرسة الاسكندرية نفذت بواسطة الحفر البارز أو قوالب الآجر .

أما خارج مدينة حيس فإن زخرفة المعينات انتشرت فى العديد من المساجد والمدارس الرسولية كما فى عقود المدرسة المعتبية بتعز (٢) إلا أنها منفذة بالألوان بينما نفذت فى جامع حيس بواسطة الحفر البارز والغائر أو بالحز مع التلوين والتى وجدت بعد ذلك فى الجامع الكبير بزبيد (٣) .

• الأشرطة المتقاطعة :

تتكون فى الغالب من شريطين أو ثلاثة فأكثر متقاطعة مع بعضها نتج عن تقاطعها أشكال معينات ومثلثات وأحياناً أصلبة منفذة بالحفر البارز والغائر أو بواسطة تشكيلات من قوالب الآجر ، ومن أجمل أمثلتها تلك التى تحدد الأشرطة الكتابية فى الجامع الكبير ، والتى تعتبر من أقدم أنواع هذه الزخرفة على مدارس ومساجد مدينة حيس .

ويلاحظ على هذه الأشرطة محاولة المزخرف تنويع أشكالها فرسم بعضها ذات زوايا منتظمة كما فى الأشرطة التى تحدد كتابات الرواق الثانى من المصلى والجامات الدائرية أسفل قبو رواق المحراب [شكل ١٤٠ أ] وتشبهها تلك التى تحدد كتابات مسجد المدرسة إلا أنها

---

(١) عبدالسلام نظيف ، المرجع السابق ، ص ١٩٠ ، ١٩١ .

(٢) Sadek, Noha: Op. Cit. PP. 381, 383.

(٣) مصطفى شيحة ، المدخل ، ص ٤٧ .

للأسف اختفت معظمها تحت طبقات الملاط ولم يتبق منها سوى القليل على عقد المدخل الشرقى لكتلة المسجد وعلى رقاب القباب ، فى حين رسمت بعض الأشرطة على هيئة خطوط لينة انسيابية كما فى الأشرطة التى تحدد كتابات الشريط العلوى من جدران المصلى والإيوان الجنوبى والدركاة [شكل ١٤٠ ب] ، وكذلك رسمت بعض الأشرطة تتقاطع مع دوائر صغيرة كما فى الأشرطة التى تحدد الكتابات التى تسير حول عقود الفتحات وعقود البوائك من المصلى فى الجامع الكبير [شكل ١٤٠ جـ] .

وهناك نوع آخر من الأشرطة تتكون من ثلاثة خطوط متموجة تتقاطع مع بعضها نتج عن تقاطعها أشكال هندسية ذات خمس زوايا كما فى الأشرطة التى تحدد كتابات عقود الواجهات المطلة على الصحن فى الجامع الكبير [شكل ١٤٠ د] .

أما المساجد الأخرى فقد احتوى بعضها على أشرطة متقاطعة تزين الواجهات من الخارج نفذت بواسطة قوالب الآجر كما فى مسجد المدرسة (الياقوتية) ومسجد الموفى الأعلى قوامها شريطان متقاطعان نتج عنهما أشكال معينات يعلو كل معين منها شكل صليب [شكل ١٤٠ هـ] .

وهذه الأشرطة تتشابه مع الأشرطة التى تتوج الواجهات المطلة على الصحن والواجهات الخارجية لجامع المظفر بتعز [١] وكذلك الشريط الذى يتوج واجهات قاعة الدرس بالمدرسة المنصورية العليا بزبيد [٢] .

وهناك نوع غريب من الأشرطة تزين مئذنة مسجد ابن على تتكون من معين يقطعه ثلاثة خطوط : خط رأسى وخطان مائلان يتصلان بالخطوط المائلة للمعينات المجاورة بحيث يظهر الشكل العام للشريط على هيئة عرائس أو رسوم آدمية مجردة متشابكة الأيدى [شكل ١٤٠].

- **البخاريات :**

اقتصر استخدام البخاريات علي جدران وقباب مسجد المدرسة حيث شغلت كوشات العقود أسفل الحنايا الركنية وكذلك فى المساحات المحصورة بين الحنايا بأشكال بخاريات منفذة بالحفر البارز والغائر قوام كل منها جامة دائرية تخرج منها ورقتان ثلاثيتان .

---

(١) مصطفى شيحه ، المدخل ، ص ١٩٥ .Sadek, Noha : Op. Cit. PP. 363

(٢) محمد سيف النصر ، نظرة عامة ، ص ١٤٠ ، عبدالله الراشد ، المنشآت المعمارية ، ص ١٤٩ .

أما بواطن القباب فقد شغلت كل قبة بجامة دائرية تحتل مركز القبة ويتدلى منها خمس بخاريات شبيهة ببخاريات الجدران غير أنها منفذة بالألوان وهى فى ذلك تشبه بخاريات قباب جامع المظفر بتعز (١) .

وقد انتشرت زخرفة البخاريات فى العديد من المساجد والمدارس الرسولية والطاهرية ومنها : المدرستان المعتبية والأشرفية (٢) وكذلك فى المدرستين المنصورية جبن (٣) ، والعامرية رداع ، وكذلك فى الجامع الكبير بزبيد (٤) .

• **عناصر هندسية متنوعة :**

إلى جانب العناصر الهندسية السابقة تضم مساجد ومدارس حيس زخارف هندسية متنوعة تقتصر على أمثلة قليلة متفرقة فى المساجد والمدارس ومنها :

- النجوم الخماسية والسداسية التى نراها على جدران الجامع الكبير فى مناطق اتصال الأطباق النجمية ببعضها وكذلك على مئذنة مسجد الموفى الأعلى ومئذنة المدرسة الاسكندرية .
- زخرفة المفروكة التى تزين واجهات كتلة المحراب البارزة فى كل مسجد ابن أبى الخل ومسجد المدرسة (الياقوتية) وكذلك على بعض ستائر مئذنة المدرسة الاسكندرية [شكل ١٣٨] .
- زخرفة الدروع البارزة والتى تتكون من أربعة صفوف رأسية تكتنف محراب مسجد المدرسة فى كل صف خمسة دروع قوام كل منها شكل قبة صغيرة محاربة تبرز للخارج أو ترتد إلى الداخل وتتوزع بالتبادل .
- زخرفة الأشكال الدالية المنفذة بالحز والألوان على هيئة دالات متكررة أو خطوط زجزاجية لونت باللون الأحمر والدهنى بالتبادل والتى نراها على عمودى محراب الجامع الكبير [شكل ١٩ ، ٢٠] ، وهى من التأثيرات السلجوقية والأتابكية على الزخرفية الرسولية حيث وجدت قبل ذلك على عمودى محراب جامع نور الدين بحماه المؤرخ بسنة ٥٥٩ هـ ،

---

(١) Sadek, Noha : Op. Cit. PP. 330 , 353, 355, 360.

(٢) Sadek, Noha: Op. Cit. PP. 388, 460, 463, 465.

(٣) إبراهيم المطاع ، المدرسة المنصورية ، ص ٢٧٧ .

(٤) مصطفى شيحه ، المدخل ، ص ٤٧ ، ٨٨ .

وكذلك على عمودين يكتنفان البلاطة العمودية على المحراب فى الجامع الكبير بملطية [١] .

ـ الزخرفة الحلزونية [٢] والتى استخدمت فى تزيين الأعمدة الزخرفية التى تشغل جدار القبلة بمدرسة الهتارى وكذلك على الجدران الداخلية والخارجية للمصلى والمدخل الرئيسى بمسجد البخارى [شكل ٤٥] .

ـ زخرفة البوائك والتى استخدمت فى تزيين حنايا بعض المحاريب كما فى محراب الجامع الكبير ومحراب مسجد المدرسة وكذلك فى تزيين بعض القباب كما فى رقبة قبة مسجد البخارى ورقبة قبة المدرسة الاسكندرية .

ـ الأشكال المحارية والتى استخدمت فى تزيين طاقية محراب الجامع الكبير وفى الحنايا الركنية للقبة الوسطى بمسجد المدرسة (الياقوتية) إلا أنها فى الأخيرة تنطلق من أسفل الحنية إلى عقدها بينما هى فى محراب الجامع الكبير تنطلق من قمة عقد الطاقية إلى أسفلها [شكل ١٨ ، ٦٣] ، وهذا النوع من الزخرفة انتشر على مساجد ومدارس اليمن منذ فترة مبكرة وأقدم مثل باق له تلك التى تزين طاقية محراب جامع السيدة بنت أحمد فى جبلة ٤٨٠ هـ[٣]، ثم وجدت بعد ذلك فى مدارس بنى رسول التى تلت انشاء الجامع الكبير بحيس ومنها المدرسة المعتبية والأشرفية وخاصة فى مناطق الانتقال [٤] إلا أنها فى الأخيرة منفذة بالألوان وليس بالحفر أو الحز .

---

(١) فريد شافعى ، زخارف وطرز سامراء ، ص ٢٠ [الوحدة١٢] ، أصلان آبا ، فنون الترك ، ص ٨٢ ، [الوحدة٢٣ ، ٢٤] .

(٢) تتكون هذه الزخرفة من خطوط مائلة مكررة .

(٣) مصطفى شيحه ، المدخل ، ص ٦٢ .

(٤) Sadek, Noha: Op. Cit. PP. 258, 381, 388.

الخاتمة

من الدراسة التاريخية والوصفية والتحليلية لمساجد ومدارس مدينة حيس يمكن استخلاص العديد من النتائج أهمها :

أولا : نتائج تاريخية:

تاريخ مدينة حيس:

* دراسة مدينة حيس ولأول مرة دراسة تاريخية شاملة وذلك منذ نشأتها وحتى نهاية العصر الطاهرى.

وقد تمكن الباحث فى هذه الدراسة من تحديد تاريخ نشأتها بعصر ما قبل الإسلام وكذلك الحال بالنسبة لتسميتها، بالإضافة إلى دراسة تخطيطها والعوامل السياسية والاقتصادية والثقافية التى لعبت دورا مهما فى نمو المدينة وتطورها.

تاريخ الجامع الكبير:

من الغريب أن تتجاهل المصادر التاريخية المعاصرة للدولة الرسولية وكذلك المصادر اللاحقة لها خبر قيام السلطان المظفر ببناء مدرسة ومسجد فى مدينة حيس، حيث لا تشير إلى ذلك من قريب أو بعيد، وكل ما ذكرته من أعمال للسلطان المظفر فى هذه المدينة، هو بناء خانقاة للصوفية، وأن لم تحدد أيضا تاريخ بنائها ولا موقعها.

والإشارة الوحيدة التى ترد عن بناء الجامع الكبير فى حيس، أوردها المؤرخ: الجندى (ت: ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م)، والذى كان معاصرا لفترة حكم المظفر، والفترة التى تليها حيث ذكر: «أن المبارز بن برطاس [١]، بنى جامعين، الأول: فى مدينة حيس، والثانى فى مدينة

(١) المبارز بن برطاس: كان واليًا على حيس. وقد سبق التعريف به.

واسط[1] »، وإن كان الجامع الأخير تنسبه المصادر التاريخية، إلى السلطان المظفر [2]، وليس للمبارز.

والمؤرخ الجندى أيضا لم يحدد تاريخ بناء جامع حيس، ولكن من المرجح أن يكون البناء قد تم فيما بين سنة (٦٤٧ـ ٦٥٢هـ)، أثناء ولاية المبارز على حيس أواخر حكم السلطان المنصور عمر بن على بن رسول (٦٢٦ ـ ٦٤٧) وأوائل حكم ابنه السلطان المظفر (٦٤٧ ـ ٦٩٤هـ). حيث أن المبارز عُزل عن ولاية حيس سنة (٦٥٢هـ)، وعُين قائدًا لبعض الحملات العسكرية لاسترداد مكة [3] ومخلاف حجه.

ولكن الجامع يحتوى على العديد من النصوص التاريخية، أولها النص التأسيسى على المدخل الرئيسى، والذى ينص على أن البناء تم بأمر السلطان المظفر، كما أن النصوص الكتابية التى تزين جدران المسجد تحمل اسم السلطان وألقابه وعبارات دعائية له، فضلاً عن تاريخ البناء الذى يحدده النص الموجود على العقد الشمالى للمجنبة الشرقية المطل على الصحن، ونصه: « وكان ذلك بتاريخ شهر شوال سنة اثنتين وثمانين وستمائة [٦٨٢]».

ولكن هذا التاريخ يتعارض مع ما ذكره الجندى من أن الجامع من بناء المبارز بن برطاس الذى كان واليًا على حيس حتى سنة ٦٥٢هـ، والذى كان أيضا قد توفى سنة (٦٥٧هـ/ ١٢٥٩م) [4]، أى قبل بناء الجامع ـ كما جاء فى النصوص ـ بخمسة وعشرين عامًا.

والحقيقة أنه لا تعارض بين ما ذكره الجندى وما ورد فى النصوص التاريخية على الجامع، لأن ما ذكره الجندى ربما كان يُمثل تاريخ بداية بناء الجامع بأمر من السلطان المظفر لواليه على حيس ـ آنذاك ـ المبارز بن برطاس، والذى يبدو أنه كان المشرف على البناء، ولذلك اعتقد الجندى أن المبارز هو الذى بنى الجامع.

وأما ما ذكرته النصوص الموجودة فى الجامع، فتمثل تاريخ الانتهاء من البناء سنة ٦٨٢هـ مما يعنى أن البناء استمر لمدة خمسة وثلاثين عامًا، وهى فترة طويلة بالنسبة لبناء جامع، إلا إذا كان البناء يتم على فترات متقطعة من هذه المدة [5]، وقيام أكثر من وال بالإشراف على البناء، حتى انتهى سنة ٦٨٢هـ.

---

(١) الجندى، السلوك، جـ٢، ص ٥٦٤.

(٢) الجندى، السلوك، جـ٢، ص ٥٥١، الخزرجى، العقود اللؤلؤية، جـ١، ص ٢٣٣.

(٣) الخزرجى، العقود اللؤلؤية، جـ١، ص ٢٠٩.

(٤) الجندى، السلوك، جـ٢، ص ٥٦٤.

(٥) يحتمل أن البناء تم على فترات متقطعة وخاصة أن السلطان المظفر انشغل بخوض العديد من الحروب ضد منافسيه من أبناء البيت الرسولى، وكذلك ضد أشراف مكة، والأئمة الزيديين فى صعده، وكانت آخر تلك الحروب، ضد سالم بن أدريس الحبوضى، فى ظفار الحبوضى، واستيلائه عليها سنة ٦٧٨هـ، والتى نعمت بعدها الدولة الرسولية بالإستقرار، حتى وفاة السلطان، ولذلك ربما أن البناء الحقيقى لجامع حيس تم فى الفترة من ٦٧٨ ـ ٦٨٢هـ.

أما بالنسبة للعناصر المعمارية والزخرفية ، فهى تؤكد بناء الجامع فى عصر السلطان المظفر لوجود عدد من الشواهد التى تدل على ذلك ، منها :

ـ التخطيط المعمارى ، الذى جاء موافقًا للتخطيطات المميزة لمساجد ومدارس بنى رسول والذى وُجد فى عدد من المدارس ، مثل : المدرسة المعتبية (٧٩٥هـ) ، والمدرسة الأشرفية (٨٠٠ـ٨٠٣هـ) ، والاختلاف الوحيد بين جامع حيس ، والمدارس الرسولية ، يتمثل فى استخدام الأقبية فى تغطية الجامع ، أما المدارس فكانت القبة هى أكثر العناصر استخداما فى التغطيات ، وإن وُجدت أيضًا الأقبية .

ـ المدخل ذو الحجر البارز المغطى بقبو : شاع استخدامه كثيرًا فى العصر الرسولى ، وهو قريب الشبه بالمدخل الجنوبى للمدرسة المعتبية .

ـ العناصر الزخرفية الهندسية والنباتية والكتابية فى جامع حيس ، تتشابه مع تلك التى وجدت فى جامع المظفر والمدرسة المعتبية والمدرسة الأشرفية بتعز .

هذا بالنسبة للأجزاء الأصيلة من الجامع ، أما الأجزاء المجددة والتى حلت القباب فى تغطيتها محل الأقبية ، فتظهر عليها ملامح العصر الطاهرى وخاصة فى شكل القباب المدببة والتى تشبه قباب ضريح السلاطين بنى طاهر فى جبن (٨٦٤ـ ٨٨٣هـ) . وكذلك شكل المدخل الشرقى للجامع والمتوج بعقد مفصص «خماسى» يماثل العقد المفصص للمدخل الشرقى لجامع المجاهد فى جُبن (٨٦٤ ـ ٨٨٣هـ) ، والعقد المفصص لمسجد الخامرى (٨٨٢هـ) ، كما أن مئذنة الجامع الكبير بحيس بقمتها المخروطية المقرنصة وموقع المئذنة تعلو كتلة المدخل تماثل مئذنة مسجد الخامرى فى الشكل والموقع .

وتجدر الإشارة إلى أن قمم المآذن المخروطية المقرنصة انتشرت بكثرة فى أواخر العصر الرسولى وخلال العصر الطاهرى ، لاسيما فى منطقة تهامة ، ومنها مئذنة المدرسة الفرحانية (٨٣٦هـ) وجامع الأشاعر بزبيد (٨٩١هـ) ، والجامع الكبير بزبيد (٨٩٧هـ) ، والجامع الكبير بإب (٨٨٣ـ ٩٢٣هـ) .

وهذا يقودنا إلى اعتبار مئذنة الجامع الكبير بحيس ، من ضمن التجديدات الطاهرية له ، والتى تمت فيها بين سنة (٩١٦ ـ ٩٢٣هـ) .

* يعتبر الجامع الكبير بحيس أقدم أثر رسولى باق حتى الآن على حالته الأصلية التى كان عليها عند الإنشاء ، وإن كانت هناك بعض المساجد والمدارس الرسولية تعتبر أقدم تاريخاً منه

ومن أمثلتها : المدرستان المنصوريتان العليا والسفلى بزبيد (٦٢٦ ـ ٦٤٧هـ)، جامع المظفر بتعز (٦٤٧ ـ ٦٩٤هـ) والمدرسة الدعاسية بزبيد (٦٦٥هـ)، والمدرسة الأسدية بإب (٦٧٧هـ)، لكن معظم هذه المساجد والمدارس هدمت كلية أو أعيد بناؤها على نفس التخطيط الأصلى وذلك فى أواخر العصر الرسولى وخلال العصر الطاهرى .

* تحديد التاريخ الدقيق لانتهاء بناء الجامع الكبير وذلك فى شوال سنة (٦٨٢هـ) كما جاء فى النص الذى تمكن الباحث من اكتشافه على العقد الشمالى لبائكة الظلة الشرقية المطلة على الصحن .

* ترجيح أن يكون بناء الجامع الكبير قد تم على مراحل حيث ذكر الجندى أنه بنى أثناء ولاية المبارز بن برطاس على حيس (٦٤٧ ـ ٦٥٢هـ) بينما النص التأسيسى يذكر أن الانتهاء من البناء كان سنة (٦٨٢هـ) وما بين التاريخين فترة طويلة ، لذا من المرجح أن يكون البناء قد توقف أثناء حروب السلطان المظفر مع أخويه ومع الخارجين عليه من القادة والقبائل والأئمة والتى انتهت باستيلائه على ظفار الحبوضى سنة (٦٧٨هـ)، ثم أكمل البناء بعد هذا التاريخ حتى انتهى سنة (٦٨٢هـ) كما جاء فى النص التأسيسى .

تأريخ مسجد الكيلة :

يعتبر هذا المسجد من المساجد المجهولة التاريخ والمنشىء نظراً لعدم نسبته إلى شخصية معينة يمكن البحث عنها فى المصادر والمراجع التاريخية ، وإنما نسب إلى السوق المجاور له ، وهو سوق الحبوب ، الذى يُعرف بسوق الكيلة ، ولذلك فليس أمامنا سوى محاولة إمكانية تأريخه من خلال الدراسة التحليلية للعناصر المعمارية والزخرفية التى تبدو عليها سمات الفترة المبكرة من العصر الرسولى ومنها :

ـ التخطيط المعمارى المكون من مساحة مستطيلة مغطاة بقبتين محمولتين على جدران المسجد وعلى عقد أوسط يعلو كتلة المحراب التى وضعت داخل الكتف الحامل للعقد، يشبه تخطيط المدرسة التاجية بزبيد والتى بناها تاج الدين بن عبدالله المظفرى، المتوفى سنة (٦٥٤هـ)[1]، وكذلك المدرسة العلوية الغربية بزبيد[2] .

ـ الأركان المشطوفة التى تشبه أركان مسجد ابن أبى الخل .

---

(١) تعرف بمدرسة المبردعين لأن المبردعين كانوا يعملون البرادع بجوارها . أنظر: إسماعيل الأكوع، المدارس، ص ١٣٥ . Sadek, Noha : Op. Cit. P. 233.

(٢) هذه المدرسة مجهولة التاريخ ، ويعتقد أنها من بناء الفقيه محمد بن يوسف بن عمر العلوى، المتوفى سنة ٦٥٠هـ، Sadek, Noha: Op. Cit. P. 143.

ـ الشرافات السهمية التى تشبه شرافات الجامع الكبير بحيس (٦٨٢هـ).

ـ المئذنة المنبرية التى تشبه مآذن المدرستان المنصوريتان العليا والسفلى بزبيد (٦٢٦هـ ـ ٦٤٧هـ)، وكذلك مئذنة المدرسة الدعاسية بزبيد (٦٦٥هـ)، ومئذنة مسجد ابن أبى الخل (٦٩٠ ـ ٧١٨هـ).

ـ مناطق الانتقال المقرنصة «عش النحل» تشبه مناطق انتقال المدرسة الدعاسية بزبيد، ومسجد ابن أبى الخل، ومسجد ابن على، ومسجد المدرسة «الياقوتية» بحيس.

ـ العقود المنكسرة فى المسجد، وجدت أيضا فى المدرسة المنصورية العليا، وعقود قاعة الدرس بالمنصورية السفلى بزبيد.

ـ المحراب ذو العقد خماسى الفصوص للحنية الداخلية والعقد المدبب الفاطمى للحنية الخارجية يشبه عقود الجامع الكبير بحيس، وعقود شبابيك مسجد المدرسة «الياقوتية».

ـ القباب ذات القطاع المدبب الفاطمى، تشبه قباب مسجد المدرسة «الياقوتية»، وقباب مسجد البخارى (الحضرمى) بحيس.

ومما سبق نستنتج أن مسجد الكيلةُ بنى فى الفترة المبكرة من تاريخ الدولة الرسولية، وبالتحديد فى فترة حكم السلطان المنصور عمر (٦٢٦ ـ ٦٤٧هـ)، أو ابنه المظفر يوسف (٦٤٧ ـ ٦٩٤هـ) حيث أن العناصر المعمارية والزخرفية فيه تتشابه مع عناصر مساجد ومدارس رسولية مؤرخة وهى: المدرسة التاجية بزبيد (٦٥٤هـ) والمدرسة العلوية الغربية (ق٧هـ) ولذلك يمكن تأريخ هذا المسجد بالفترة الأولى من حكم الدولة الرسولية (٦٢٦ ـ ٦٩٤هـ).

تأريخ مسجد ابن أبى الخل:

ذكر الخزرجى أن الفقيه أبوالعباس أحمد بن الحسين بن أحمد بن يوسف بن أبى الخل (ت سنة ٦٩٠هـ)، ودفن فى المقبرة الشرقية لمدينة حيس، على يمين الطريق المؤدية إلى قرية السلامة، ولما توفى ابن عمه، أبو عبدالله عبدالرحمن ابن أحمد بن عبدالله بن محمد بن يوسف بن أبى الخل سنة ٧١٨هـ، دفن إلى جواره [١].

وبناء على ذلك، وما ذكره عبدالرحمن بعكر [٢] أثناء ترجمته لأبى العباس المذكور من أن

(١) الخزرجى، العقود اللؤلؤية، جـ١، ص ٢٢٢، ٢٢٣، طراز أعلام الزمن، ص ٦٢.

(٢) عبدالرحمن بعكر، كواكب يمانية، ص ٥٦٧.

مسجده وضريحه بمدينة حيس [1] . يمكن الترجيح على أن المسجد بنى فى الفترة ما بين سنة (٦٩٠هـ) (تاريخ وفاة أبوالعباس) وسنة ٧١٨هـ [2] (تاريخ وفاة ابن عمه) أو ربما بعد هذا التاريخ بقليل، ويؤيد هذا الترجيح ما ذكره الخزرجى (ت: ٨١٢هـ)، من أن قبر الفقيه أبو العباس فى مدينة حيس « معروف ومشهور يزار ويتبرك به الزائرون» [3] ، حيث لا يمكن أن يكون القبر مشهورا ويزار ما لم تكن عليه قبة ضريحية .

وفضلاً عن ذلك فقد تبين من خلال الدراسة التحليلية للعناصر المعمارية والزخرفية ، أن المسجد يعود إلى الفترة الأولى من العصر الرسولى ومنها :

ـ الأركان المشطوفة ، ومناطق الانتقال المقرنصة «عش النحل» ، سبق وأن شوهدت فى مسجد الكيلة ، وتشاهد كذلك فى المسجد المدرسة (الياقوتية) .

ـ المئذنة المنبرية ، وجدت أيضا فى مسجد الكيلة بحيس ، والمدرستين المنصورية العليا والسفلى والمدرسة الدعاسية بزبيد .

ـ يشغل الوجه الخارجى لكتلة المحراب البارزة عناصر زخرفية هندسية تشبه المفروكة ، والتى شوهدت على العديد من المساجد الرسولية ومنها مسجد المدرسة (الياقوتية) بحيس .

ـ العقد الثلاثى الفصوص ، الذى يتوج مدخل المسجد ، يشبه العقد الذى يتوج كتلة محراب المدرسة الدعاسية بزبيد .

وبناء على ما سبق ، يمكن القول أن مسجد ابن أبى الخل بنى فى العصر الرسولى : فيما بين سنة (٦٩٢هـ) (تاريخ وفاة الفقيه أبوالعباس أحمد بن الحسن بن أحمد بن يوسف بن أبى الخل) وسنة ٧١٨هـ (تاريخ وفاة ابن عمه الفقيه أبو عبدالله عبد الرحمن بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن يوسف بن أبى الخل) حيث أن المسجد ينسب إليهما .

تاريخ مسجد ابن على :

من خلال مناقشة تسمية المسجد وترجيح نسبته إلى أحد أبناء على بن عثمان بن أبى بكر بن

---

(١) بحثت عن هذا المسجد فى المنطقة التى حددها الخزرجى فوجدت مسجداً مغطى بقبة ، وضريح كان مغطى بقبة ، وبسؤال الأهالى عن اسم المسجد ، قالوا ، أنه مسجد البلخلى ، وهى تسمية قريبة من تسمية ابن أبى الخل ، وبعد الفحص والتدقيق لمعنى الكلمة تبين أن أهل حيس ـ كما هى عادة كثير من أهل اليمن ـ يختصرون بعض الحروف من بعض الكلمات حتى يسهل نطقها فجاءت التسمية الحالية للمسجد «البلخلى» بدلاً من «ابن أبى الخل» .

(٢) تمثل هذه الفترة ، أواخر حكم السلطان المظفر ، وفترة حكم ولديه الأشرف والمؤيد .

(٣) ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ، ص ٢٢٣ ، Sadek, Noha : Op. Cit. P. 236

أحمد بن أبى الحياء، والذى يُعرف باسم (عبدالقادر) ـ كما يروى على لسان أهل حيس ـ والذى كان معاصرا لابن عمه الفقيه عبدالله بن محمد بن عثمان المتوفى سنة ٨٩١هـ، يمكن القول أن المسجد بنى أواخر عصر الدولة الرسولية، وأوائل عصر الدولة الطاهرية، فى الفترة ما بين سنة (٨٠٠ـ ٨٩١هـ).

ونستدل على صحة ذلك من الدراسة التحليلية للعناصر المعمارية والزخرفية، والتى بينت أن هذه العناصر كانت شائعة فى العصرين الرسولى والطاهرى، ومنها:

ـ التخطيط المعمارى، المكون من مصلى مغطى بثلاث قباب يتشابه مع تخطيطات كثير من مساجد ومدارس تهامة، والتى يبدو أنها تأثرت بالمساجد الأيوبية فى اليمن، ومنها مسجد الأجناس الذى يعتبر أقدم مثل للمساجد المغطاة بثلاث قباب، والذى ذكره ابن المجاور (١) بأنه بنى فى أواخر عصر الدولة الأيوبية فى اليمن، على بن نور الدين عمر بن رسول نائب السلطان المسعود سنة ٦٢٣هـ.

ويبدو أن هذا الطراز من المساجد أصبح يمثل الطراز المفضل لبناء المساجد والمدارس الصغرى فى تهامة فى العصرين الرسولى والطاهرى، حيث نراه فى المدرستين المنصورية العليا والسفلى بزبيد، وفى مسجد المدرسة (الياقوتية)، ومسجد الموفى الأعلى، ومسجد البخارى، وفى مدرستى الهتارى والمعجار بحيس.

ـ الأركان المشطوفة لجدران المسجد، وجدت فى العديد من المساجد والمدارس الرسولية والطاهرية.

ـ المئذنة المنبرية، تتشابه مع المآذن المنبرية فى العديد من مساجد العصرين الرسولى والطاهرى ومنها: مئذنتا المدرستين المنصورية العليا والسفلى، والمدرسة الياقوتية بزبيد (قبل أو بعد ٨٤٠هـ)، والمئذنة الغربية للجامع الكبير بيت الفقيه (٨٦٤ـ ٨٨٣هـ).

ـ الشريط الزخرفى على البدن المربع للمئذنة، يتشابه مع الشريط الزخرفى الذى يتوج واجهات مسجد المدرسة (الياقوتية).

ـ مناطق الانتقال المقرنصة «عش النحل»، تتشابه مع مناطق انتقال الكثير من مساجد ومدارس العصرين الرسولى والطاهرى، كما فى مسجد ابن أبى الخل، ومسجد المدرسة (الياقوتية)، ومناطق انتقال قباب الدهاليز فى المدرسة المنصورية جُبن (٨٨٧هـ).

ـ قباب المسجد، تتشابه مع القبة الغربية لمسجد رُكيز، (قبل سنة ٨٩١هـ)، والقباب الغربية للجامع الكبير بحيس المضافة فى العصر الطاهرى.

ـ تشابه المحراب ومداخل المصلى، ذات الصدور المتوجة بعقود مفصصة مع مداخل مسجد المدرسة (الياقوتية) والمدخل الجنوبى للمدرسة المعتبية، والمدخل الجنوبى للمدرسة الأشرفية، وكذلك مداخل مسجد رُكيز ومسجد الخامرى، والمدخل الشرقى للجامع الكبير بحيس.

تاريخ مسجد البخارى (الحضرمى):

سبق الذكر أن المسجد يُنسب إلى الفقيه إسماعيل الحضرمى، المتوفى سنة ٦٧٦هـ، وفى الحقيقة لا يمكن الجزم بصحة هذه النسبة نظرا لعدم وجود أى كتابات تاريخية، ولعدم وجود ذكر للمسجد فى المصادر التاريخية، فضلا عن أن المسجد تبدو عليه السمات المعمارية التى كانت سائدة خلال عصرى الدولتين الرسولية والطاهرية، وهذا يُصَعِّبُ من مهمة تحديد تاريخ بناء المسجد بدقة، ومن هذه السمات:

ـ التخطيط المعمارى للمسجد، يماثل تخطيطات المساجد المنتشرة فى كثير من مدن تهامة، والمكونة من مصلى مغطى بثلاث قباب، ومنها: مسجد ابن على، ومسجد الموفى الأعلى.

ـ الأركان المشطوفة، وجدت فى الكثير من المساجد فى حيس وغيرها التى تعود إلى العصرين الرسولى والطاهرى، ومنها على سبيل المثال: مسجد الكيلة، ومسجد ابن أبى الخل.

ـ العقود المفصصة التى تتوج صدور المداخل، وُجدت فى الكثير من المساجد فى حيس وخارجها.

ـ القباب ذات القطاع المدبب الفاطمى وجدت فى مسجد الكيلة ومسجد المدرسة. ومسجد الموفى الأعلى، وكذلك فى قاعة الدرس بالمدرسة الاسكندرية.

ـ المدخل ذو الكتلة البارزة عن مستوى جدار الواجهة، يشبه مدخل المدرسة الجبرتية بزبيد (ق٨هـ/ ١٤م)، وكذلك العقد المفصص للمدخل (أحد عشر فصا) يشبه عقد المدخل الرئيسى للمدرسة الاسكندرية بحيس.

ـ الشرافات الشبيهة بالورقة الثلاثية، تشبه الشرافات التى تتوج الأجزاء المجددة فى الجامع الكبير بحيس وشرافات المدرسة العامرية برداع (٩١٠هـ).

ـ العقود المدببة الفاطمية، تشبه عقود الجامع الكبير بحيس، وعقود الجامع الكبير ببيت الفقيه.

ـ مناطق الانتقال المكونة من تسعة صفوف من الأشكال الدالية، تشبه مناطق انتقال قاعة

الدرس بالمدرسة الإسكندرية، ومناطق انتقال القباب المضافة على الجامع الكبير بحيس فى العصر الطاهرى.

ـ العقد المفصص للمحراب، يُشبه العقد المفصص للمدخل الأوسط فى مسجد المدرسة (الياقوتية) وشبابيك مسجد ابن على.

ـ المئذنة ذات البدن المثمن، الذى يعلو القاعدة المربعة، تشبه مئذنة الجامع الكبير ومئذنة مسجد الخامرى بحيس وخاصة البدن المثمن، أما القمة المخروطية المقرنصة، فقد وجدت منذ بداية العصر الرسولى، كما فى جامع المهجم (٦٦٥هـ)، والمدرسة الفرحانية بزبيد، وكذلك مآذن العصر الطاهرى، كما فى جامع جُبن، ومآذن جامع الأشاعر والجامع الكبير بزبيد.

وبناء على ما سبق لا يمكن إعطاء تاريخ محدد لبناء المسجد، لأنه من المحتمل أن يكون فعلا من بناء إسماعيل الحضرمى (ت ٦٧٦هـ) وأعيد تجديده فى أواخر عصر الدولة الرسولية وأوائل عصر الدولة الطاهرية فى الفترة الممتدة من سنة (٨٠٠ ـ ٨٩٤هـ)، نظر لتشابه عناصره المعمارية مع عناصر المساجد التى شيدت فى هذه الفترة ومنها مسجد ابن على ومسجد الموفى ومسجد الخامرى ومدرستى الهتارى والمعجار.

تأريخ مسجد الموفى الأعلى:

يعتبر هذا المسجد من المساجد المجهولة التاريخ، والمنشىء، حيث لم يرد فى المصادر التاريخية، ما يُشير إلى اسم المنشىء، ولا إلى اسم المسجد، ولكن من خلال الدراسة التحليلية للتخطيط والعناصر المعمارية والزخرفية، تبين تشابهها مع تلك التى كانت سائدة خلال العصرين الرسولى والطاهرى، ولذلك لا يمكن تحديد فترة بناء المسجد إلى أى من العصرين المذكورين، فمثلا:

ـ كتلة المدخل، تشبه كتلة مدخل المدرسة الأسدية بإب، والياقوتية بزبيد، ومسجد الخامرى بحيس.

ـ المئذنة المنبرية، تشبه مآذن هذا النوع الموجودة فى بقية مساجد حيس ومساجد تهامة الأخرى ومنها: المدرستان المنصوريتان العليا والسفلى، ومدرستا الدعاسية والوهابية بزبيد والمئذنة الغربية للجامع الكبير بيت الفقيه.

ـ العقود النصف دائرية، وُجدت فى الكثير من مساجد ومدارس تهامة.

ـ عقود مداخل المصلى، تشبه عقود مسجد ابن على، ومسجد رُكيز، والجامع الكبير بزبيد.

ـ عقد حنية المحراب المفصص، يُشبه العقد المفصص للمدخل الأوسط فى مسجد المدرسة (الياقوتية) بحيس، وشبابيك مسجد ابن على، ومحراب مسجد البخارى.

ـ عقود دخلات حفظ الأمتعة، المكونة من عقد منكسر، تشبه عقود دخلات حفظ الأمتعة بالمدرسة الإسكندرية بحيس.

ـ القباب المدبية الفاطمية، تشبه قباب مسجد الكيلة، ومسجد المدرسة الياقوتية، ومسجد البخارى، وقباب قاعة الدرس فى المدرسة الإسكندرية.

ـ الشرافات الهندسية (على هيئة عقود مخروطية متجاورة)، تشبه شرافات المدرسة المنصورية العليا، والتى ربما تعود إلى فترة التجديد التى تمت سنة ٧٩٢هـ.

ـ الشريط الزخرفى الذى يزين جدران كتلة المدخل والمئذنة، يشبه الشريط الذى يُزين جدران مسجد المدرسة (الياقوتية) بحيس، والمدرسة الياقوتية بزبيد، ومسجد ابن على بحيس، وجامع المظفر بتعز، والجامع الكبير بزبيد.

ـ النجوم السداسية، التى تزين أضلاع البدن المربع للمئذنة تشبه النجوم التى وُجدت على الكثير من المدارس والمساجد الرسولية والطاهرية، ومنها: المدرستان المعتبية والأشرفية بتعز، والجامع الكبير بزبيد، والمدرستان المنصورية بجُبن، والعامرية برداع.

وبناء على ما سبق يمكن القول إن المسجد بنى أواخر العصر الرسولى وأوائل العصر الطاهرى فى الفترة الممتدة من سنة (٨٠٠ ـ ٨٩٤هـ)، نظرا لتشابه عناصره المعمارية مع العناصر المعمارية للمساجد التى شيدت فى هذه الفترة ومنها مسجد ابن على ومسجد البخارى والخامرى ورُكيز والمدرسة الوهابية بزبيد والمدرستين الياقوتية والإسكندرية بحيس.

تاريخ مسجد الخامرى:

ينسب هذا المسجد إلى الصوفى عمر بن محمد الخامرى المتوفى سنة (٨٨١هـ) وقيل (٨٨٢هـ)، خلال فترة حكم السلطان الطاهرى المجاهد على بن طاهر (٨٦٤ـ ٨٨٣م).

ونظرا لعدم وجود كتابات على المسجد تحدد تاريخ البناء وكذلك عدم وجود ذكر للمسجد فى المصادر التاريخية، فإن بناء المسجد يحتمل ثلاثة آراء:

الأول : أن الذى قام ببناء المسجد هو نفسه الصوفى عمر الخامرى والحق به قبته الضريحية فى الجهة الغربية من الفناء ودفن فيها بعد موته . وهذا يعنى أن البناء تم قبل موته .

الثانى : أن المسجد من بناء عمر الخامرى بينما القبة الضريحية بنيت بعد وفاته على يد اتباعه أو أسرته .

الثالث : أن أسرة وأتباع عمر الخامرى هم الذين بنوا القبة الضريحية على قبره بعد وفاته وهم أيضا الذين بنوا المسجد بجوارها .

وفى كل الحالات لابد أن يكون بناء المسجد قد تم فى العصر الطاهرى حيث يشتمل المسجد على عدد من العناصر المعمارية التى كانت سائدة خلال هذا العصر ومنها :

ـ المئذنة ذات البدن المثمن والتى تعلو كتلة المدخل تشبه فى شكلها وشكل قمتها وموقعها مئذنة الجامع الكبير ـ المضافة فى العصر الطاهرى ـ ومئذنة مسجد البخارى بحيس .

ـ المدخل المرتد ـ يبرز نحو الداخل ـ وجد فى العديد من المدارس والمساجد الرسولية والطاهرية ومنها المدرسة الأسدية بإب (قبل سنة ٦٧٧هـ) والمدرسة الياقوتية بزبيد (قبل أو بعد سنة ٨٤٠هـ) والمدخل الشرقى للمدرسة المنصورية جُبن ٨٨٧هـ.

ـ العقود المفصصة التى تتوج صدور بعض المداخل فى مسجد الخامرى تشبه العقد المفصص للمدخل الشرقى فى الجامع الكبير ومسجد ركيز بحيس وكثير من المساجد والمدارس الرسولية والطاهرية .

ـ القباب النصف دائرية الضحلة وجدت كثيرا فى العصر الطاهرى ومنها قبة مقصورة مسجد ركيز وقبة المدرسة الإسكندرية وإن كانت القبتان الأخيرتان مرتفعتين بينما قباب مسجد الخامرى من النوع الضحل .

ـ العقود حدوة فرس التى تتوج دخلات حفظ الأمتعة فى دركاة المدخل مشابهة لدخلات حفظ الأمتعة فى المدرسة الوهابية الطاهرية بزبيد (٨٨٣هـ) والمدرسة المنصورية بجُبن .

تاريخ مسجد رُكيز :

لا يعرف بالتحديد تاريخ بناء هذا المسجد ، نظرا لعدم وجود أى كتابات تاريخية عليه ، ولكن يمكن تأريخه من خلال ما ذكرته المصادر التاريخية من أن الفقيه عبدالله بن محمد بن

عثمان بن أبى بكر بن أحمد بن أبى الحياء الملقب برُكيز (ت ٨٩١هـ)، انتقل بأسرته وأقربائه من قرية الحرابة جنوب حيس بعد احتراقها إلى موضع المحل غرب حيس - والذى يعرف حاليا بربع المحل - وبنى فيه مسكنه ومساكن أهله.

ومن الطبيعى أن يكون أيضا قد بنى مسجدا يصلى فيه هو وأقرباؤه، وخاصة أن أقرب مسجد لربع المحل يبعد أكثر من نصف كيلومتر. وقد عرف هذا المسجد باسم مسجد رُكيز نسبة إلى اسم الشهرة للمنشىء.

وعليه فإن مسجد رُكيز يرجح أن يكون قد بنُى قبل وفاة الفقية المذكور سنة ٨٩١هـ خاصة وأن الدراسة التحليلة للعناصر المعمارية تؤيد صحة هذا التاريخ نظرا لتشابهها مع عناصر المساجد الطاهرية ومنها:

- شرافات المسجد المعروفة بالشرافات السهمية مشابهة لشرافات مسجد الخامرى ٨٨٢هـ والتى سبق وأن شوهدت فى الجامع الكبير بحيس.

- مناطق انتقال القباب ذات الأشكال الدالية مماثلة لمناطق انتقال قباب مسجد البخارى وقباب قاعة الدرس بالمدرسة الإسكندرية والقباب الغربية للجامع الكبير المجددة فى العصر الطاهرى.

- القباب المدببة ذات قطاع العقد ذو المركزين وجدت أيضا فى قباب مسجد ابن على (٨٠٠ - ٨٩١هـ)، وقباب الجامع الكبير المجددة فى العصر الطاهرى، وأما قبة المقصورة فذات قطاع نصف دائرى مماثلة لقباب مسجد الخامرى والقبة المركزية بمدرسة الاسكندرية.

- عقد مدخل المصلى المفصص يشبه عقود صدر محراب ومداخل مسجد ابن على وصدور مداخل مسجد المدرسة وعقد صدر المدخل الرئيسى لمسجد الخامرى والمدخل الشرقى فى الجامع الكبير، وصدر المدخل الشرقى لمسجد الموفى الأعلى.

- عقد حنية المحراب ذو الحدوة فرس يشبه عقود دخلات حفظ الأمتعة بدركاة مسجد الخامرى.

تاريخ مسجد المدرسة [الياقوتية]:

عند مناقشة تسمية المدرسة وما أورده المؤرخون من إشارات عن بناء الرسوليين لمنشتين فى مدينة حيس هما الخانقاه المظفرية والمدرسة الياقوتية وبعد افتراض أن مسجد المدرسة يمثل

إحدى هاتين المنشئتين ومناقشة هذا الافتراض ، أمكن استنتاج أن مسجد المدرسة هو المدرسة الياقوتية التى أنشأتها جهة الطواشى اختيار الدين ياقوت (توفيت بعد سنة ٨٤٠هـ) مما يعنى أن المدرسة بُنيت قبل وفاتها .

ونظرا لعدم وجود تاريخ محدد لوفاة المنشىء ولا لبناء المدرسة فأنه يمكن تحديد تاريخ البناء بما قبل سنة ٨٤٢هـ، وهى السنة التى توفى فيها أول مدرس رتب فى المدرسة وهو رضى الدين أبو بكر أحمد بن أحمد بن دعسين[1] وليس كما تعتقد البعثة الألمانية من أن المدرسة هى الخانقاة المظفرية .

ونستدل على صحة نسبة هذه المدرسة إلى جهة الطواشى اختيار الدين ياقوت ، وكذلك صحة تاريخ بناء المدرسة قبل سنة ٨٤٢هـ بالعديد من العناصر المعمارية والزخرفية والتى ثبت من خلال الدراسة التحليلية لها بأنها تعود إلى أواخر عصر الدولة الرسولية ومنها :

ـ التخطيط المعمارى للمدرسة وجد فى الكثير من مدارس العصر الرسولى ومنها المدرستان المنصوريتان العليا والسفلى والمدرسة الجوهرية والمدرسة الجبرتية (٧٢٢ ـ ٨٠٦هـ) ومدرسة المزجاجه (٧٥٣ ـ ٨٢٩هـ)، والمدرسة الفرحانية فى زبيد (٨٣٦هـ) .

ويلاحظ أن تخطيط المدرسة الياقوتية بحيس يختلف عن تخطيط المدرسة الياقوتية بزبيد التى تتكون بيت الصلاة فيها من مساحة مستطيلة قسمت إلى رواقين بواسطة بائكة معقودة [شكل ٤٢#]، وكذلك تختلف نوعا عن تخطيط المدرسة الياقوتية بذى السفال كما جاء فى وقفية المدرسة [2] وهذا لا يعنى أن المدرسة الياقوتية بحيس كان لابد أن تبنى على طراز المدرستين الياقوتيتين السابقتين لأن هذه المدرسة بُنيت على نظام مدارس حيس .

ـ عقود المدرسة الياقوتية من النوع المدبب الفاطمى والتى تشبه عقود الجامع الكبير بحيس .

ـ مناطق الانتقال فى القبة الوسطى مكونة من حنايا ركنية مماثلة للحنايا الركنية فى المدرسة

---

(١) إسماعيل الأكوع، المدارس، ص ٢٣٠ .

(٢) تذكر الوقفية أن المدرسة تتكون من مدخل يمانى (جنوبى) يؤدى إلى مجاز (دركاة) نصل منه من جهة اليمين ـ من خلال عقد يحمل ساقية الماء إلى ـ البركة وإلى مجاز المطاهير والمغتسل، وعلى يسار الدركاة باب يؤدى إلى سلم صاعد إلى سطح المقصورة، ونصل من الدركاة من خلال باب فى منتصفها إلى شمسية (صحن) فى الجهة الغربية منه إيوان وفى الجهة الشمالية مقدم المدرسة (كتلة المسجد أو بيت الصلاة) وهو عبارة عن مجلس مستطيل شرقًا وغربًا فيه ثلاثة عقود وله ثلاثة أبواب، شرقى يؤدى إلى المصلى، ويمانى يؤدى إلى القاعة المذكورة (الصحن)، وغربى يؤدى إلى مقصورة ذات محراب، وللمقدم المذكور أربعة شبابيك، شباكان قبليان على جانبى المحراب، وشباك شرقى وشباك غربى، انظر: إسماعيل الأكوع، المدارس، ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

المعتبية والمدرسة الأشرفية بتعز والتى شوهدت بعد ذلك فى المدرسة الاسكندرية بحيس، وأما مناطق انتقال القباب الجانبية فى المدرسة الياقوتية بحيس فتتكون من عدة حطات من المقرنصات (عش النحل) والتى وجدت قبل ذلك فى المدرسة الدعاسية بزبيد ٦٦٥هـ ومسجد الكيلة ومسجد ابن أبى الخل بحيس.

ـ القباب التى تغطى المصلى تنتمى إلى نفس طراز القباب الرسولية، التى تكون فيها القبة الوسطى أكثر ارتفاعا من القباب الجانبية، والتى تعتبر من مميزات العمارة الرسولية، حيث تشاهد فى المدرسة الأسدية بإب، وجامع المظفر والمدرسة الأشرفية بتعز، فضلا عن أن القباب ذات قطاع عقد مدبب فاطمى والتى تشبه قباب مسجد الكيلة ومسجد البخارى ومسجد الموفى الأعلى بحيس.

ـ العناصر الزخرفية التى تُزين جدران المدرسة وبواطن القباب فيها تشهد بحق على نسبة المدرسة إلى العصر الرسولى فمثلا:

* زخرفة البخاريات الملونة التى تشغل بواطن القباب وجدت فى معظم المدارس الرسولية ومنها جامع المظفر والمدرستين المعتبية والأشرفية بتعز والتى استمرت بعد ذلك فى العصر الطاهرى.

* الشريط الكتابى الذى يسير حول عقود وفتحات المدرسة يشاهد على عقود الجامع الكبير بحيس وعقود جامع المظفر والمدرستين المعتبية والأشرفية بتعز.

* الشريط الزخرفى الذى يزين جدران مسجد المدرسة من الخارج وجد أيضا فى جامع المظفر بتعز والمدرسة الياقوتية والجامع الكبير بزبيد.

* الزخرفة الهندسية التى تشغل واجهة كتلة المحراب البارزة من الخارج وجدت قبل ذلك على محراب مسجد ابن أبى الخل بحيس وعلى قاعة الدرس بالمدرسة الوهابية بزبيد.

تاريخ مدرسة الهتارى:

لم تذكر المصادر التاريخية اسم هذه المدرسة ولا تاريخ بنائها ولكن من خلال الدراسة التحليلية للتخطيط والعناصر المعمارة والزخرفية تبين أنها تتشابه مع كثير من العناصر المعمارية والزخرفية التى كانت سائدة فى العصرين الرسولى والطاهرى ومنها:

ـ التخطيط المعمارى للمدرسة سواء فى المصلى أو فى قاعة الدرس والفناء الذى يفصل

بينهما، مماثل لتخطيطات العديد من المدارس الرسولية ومنها : مسجد المدرسة (الياقوتية) بحيس، وكذلك المدرستين المنصوريتين العليا والسفلى والمدرسة الجبرتية ومدرسة المزجاجى والمدرسة الفرحانية بزبيد.

ـ الأركان المشطوفة شوهدت فى معظم مساجد ومدارس العصر الرسولى والطاهرى سواء فى حيس أو فى مدن تهامة الأخرى.

ـ عقود مداخل المصلى والتى تقع دخل صدور متوجة بعقود مفصصة (ثلاثة عشر فصا) مماثلة لعقود مداخل مسجد ابن على ومسجد البخارى (٨٠٠ ـ ٨٩١هـ).

ـ الستائر الجصية التى تغشى صدور المداخل السابقة الذكر تشبه ستائر مسجد البخارى ومسجد ابن على بحيس والمدرسة الوهابية بزبيد.

ـ الستائر الجصية التى تغشى شبابيك قاعة الدرس تشبه ستائر المدرسة الأشرفية بتعز والمدرسة الجبرتية وجامعى، الأشاعر والكبير بزبيد.

ـ عقود المصلى وقاعة الدرس الحاملة للقباب من النوع المدبب الفاطمى والذى سبق وأن شوهد فى الجامع الكبير ومسجد المدرسة بحيس وجامع بيت الفقيه.

ـ عقود الشبابيك الخماسية الفصوص مماثلة لعقود شبابيك مسجد المدرسة الياقوتية والمدخل الرئيسى لمسجد الخامرى والمدخل الشرقى للجامع الكبير وصدر مدخل المصلى فى كل من مسجد ابن على ومسجد الموفى الأعلى.

ـ عقود دخلات حفظ الأمتعة والتى تشبه شكل لسان البخاريات وجدت قبل ذلك فى مسجد الكيلة وميضأة مسجد الخامرى.

ـ قباب المسجد من النوع المدبب ذو المركزين تشبه قباب مسجد ابن على والقباب الغربية فى الجامع الكبير بحيس.

ـ المئذنة المنبرية الرشيقة تشبه تماما مئذنة المدرسة الوهابية بزبيد ومئذنة مسجد ابن على ومئذنة مسجد الموفى الأعلى بحيس ومئذنتى المدرستين المنصورية العليا والسفلى بزبيد واللتان جددتا سنة ٧٩٢هـ.

مما سبق نلاحظ أن العناصر المعمارية تتشابه مع العناصر المعمارية التى كانت شائعة خلال العصرين الرسولى والطاهرى لذلك فإن افتراض تاريخ محدد لبناء مدرسة الهتارى أمر بالغ الصعوبة وإن كانت الشواهد المعمارية التى سبق ذكرها ترجح تاريخ بناء المدرسة فى أواخر العصر الرسولى وأوائل العصر الطاهرى فى الفترة الممتدة من سنة (٨٠٠ ـ ٨٩٤هـ) نظرا لأن معظم العناصر المعمارية السابقة شاع استخدامها على المدارس التى بُنيت خلال هذه الفترة.

تأريخ مدرسة المعجار:

تعتبر هذه المدرسة من المنشآت المجهولة التاريخ والمنشيء ولكن من خلال الدراسة التحليلية للعناصر المعمارية، نجد أن هناك تشابها كبيرا بينها وبين المدارس التى شيدت خلال العصرين الرسولى والطاهرى، وخاصة المساجد والمدارس التى بُنيت فى القرن (٩ هـ / ١٥م) ومنها مسجد ابن على ومسجد البخارى ومسجد الموفى الأعلى ومسجد المدرسة الياقوتية، وإن كان من الملاحظ التشابه الكبير بين مدرسة المعجار ومدرسة الهتارى سواء فى التخطيط أو العناصر المعمارية الأخرى ومنها المئذنة المنبرية والعقود الفاطمية ومناطق الانتقال المقرنصة (عش النحل) والعقود المفصصة فى المحراب والمداخل، والستائر الجصية التى تعلو المداخل.

ولذلك ربما أن مدرسة المعجار بُنيت فى نفس الفترة التى بُنيت فيها مدرسة الهتارى فى الفترة الممتدة ما بين سنة (٨٠٠ ـ ٨٩٤هـ).

تأريخ المدرسة الاسكندرية:

تُعرف هذه المدرسة باسم المدرسة الاسكندرية نسبة إلى القائد المملوكى «اسكندر موز» الذى حكم [١] زبيد فيما بين سنة (٩٣٧ ـ ٩٤٣هـ) / (٣٠/ ١٥٣١ ـ ٦/ ١٥٣٧م) نيابة عن الدولة العثمانية، والذى تنسب إليه أيضا المدرسة الاسكندرية بزبيد [٢]. وإن كانت الباحثة نهى صادق [٣] قد أثبتت من خلال الدراسة الأثرية المشفوعة بنتائج الحفريات الأثرية التى قامت بها البعثة الكندية فى المدرسة، وكذلك من خلال الدراسة المقارنة للعناصر المعمارية والزخرفية، أثبتت أن المدرسة الاسكندرية بزبيد لا ترجع إلى القائد المملوكى المذكور، وإنما ترجع إلى العصر الرسولى، وأن اسكندر موز المذكور لم يقم سوى ببعض الترميمات فى المدرسة، وخاصة مئذنتها وكتابه اسمه عليها مما أدى إلى اعتقاد المؤرخين ـ بناء على هذا النص وبناء على ما أورده النهزوالى فى كتابه «البرق اليمانى» من أن اسكندر موز «بنى مدرسة

---

(١) كانت فترة حكمه مليئة بالأحداث والحروب ليس مع أهل اليمن فحسب بل ومع أقرانه من القادة المماليك. أنظر، تفصيل الحديث عن فترة حكمه عند، النهزوالى، البرق اليمانى، ص ٥٦ ـ ٥٨.

(٢) انظر، وصف هذه المدرسة عند، مصطفى شيحه، المدخل، ص ١٠٠ ـ ١٠٢، إسماعيل الأكوع، المدارس، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م، ص ٣٦٠.

(٣) Sadek, Noha: Op. Cit. P. 243.

عظيمة فى زبيد تسمى الإسكندرية» [1] - بأن القائد المذكور بنى المدرستين الإسكندرية بزبيد والاسكندرية بحيس.

ومن خلال البحث فى المصادر التاريخية ومن خلال الدراسة الأثرية التى قام بها الباحث للمدرسة الاسكندرية بحيس ومن خلال الدراسة التحليلية للعناصر المعمارية والزخرفية نستنتج الآتى:

١ - إن قصر فترة حكم اسكندر موز لزبيد فيما بين سنة ٩٣٧ - ٩٤٣هـ والتى كانت مليئة بالأحداث والحروب التى نشبت بين الأمراء والمماليك مع بعضهم فضلا عن اضطرار اسكندر موز إلى خوض عدة حروب دفاعا عن مدينة زبيد أمام مهاجمة ومحاصرة الإمام شرف الدين لها [2] لم تكن لتمكنه من بناء أى مدرسة.

٢ - ذكر يحى بن الحسين فى كتابه «غاية الأمانى» (أن من مآثر السلطان [الظاهرى] المجاهد على بن طاهر (٨٦٤ - ٨٨٣هـ) مدرستين فى تعز [3] وأخرى بمدينة حيس) [4].

٣ - تشابه تخطيط المدرسة الاسكندرية بحيس مع تخطيط المدرسة الوهابية بزبيد من حيث: الدور قاعة المغطاة بقبة مركزية كبيرة والإيوانان الجانبيان اللذين يغطى كلا منهما قبو مدبب وكذلك فى شكل وموقع كل من قاعة الدرس (الجنوبية) والميضأة.

٤ - تشابه العناصر المعمارية والزخرفية فى كلا المدرستين من حيث:

- التغطيات: قبة مركزية وأقبية تغطى الدور قاعة والإيوانين.

---

(١) النهزوالى: البرق اليمانى، ص ٥٨.

(٢) اقتصر حكم اسكندر موز على مدينة زبيد، لأن سقوط الدولة الطاهرية سنة ٩٢٣هـ على يد المماليك وسقوط الدولة المملوكية فى مصر فى نفس السنة أدى إلى حدوث بلبلة واضطراب بين الأمراء المماليك فى اليمن بسبب انقطاع الإمدادات عنهم من مصر، فقام الإمام شرف الدين باستغلال الفرصة واستولى على معظم أجزاء اليمن، وتراجع المماليك أمام هجماته إلى تهامة حتى أن قوات الإمام شرف الدين حاصرت المماليك فى زبيد، ولكن المماليك تمكنوا من فك الحصار المضروب عليهم ومع ذلك لم يتعدى حكمهم مدينة زبيد وما حولها، وبسبب هذه الحروب والأحداث وانقطاع الأمدادات من مصر وقلة موارد زبيد ما كان باستطاعة اسكندر موز والمماليك عموما القيام ببناء مدارس أو مساجد لا فى زبيد ولا فى غيرها، انظر: تفصيل هذه الأحداث عند. النهزوالى، البرق اليمانى، ص ١٦ - ٧٠، محمد عبدالعال أحمد، بنو رسول وبنو طاهر، ص ٢٨١ - ٢٨٧، ٥١٠ - ٥٤٨.

(٣) تعرف باسم المجاهدية نسبة إليه، انظر: إسماعيل الأكوع، المدارس، ص ٢٤٤.

(٤) يحيى بن الحسين، غاية الأمانى، جـ٢، ص ٦١٠، Porter, Venetia Ann: The Tahirid Dynasty of The Yemen 858 -- 923 / 1454 -- 1517. Thes is For The Degree of Ph. D. University of Durham 1992, P. 188.

- المحراب المجوف والمتوج بعقد مفصص مزدوج [شكل ٨٠] .
- نصفى الشجرة اللذان يكتنفان حنية المحراب [شكل ٨٠] .
- بائكة العقود الزخرفية التى تشغل رقبة القبة .
- طريقة بناء القبة فى المدرستين والمكونة من صف دائرى يستمر حتى قمة القبة بشكل حلزونى .

٥ - تشابه شكل المئذنة فى المدرسة الاسكندرية بحيس مع شكل المآذن التى شاعت فى أواخر العصر الرسولى وخلال العصر الطاهرى فى منطقة تهامة من حيث البدن المثمن المرتفع والزخرف بستائر جصية والتى وجدت فى جامع الأشاعر والجامع الكبير والمدرسة الفرحانية بزبيد والجامع الكبير فى إب والجامع الكبير بجُبن .

٦ - تشابه مناطق الانتقال المكونة من حنايا ركنية كبيرة ، مع حنايا المدارس الرسولية والطاهرية ومنها المدارس المعتبية والأشرفية بتعز والمنصورية بجُبن والعامرين برداع والوهابية بزبيد .

٧ - تشابه عقد المدخل الرئيسى فى المدرسة الاسكندرية بحيس والمكون من (أحد عشر فصا) مع المدخل المفصص فى مسجد البخارى وكذلك مع العقد المفصص الذى يتوج محراب المدرسة الوهابية بزبيد .

وبناء على ما سبق نستنتج الآتى :

(١) أن المدرسة الاسكندرية بحيس ليست من بناء اسكندر موز (٩٣٧ - ٩٤٣هـ) وإنما من بناء السلطان الطاهرى المجاهد على بن طاهر (٨٦٤ - ٨٨٣هـ) وهى فى ذلك تسبق المدرسة الوهابية بزبيد فى التاريخ لأن الأخيرة بُنيت سنة ٨٨٣هـ.

(٢) أن المدرسة الاسكندرية بحيس ربما كانت تعرف باسم المدرسة المجاهدية كما هى العادة فى المدارس التى أنشأها المجاهد فى كل من تعز وجُبن وأما اسم «الاسكندرية» فربما أطلق عليها بسبب قيام اسكندر موز بعمل بعض التجديدات فيها على غرار ما فعله فى المدرسة التى تُنسب إليه فى زبيد .

(٣) أن القبة التى تغطى الدور قاعة فى المدرسة الاسكندرية ليست أصيلة وإنما من المحتمل أنها بُنيت فى عصر متأخر نظرا لتشابهها مع قبة المدرسة الوهابية بزبيد التى بُنيت سنة ١٣٤٣هـ.

ثانيا : نتائج معارية:

* تأثرت العمارة والفنون الرسولية بعمائر، وفنون المناطق التى عاش فيها بنى رسول قبل انتقالهم إلى اليمن فى كل من تركيا والعراق والشام ومصر، ويمكن ملاحظة هذا التأثر فى تخطيط الجامع الكبير وتغطياته والذى يتشابه مع تخطيطات وتغطيات بعض مساجد ومدارس مصر وتركيا والشام ومنها: مسجد ومشهد الجيوشى بالقاهرة، الجامع الكبير بخربوط، المدرسة النورية بدمشق.

* دراسة ووصف إثنى عشر مسجدا ومدرسة تدرس لأول مرة معماريا وزخرفيا مع تحليل عناصرها المعمارية والزخرفية ومقارنتها مع مساجد ومدارس اليمن والعالم الإسلامى.

- تتميز مدينة حيس باستمرارية المسجد الجامع حيث لا تزال تحتوى على مسجد جامع وحيد يؤدى فيه أهل المدينة صلاة الجمعة وهو الجامع الكبير والذى يعد المسجد الوحيد الذى يحتوى على منبر، وان كان المنبر نفسه قد تهالك وتساقطت أجزاؤه وأعيد وضعها كإطار حول منبر حيث مبنى بالآجر.

* إن التخطيط الحالى للجامع الكبير هو نفس التخطيط الذى كان عليه الجامع عند إنشائه، والتغيير الوحيد الذى حدث فيه هو بناء قباب بدلا من الأقبية المتهدمة التى كانت تغطى الجزء الشرقى من رواق المحراب والجزء الغربى من المصلى والمجنبة الغربية والقاعة الجنوبية الغربية، مع تعديل المساحات المستطيلة لهذه الأجزاء إلى مساحات مربعة تتناسب مع التغطيات الجديدة من خلال إضافة بعض العقود.

وهذا يقودنا بالتالى إلى اعتبار أن تخطيط الجامع الكبير هو النموذج الأقدم الذى سارت عليه تخطيطات المساجد والمدارس الرسولية بعد ذلك كما فى المدرسة المعتبية والمدرسة الأشرفية وكذلك المدارس الطاهرية مما يدل على أن المعمار الرسولى والطاهرى ظل يحافظ على هذا النموذج مع اضافة نوع من التطوير الذى تتميز به كل مدرسة أو مسجد عن الآخر ولكن هذا التطوير لم يمس جوهر التخطيط الأصلى، ويمكن ملاحظة ذلك فى شكل الصحن والمصلى والمجنبات الشرقية والغربية للجامع وكذلك الحجرات الجنوبية والتى تتشابه مع الصحن والمصلى والدهاليز وقاعات الدرس الشرقية والغربية والحجرات الجنوبية فى المدارس الرسولية والطاهرية.

* عمل تصور للتخطيط الأصلى الذى كان عليه جامع حيس عند الإنشاء وتصحيح واستكمال الأجزاء الناقصة من التخطيط المعمارى الحالى للجامع والذى وضعته الباحثة

الألمانية بربارا فنستر. وكذلك أنجاز أحد عشر مخططا معماريا للمساجد والمدارس الرسولية والطاهرية بمدينة حيس والتى تنشر لأول مرة.

* يعتبر محراب الجامع الكبير بحيس المكون من حنية ذات قطاع حدوى (حدوة فرس) أقدم مثل لهذا النوع من المحاريب فى اليمن عامة وفى العصر الرسولى خاصة حيث لم يشاهد قبل ذلك فى أى مسجد أو مدرسة.

* يعتبر المدخل التذكارى البارز فى الجامع الكبير أقدم مدخل رسولى باق على هيئته التى كان عليها عند الإنشاء والذى تأثرت به بعد ذلك المداخل البارزة فى المدارس الرسولية المعتبية، الأشرفية، جامع المظفر، وكذلك مداخل المدارس الطاهرية.

* يعتبر استخدام الحجر فى بناء صدر المدخل الرئيسى للجامع الكبير المثل الوحيد لاستخدام الحجر فى عمارة المساجد والمدارس فى حيس، كما يعتبر أقدم مثال باق لاستخدام الحجر فى بناء مداخل العمائر الدينية الرسولية والذى وجد بعد ذلك فى المدرسة المعتبية والأشرفية والمداخل المجددة فى جامع المظفر بتعز فى العصرين الرسولى والطاهرى.

* تقسيم تخطيطات المساجد الصغرى بمدينة حيس إلى أربعة طرز : الأول: مساجد غطى المصلى فيها بقبة واحدة، الثانى: مساجد غطى المصلى فيها بقبتين، الثالث: مساجد غطى المصلى فيها بثلاث قباب، الرابع : مساجد غطى المصلى فيها بقبة وسطى يكتنفها إيوانان صغيران مقبيان.

وكذلك تم تحديد طرازين من الطرز الأربعة يعودان إلى عصرى الدولتين الرسولية والطاهرية وهما الطرازان الثانى والثالث. مع اعتبار هذه التخطيطات من التخطيطات المحلية التى لم يكن للعوامل الخارجية تأثير كبير عليها، وإنما البيئة الحارة الممطرة القليلة الأخشاب لسهل تهامة هى التى فرضت على المعمار استخدام مواد البناء والتغطيات والتخطيطات التى تتناسب معها.

وإن كانت مساجد النوع الثالث ـ المصلى المغطى بثلاث قباب ـ قد وجدت فى مصر منذ العصر الفاطمى كما فى أحد مشاهد أسوان ومسجد خضرة الشريفة ومسجد ومشهد السيدة رقية، إلا أن احتمال تأثيرها على المساجد الصغرى باليمن ضئيل جدا كونها ـ المبانى السابقة ـ تمثل مشاهد بينما تعد فى اليمن مساجد.

* تشابه المصلى فى كل من المساجد الصغرى والمدارس الصغرى بمدينة حيس وغيرها من

مدن تهامة والمكونة من مصلى مغطى بقبة أو أكثر على هيئة صف واحد. مع تميز المدرسة عن المسجد بوجود قاعة تدريس كما فى مدرسة المعجار والمدرسة الهتارية. وهذا النوع من التخطيطات ـ بالنسبة للمدارس ـ يحمل السمات المحلية وإن كان يعتقد أنه تأثر بالمدارس السلجوقية فى قونيه (مدرستى قرطاى وانجامنار) وأرطاكوش فى تركيا والمدرسة الركنية بدمشق ومدرسة ابن العديم بمدينة حلب.

* إضافة طراز جديد لطراز المدارس الرسولية والطاهرية التى صنفها الدكتور/ محمد سيف النصر أبو الفتوح إلى نوعين: طراز المدارس الكبرى، طراز المدارس الصغرى، ويتمثل الطراز الجديد فى المدارس ذات التخطيط الإيوانى والتى تتكون من دور قاعة مغطاة بقبة يكتنفها إيوانان مقبيان، وقد انتشر هذا التخطيط فى العديد من مدن تهامة فى العصر الطاهرى ومن أمثلته المدرسة الوهابية بزبيد والمدرسة الاسكندرية بحيس.

* تتميز المساجد والمدارس فى تهامة عامة وحيس خاصة بوجود محراب مجوف أو مسطح، يقع فى الجدار الجنوبى للمصلى المطل على الفناء حيث لا يخلو مسجد أو مدرسة من وجود هذا المحراب والذى كان يؤدى وظيفتين الأولى علامة على اتجاه القبلة والثانية استخدامه محرابا للصلاة فى أوقات الضرورة.

* استخدام القباب والأقبية ـ بأنواعها ـ فى تغطيات مساجد تهامة عامة وحيس خاصة ويعد الجامع الكبير بحيس أقدم جامع رسولى ـ والوحيد تقريبا ـ استخدمت فيه الأقبية فى تغطية المنشأة كلها، وهذا يقودنا بالتالى إلى اعتبار الجامع حلقة الوصل ـ التى كانت مفقودة ـ بين تغطيات المساجد السلجوقية التى تسبق تاريخيا جامع حيس وبين المدارس الرسولية اللاحقة لبناء الجامع. والتى استخدمت فيها القباب والأقبية فى التغطيات كما فى المدرسة المعتبية الأشرفية وجامع المظفر بتعز.

* اقتصار المعمار الرسولى على استخدام الدعامات بأنواعها لحمل اسقف المساجد والمدارس وهذا ما يلاحظ على روافع الجامع الكبير بحيس وكذلك المدرستين المعتبية والأشرفية وجامع المظفر وغيرها.

* استخدام العقود بأنواعها وإن كان هناك نوعان من العقود انتشرا بكثرة: الأول: العقد المدبب ذو الأربعة مراكز، والثانى: العقد المفصص والذى تفنن المعمار فى تنويعه وتغيير أشكال فصوصة وعددها والتى تتراوح ما بين ٣ ـ ١٧ فص، إلا أن معظم أنواع هذا العقد كانت عقودا زخرفية أو تتوج فتحات صغيرة.

* استخدام الأركان المشطوفة فى معظم مساجد ومدارس حيس، وهذا يرجع إلى ضيق الشوارع المجاورة مما اضطر المعمار معها إلى شطف الأركان مراعاة للطريق العام.

* تتميز العمارة اليمنية وخاصة فى تهامة بابتكار مناطق انتقال جديدة تعتبر حلقة الوصل بين المثلث الكروى والمقرنصات: وهى على نوعين:

النـــوع الأول: عبارة عن مثلث كروى تبرز فيه قوالب الآجر على هيئة صفوف ذات أشكال دالية تزداد اتساعا كلما ارتفعت إلى أعلى، ويفصل بين كل صف وآخر صف من قوالب الآجر المستقيمة وهو ما أطلقت عليه اسم: المقرنصات الدالية.

النوع الثانى: عبارة عن مثلث كروى تبرز فيه زوايا قوالب الآجر على هيئة صفوف متتالية تبرز فيه زوايا قوالب الصف العلوى من منطقة اتصال الزوايا المرتدة لقوالب الصف السفلى ولذلك تظهر منطقة الانتقال وكأنها مكونة من عدة معينات، وهى ما أطلقت عليه اسم مقرنصات عش النحل.

* تتميز تهامة عامة وحيس خاصة باحتواء المساجد والمدارس فيها على مآذن قصيرة مربعة الشكل يتقدمها سلم على جانبيه جداران متدرجان وهو ما أطلقت عليه اسم المئذنة المنبرية.

وهذا النوع ربما كان استمرارا للمآذن الأولى فى الإسلام كما فى المسجد النبوى بالمدينة المنورة ومآذن جامع عمرو بالفسطاط، والتى يذكر المؤرخون أنها كانت مربعة ويصعد إليها بسلالم من الخارج. ويمكن مشاهدة هذا النوع من المآذن فى مساجد ومدارس حيس فى: مسجد الكيلة، مسجد ابن أبى الخل، مسجد ابن على، مسجد الموفى الأعلى، مدرسة الهتارى، مدرسة المعجار.

فضلا عن وجود مآذن قصيرة مثمنة الأضلاع يتقدمها سلم مشابه للمآذن المنبرية، يغطى البدن المثمن قمة مخروطية مقرنصة، وهذا النوع من المآذن انتشر فى أواخر العصر الرسولى وخلال العصر الطاهرى كما فى مسجد البخارى ومسجد الخامرى ومئذنة الجامع الكبير التى أضيفت فى العصر الطاهرى.

بالإضافة إلى وجود مآذن مرتفعة مثمنة كما فى المدرسة الاسكندرية والتى تأثرت بمآذن الهجم.

وهناك نوع رابع من المآذن يتبع النظام التقليدى للمآذن الإسلامية (قاعدة مربعة ـ بدن مثمن أو اسطوانى ـ مثمن آخر ـ قمة) وله مثل وحيد يتمثل فى مأذنة مسجد رُكيز والتى تتميز بقلة ارتفاعها.

وإن كانت أهم نتيجه في دراسة مآذن حيس هي تفردها بوجود مأذنة تعلو كتلة المحراب، حيث لم يسبق ـ على حد علمي ـ أن وجدت مأذنة تعلو كتلة المحراب وهذه ميزة مهمة وسابقة غير مسبوقة على مستوى العالم الإسلامي كله.

ونستخلص مما سبق أن المآذن اليمنية في العصر الرسولي والطاهري تنقسم إلى ثلاثة طرز معمارية: الأول طراز المآذن المنبرية، والثاني طراز مآذن المدرسة الأشرفية، والثالث طراز مآذن المهجم.

ثالثا: نتائج فنية:

* إن العناصر الزخرفية النباتية (أوراق متنوعة، مراوح نخيلية، أشجار ووريدات) والهندسية (نجوم، أطباق نجمية، أشرطة، معينات، بخاريات، مثلثات، .. الخ) التي توجد في مساجد ومدارس حيس تمثل استمرارا لما سبقها في مختلف الأقطار، فضلا عن أن بعضها كان معاصرا للتطور الزخرفي المملوكي في مصر، ولكن الجديد في زخاف جامع حيس هو استخدام الألوان بكثرة في تلوين الزخارف المحفورة والمحزوزة وتنفيذ معظم الرسوم بالألوان فقط وخاصة تلك التي تغطي الأقبية من الداخل، ولذلك تعتبر زخارف الجامع الكبير (المحفورة والملونة والمرسومة) أقدم أنواع الزخارف الباقية على المنشآت الدينية من العصر الرسولي.

* اكتشاف ودراسة عدد من الألقاب التي تنشر لأول مرة، وكان أول من تلقب بها السلطان المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول، وهي: سلطان الحرمين والهند واليمن، وارث ملك أسعد الكامل، ممهد قواعد الخلافة، معدن الفضل والرأفة والرحمة، فخر الملوك العصرية.

* تبين من خلال الدراسة صحة ما ذكره الدكتور حسن الباشا من أن السلطان المظفر أول من اتخذ لقب شمس الدين، وتصحيح ما ذكره من أن السلطان المملوكي الأشرف شعبان هو أول من اتخذ لقب محي العدل في العالمين، إذ أن السلطان المظفر كان أول من اتخذ اللقب المذكور.

* ترجيح استخدام الرسوليين للوريدة السداسية كشعار لدولتهم في عهد مؤسس الدولة السلطان المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول وولده السلطان المظفر حيث كانت منتشرة بكثرة في عهدهما على العمائر والتحف، على عكس الوريدة الخماسية التي ربما أصبحت شعارا للدولة منذ عهد السلطان المؤيد داود بن المظفر واستمرت حتى نهاية الدولة حيث يلاحظ انتشارها بكثرة على التحف والعمائر الرسولية أكثر من الوريدة السداسية.

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر

أ ـ مصادر مخطوطة

الأفضل عباس بن المجاهد على (السلطان) (ت٧٧٨هـ) :

العطايا السنيه والمواهب الهنيه فى المناقب اليمنية نسخة مؤرخة سنة ٩٠٤ هـ، ميكروفيلم رقم ٣٣٢ معهد المخطوطات العربية بالقاهرة.

الخزرجى علي بن الحسن (ت ٨١٢هـ)&

العسجد المسبوك فيمن ولى اليمن من الملوك، مخطوط مصور، نشر وزارة الإعلام والثقافة الجمهورية اليمنية، الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م.

طراز أعلام الزمن فى طبقات أعيان اليمن، نسخة مؤرخة بسنة ١٣٣٧هـ مصوره عن مكتبة الإمام يحى برقم ٤٩ تاريخ، ميكروفيلم رقم ٢١٤، دار الكتب المصرية.

الكفاية والإعلام فيمن ولى اليمن فى الإسلام، نسخة مؤرخة بسنة ١٢٢٥هـ، ميكروفيلم رقم ٢٢٠٦، دار الكتب المصرية.

شرف الدين عيسى بن لطف الله بن المطهر (ت ١٠٤٨هـ):

روح الروح فيما جرى بعد المئه التاسعة من الفتن والفتوح، مخطوط مصور، نشر وزارة الإعلام والثقافة صنعاء، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

بامخرمه، أبو محمد عبدالله الطيب بن عبدالله بن أحمد بن على (ت ٩٤٧هـ):

قلادة النحر فى وفيات أعيان الدهر، تاريخ النسخ ١٠٠١هـ، ميكروفيلم رقم ١٦٧ دار الكتب المصرية.

المظفر، يوسف بن المنصور عمر بن على بن رسول (السلطان) (ت٦٩٤هـ):

المخترع فى فنون من الصنع، تاريخ النسخ ١١٨٤هـ، ميكروفيلم رقم ٥٠٥٥٠، دار الكتب المصرية، منه نسخة عند الباحث، وقد طبع الكتاب حاليا فى الكويت بتحقيق د. محمد عيسى صالحيه.

المعلم وطيوط، الحسين بن إسماعيل البجلى الشهير بالمعلم وطيوط:

تاريخ المعلم وطيوط ـ تاريخ النسخ ١٣٣٣هـ، محفوظ بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء برقم ١٧٣، ميكروفيلم رقم ١٦١، دار الكتب المصرية.

ب ـ المصادر المطبوعة

الأهدل، بدر الدين أبو عبدالله الحسين بن عبدالرحمن بن محمد (ت٨٥٥هـ):

تحفه الزمن فى تاريخ اليمن، تحقيق، عبدالله محمد الحبشى، منشورات المدينة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

البريهى، عبدالوهاب بن عبد الرحمن (ت ٨٦٧هـ):

طبقات صلحاء اليمن (المعروف بتاريخ البريهى)، تحقيق، عبدالله محمد الحبشى نشر: مركز الدراسات والبحوث اليمنى صنعاء، بدون تاريخ.

الجعدى، عمر بن على بن سمره (ق ٦هـ / ١٢م):

طبقات فقهاء اليمن وعيون من أخبار سادات رؤساء الزمن، تحقيق فؤاد سيد، القاهرة ١٩٥٧م.

الجندى أبى عبدالله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب (ت بعد ٧٣٢هـ):

السلوك فى طبقات العلماء والملوك، جزءان، تحقيق: محمد بن على الأكوع، الطبعة الأولى، الجزء الأول ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، الجزء الثانى ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

ابن حاتم، بدر الدين محمد بن حاتم بن أحمد بن عمران (ق٧هـ/ ١٣م):

السمط الغالى الثمن فى أخبار الملوك من الغز باليمن، تحقيق: ركس سمث ١٩٧٣م.

الحميرى، نشوان بن سعيد (ت ٥٧٣هـ):

منتخبات فى أخبار، اليمن من كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، جمع

: عظيم الدين أحمد، وزارة الإعلام والثقافة ، الجمهورية اليمنية، الطبعة الثانية (مصوره)، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

الخزرجي، علي بن الحسن (ت ٨١٢هـ):

العقود اللؤلوية في تاريخ الدولة الرسولية، جزءان ، تحقيق محمد بن علي الأكوع نشر مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء، دار الأداب ، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي (ت٩٤٤هـ) :

قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، تحقيق محمد بن علي الأكوع، الطبعة الثانية، ١٢٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، نشر مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء، الطبعةا لأولى، ١٩٧٩م.

الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تحقيق، الدكتور، يوسف شلحد، نشر مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء، دار العودة بيروت طبعة الثانية ١٩٨٣م.

تحقيق : د. محمد عيسى صالحيه، نشر: المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

الشرجي أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبداللطيف (ت٨٩٣هـ):

طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، تصحيح : محمد الزهري الغمرواي، المطبعة اليمنية بمصر، ١٣٢١هـ.

الشوكاني، محمد بن علي (ت١٢٥٠هـ) :

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، جزءان ، دار المعرفة للطباعة بيروت، الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م.

شرح الصدور بتحريم رفع القبور، دار الوطن للنشر والإعلام ، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م.

ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن:

مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق بروكلمان ، ١٨٥٠، ١٨٦٤م.

عماره بن على اليمنى (نجم الدين) (ت٥٦٩هـ) :

تاريخ اليمن المسمى المفيد فى أخبار صنعاء وزبيد، وشعراء ملوكها، وأعيانها، وأدبائها، تحقيق : محمد بن على الأكوع، المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع صنعاء، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.

العيدروس، محى الدين عبد القادر بن شيخ بن عبدالله : (ت ١٠٣٨هـ)

تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

الفاسى، تقى الدين أبو الطيب محمد بن أحمد (ت ٨٣٢هـ).

العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين، تحقيق : فؤاد سيد وآخرون، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

القلقشندى، أبو العباس أحمد بن على (ت٨٢١هـ):

صبح الأعشى بصناعة الإنشا، الجزأين الخامس والسادس، نسخة مصوره عن الطبعة الأميرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر.

ابن ماجه : الحافظ أبى عبدالله محمد بن يزيد (٢٠٧، ٢٧٥هـ):

سنن ابن ماجه، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقى، مكتبة فيصل عيسى بابى الحلبى، مطبعة دار احياء الكتب الدينية.

ابن المجاور، جمال الدين أبى الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد الشيبانى الدمشقى: (ت ٦٩٠هـ):

صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، المسماه تاريخ المستبصر لابن المجاور تصحيح : أوسكرلوفقرين، منشورات دار المدينة، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦.

النهزوالى، قطب الدين محمد بن أحمد : (ت ٩٩٠هـ)

البرق اليمانى فى الفتح العثمانى، منشورات المدينة، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

الهمدانى، الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت ٣٥٠هـ):

صفة جزيرة العرب، تحقيق : محمد بن على الأكوع، مركز الدراسات والبحوث اليمنى صنعاء، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

الوزير، عبد الاله بن على :

طُبق الحلوى وصحاف المنّ والسلوى (تاريخ اليمن خلال القرن الحادى عشر الهجرى / السابع عشر الميلادى ١٠٤٥، ١٠٩٠هـ/ ١٦٣٥، ١٦٨٠م). تحقيق : محمد عبد الرحيم حازم، نشر مركز الدراسات والبحوث اليمنى صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

الوصابى ، وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن محمد الحبيش (ت ٧٨٢هـ) :

تاريخ وصاب الإعتبار فى التواريخ والأثار، تحقيق عبدالله محمد الحبشى، نشر مركز الدارسات والبحوث اليمنى صنعاء، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.

يحى بن الحسين بن القاسم (ت ١١٠٠هـ):

غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى ، جزءان ، تحقيق : د. سعيد عبد الفتاح عاشور مراجعة: د. محمد مصطفى زياده، نشر : دار الكاتب العربى للطباعة والنشر القاهرة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

اليمانى ، تاج الدين عبد الباقى بن عبد المجيد (ت ٧٤٤هـ) :

تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن فى تاريخ اليمن، تحقيق : مصطفى حجازى، دار الكلمة صنعاء، الطبعة الثانية ١٩٨٥م.

ثانيا : المراجع العربية

أ ـ الكتب

إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية ، جزءان ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م .

إبراهيم زكى خورشيد ، د . عبد الحميد يونس ، حسن عثمان : دائرة المعارف الإسلامية ، الجزء ١٦ ، مطابع دار الشعب ، ١٩٦٩م .

أحمد حسين شرف الدين : لهجات اليمن قديما وحديثا ، مطبعة الجبلاوى ، القاهرة ، ١٩٧٠م .

أحمد شلبى (دكتور) : موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، الجزء السابع ، الإسلام والدول الإسلامية بالجزيرة العربية والعراق ق مطلع الإسلام حتى الآن ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثالثة ١٩٨٥م .

أحمد فكرى (دكتور) : مساجد القاهرة ومدارسها ثلاثة أجزاء : المدخل ، الجزء الأول : العصر الفاطمى ، الجزء الثانى : العصر الأيوبى ، دار المعارف مصر .

إسماعيل بن على الأكوع : المدارس الإسلامية فى اليمن ، منشورات جامعة صنعاء ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ، الطبعة الثانية ١٩٨٦م .

أوقطاى آصلان أبا :

فنون الترك وعمائرهم ، ترجمة د . أحمد محمد عيسى ، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ، استانبول ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

أيمن فؤاد سيد (دكتور) : تاريخ المذاهب الدينية فى بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجرى ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٤٠٨/ ١٩٨٨م .

برباره فنستر : تقارير أثرية من اليمن، ترجمة د. عبد الفتاح البركاوى، الجزء الأول، المعهد الألمانى للآثار صنعاء ١٩٨٢م.

حسن الباشا (دكتور) : الفنون الإسلامية والوثائق على الآثار العربية، ثلاثة أجزاء، دار النهضة العربية، القاهرة الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوظائف والآثار، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٨م.

حسن صالح شهاب : عدن فرضة اليمن، مركز الدراسات والبحوث اليمنى صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، (بدون تاريخ أو مكان الطبع).

حسين عبدالله العمرى (دكتور) : مئة عام من تاريخ اليمن الحديث، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤م.

حسين عبدالله العمرى (د)، مطهر بن على الإريانى، يوسف محمد عبدالله (د):

فى صفه بلاد اليمن عبر العصور، من القرن السابع قبل الميلاد إلى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى، نشر : دار الفكر العربى المعاصر بيروت، الطبعة الأولى : ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

حسين مؤنس (دكتور) : المساجد، سلسلة عالم المعرفة، عدد ٣٧، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

خير الدين الزركلى : الإعلام، ٨ مجلدات، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة السابعة، ١٩٨٦م.

دولة عبدالله (دكتور) : معاهد تزكية النفوس فى مصر فى العصر الأيوبى والمملوكى، مطبعة حسان، ١٩٨٠م.

ربيع حامد خليفة(دكتور) : الفنون الزخرفية اليمنية فى العصر الإسلامى الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

زكى محمد حسن (دكتور) : فنون الإسلام، دار الفكر العربى، بدون تاريخ.

سعاد ماهر محمد (دكتور) : العمارة الإسلامية على مر العصور، جزءان، دار البيان العربى للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) : الأيوبيين والمماليك فى مصر والشام، دار النهضة العربية القاهرة، ١٩٩٠م.

السيد عبد العزيز سالم (دكتور) : قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس، جزءان، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٩٨٤م.

المآذن المصرية : نظرة عامة عن أصلها وتطورها منذ الفتح العربى حتى الفتح العثمانى، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية.

سيد مصطفى سالم (دكتور) : الفتح العثمانى الأول لليمن ١٥٣٨، ١٩٣٥م، معهد البحوث والدراسات العربية الطبعة الثالثة، ١٩٧٨م.

صالح لمعى مصطفى : القباب فى العمارة الإسلامية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت.

عبد الرحمن بعكر : كواكب يمانية فى سماء الإسلام، دار الفكر المعاصر بيروت، دار الفكر دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

عبد الرحمن عبد الواحد محمد الشجاع (دكتور) : اليمن فى صدر الإسلام، دار الفكر دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

عبد السلام أحمد نظيف (مهندس) : دراسات فى العمارة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩م.

عبد الله محمد الحبشى : مصادر الفكر العربى الإسلامى فى اليمن، مركز الدراسات والبحوث اليمنى صنعاء، بدون تاريخ.

حياة الأدب اليمنى فى عصر بنى رسول، وزارة الإعلام والثقافة صنعاء ١٩٨٠م.

الصوفية والفقهاء فى اليمن، مكتبة الجيل الجديد صنعاء، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

عصام الدين عبد الرؤوف الفقى (دكتور) : اليمن فى ظل الإسلام منذ فجره وحتى قيام دولة بنى رسول، دار الفكر العربى للقاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.

على بن محمد الشريف الجرجانى : كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٦٩م.

فريد محمود شافعى (دكتور) : العمارة العربية فى مصر الإسلامية « فى عصر الولاة» ٢١ ، ٣٥٨هـ/ ٦٣٩ ، ٩٦٩م الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠م.

العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

كمال الدين سامح (دكتور) : العمارة الإسلامية فى مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.

كوستا، باولو س.م : دراسة لمدينة ظفار (البُليد) ، وزارة التراث القومى والثقافة، سلطنة عمان، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

محمد بن أحمد الحجرى : مساجد صنعاء عامرها وموفيها، دار حياء التراث العربى، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨هـ.

محمد عبد الستار عثمان (دكتور) : الإعلان بأحكام البنيان (لأبن الرامى) ، دراسة أثرية معمارية، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

محمد عبد العال أحمد (دكتور) : الأيوبيون فى اليمن، مع مدخل تاريخ اليمن الإسلامى إلى عصرهم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م.

بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية فى عهدهما ، ٦٢٨ ، ٩٢٣هـ/ ١٢٣١ ، ١٥١٧م، دار المعرفة الجامعة الإسكندرية، ١٩٨٩م.

محمد بن على الأكوع : اليمن الخضراء مهد الحضارة ، مطبعة السعادة القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

محمد عيسى الحريرى (دكتور) : معالم التطور السياسى فى دول بنى نجاح وعلاقاتهم بالصليحين، دار القلم الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

محمد محمد متولى (دكتور)، محمود أبو العلا (دكتور) : جغرافية شبه جزيرة العرب، الجزء الثالث، جغرافية اليمن الشمالى، مكتبة الأنجلو مصرية، الطبعة الثالثة ١٩٨٨م.

محمد محمد محمد زياره : نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف إلى سنة ١٣٥٧هـ مركز الدراسات والبحوث اليمنى صنعاء.

أئمه اليمن، تعز ، ١٣٧٢هـ.

مصطفى عبدالله شيحه (دكتور) : مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية فى الجمهورية اليمنية، وكالة سكرين، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

ب ـ الرسائل

إبراهيم أحمد المطاع : المدرسة المنصورية بمدينة جبن باليمن، دراسة أثرية حضارية، رسالة ماجستير (غير منشوره)، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

أحمد عبد الرازق أحمد : الفخار المصرى المطلى فى العصر المملوكى، رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية الآداب جامعة القاهرة، ١٩٦٨.

حمود على القيرى : تحقيق ودراسة ديوان الفتوح لأحمد بن علوان اليمنى، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة القاهرة ١٩٨٨م.

سعيد محمد مصيلحى : أدوات وأوانى المطبخ المعدنية فى العصر المملوكى (دراسة أثرية فنية) ، رسالة دكتوراه (غير منشورة) ، كلية الآثار جامعة القاهرة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

عبد الرحمن عبد الواحد محمد الشجاع : الحياة العلمية فى اليمن فى القرنين الثالث والرابع للهجرة، رسالة دكتوراه (غير منشوره)، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

عبدالله إبراهيم الراشد : المنشآت المعمارية الرسولية فى اليمن، رسالة ماجستير (غير منشوره) ، كلية الآداب ، جامعة الملك سعود بالرياض ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

عبدالله كامل موسى : دراسة معمارية مقارنة للعمائر الدينية فى عصر الدولة الصليحية باليمن والفاطمية فى مصر، رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية الآثار ، جامعة القاهرة، ١٩٩٠م.

تطور المئذنة المصرية بمدينة القاهرة من الفتح العربى وحتى نهايه العصر المملوكى دراسة معمارية زخرفية مقارنة مع مآذن العالم الإسلامى، رسالة دكتوراه (غير منشورة) كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

فاروق أحمد حيدر : التعليم فى اليمن فى عهد دولة بنى رسول خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، رسالة دكتوراه (غير منشوره) ، كلية التربية، جامعة عين شمس.

محمد عبده محمد السرورى : مظاهر الحضارة فى الدول المستقلة فى اليمن ٤٣٩ ، ٦٢٦ هـ رسالة دكتوراه (غير منشورة) كلية الآداب ، جامعة القاهرة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

جـ ـ المعاجم

إبراهيم أحمد المقحفى : معجم المدن والقبائل اليمنية ، دار الكلمة صنعاء ١٩٨٥م .

الرازى محمد بن أبى بكر : مختار الصحاح ، دار الجيل بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

محمد محمد أمين (دكتور) ، ليلى على إبراهيم : المصطلحات المعمارية فى الوثائق المملوكية (٦٤٨ ، ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ ، ١٥١٧م) ، دار النشر بالجامعة الأمريكية ، القاهرة .

ابن منظور: لسان العرب ، طبعة دار المعارف .

د ـ أبحاث ومقالات منشوره فى مجلات ودوريات وموسوعات

أيمن فؤاد سيد (دكتور) : المدارس فى مصر قبل العصر الأيوبى ، بحث نشر فى كتاب : تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية ، سلسلة تاريخ المصريين ، ٥١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٢م .

حسن الباشا (دكتور) : جامع عمرو ، بحث منشور فى كتاب : القاهرة تاريخها ، فنونها ، آثارها مؤسسة الأهرام ، ١٩٧٥م .

حسنى محمد نويصر (دكتور) : عوامل مؤثرة فى تخطيط المدرسة المملوكية ، بحث نشر فى كتاب : تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية ، سلسلة تاريخ المصريين ٥١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٢م .

حسين عبد الرحيم عليوه (دكتور) : الخط ، بحث نشر فى كتاب : القاهرة تاريخها ، فنونها ، آثارها ، مؤسسة الأهرام ، ١٩٧٠م .

دارة الملك عبد العزيز : العلاقة بين التراث الحضارى الإسلامى ونمو المدينة العربية ، بحث نشر فى كتاب : المدينة العربية خصائصها وتراثها الحضارى والإسلامى الرياض ، ١٩٨١م .

ربيع حامد خليفة (دكتور) : الفنون الإسلامية فى عهد الدولة الرسولية (٦٢٦ ، ٨٥٨هـ/ ١٢٢٩ ، ١٤٥٤م) « التحف المعدنية » بحث نشر فى : مجلة كلية الأداب ، جامعة صنعاء ، العدد الثامن ، ١٩٨٨م .

سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) : العلم بين المسجد والمدرسة ، بحث منشور فى كتاب تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية ، سلسلة تاريخ المصريين ، ٥١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٢م .

سليمان مصطفى زبيس : القبة التونسية ، بحث نشر فى كتاب : دراسات فى الآثار الإسلامية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، القاهرة ، ١٩٧٩م.

عبداللطيف إبراهيم (دكتور) : سلسلة الدراسات الوثائقية ، الوثائق فى خدمة الأثار (العصر المملوكى) ، بحث نشر فى كتاب : دراسات فى الآثار الإسلامية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، القاهرة ، ١٩٧٠م.

عفاف سيد صبره (دكتور) : الستائر الجصية فى الفن اليمنى (العقود اليمنية) ، بحث نشر فى مجلة : دراسات يمنية ، مركز الدراسات والبحوث اليمنى صنعاء ، عدد ٢٨ ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

محمد سيف النصر أبو الفتوح (دكتور) : نظره عامة على تخطيطات المدارس اليمنية ، بحث نشر فى مجلة الإكليل ، وزارة الإعلام والثقافة صنعاء ، العدد الأول ، السنة الثالثة ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

المدرسة الدعاسية بمدينة زبيد ، بحث نشر فى ، مجلة كلية الآداب قنا ، جامعة أسيوط ، العدد الثانى ١٩٩٢م.

محمد محمد الكحلاوى (دكتور) : مقاصير الصلاه فى العصر الإسلامى ، دراسة أثرية معمارية ، بحث نشر فى : مجلة كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، العدد الثالث ، ١٩٨٩م.

مصطفى عبدالله شيحه (دكتور) : أضواء على تاريخ العمارة الدينية فى عصر بنى رسول باليمن ، بحث نشر فى : مجلة المؤرخ المصرى ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، العدد الثالث ، يوليو ١٩٨٨م.

دراسة مقارنة بين المدرسة المصرية والمدرسة اليمنية ، بحث نشر فى كتاب : تاريخ المدارس **فى مصر الإسلامية، سلسلة تاريخ المصريين ، ٥١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م.**

مطهر على الإريانى : سهفنة ، القضاض ، مقالان نشرا فى : الموسوعة اليمنية ، جزءان ، مؤسسة العفيف الثقافية صنعاء ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

يوسف محمد عبدالله (دكتور) : المدينة اليمنية التاريخية ، الموقع والتاريخ ، بحث نشر فى : مجلة اليمن الجديد . وزارة الإعلام والثقافة صنعاء ، العدد الأول ، السنة السادسة عشرة ، جمادى الأول ١٤٠٧هـ/ يناير ١٩٨٧م.

أسعد الكامل، مقال نشر فى : الموسوعة اليمنية ، جزءان ، مؤسسة العفيف الثقافية ، صنعاء ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

ثالثا : المراجع الأجنبية

أ ـ الكتب

Corpus :
Inscriptionum semiticarum, - Inscriptiones Himyariticas Et Sabeas continens, Tomus 1, Parisiis E Reipublice Typographeo, 1889.

Creswell, K.A.C : The Muslim Architecture of Egypt.

I. I Khshids and Fatimids, A.D. 939 - 1711, Oxford at the Clarendon Press, Mc Mlii (1951).

II. Ayyubids and early Bahrite Mamluks A.D. 1171 - 1326, oxford at the clarendon press Mcmlii (1959).

Creswell, K.A.C, James, W. Allan: Ashort Account of early Muslim architecture, the American university in Cairo press.

Lewcock, Ronald: The old walled city of Sana'a , UNESCO, 1986 - 1987.

Richard B. parker, Robin sabin, caroline williams: Islamic Monuments in Cairo apractical Cuide - the American university in Cairo press.

Serjeant. R.B, and Ronald Lewcock: Sana, an Arabian Islamic city, world of Islam Festival Trust.

Shafii, farid: simple calyx ornament in Islamic Art, Cairo university press, 1957.

ب ـ الرسائل

Al - Arosi, Mohamed Ali: les madrasas de laville de Zabid au Yémen, 1994, universiti de provence, 2 volum.

Borter, Venetia Ann : The istory and monuments of the tahirid dynasty of the Yemen,858- 923/1454- 1517, This is for the degree of , ph. D. university of Durham, 1992.

Sodek, Noha: Patronage and architecture of Rasoled Yemen, 626 -858, A.H./ 1229 - 1454 - Doctor of philosophy in the univ - Toronto.

Al - Selwi, Ibrahim: Jeminitische Worter in den, werken von Homdane und Nosuan und Iberparallesten in den Semitischen sprchen.

جـ - الأبحاث والمقالات

Bonnenfant, Paul : La' Qodad, Les maisons tours de sana'a Les presses do cnrs 1989.

finster, Barbara : Die Freitags moschee von san'a , Baghdader Mitteilungen, Deutsches Archaologisches Institut Abteilung, Baghdad, Band,9. 1979. Gebr mann verlag, Berlin.

Die Grosse Moschee von sarha, Baghdader Mitteilungen, Deutsches Archaologisches Institut Abteilung Baghdad Band, 10 , 1979, Gebr Mann verlag, Berlin.

DieGrosse Moschee von Damar, Die Grosse Madrasa Al Asadiya in Abb, die grosse moschee von Hais, Die Masgid ALcbbas im Haulan Dis minarette von AL Mahgam - archaologische Berichte , Aus Dem Yemen, deutshes archaologisches Institut sana, Band3 1986, verlag philipp von Zebern Mainz Am Rhein.

The Architecture of the Rasulids: Yemen 3000 years of art and Daum, civilisation in arabia fellx, edited by: Wernr, published by: Innsbruck: Pinguin verlag, 1988.

Italian Institute: A rchaeological Missions: Yemen archaeological Activities in the Yemen arab Rebublic, 1984, 1985, 1986.

Materials for typology of Yemeni Religious architecture, 1987. compaaign dreft report.

Ieaf, William : Developments in the system of armorial insignia during the Ayyubid and Mamluk periods palastine explovation quartarly, 1983.

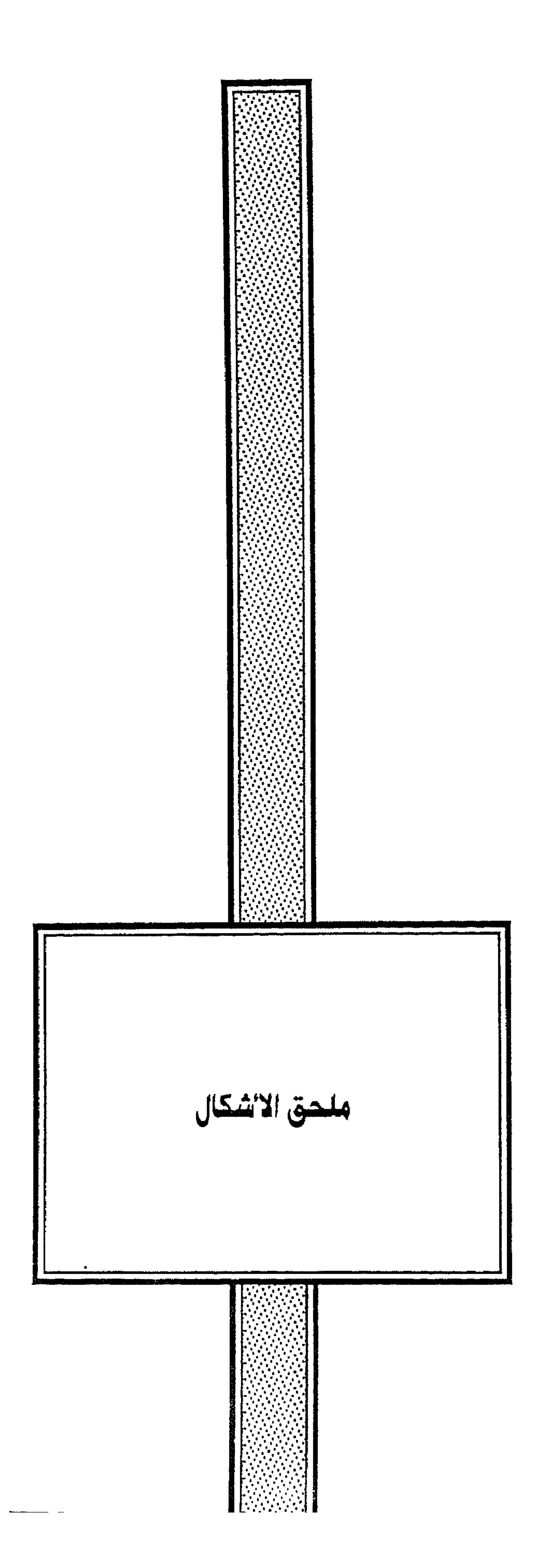
Nankivell, John : Tihamah portfolio - Aselection of drawings and commentary by the Artist, studieson the Tihamah the report of the Tihamah expedition, 1982 and related papers - edited by Francine stone, Longman.

Porter, Venetia: The art of the rasulids: Yemen 3000 years of art and civilisation in arabia felix edited by: werner Daum, published by: Innsbruck: Pinguin verlag, 1988.

Robert. B. Mason & Edward. J. Keall: provenance of local ceramic industry and the characterization of imports: petrography of pottery from medival Yemen : Antiquity, vol. 62, Numper 236, septamber, 1988.

Steven . D. Ehrlich: Tihamah architecture - An architects survey drawings, studies on the Tehamah : the report of the Tihamah expedition, 1982, and related papers, edited by: francine stone, longman.

الفهــرس



ملحق الأشكال

ثبت الأشكـال *

---

(١)ما نقل عن الآخرين ذكر أمامه عن فلان ، وما عدا ذلك فهو من عمل المؤلف .

شكل (١٠١) زبيد، مسجد لعدني. لسقط لأفقي(عن ITALIAN INSTITUTE)

شكل (١٠٢) زبيد . مسجد الصنوى . المسقط الأفقي
(عن ITALIAN INSTITUTE)

شكل (١٠٣) زبيد، مسجد الأهدل، المسقط الأفقي(عن ITALIAN INSTITUTE)

شكل (١٠٤) المتينة، مسجد .....، المسقط الأفقي(عن ITALIAN INSTITUTE)

شكل (١٠٥) التحيتة ، مسجد المزجاجي، المسقط الأفقي
(عن ITALIAN INSTITUTE)

شكل (١٠٦) التحيتة ، مسجد الشيخ أبكر ، المسقط الأفقي
(عن ITALIAN INSTITUTE)

شكل (١٠٧) الدريهمي ، مسجد عبد الله بن علي ، المسقط الأفقي
(عن TEHAMAH)

شكل (١٠٨) زبيد، المدرسة المنصورية العليا، المسقط الأفقي (عن سيف النصر)

شكل (١٠٩) زبيد ، المدرسة الدعاسية ، المسقط الأفقي (عن نهى صادق)

شكل (١١٠) زبيد ، المدرسة الجبرتية، المسقط الأفقي (عن نهى صادق)

شكل (١١١) زبيد ، المدرسة الفرحانية ، المسقط الأفقي (عن نهى صادق)

شكل (١١٢) زبيد ، المدرسة الوهابية ، المسقط الأفقي (عن سيف النصر)

شكل (١١٣) زبيد ، مدرسة المزجاجي ، المسقط الأفقي
(عن ITALIAN INSTITUTE)

شكل (١١٤) زبيد، مسجد ومدرسة الدويدار، المسقط الأفقي (عن TEHAMAH)

شكل (١١٥) زبيد، المدرسة الزكارية، المسقط الأفقي
(عن ITALIAN INSTITUTE)

شكل (١١٦) زبيد، المدرسة العلوية الشرقية، المسقط الأفقي (عن نهى صادق)

شكل (١١٧) إب، المدرسة الأسدية ، المسقط الأفقي (عن بربارا فنستر)

شكل (١١٨) زبيد ، المدرسة الأسكندرية ، المسقط الأفقي (عن سيف النصر)

شكل (١١٩) حلب، المدرسة السلطانية ، المسقط الأفقي (عن كريزويل)

الربع الخالي
رملة السبعتين
حضرموت
الكثيري
القعيطي
المهرة
خليج عدن
خليج القمر

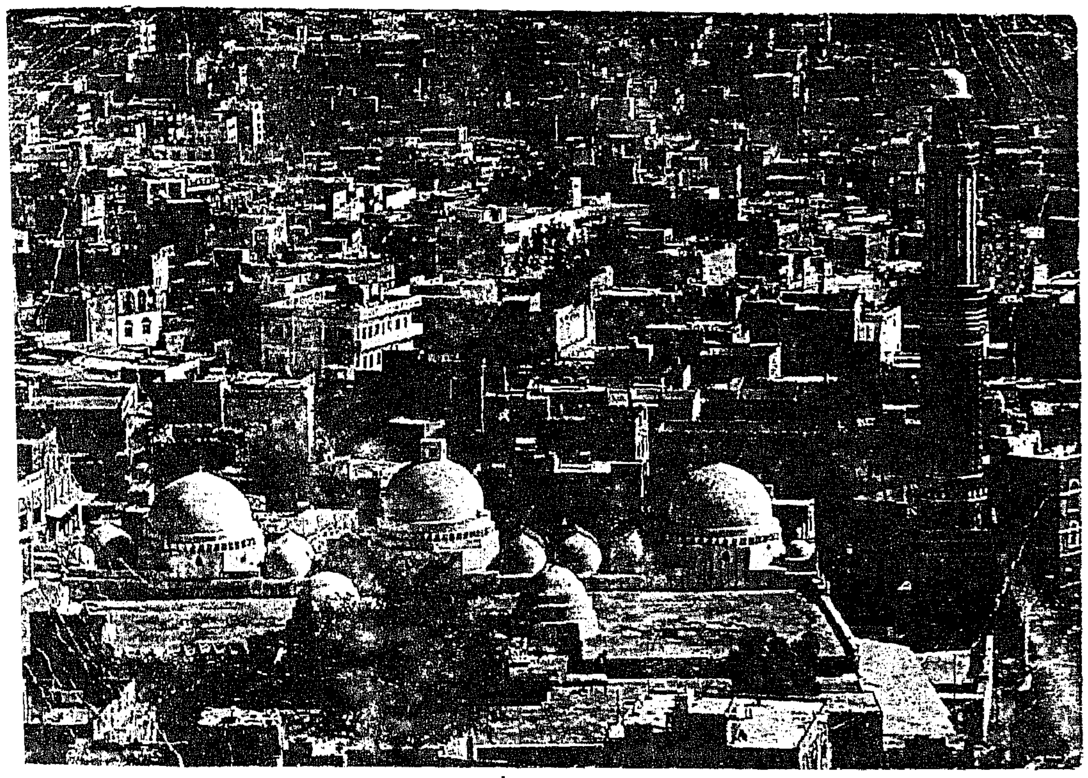
العاصمة
مدن رئيسية
موقع الدراسة

مقياس الرسم ١ : ٢٫٧٥ مليون

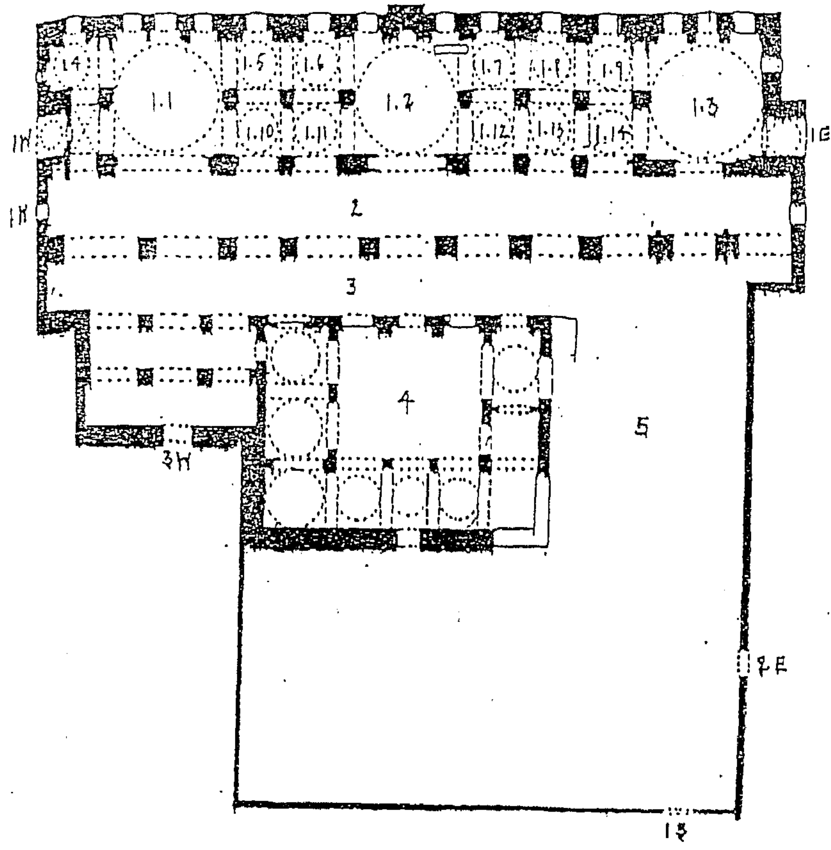
شكل (١) خريطة الجمهورية اليمنية



شكل (٢) حيس ، بعض قطع الخزف والفخار عن (ANTIQUITY)



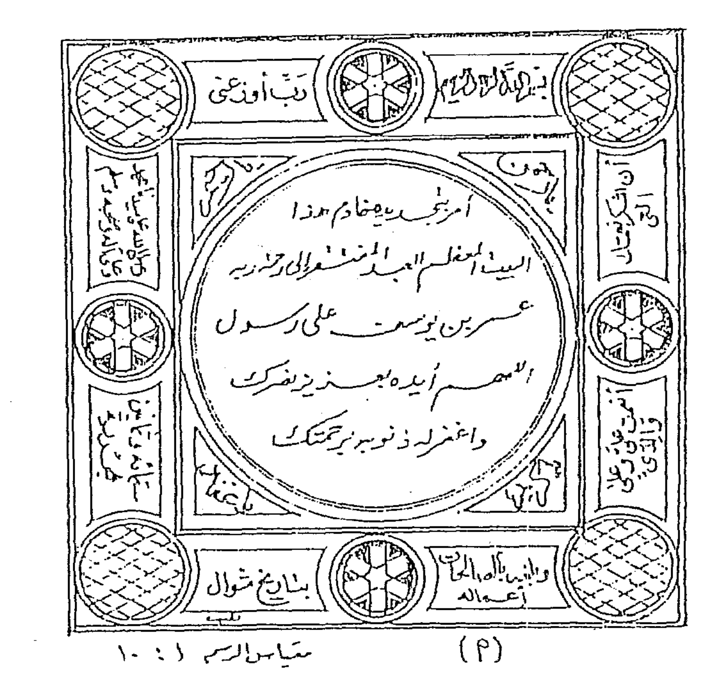
شكل (٣) تعز ، جامع المظفر من أعلى ، عن مؤسسة السياحة



شكل (٤)   تعز ، جامع المظفر ، المسقط الأفقى (عن نهى صادق)



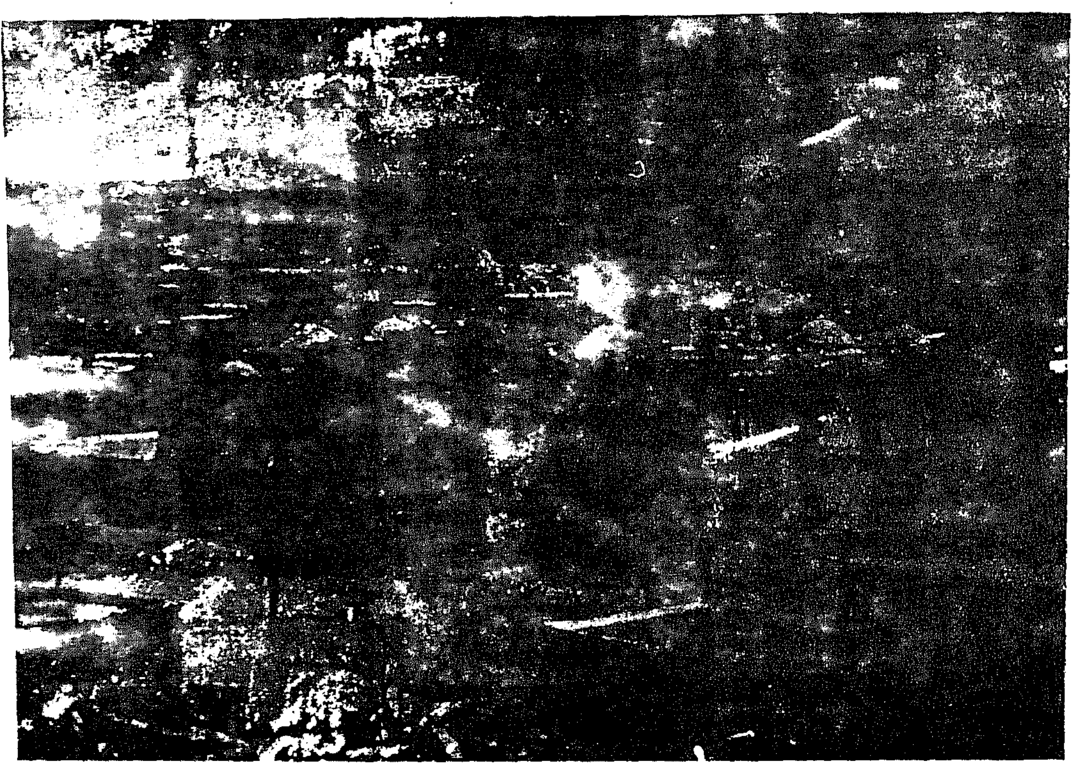
شكل (٥)   حيس ، القصر السلطانى (قلعة حيس)



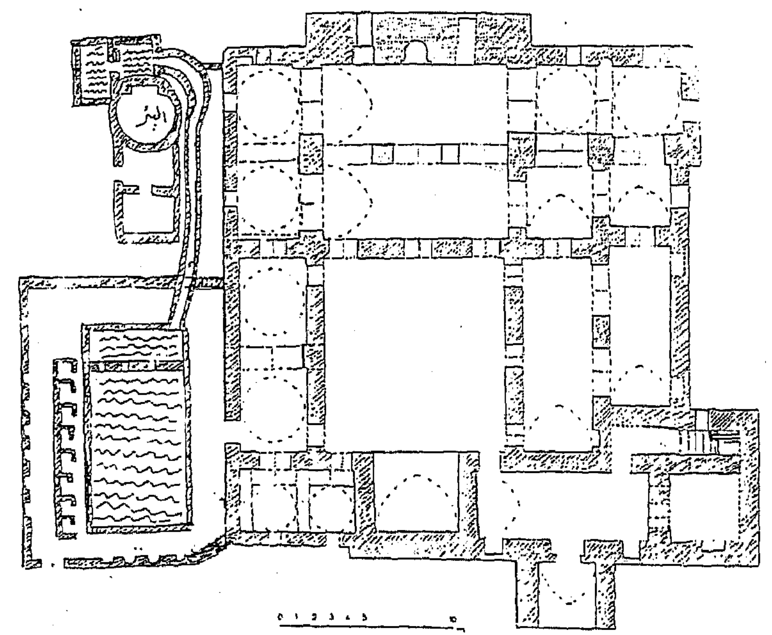
شكل (٦) مكة المكرمة ، الكعبة :-

أ- نص تجديد رخام الكعبة (عن عبد السلام نظيف)

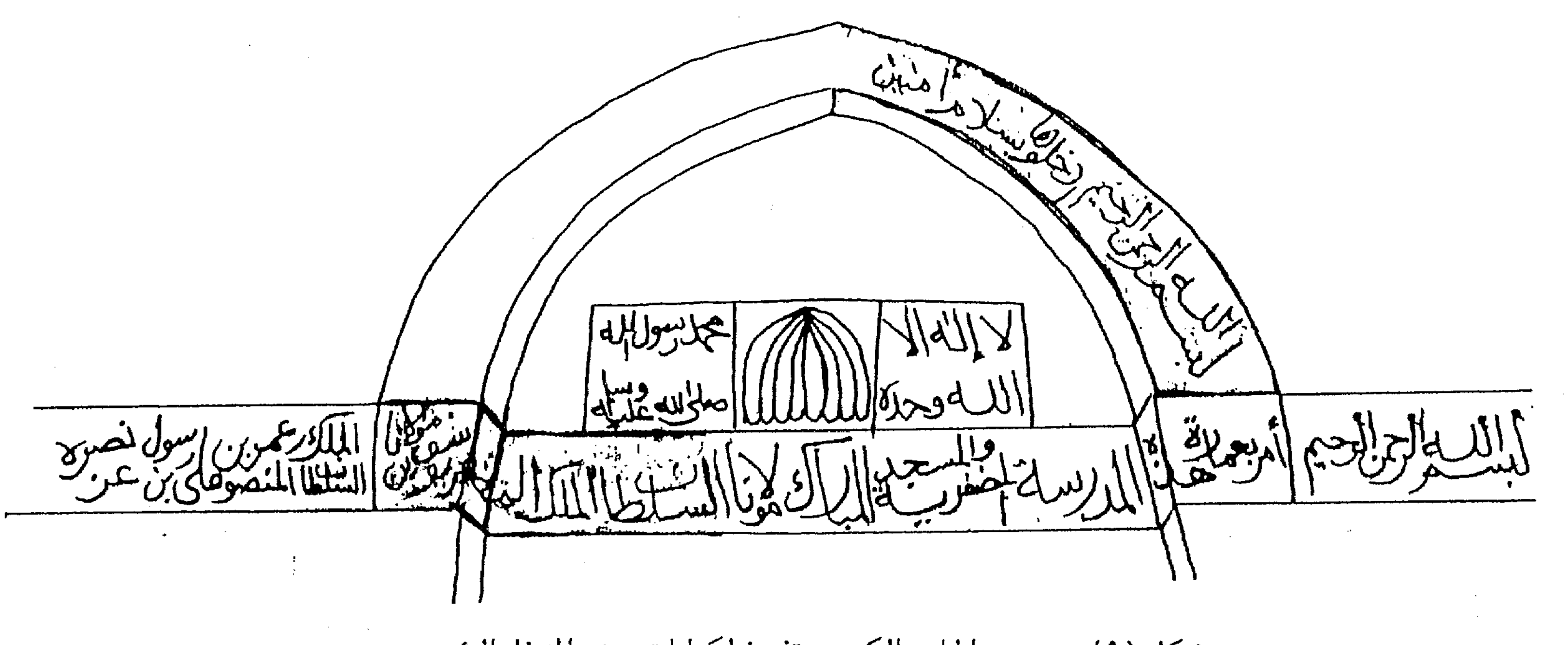
ب- نفس الشكل مع تعديل الباحث لبعض العبارات التى ذكرها الأكوع فى كتاب المدارس



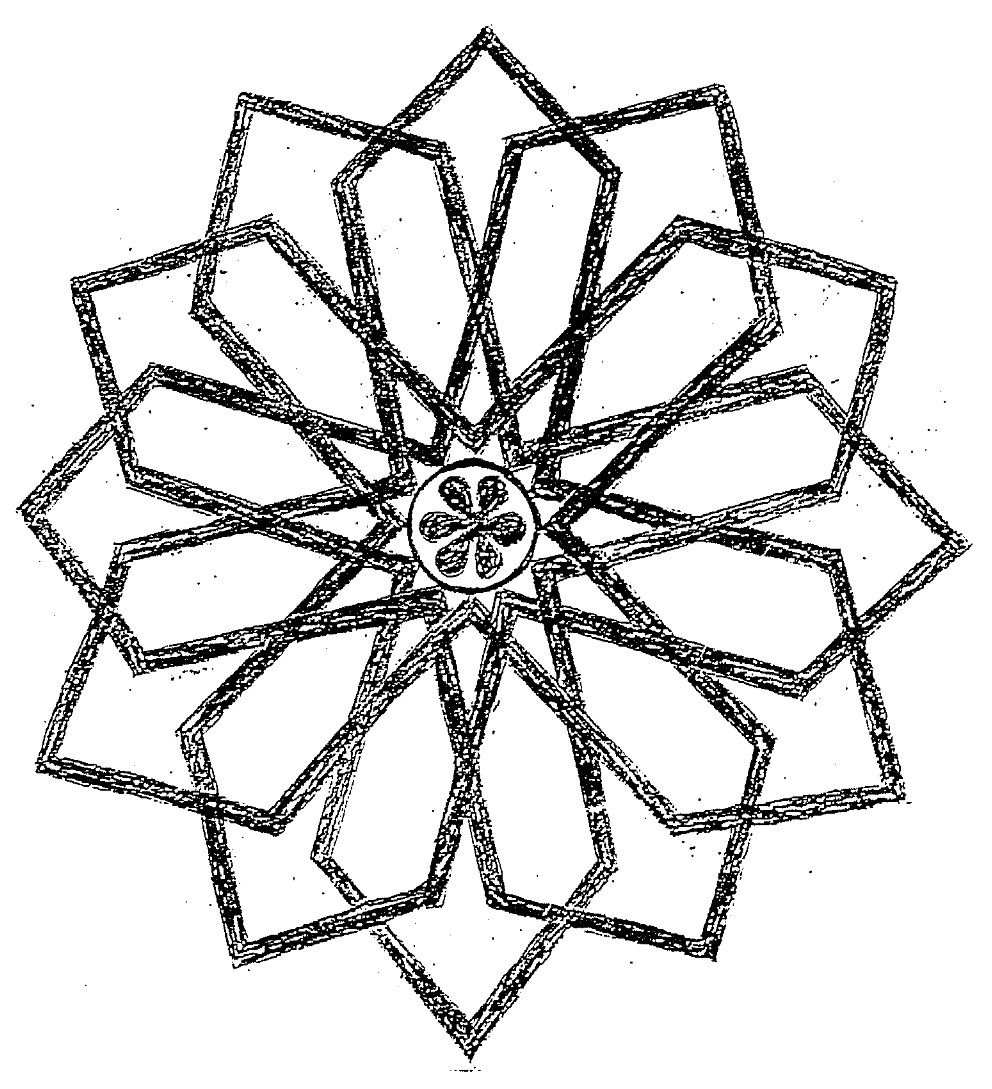
شكل (٧) حيس ، الجامع الكبير ، منظر عام



شكل (٨) حيس ، الجامع الكبير ، المسقط الأفقى (عن بربارا فنستر) مع
تعديل الباحث للميضأة وبعض الأجزاء

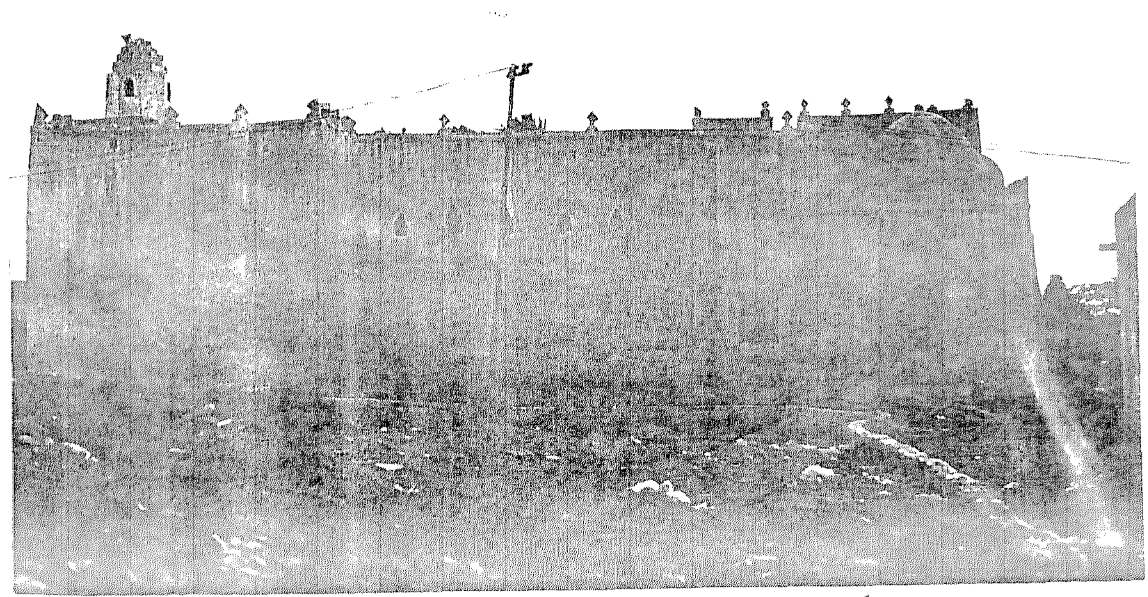


شكل (٩) حيس ، الجامع الكبير ، تفريغ لكتابات صدر المدخل الرئيسي

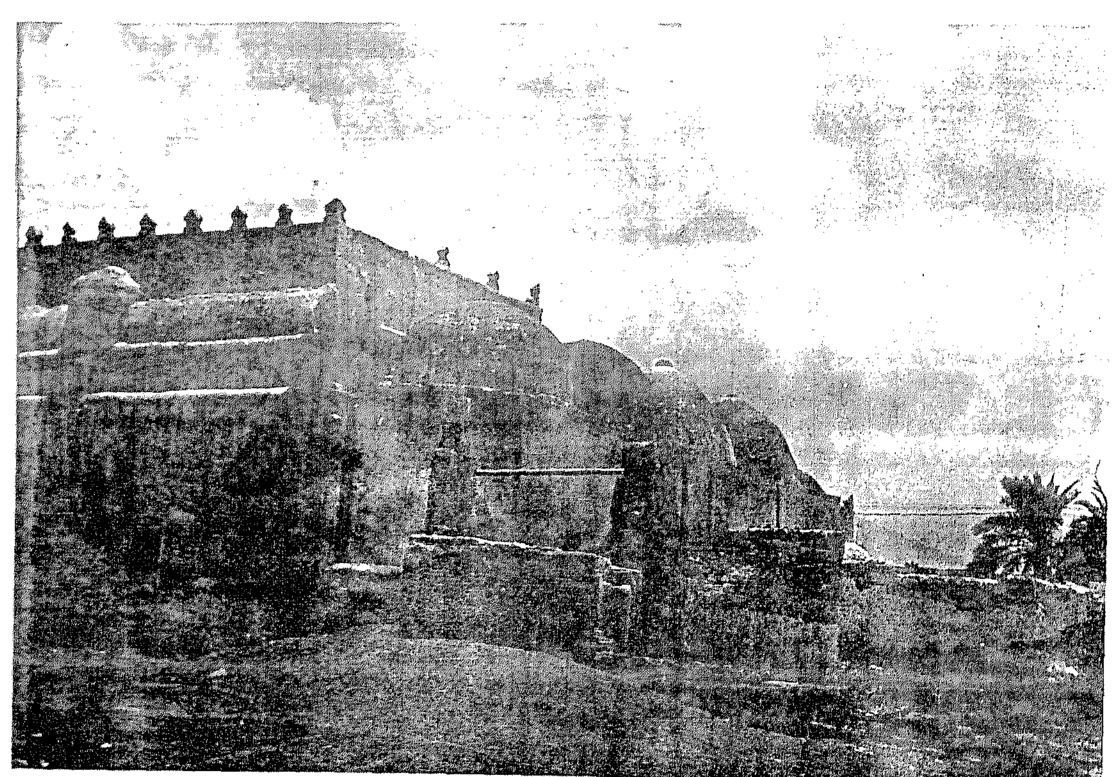


شكل (١٠) حيس ، الجامع الكبير ، تفريغ لزخرفة الأطباق النجمية على الجدران الداخلية لحجر المدخل

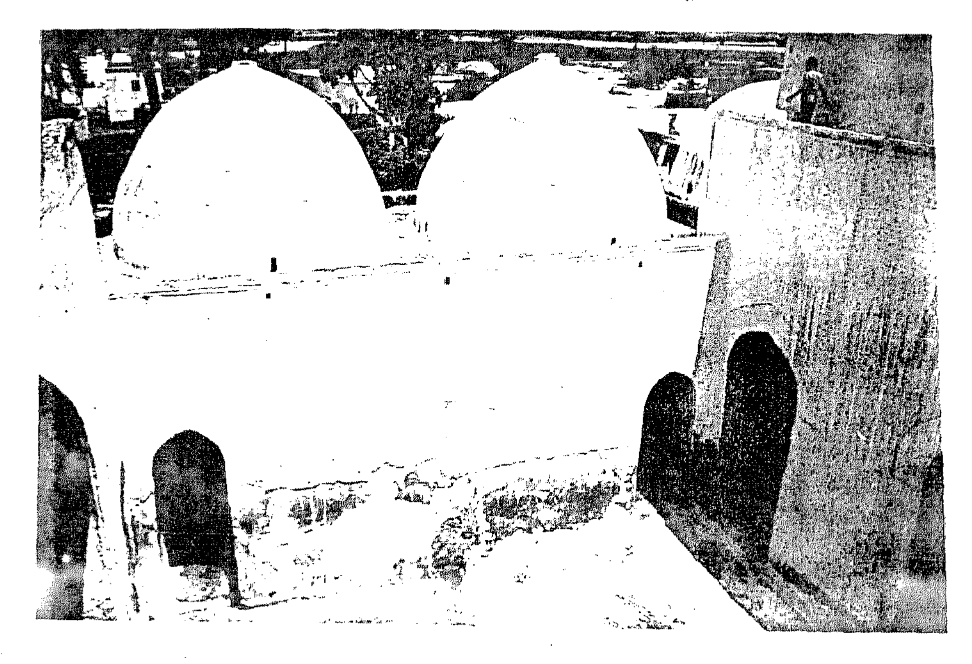
شكل (١١) حيس ، الجامع الكبير ، الواجهة الشمالية (القبلية)



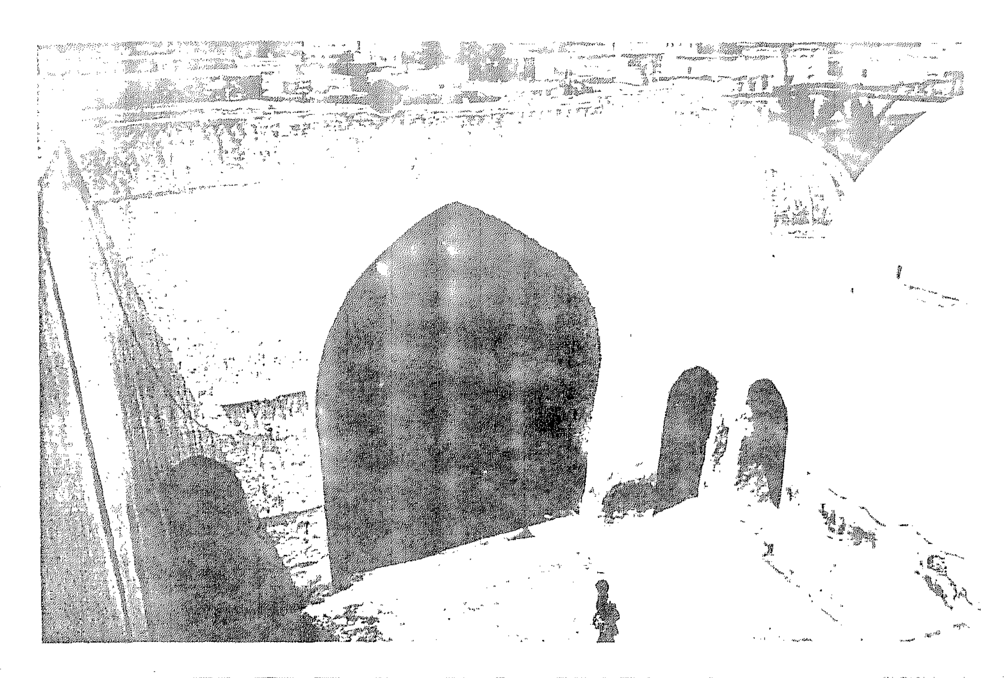
شكل (١٢) حيس ، الجامع الكبير ، الواجهة الشرقية



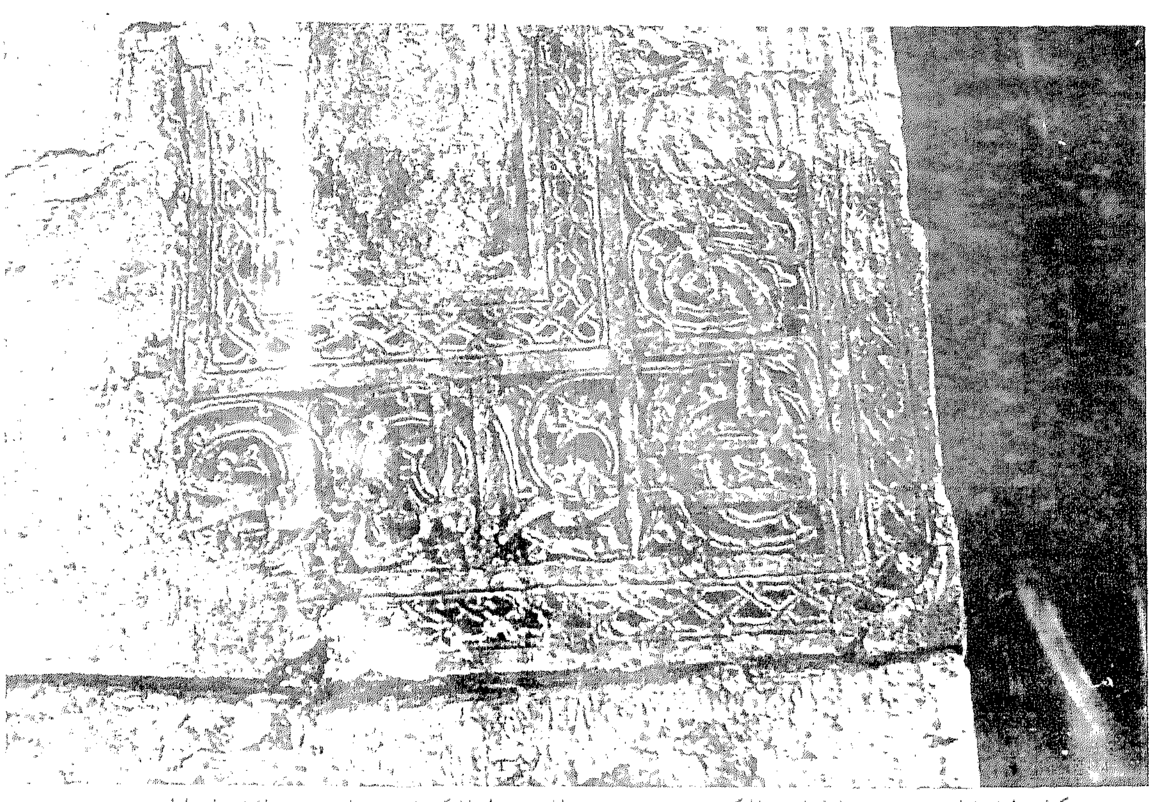
شكل (١٣) حيس ، الجامع الكبير ، الواجهة الغربية



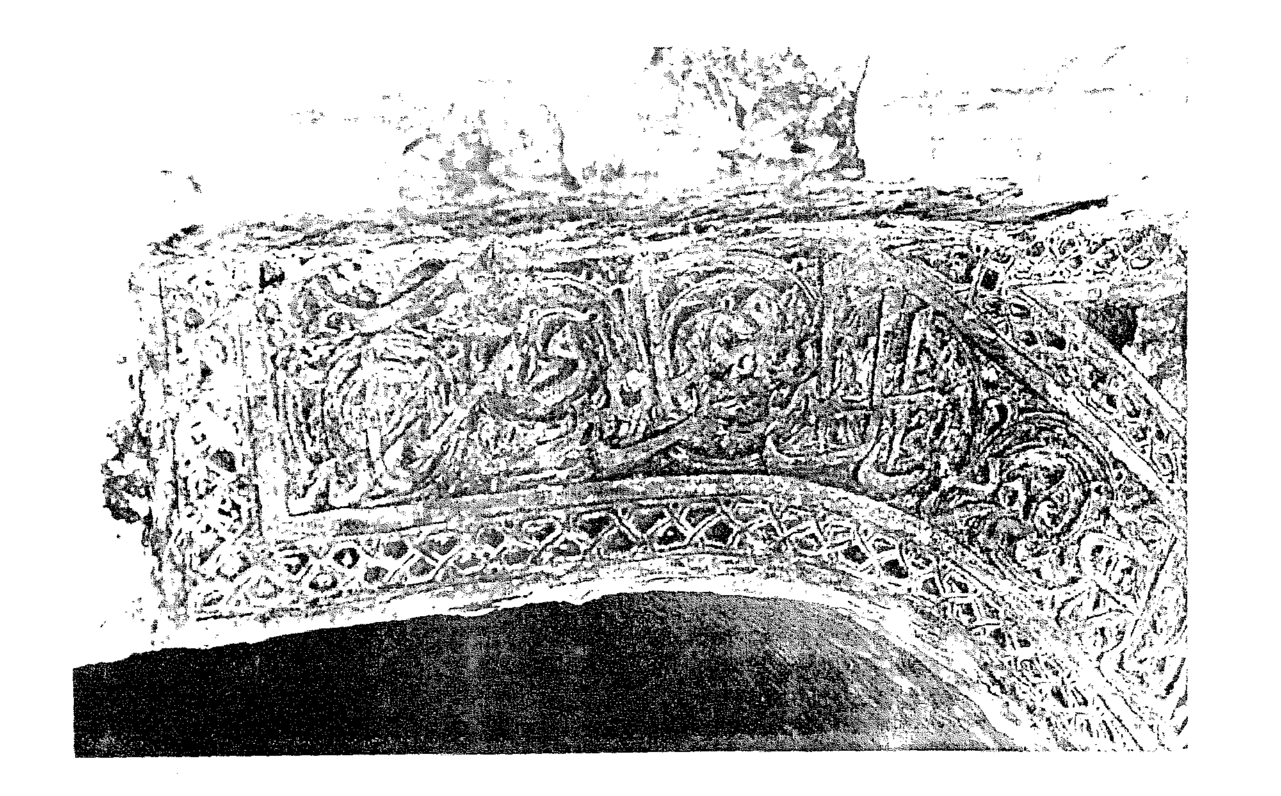
شكل (١٤) حيس ، الجامع الكبير ، واجهة المجنبة الغربية المطلة على الصحن



شكل (١٥) حيس ، الجامع الكبير ، الإيوان الجنوبي



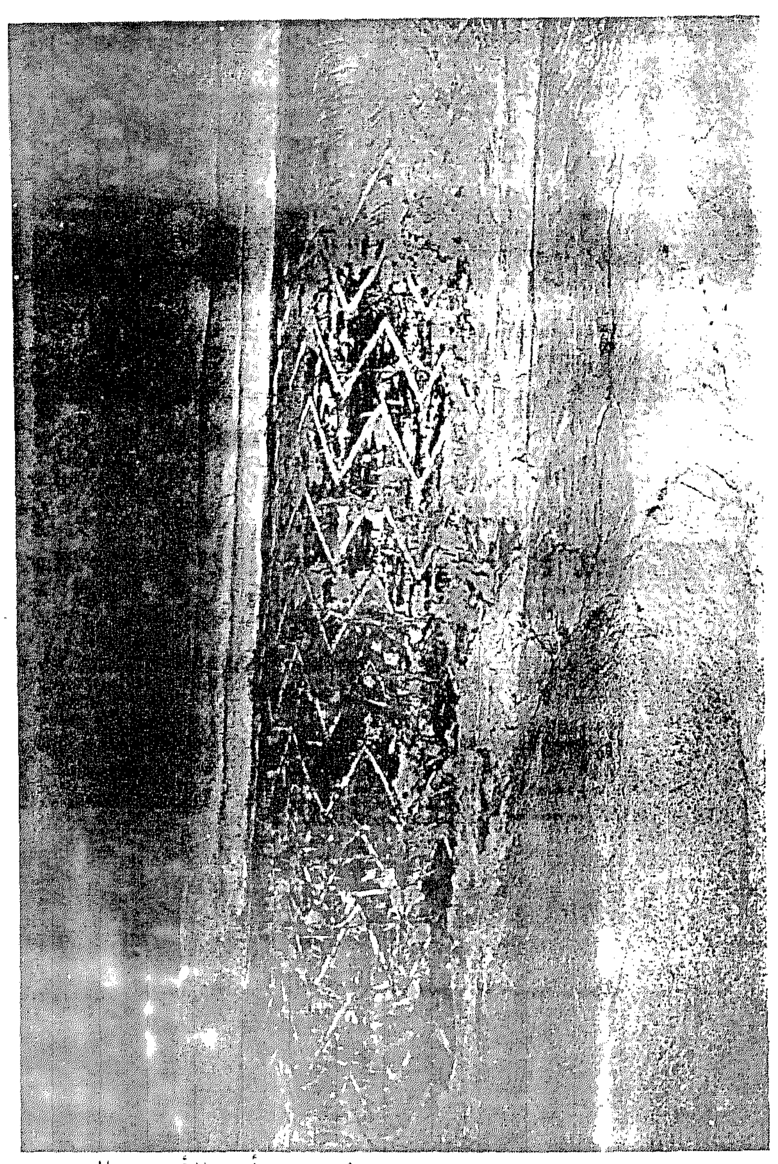
شكل (١٦) حيس ، الجامع الكبير ، جزء من الشريط الكتابي على يمين الإيوان الجنوبي



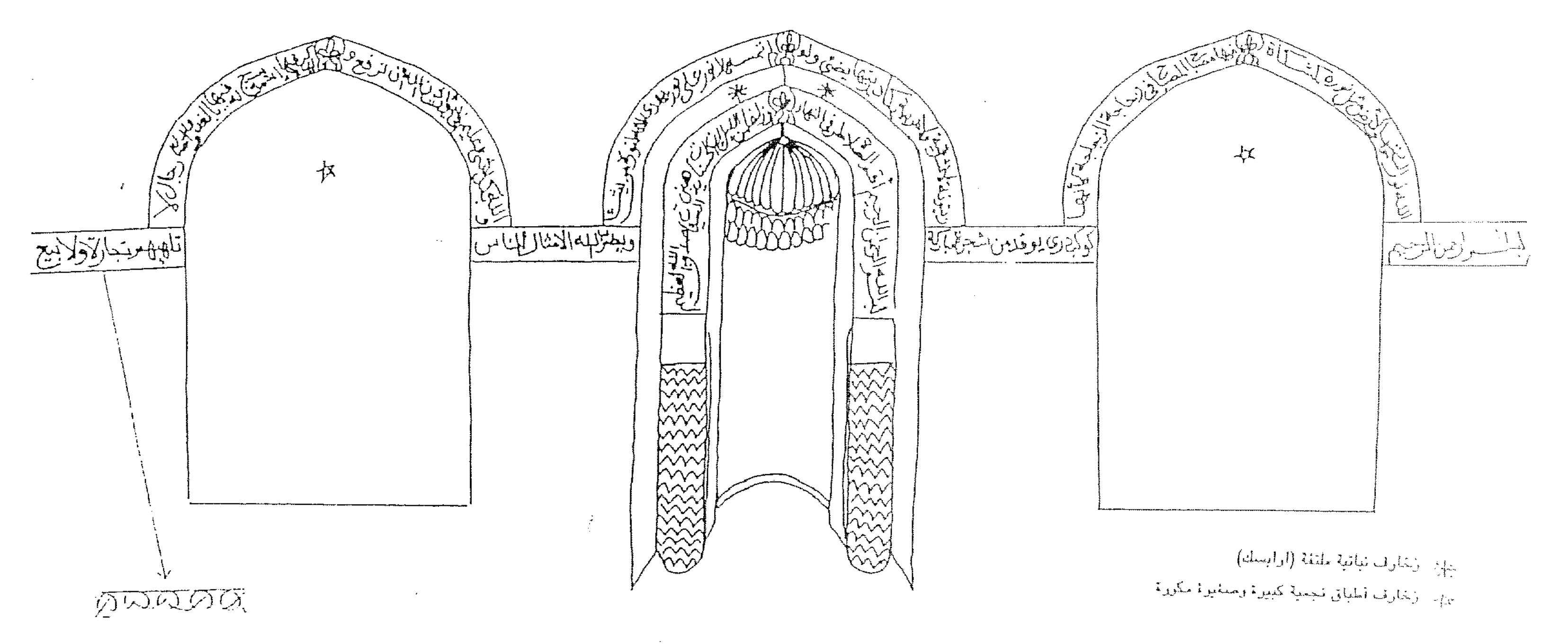
شكل (١٧) حيس ، الجامع الكبير ، نص تاريخ الإنتهاء من بناء الجامع



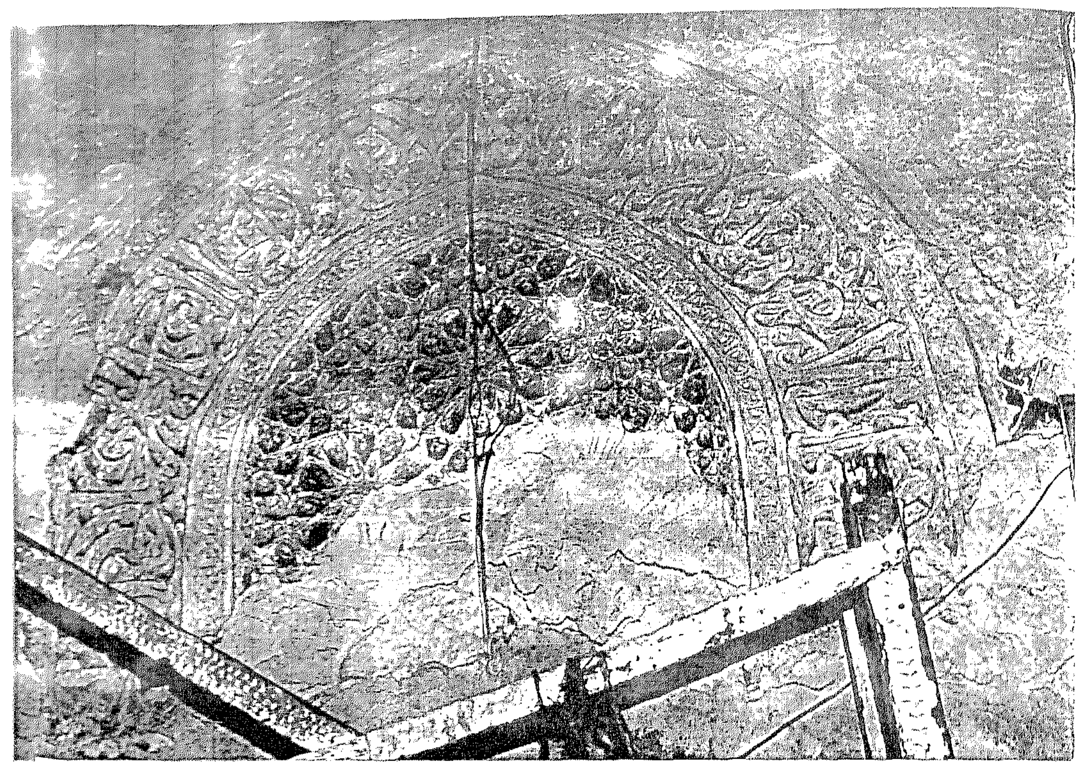
شكل (١٨) حيس ، الجامع الكبير ، المحراب الرئيسى

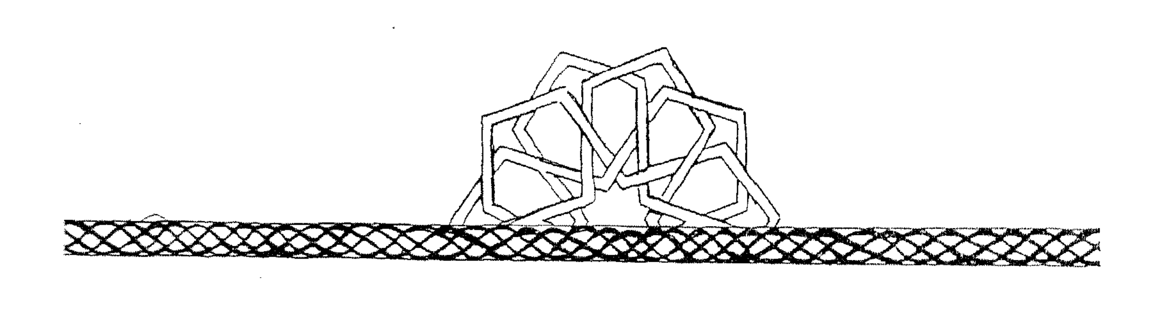
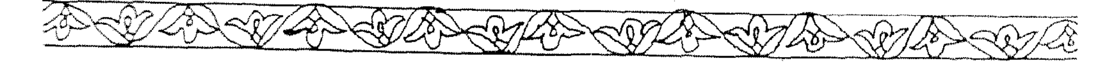


شكل (١٩) حيس ، الجامع الكبير ، أحد الأعمدة التى تكتنف حنية المحراب الرئيسى



شكل (٢٠) حيس ، الجامع الكبير ، تفريغ لبعض كتابات جدار القبلة

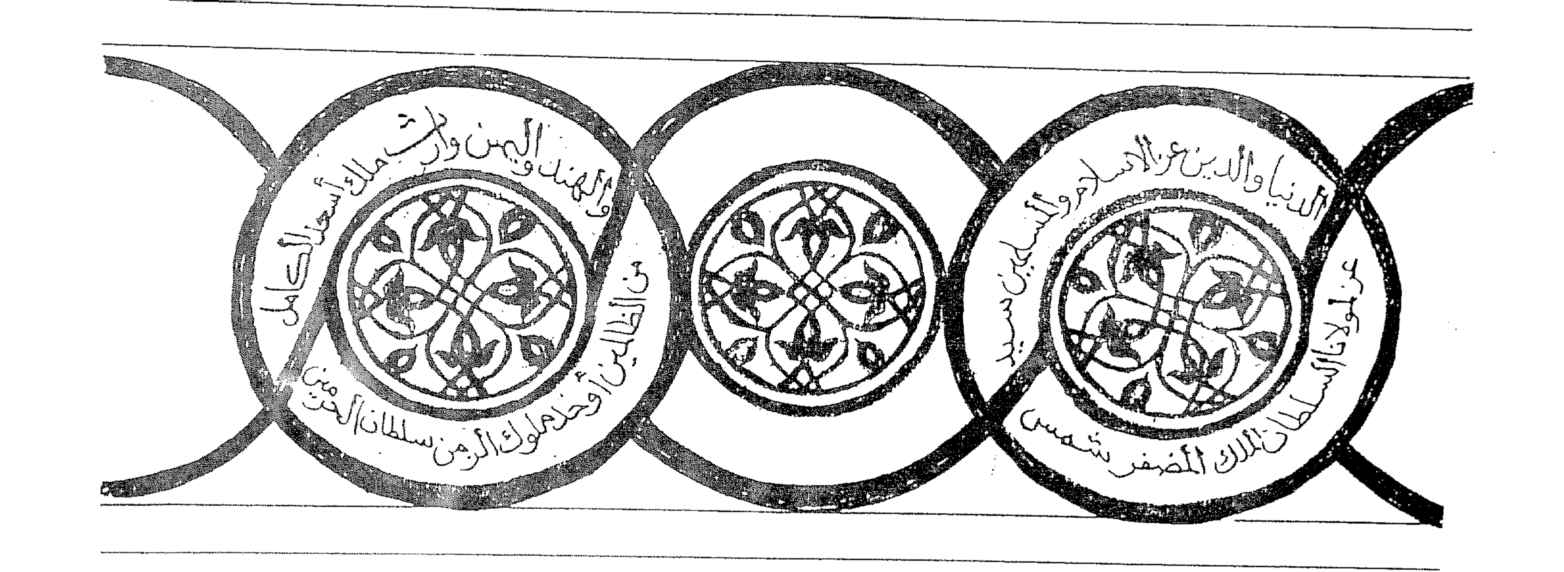

شكل (٢١) حيس ، الجامع الكبير ، زخارف الشباك المجاور للمحراب من جهة الشرق



شكل (٢٢) حيس ، الجامع الكبير ، تفريغ لبعض زخارف الجزء الأعلى من جدار القبلة

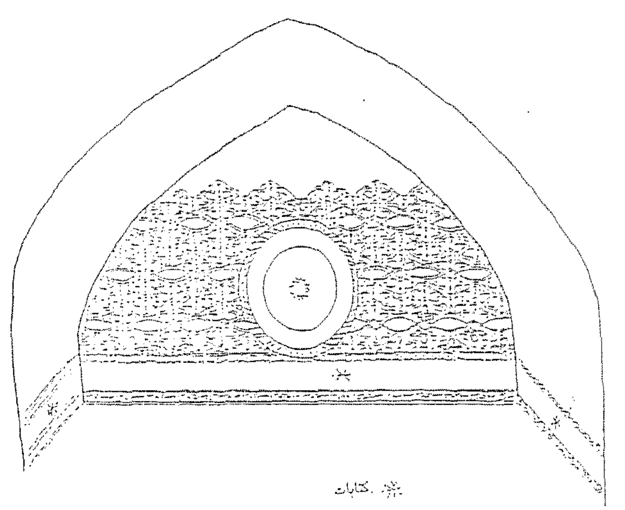


شكل (٢٣) حيس ، الجامع الكبير ، زخارف الجامة اليسرى من باطن العقد الأوسط من بائكة المحراب

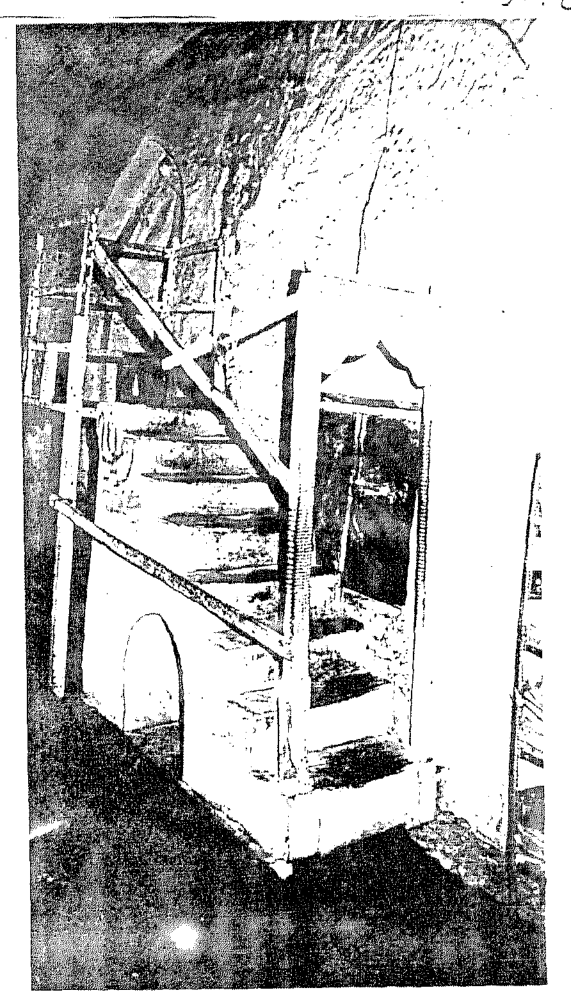
ونصها (... من الظالمين أوحد ملوك الزمن سلطان الحرمين والهند واليمن وارث ملك أسعد الكامل ..).



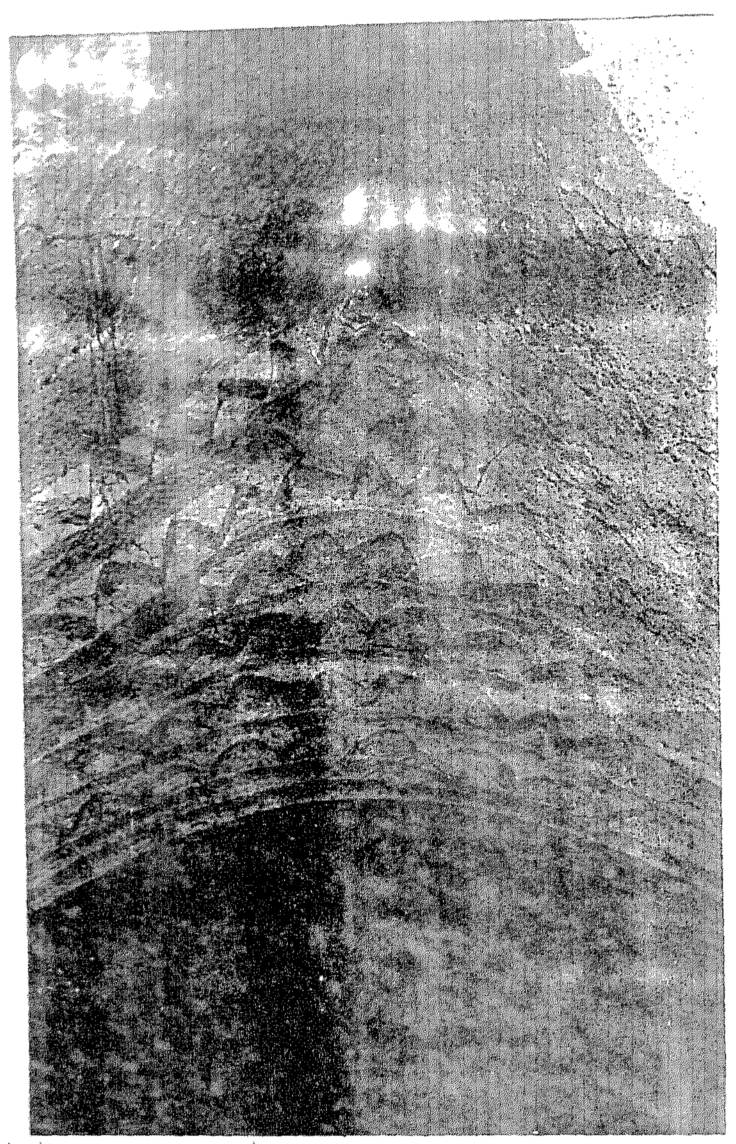
شكل (٢٤) حيس ، الجامع الكبير ، تفريغ لزخارف باطن العقد الأوسط من بائكة المحراب



شكل (٢٥) حيس ، الجامع الكبير ، زخارف الجدران التى تعلو العقود العمودية على جدار القبلة



شكل (٢٦) حيس ، الجامع الكبير ، بقايا المنبر



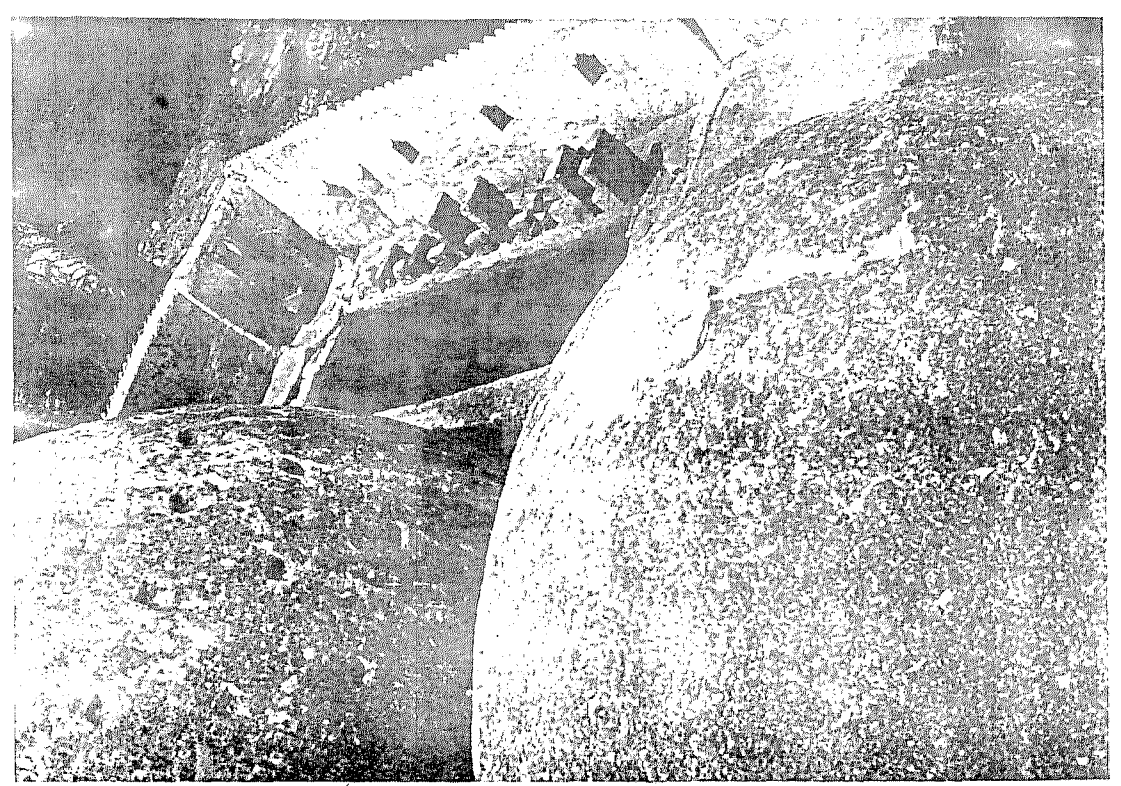
شكل (٢٧) حيس ، الجامع الكبير ، مناطق انتقال القباب الغربية من المصلى



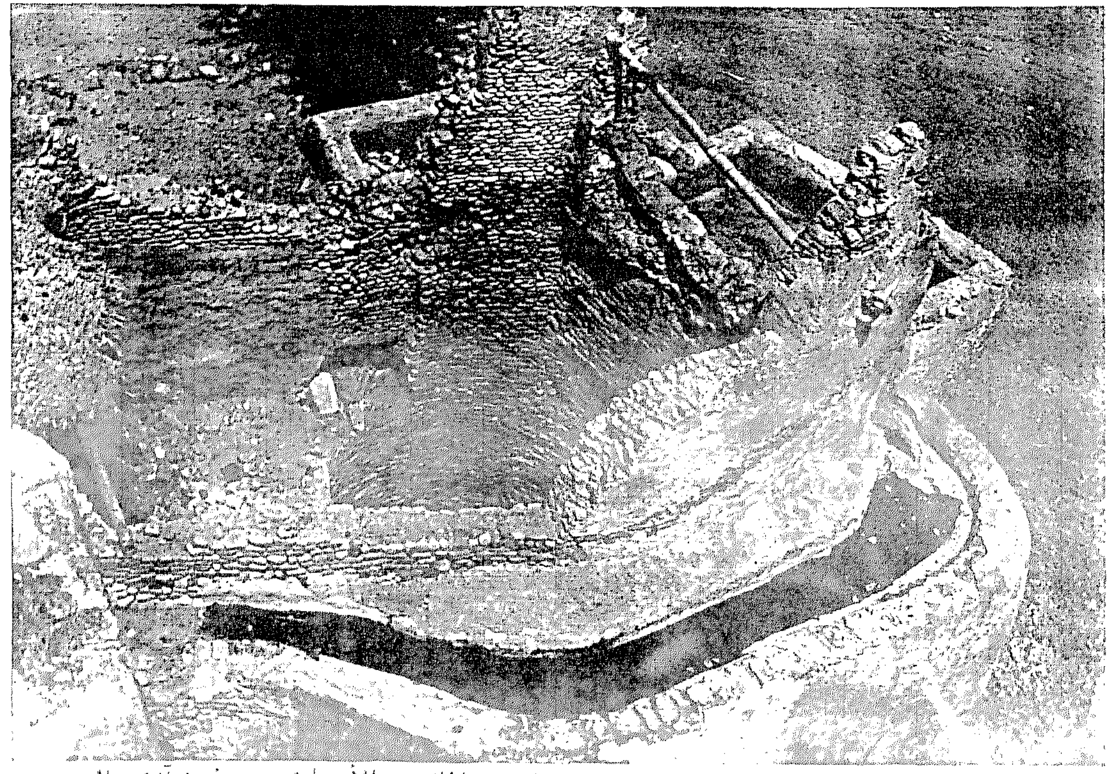
شكل (٢٨) حيس ، الجامع الكبير ، الشريط الكتابى على الجدران الداخلية للإيوان الجنوبى



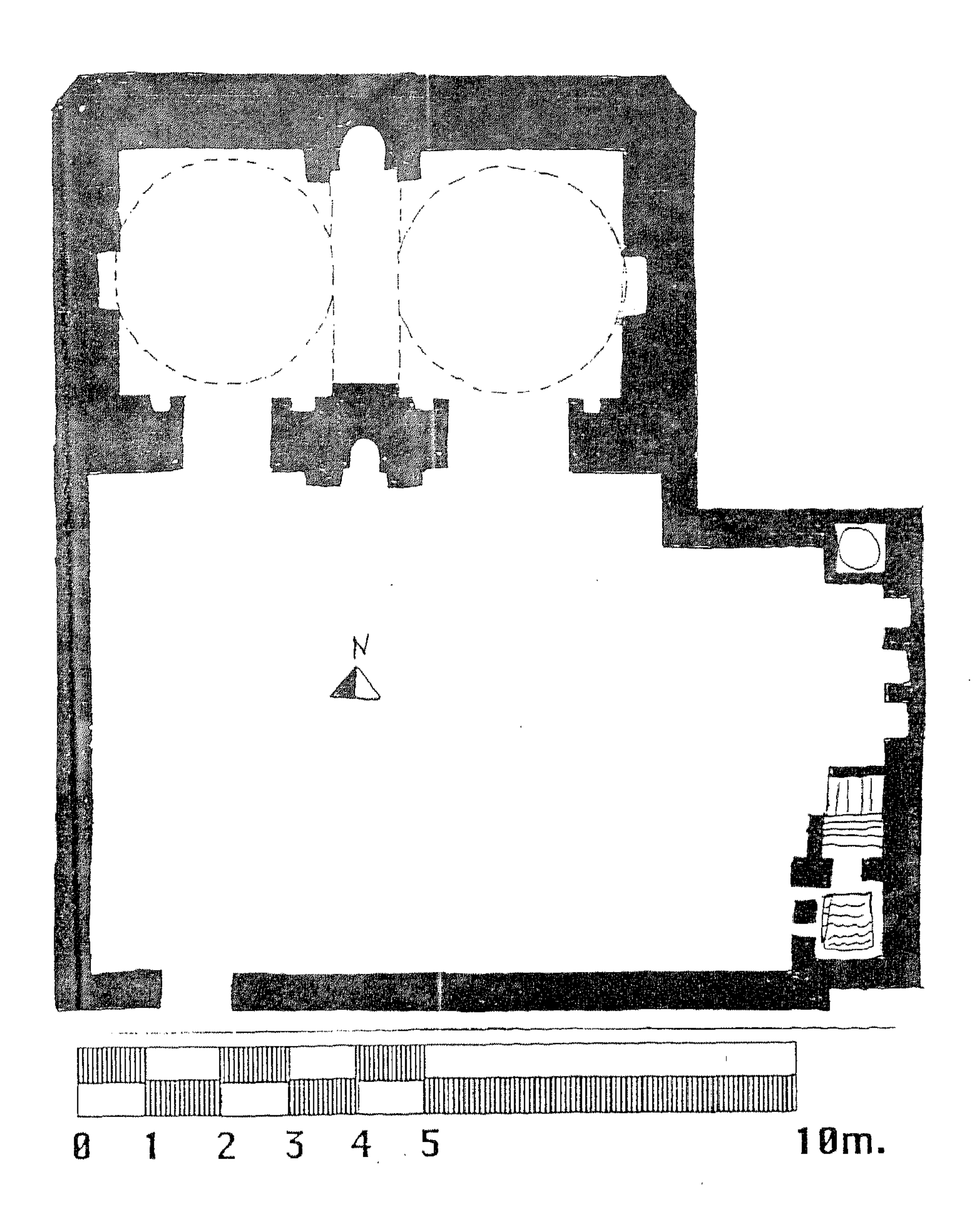
شكل (٢٩) حيس، الجامع الكبير ، القبو الذى يغطى الحجرة الجنوبية الشرقية



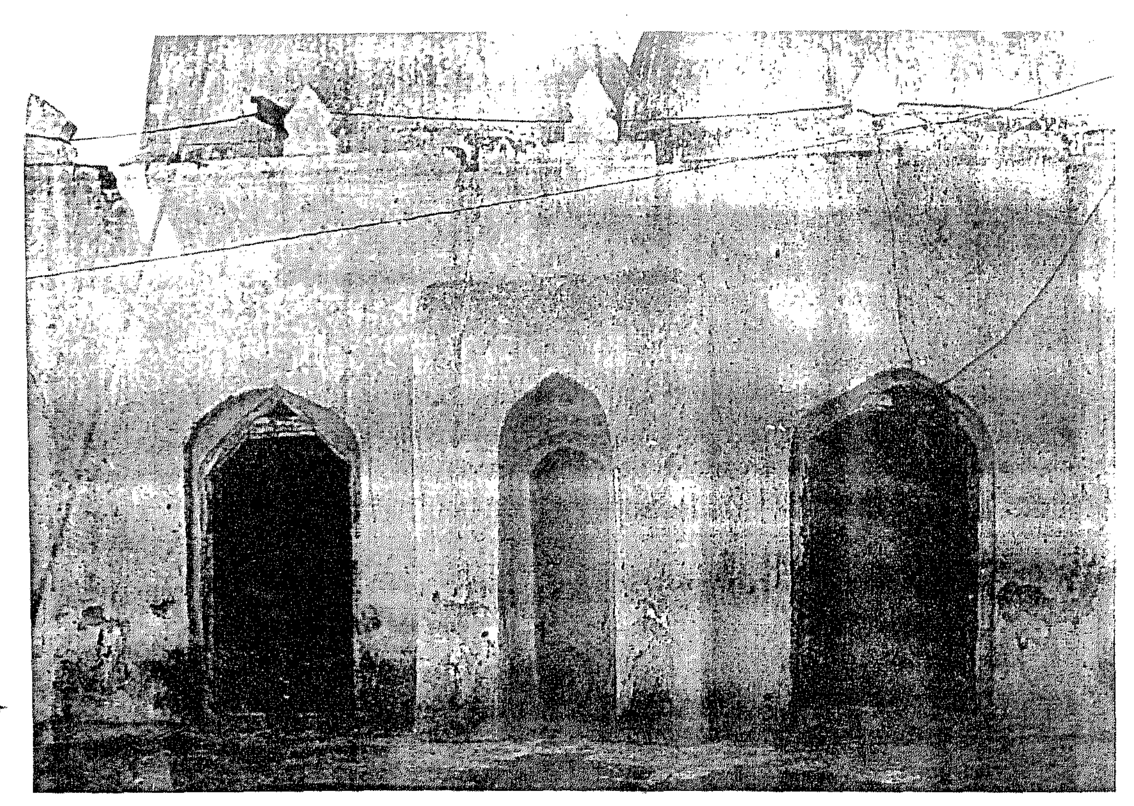
شكل (٣٠) حيس ، الجامع الكبير ، الميضأة والبركة



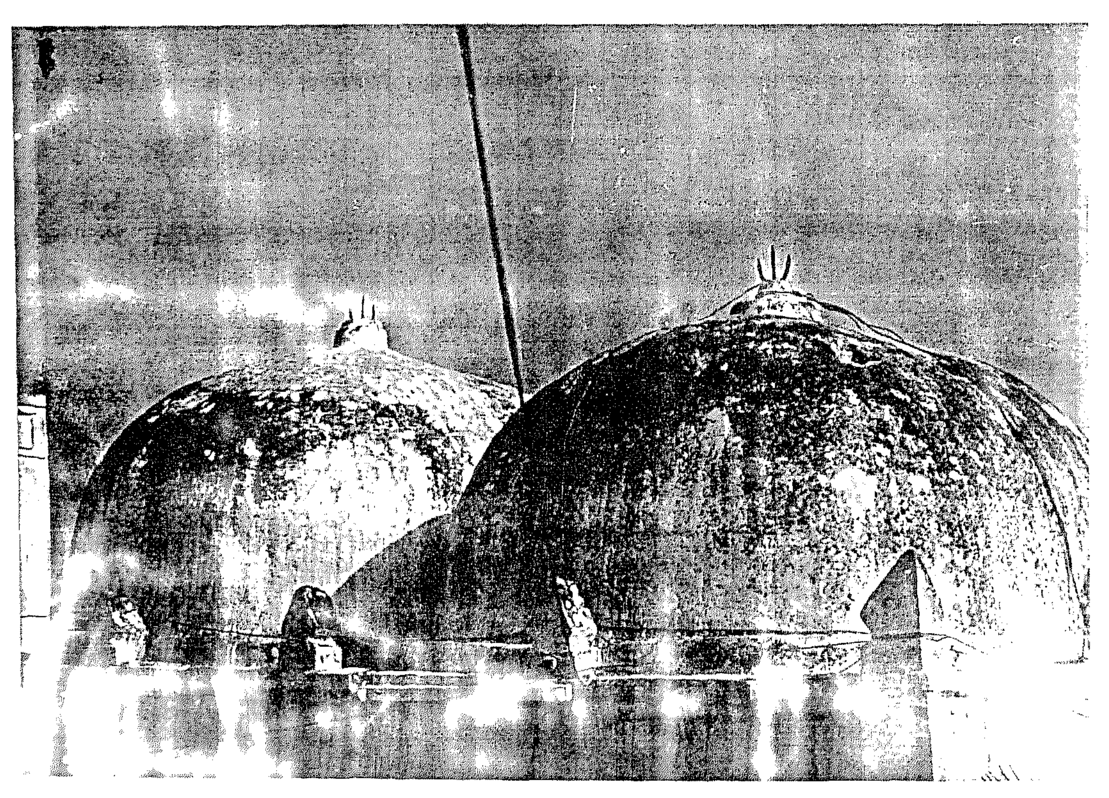
شكل (٣١) حيس ، الجامع الكبير ، البئر ، المجرى المائى ، الأحواض ، مخزن آلات البئر



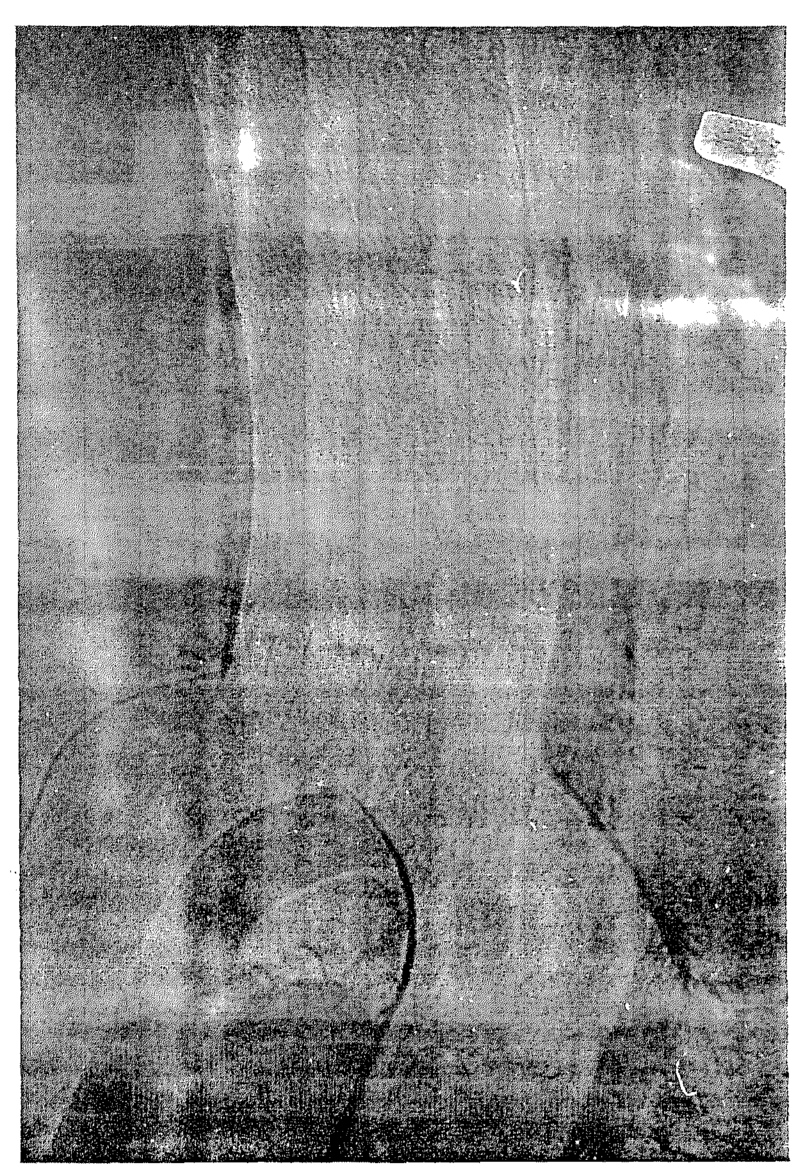
شكل (٣٢) حيس ، مسجد الكيلة ، المسقط الأفقى



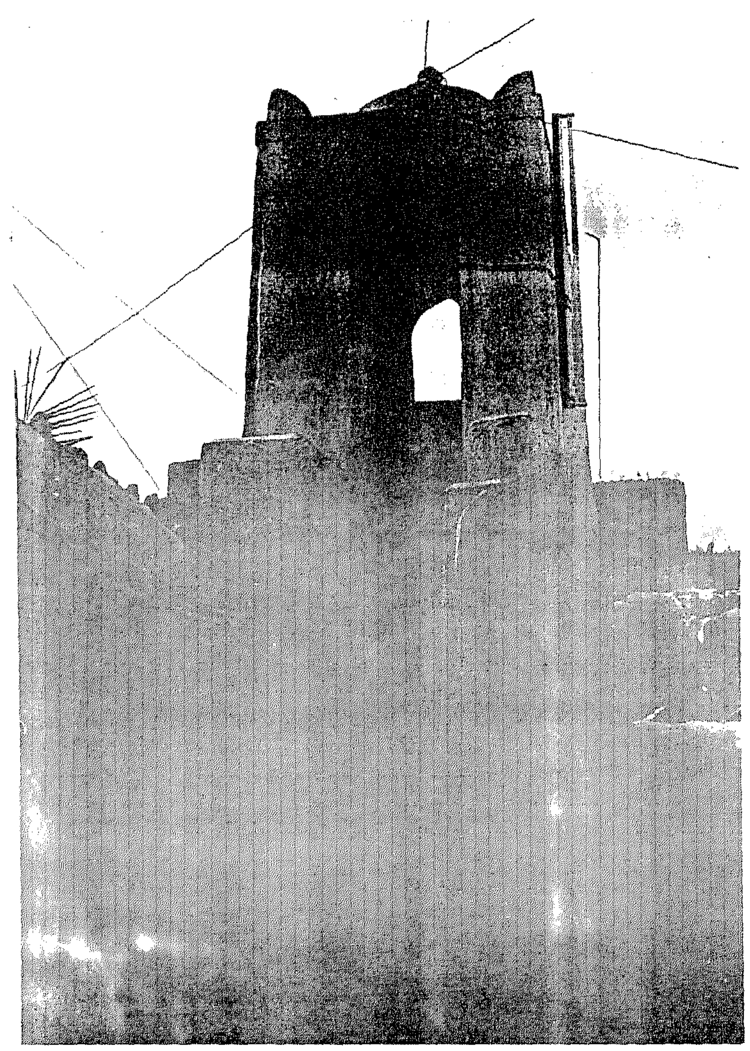
شكل (٣٣) حيس ، مسجد الكيلة ، الواجهة الجنوبية للمصلى



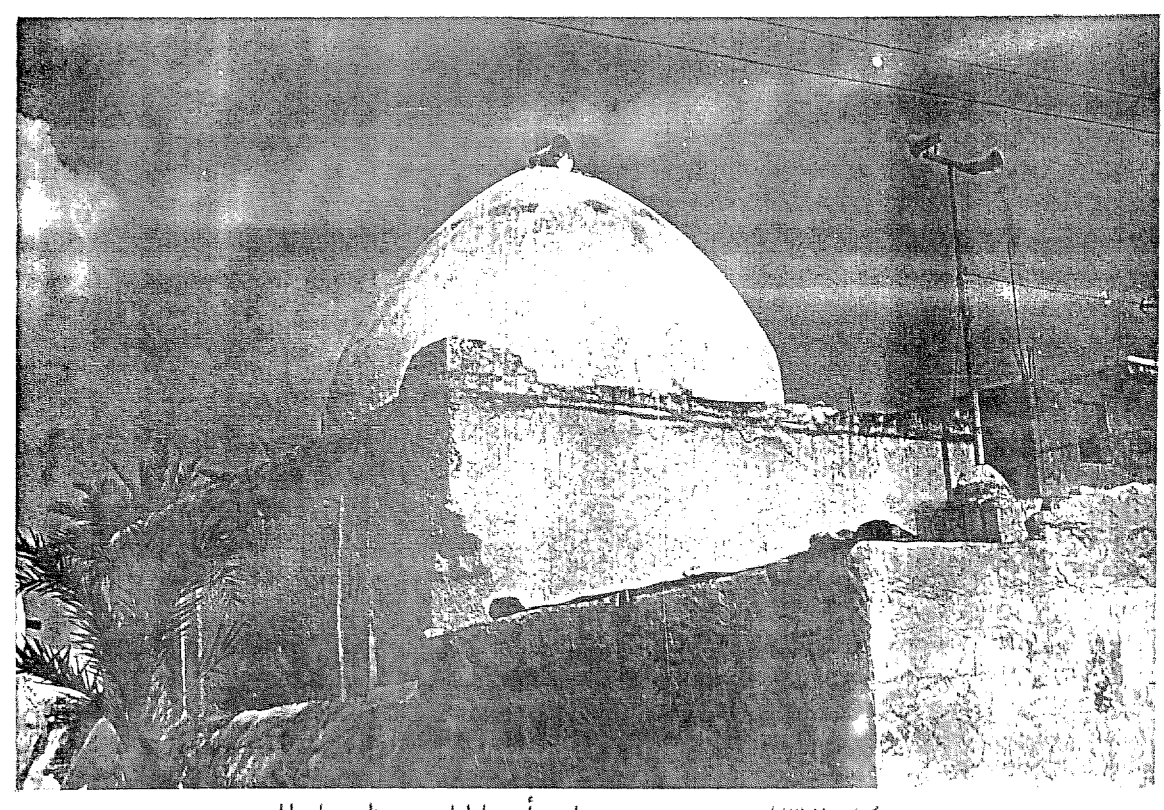
شكل (٣٤) حيس ، مسجد الكيلة ، القباب سى تغطى المصلى



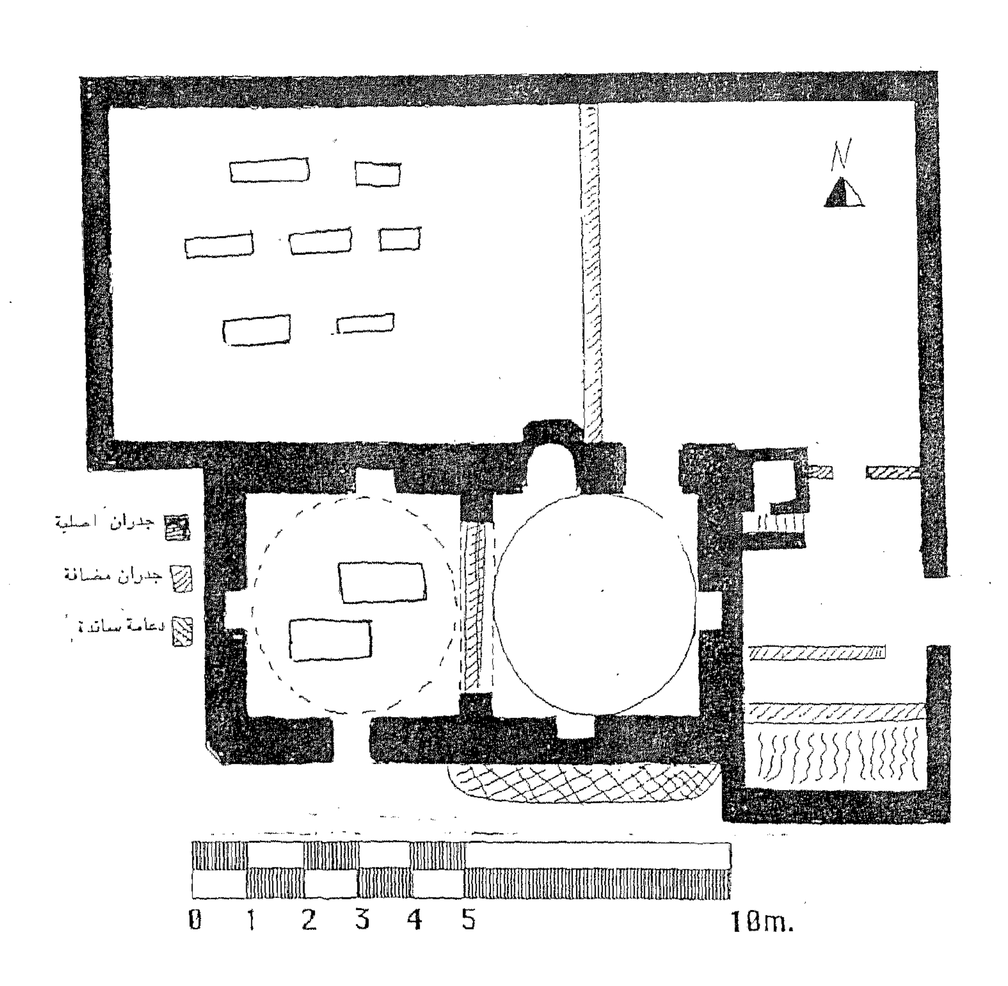
شكل (٣٥) حيس ، مسجد الكيلة ، العقد العمودى على جدار القبلة



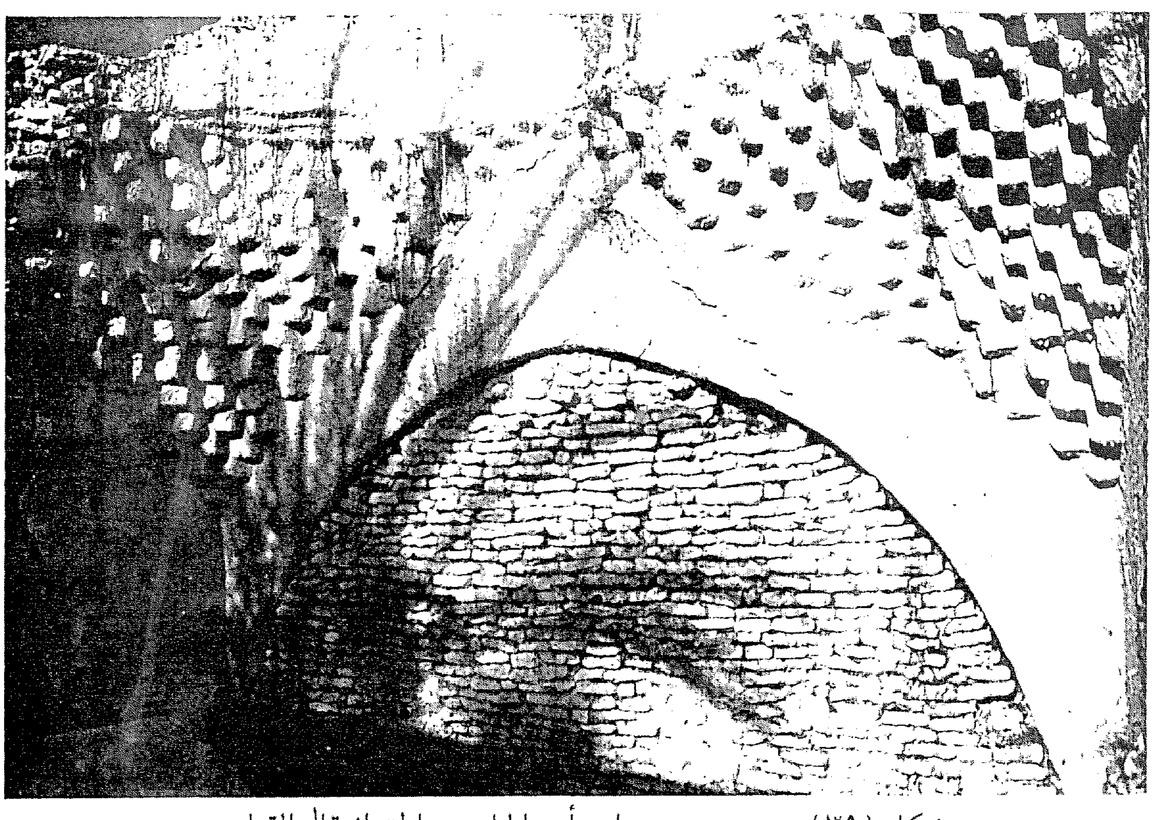
شكل (٣٦) حيس ، مسجد الكيلة ، المئذنة



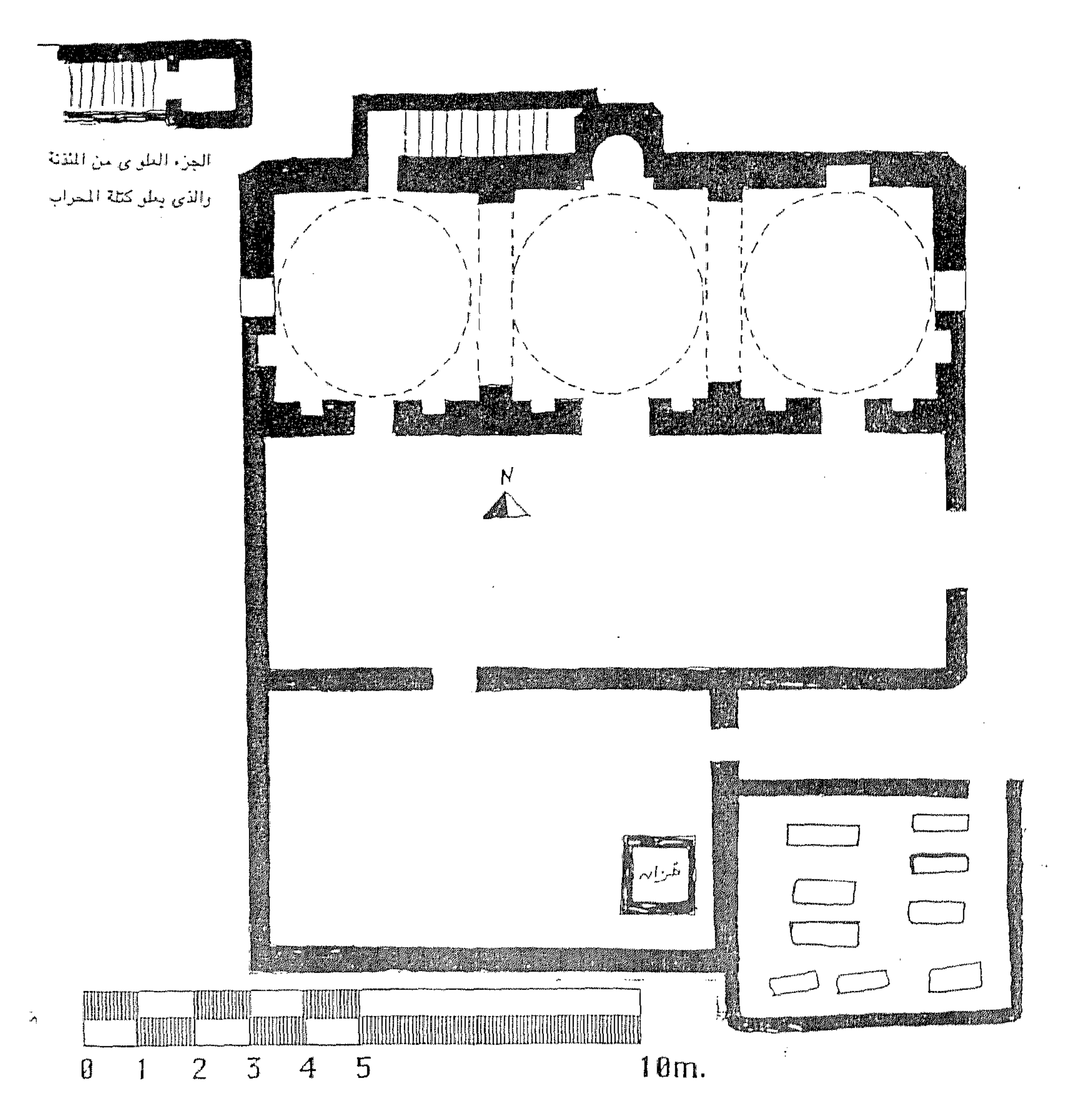
شكل (٣٧) حيس ، مسجد ابن أبى الخل ، منظر عام للمسجد



شكل (٣٨) حيس ، مسجد ابن أبى الخل ، المسقط الأفقى



شكل (٣٩) حيس ، مسجد ابن أبى الخل ، مناطق انتقال القباب



شكل (٤٠) حيس ، مسجد ابن على ، المسقط الأفقى



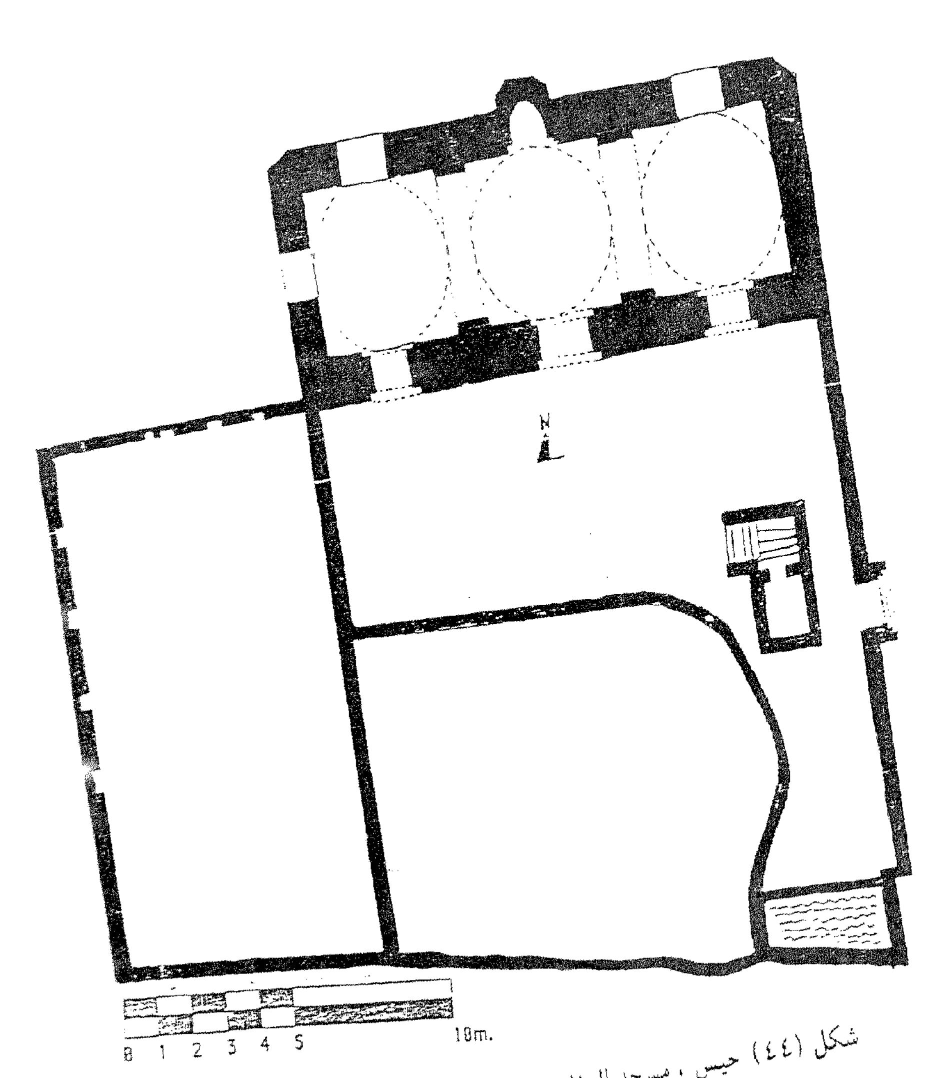
شكل (٤١) حيس ، مسجد ابن على ، قباب وواجهة المسجد الشمالية ، والمئذنة التى تعلو كتلة المحراب



شكل (٤٢) حبس ، مسجد ابن على ، المصلى من الداخل



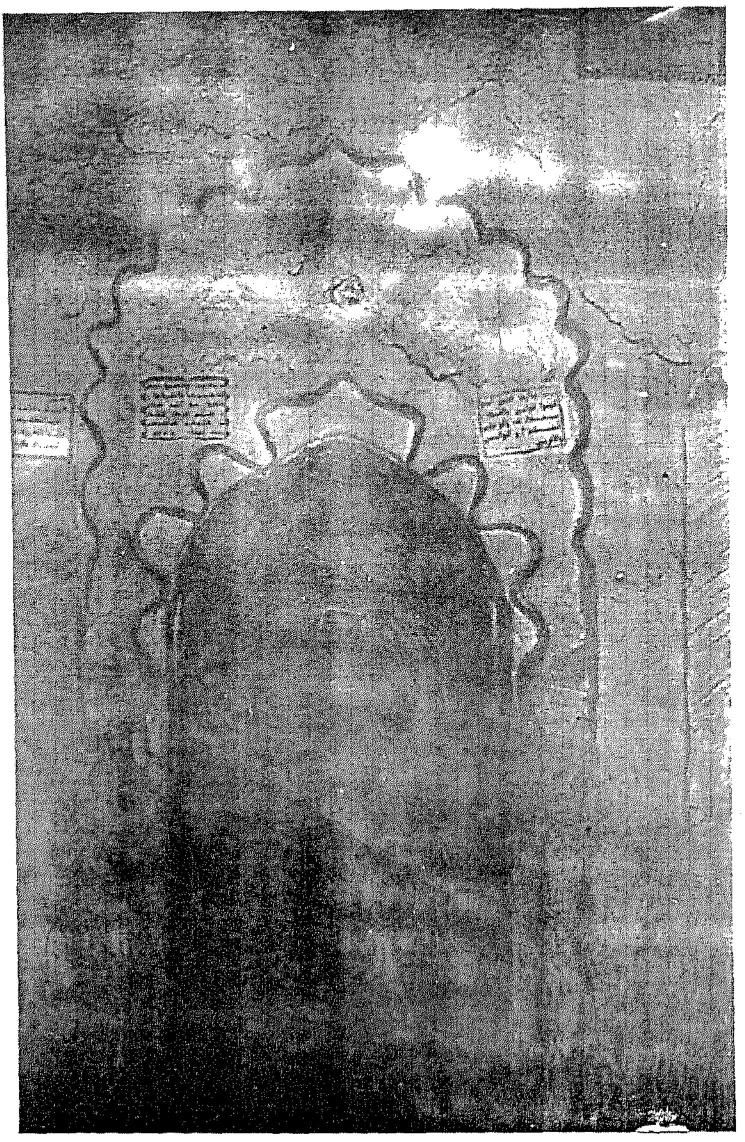
شكل (٤٣) حيس ، مسجد ابن علي ، محراب المصلى



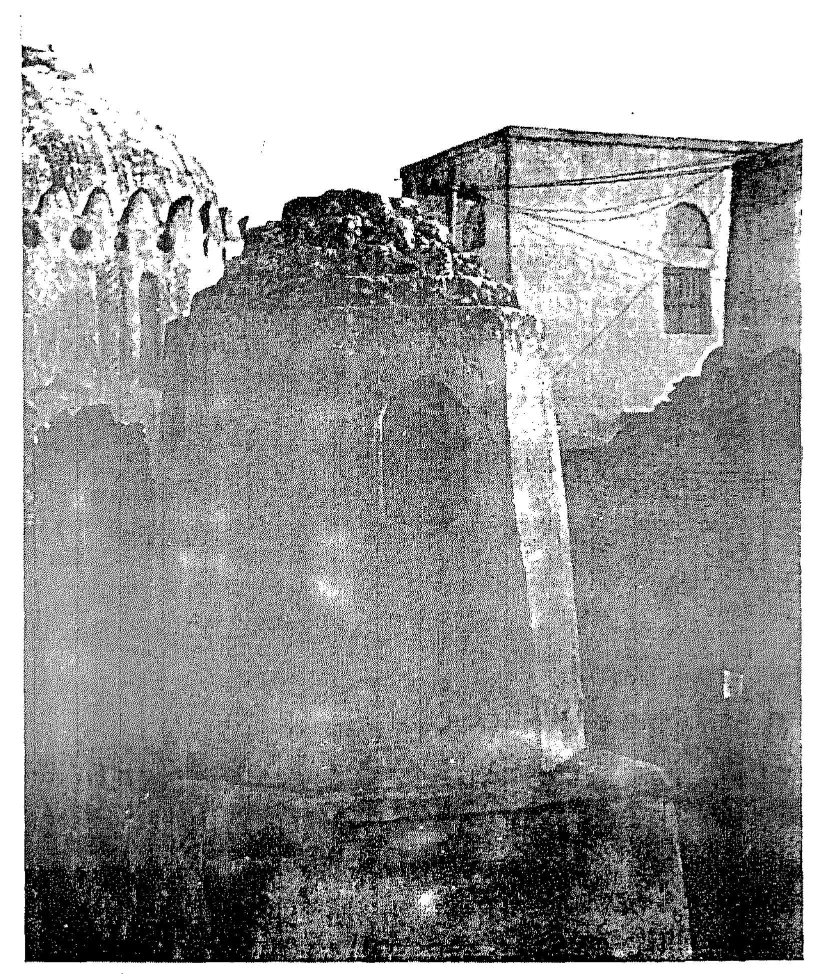
شكل (٤٤) حيس ، مسجد البخارى (الحضرمى)، المسقط الأفقى



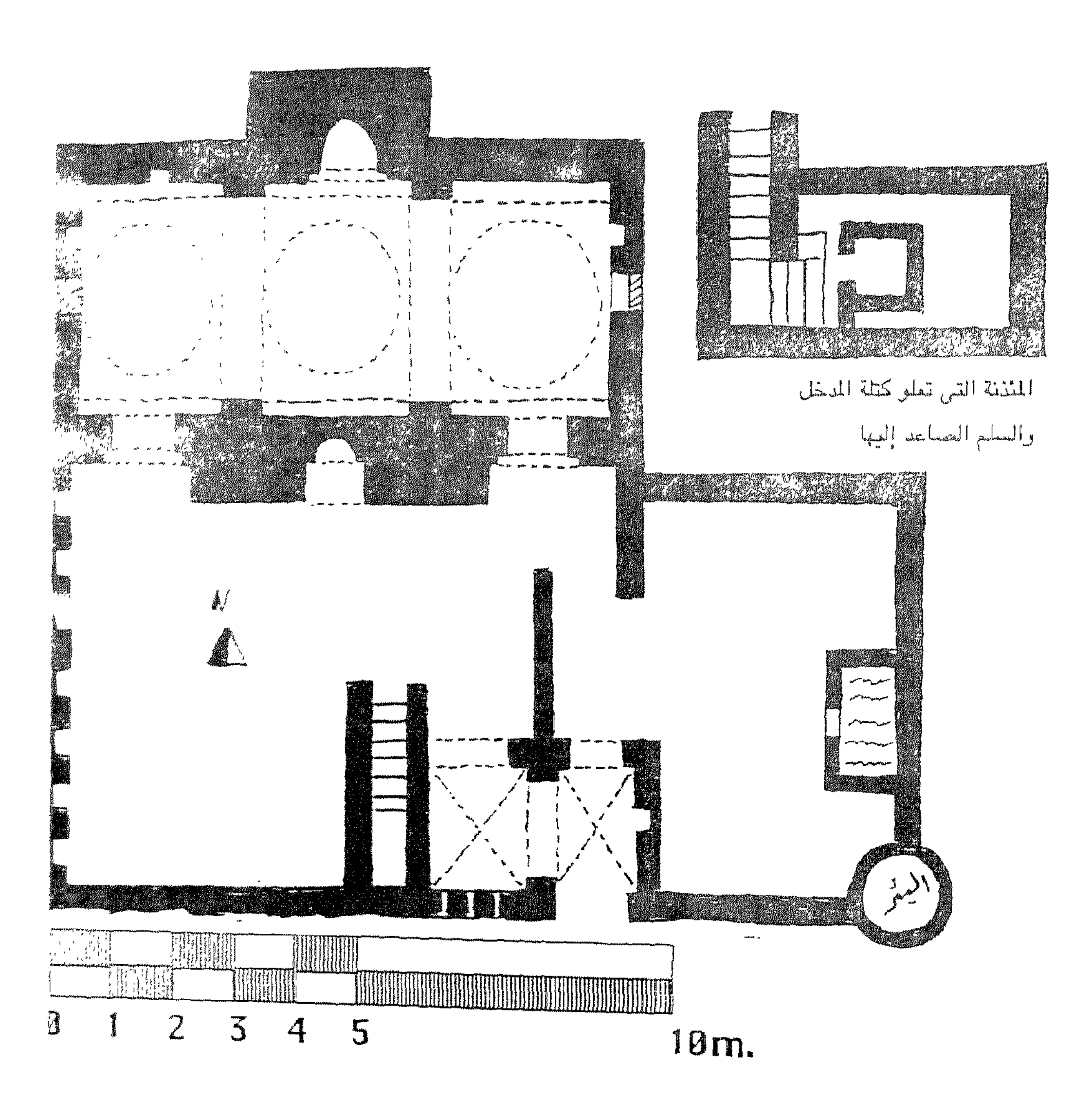
شكل (٤٥) حيس ، مسجد البخارى (الحضرمى) ، الواجهة الجنوبية للمصلى



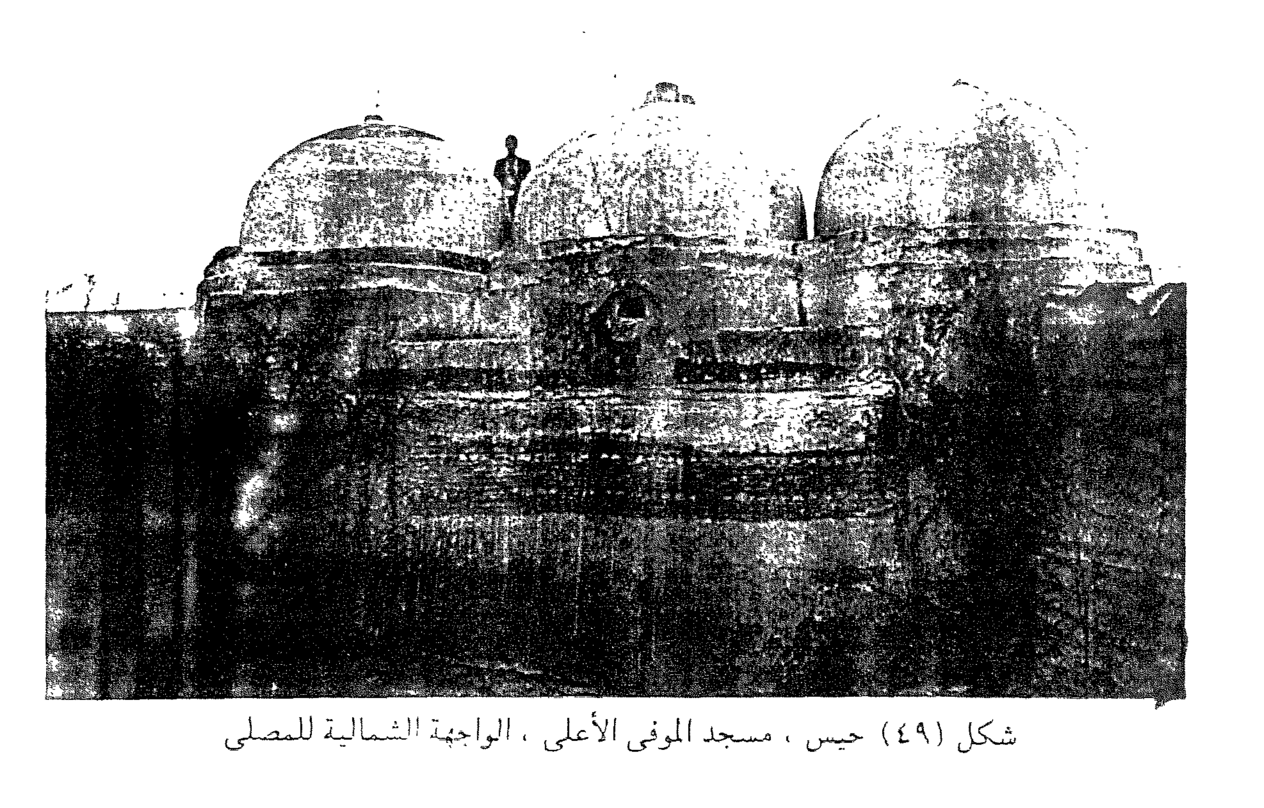
شكل (٤٦) حيس ، مسجد البخارى (الحضرمى) ، محراب المصلى



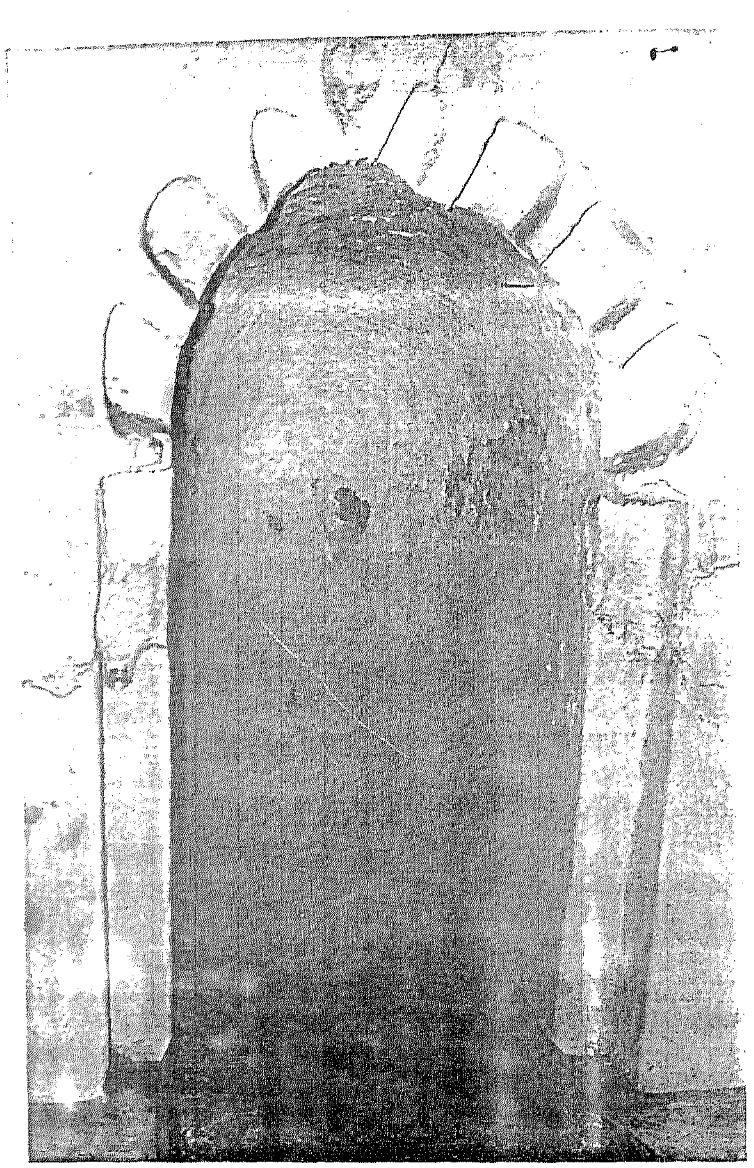
شكل (٤٧) حيس ، مسجد البخارى (الحضرمى) ، المئذنة



شكل (٤٨) حيس ، مسجد الموفى الأعلى ، المسقط الأفقى



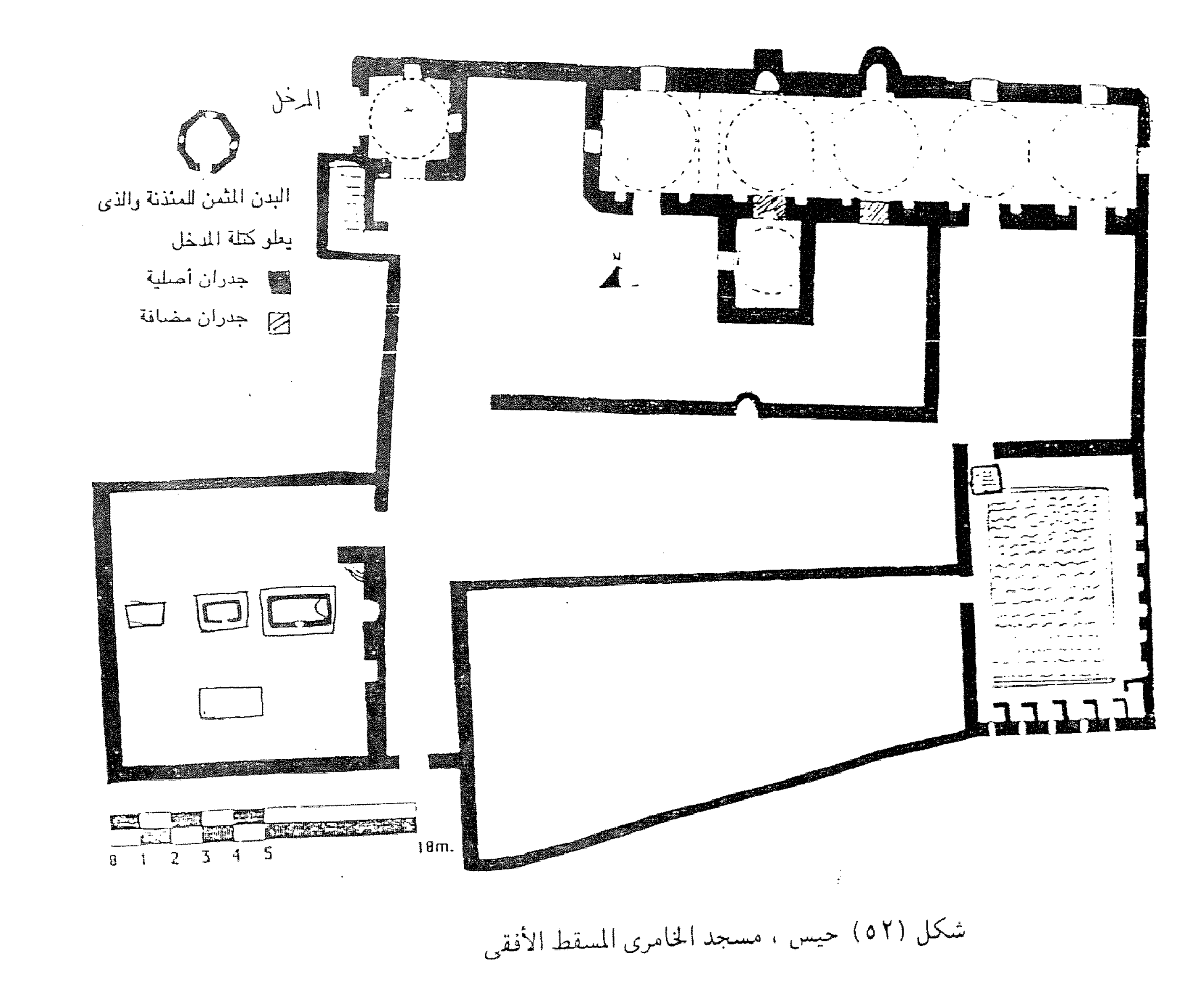
شكل (٤٩) حيس ، مسجد الموفى الأعلى ، الواجهة الشمالية للمصلى



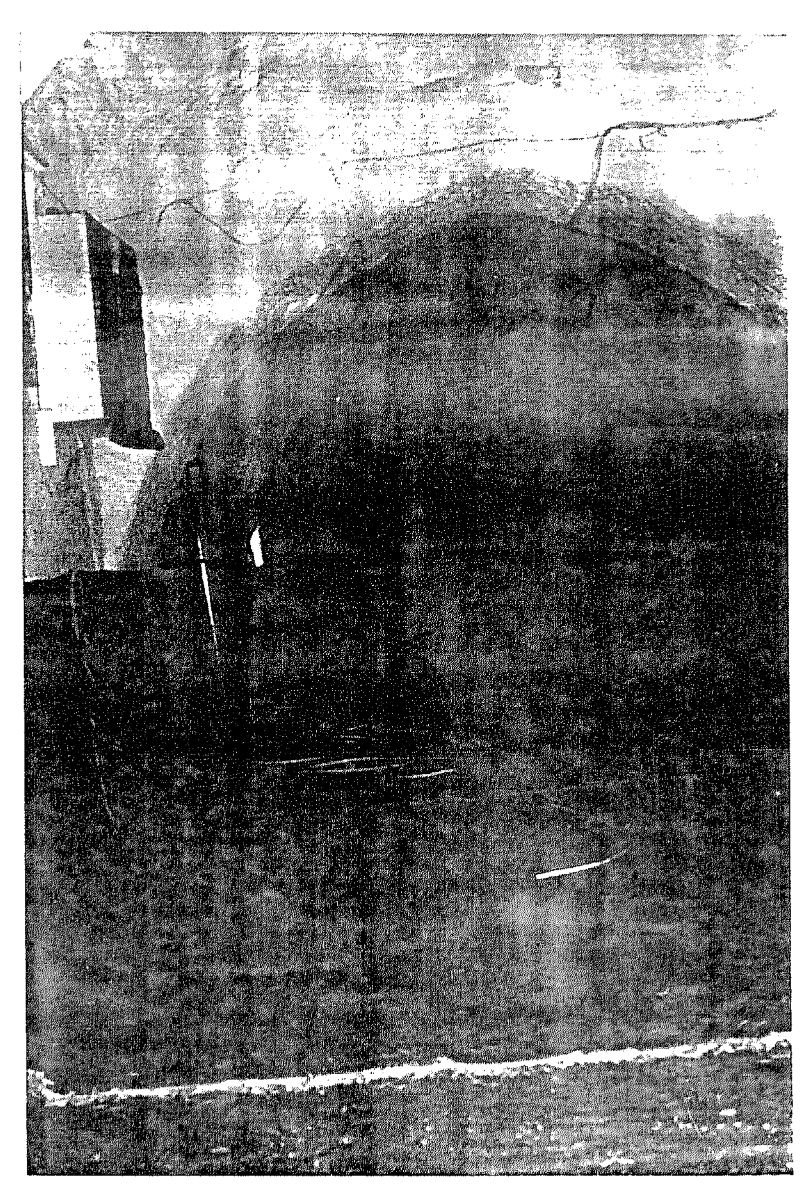
شكل (٥٠) حيس ، مسجد الموفى الأعلى ، محراب المصلى



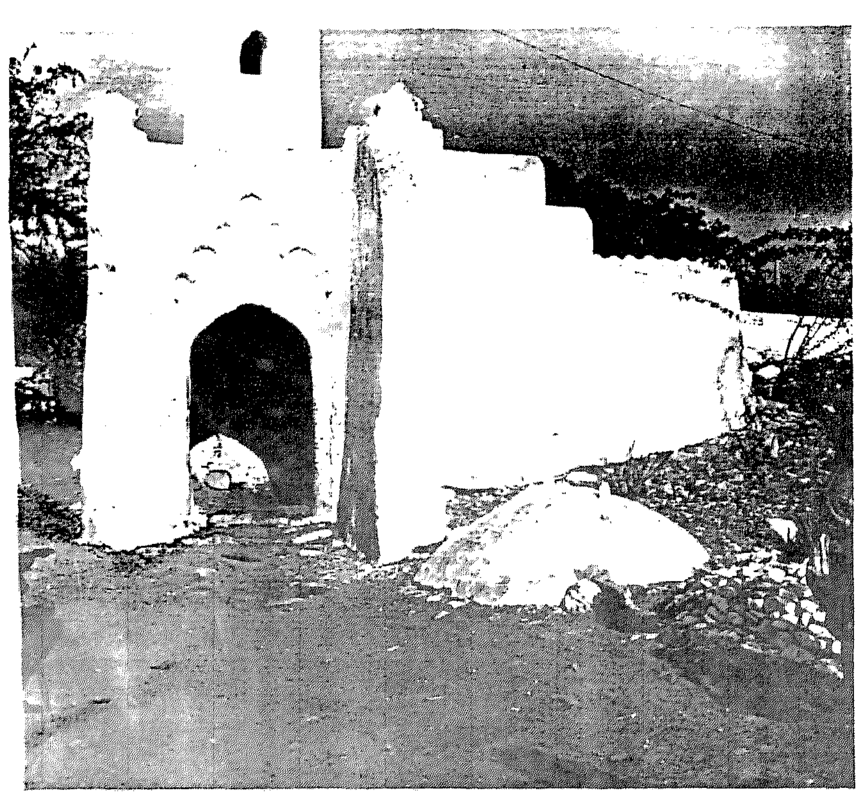
شكل (٥١) حيس ، مسجد الخامري ، منظر عام



شكل (٥٢) حيس ، مسجد الخامرى المسقط الأفقى



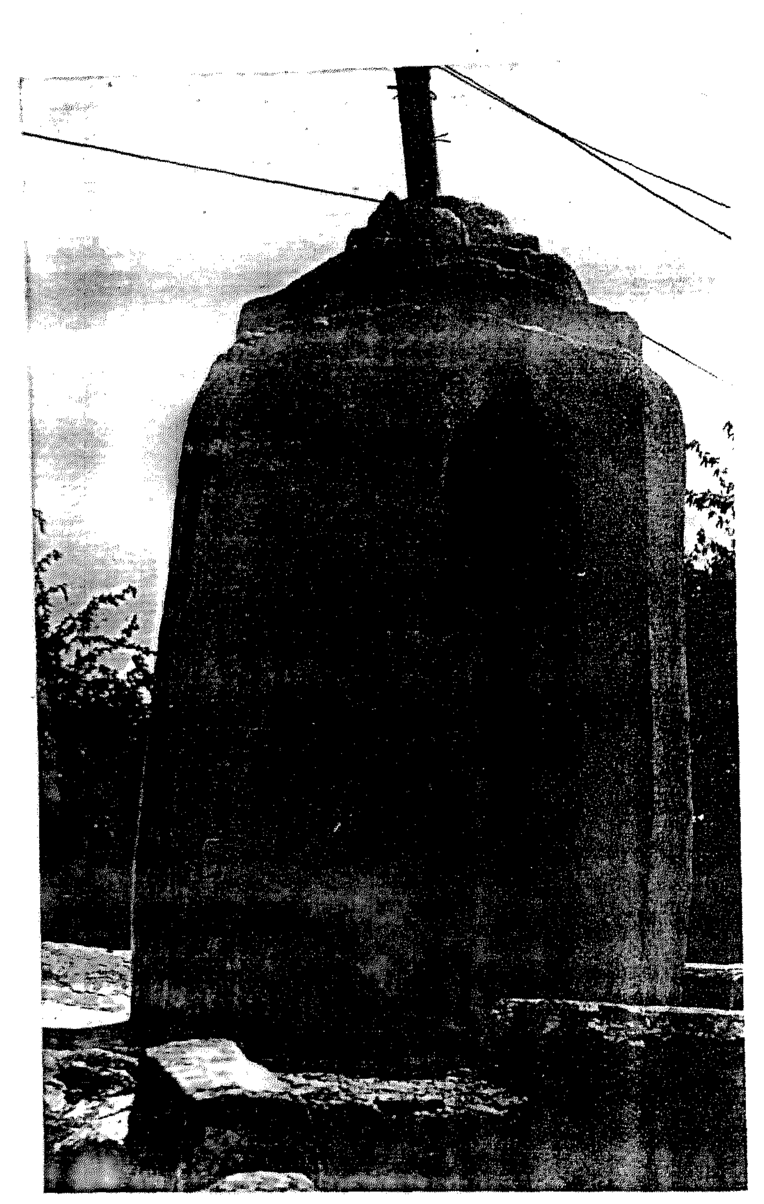
شكل (٥٣) حيس ، مسجد الخامرى ، المصلى من الداخل



شكل (٥٤) حيس ، مسجد الخامرى ، كتلة المدخل الرئيسى من الخارج



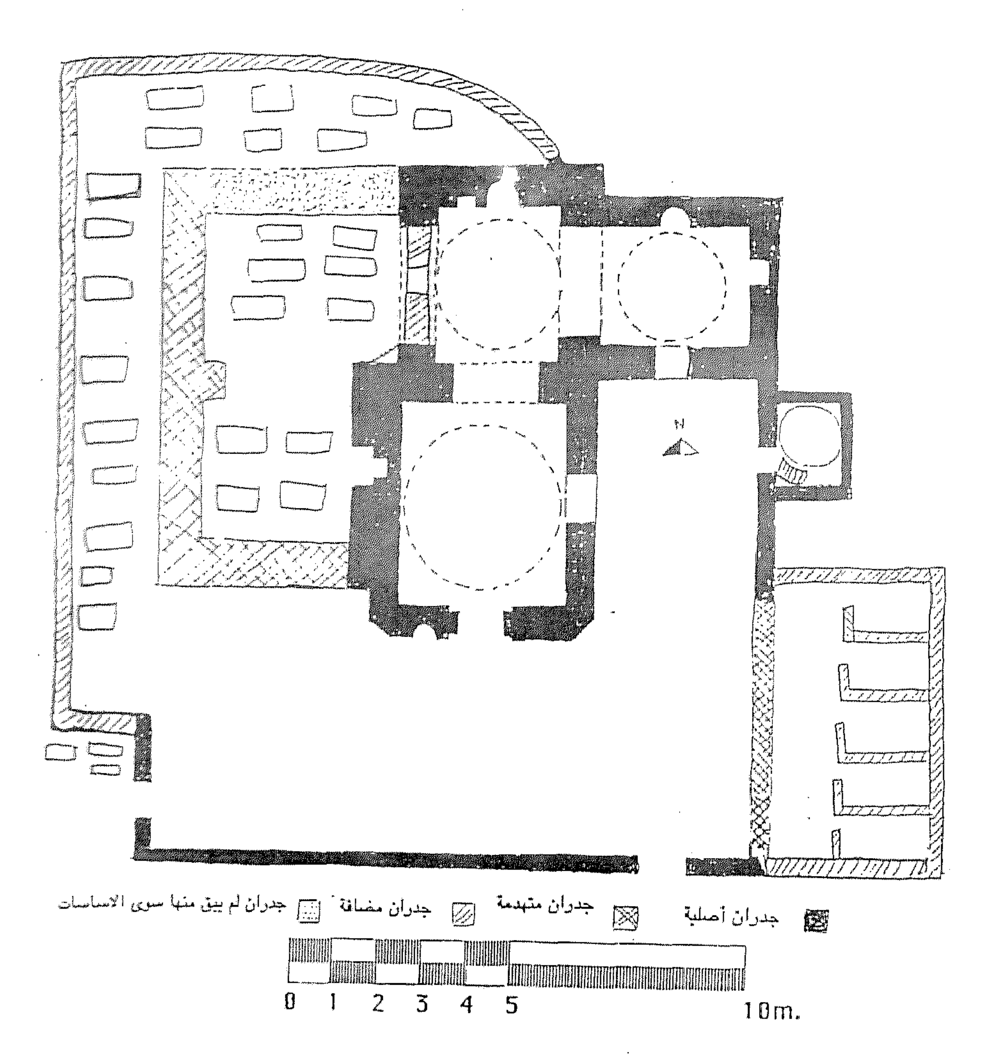
شكل (٥٥) حيس ، مسجد الخامرى ، دخلات دركاة المدخل



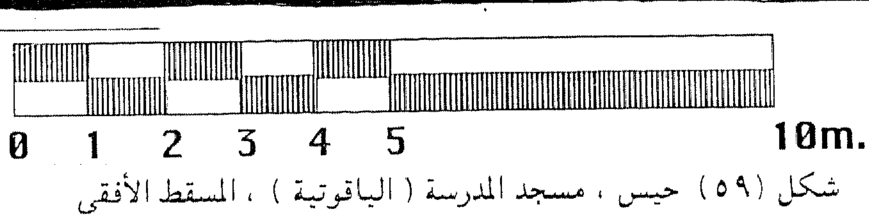
شكل (٥٦) حيس ، مسجد الخامرى ، المئذنة



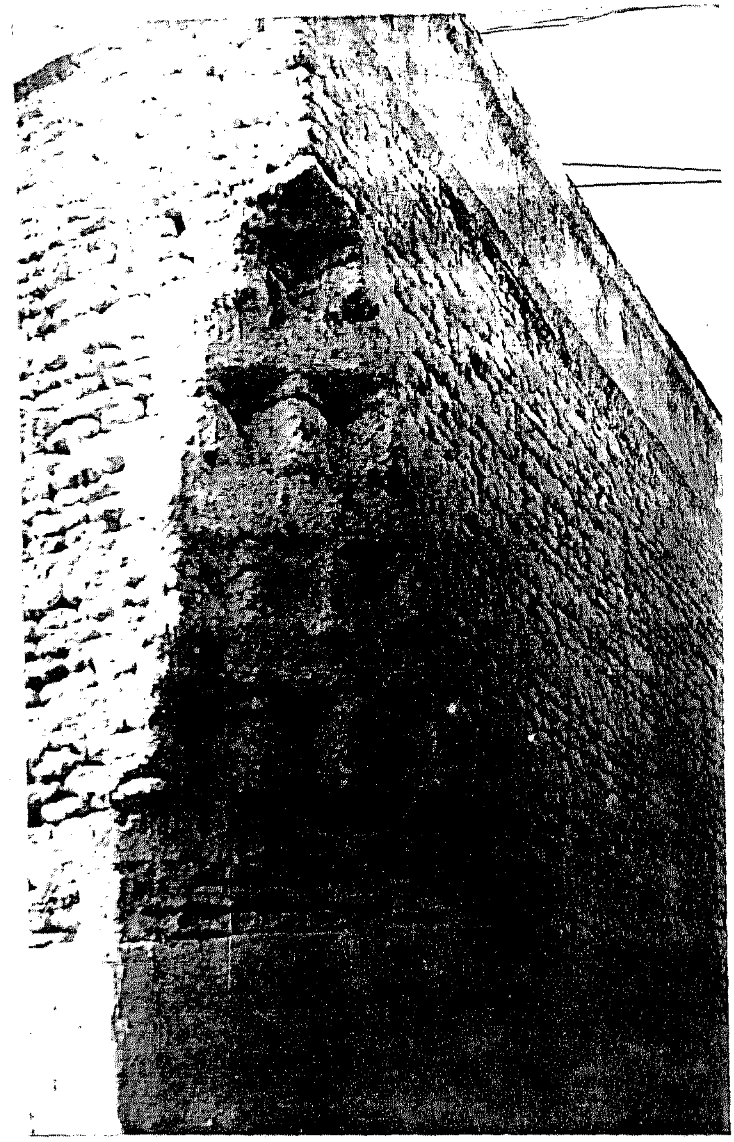
شكل (٥٧) حيس ، مسجد ركيز ، الواجهتين الشمالية والشرقية للمصلى والمقصورة ، والقباب التى تغطى كل منهما ، والمئذنة



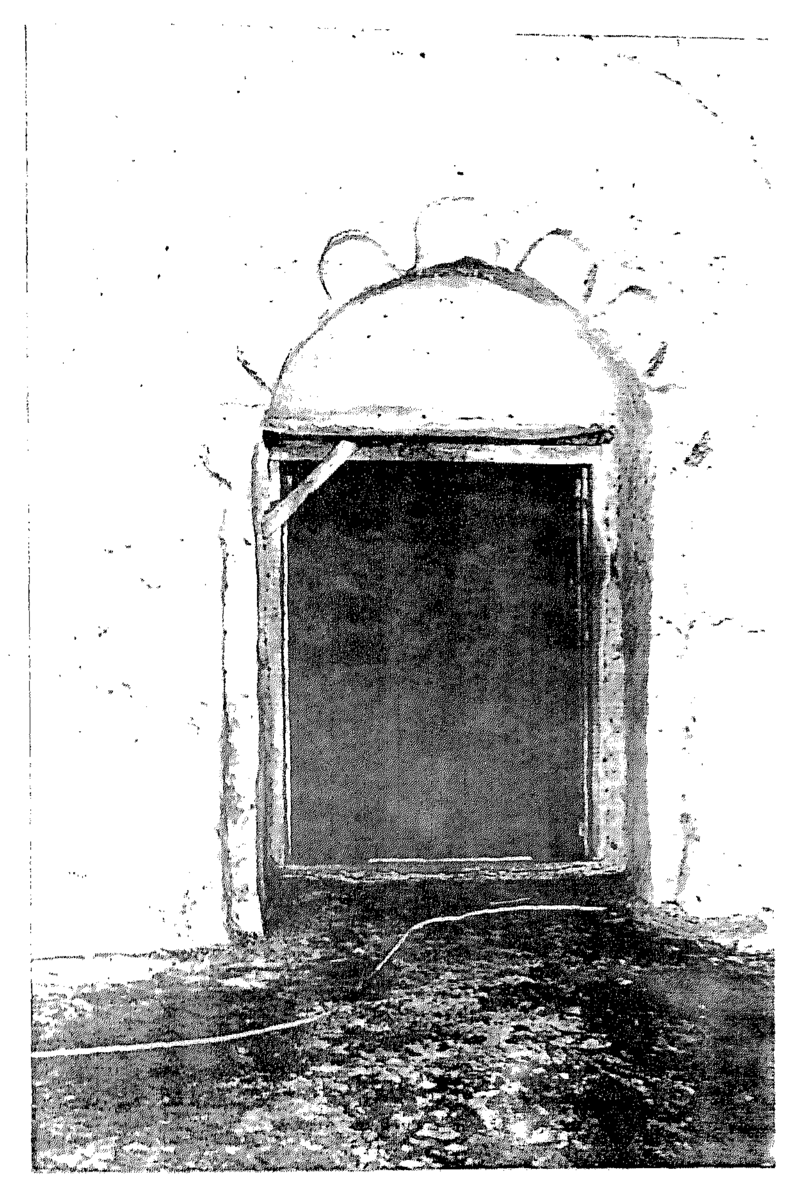
شكل (٥٨) حيس ، مسجد ركيز ، المسقط الأفقى



شكل (٥٩) حيس ، مسجد المدرسة (الياقوتية) ، المسقط الأفقى



شكل (٦٠) حيس ، مسجد المدرسة (الياقوتية) ، الأركان المشطوفة



شكل (٦١) حيس ، مسجد المدرسة (الياقوتية) ، المدخل الأوسط للمصلى



شكل (٦٢) حيس ، مسجد المدرسة (الياقوتية) ، كتلة المحراب البارزة



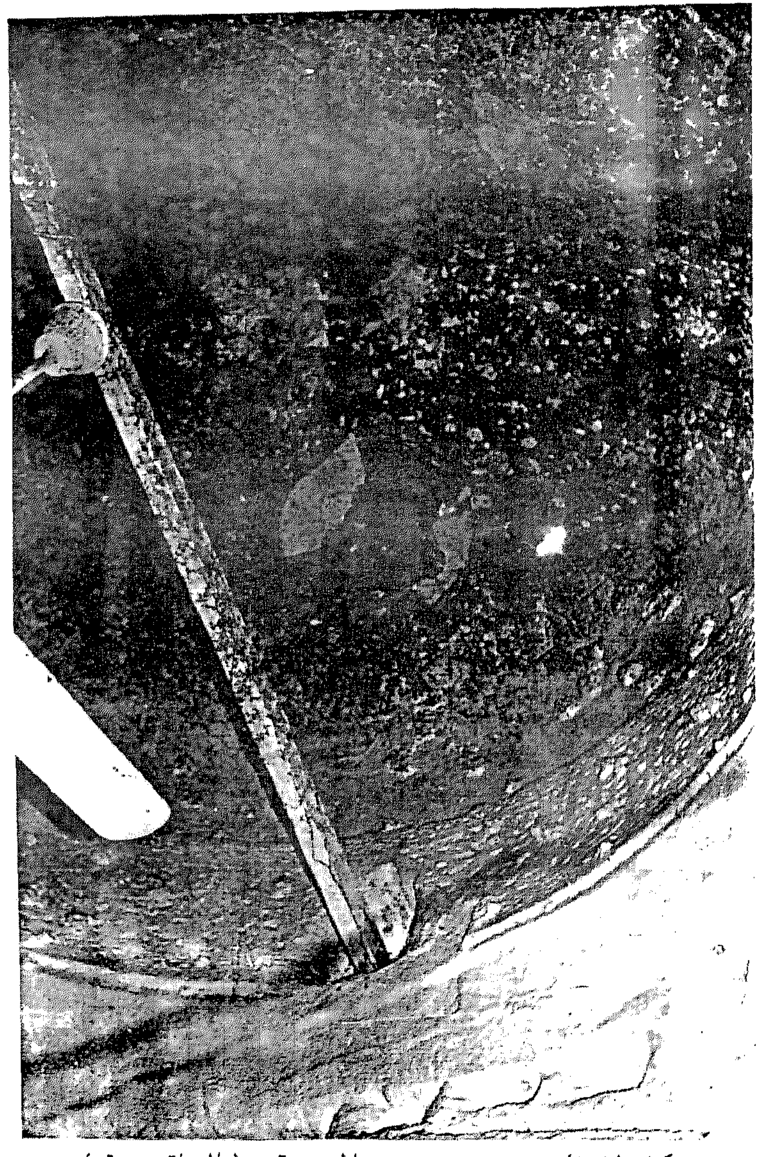
شكل (٦٣) والزخرفة الهندسية التى تزينها



شكل (٦٤) حيس ، مسجد المدرسة (الياقوتية) ، مناطق انتقال القبة الوسطى



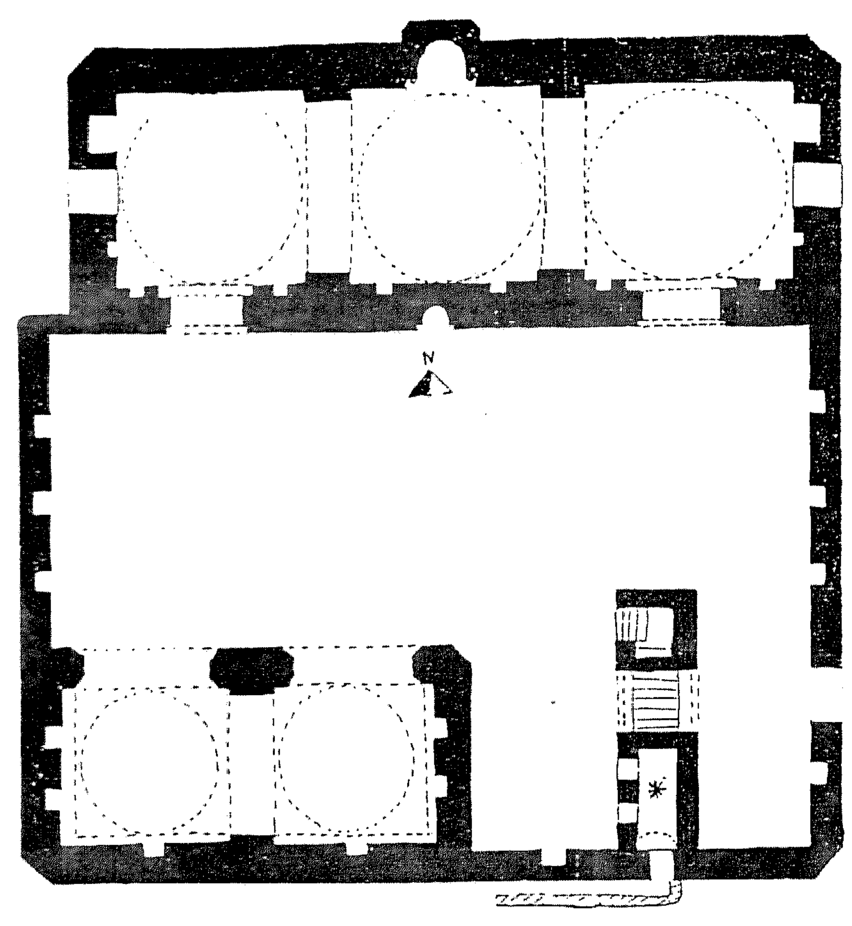
شكل (٦٥) حيس ، مسجد المدرسة ، (الياقوتية)
مناطق انتقال القباب الجانبية

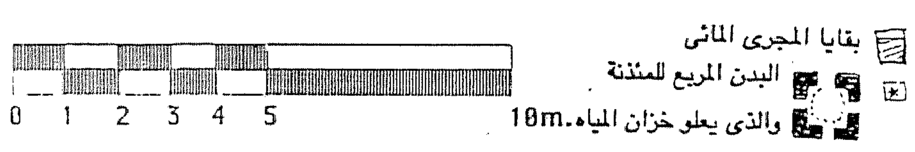


شكل (٦٦) حيس ، مسجد المدرسة ، (الياقوتية) ،
زخارف باطن إحدى القباب من الداخل



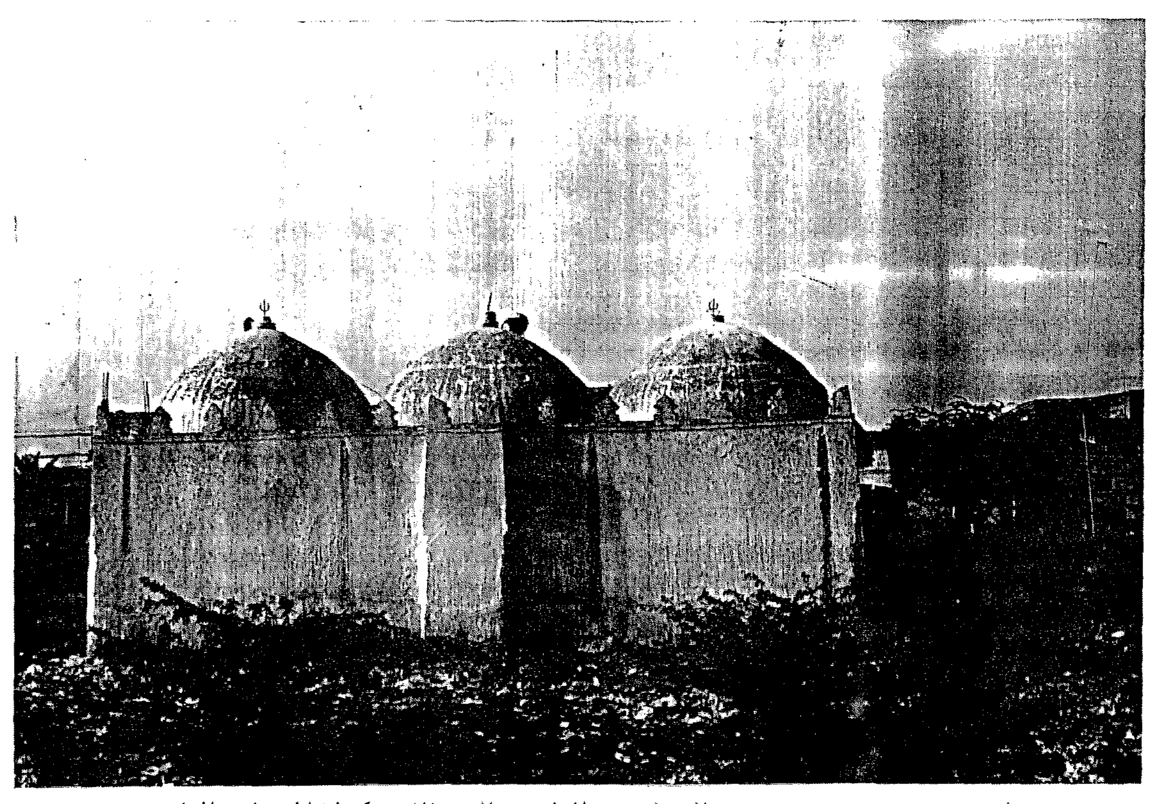
شكل (٦٧) حيس ، مدرسة الهتارى ، منظر عام للواجهة الشرقية ، والمصلى بقبابه ، والمئذنة



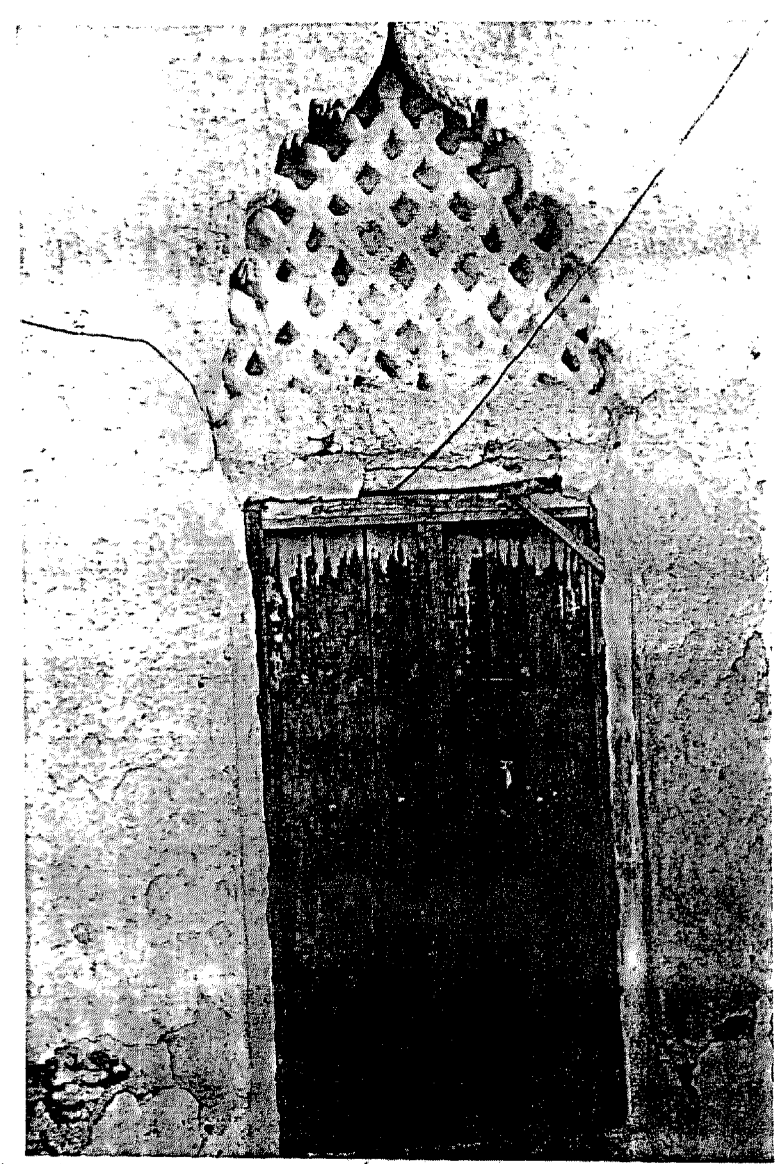




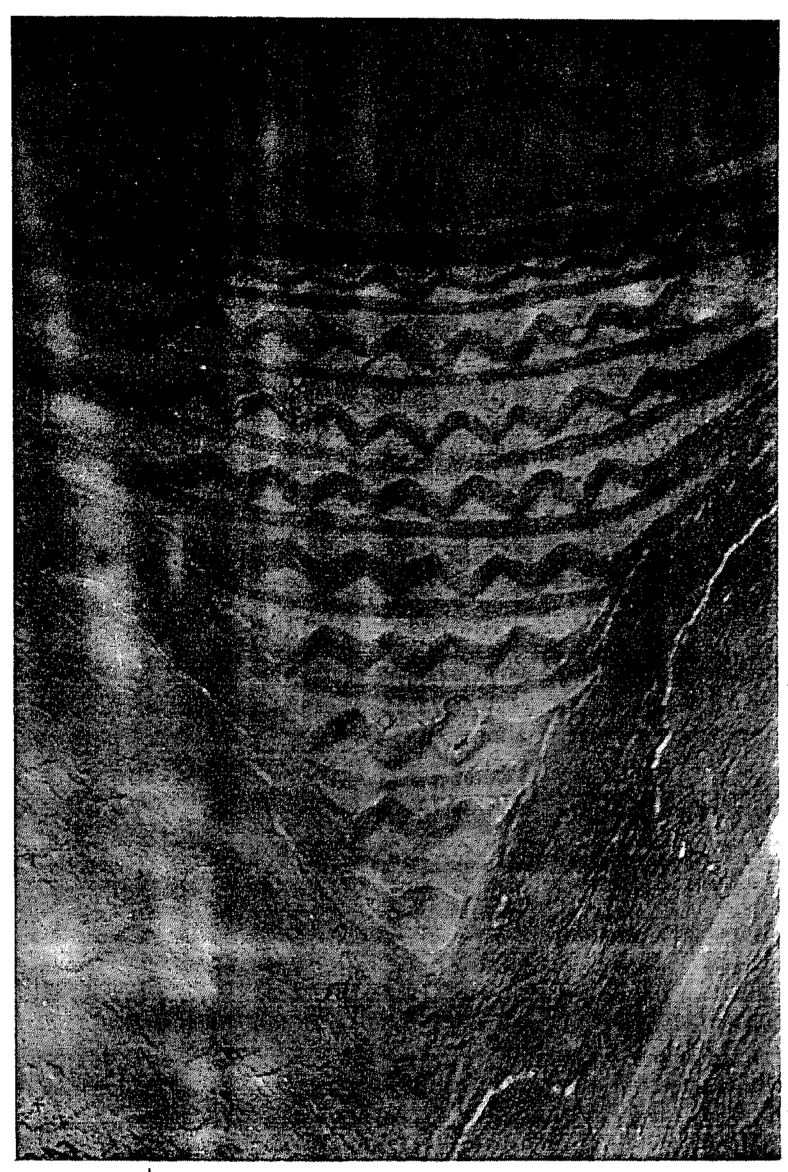
شكل (٦٨) حيس ، مدرسة الهتارى ، المسقط الأفقى



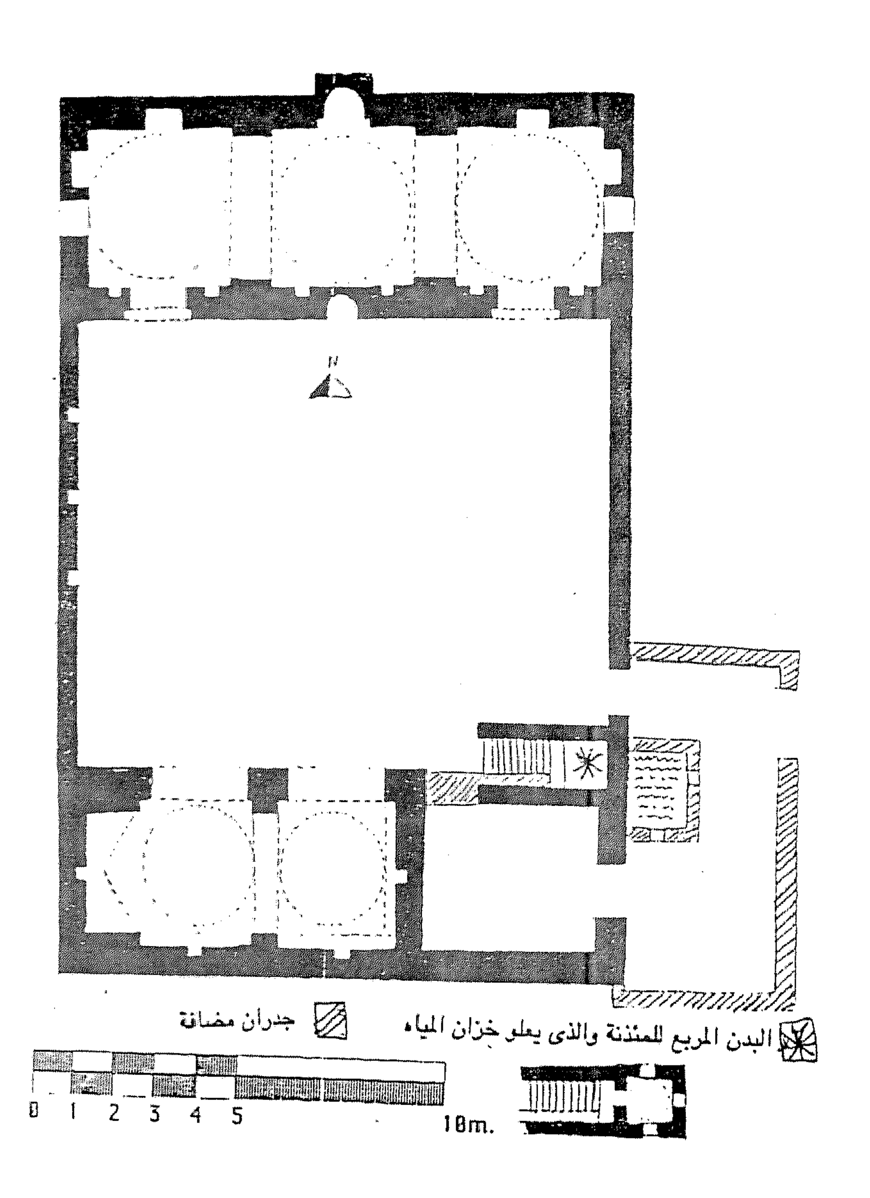
شكل (٦٩) حيس ، مدرسة الهتارى ، الواجهة الشمالية وكتلة المحراب البارزة من الخارج



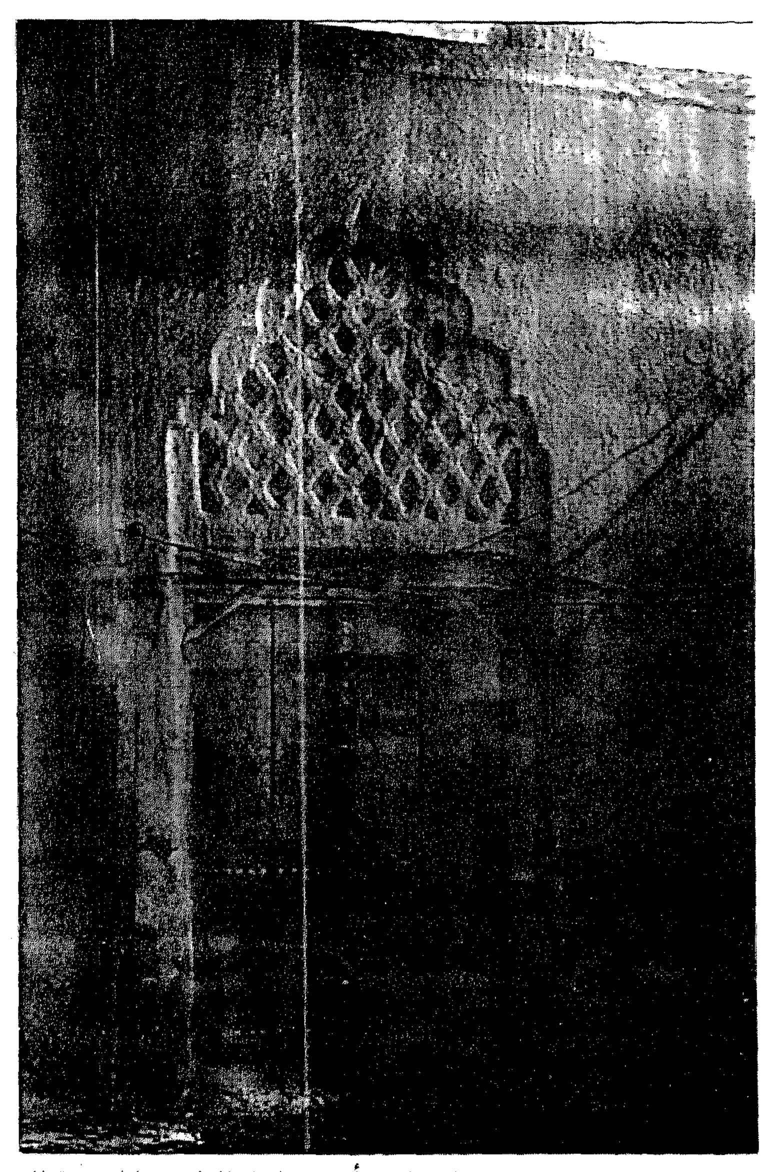
شكل (٧٠) حيس ، مدرسة الهتارى ، أحد مداخل الواجهة الجنوبية للمصلى



شكل (٧١) حيس ، مدرسة الهتارى ، مناطق انتقال القباب



شكل (٧٢) حيس ، مدرسة المعجار ، المسقط الأفقى



شكل (٧٣) حيس ، مدرسة المعجار ، أحد مداخل الواجهة الجنوبية للمصلى



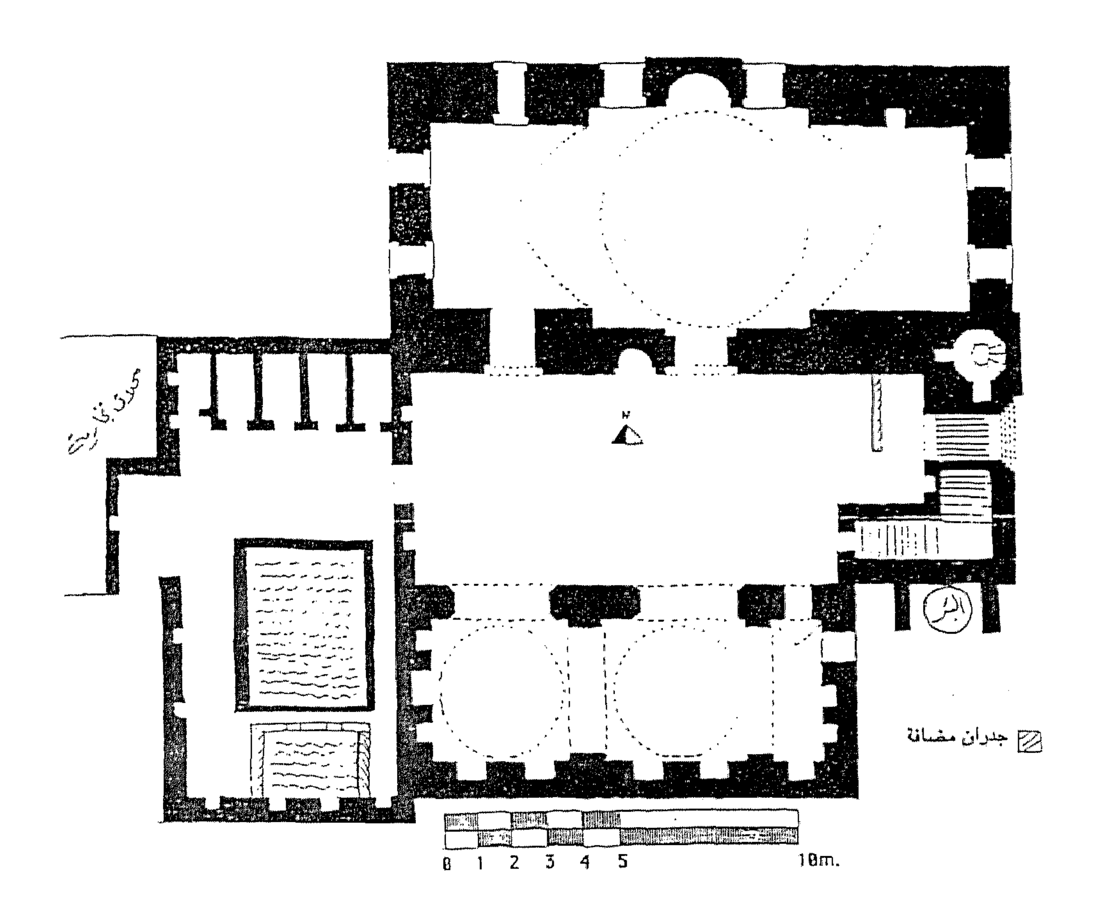
شكل (٧٤) حيس ، مدرسة المعجار ، محراب المصلى .



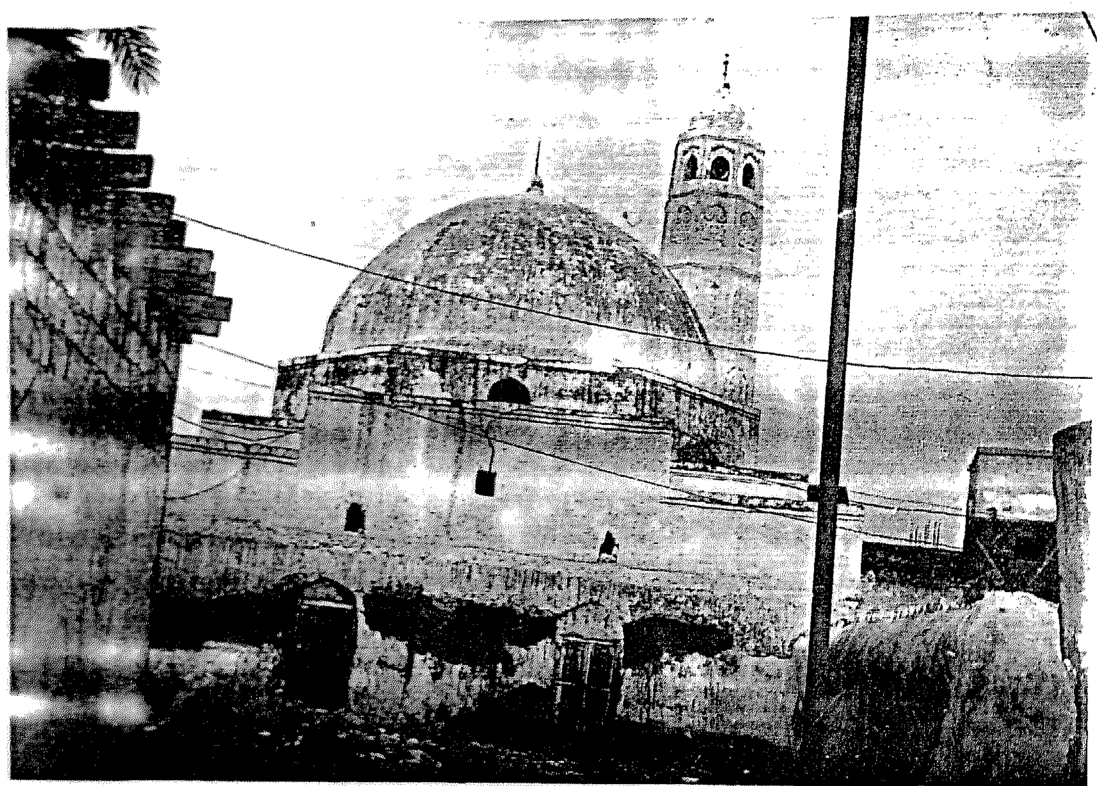
شكل (٧٥) حيس ، مدرسة المعجار ، مناطق انتقال القباب



شكل (٧٦) حيس ، مدرسة المعجار ، المئذنة



شكل (٧٧) حيس ، مدرسة الأسكندرية ، المسقط الأفقى



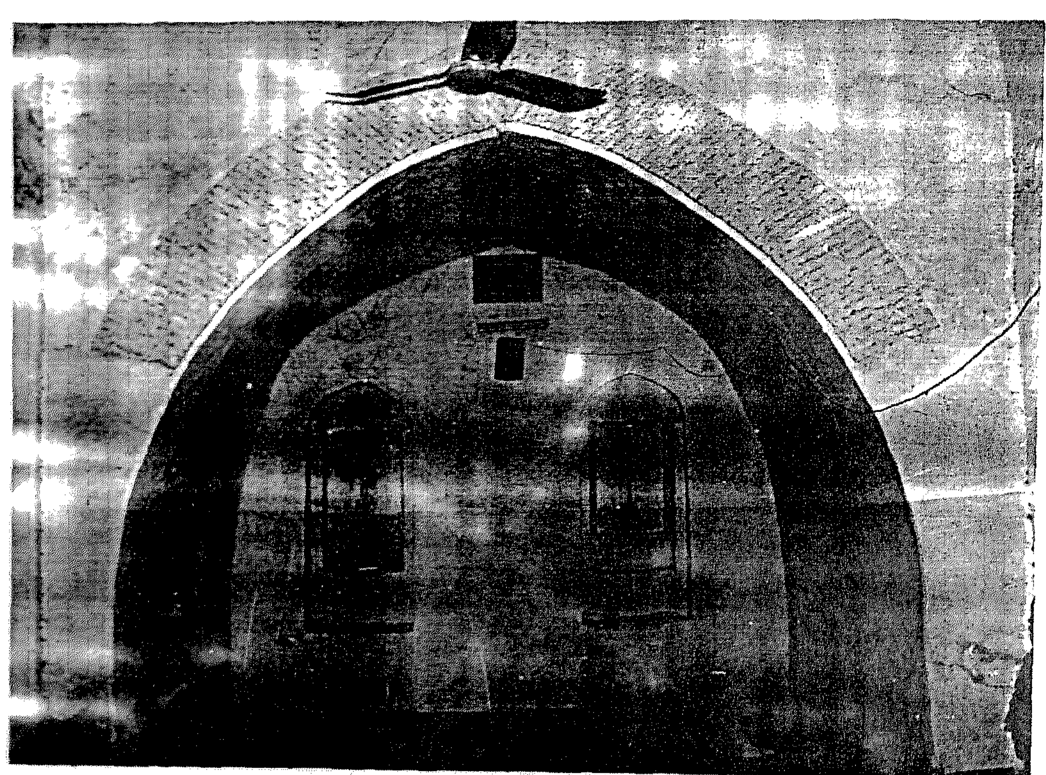
شكل (٧٨) حيس ، مدرسة الأسكندرية ، الواجهة الغربية



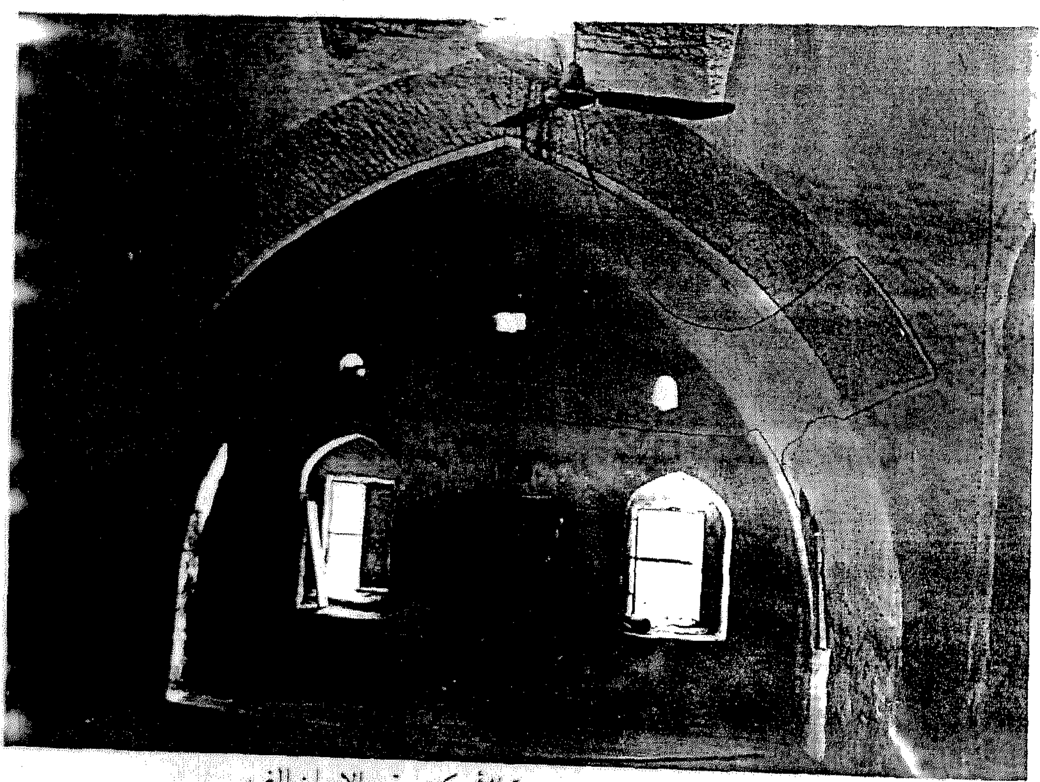
شكل (٧٩) حيس ، مدرسة الأسكندرية ، مناطق انتقال القبة المركزية



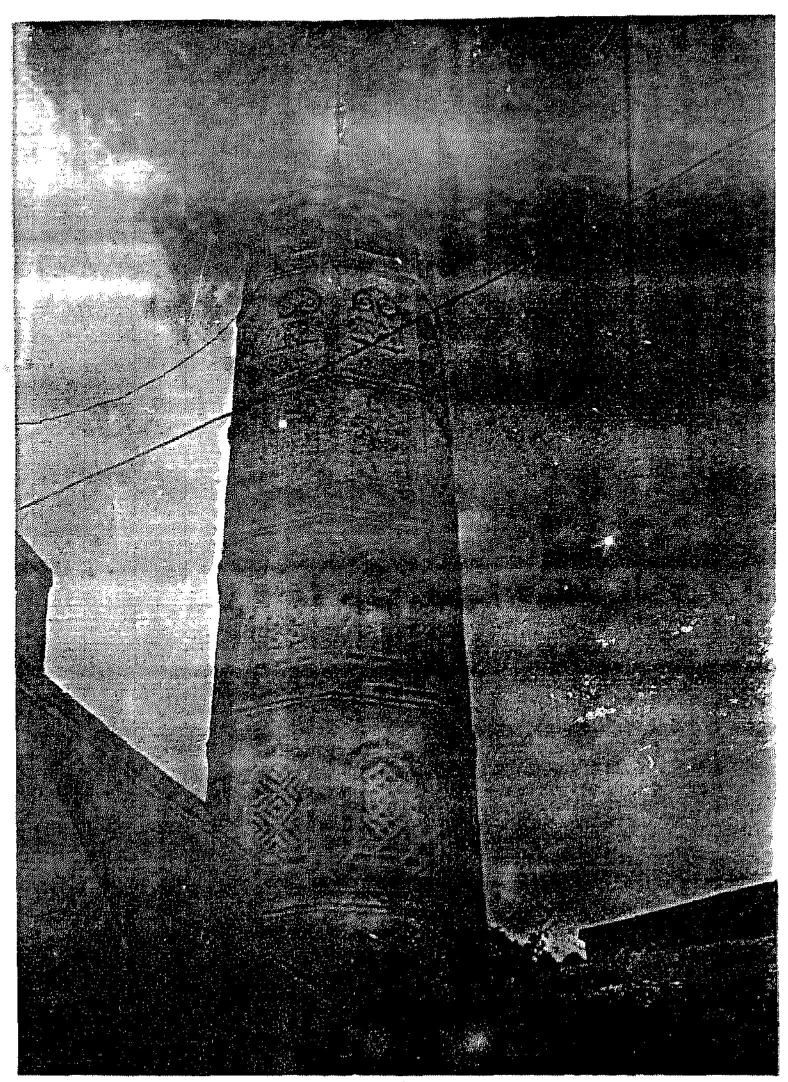
شكل (٨٠) حيس ، مدرسة الأسكندرية ، المحراب



شكل (٨١) حيس ، مدرسة الأسكندرية ، الإيوان الشرقى



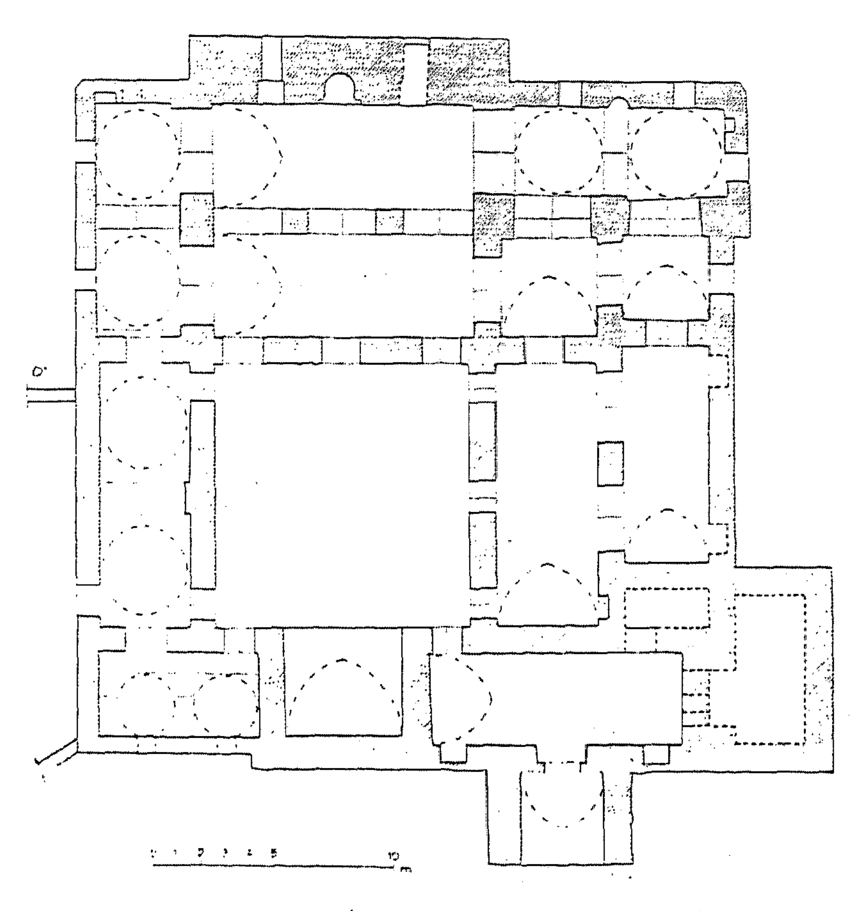
شكل (٨٢) حيس ، مدرسة الأسكندرية ، الإيوان الغربى



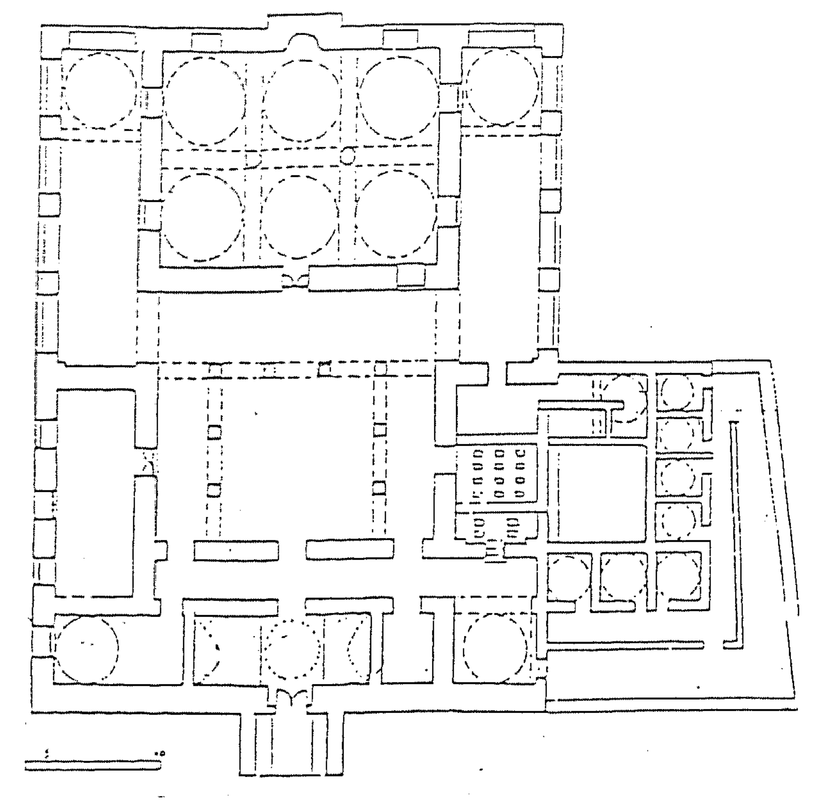
شكل (٨٣) حيس ، مدرسة الأسكندرية ، المئذنة



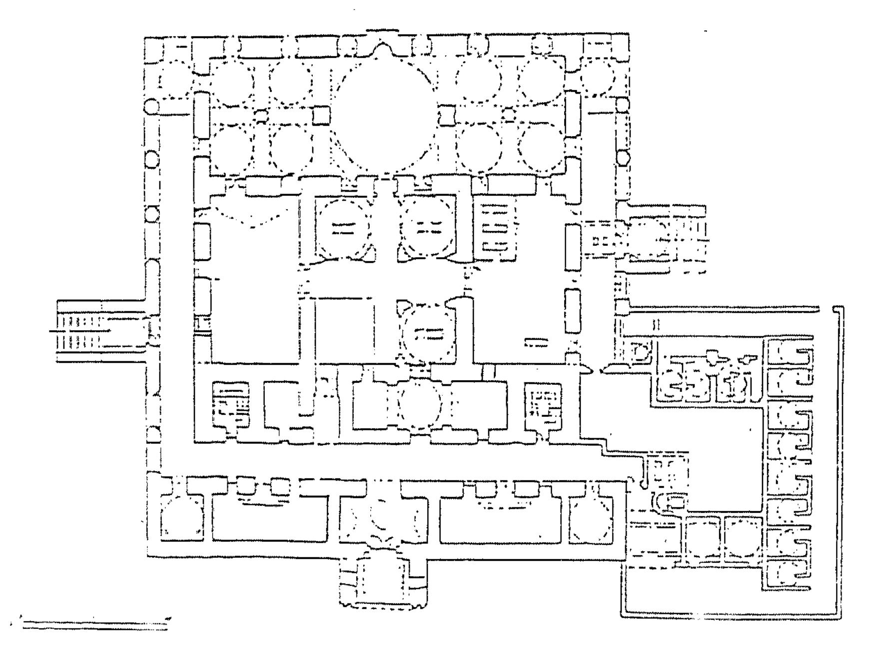
شكل (٨٤) حيس ، مدرسة الاسكندرية ، سلم المئذنة المروحى



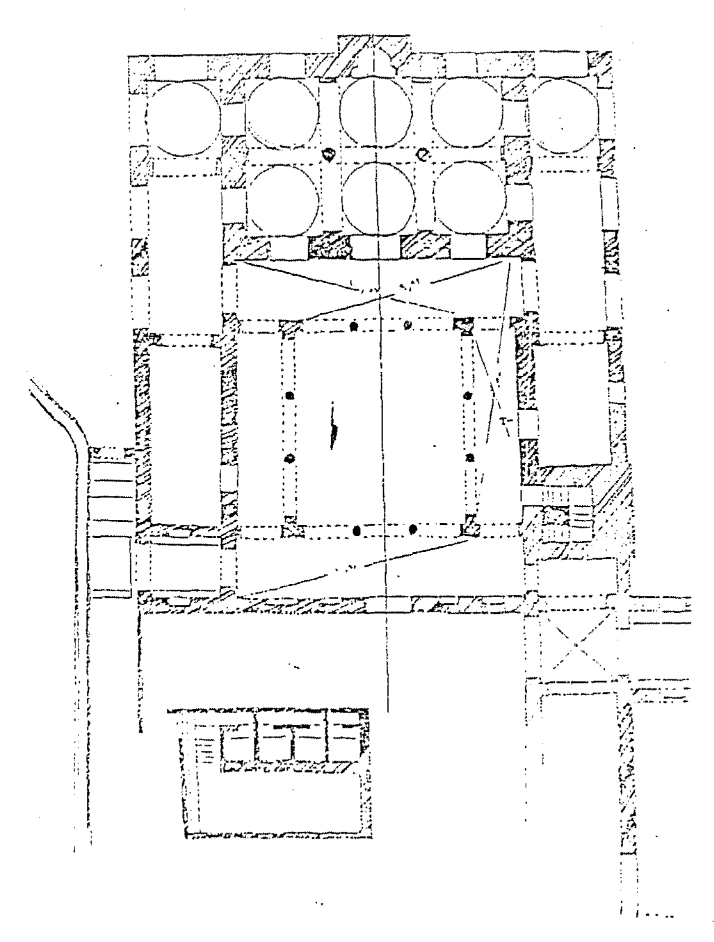
شكل (٨٥) حيس ، الجامع الكبير ، المسقط الأفقى كما وضعته بربارا فنستر



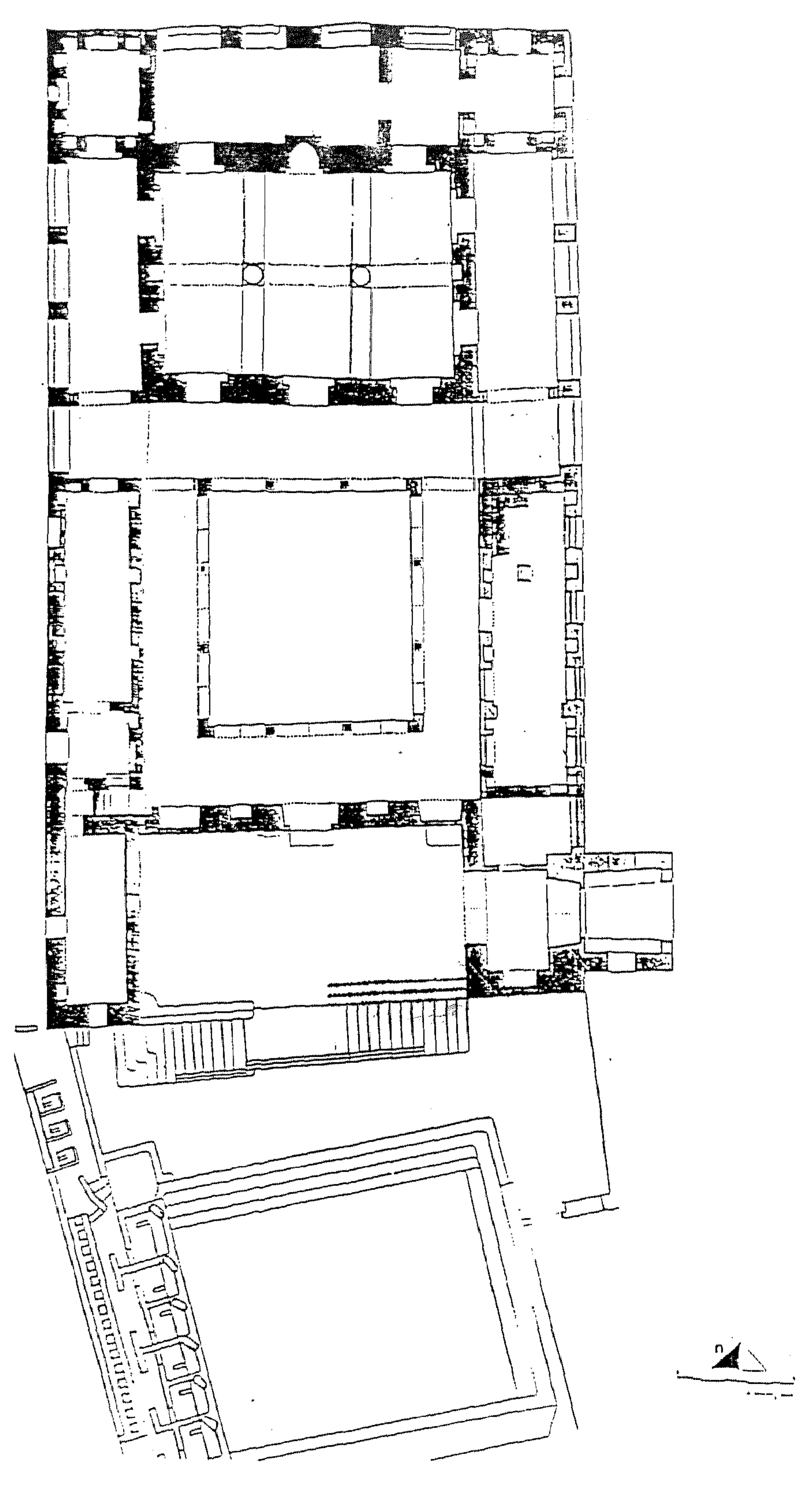
شكل (٨٦) تعز ، المدرسة المعتبية ، المسقط الأفقى (عن سيف النصر)



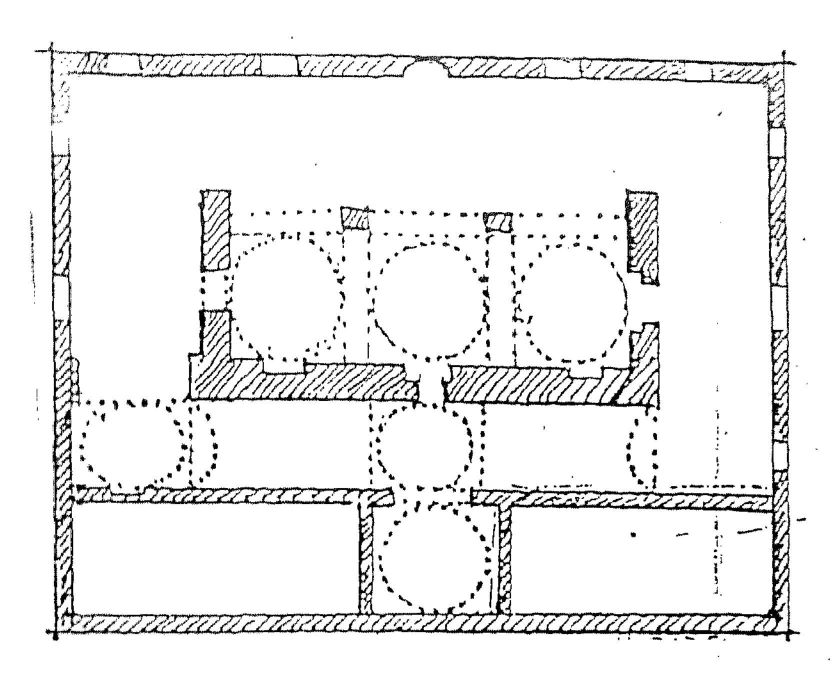
شكل (٨٧) تعز ، المدرسة الأشرفية ، المسقط الأفقى (عن سيف النصر)



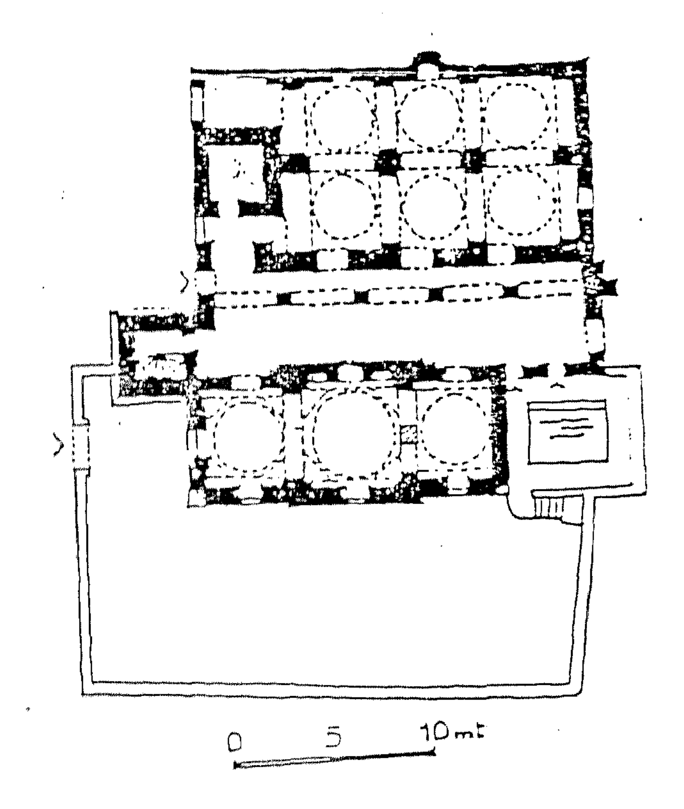
شكل (٨٨) جنين ، المدرسة المنصورية ، المسقط الأفقى (عن المطاع)



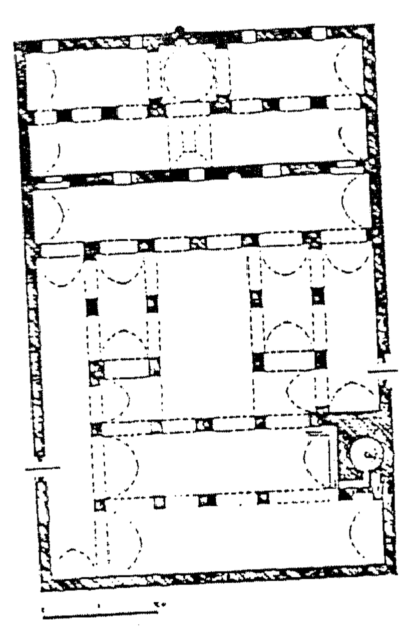
شكل (٨٩) رداع ، المدرسة العامرية ، المسقط الأفقى (عن سيف المطاع)



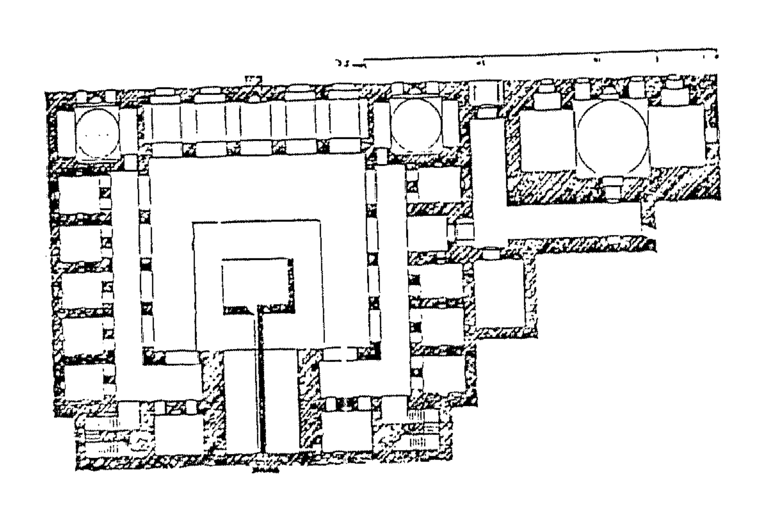
شكل (٩٠) تعز ، المدرسة التقوية ، المسقط الأفقى (عن نهى صادق)



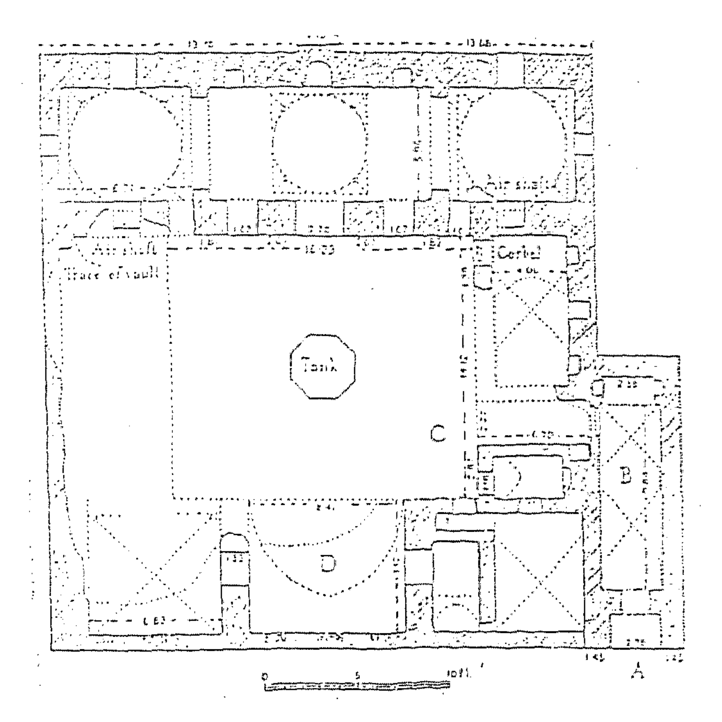
شكل (٩١) القطيع، الجامع الكبير، المسقط الأفقى(عن ITALIAN INSTITUTE)



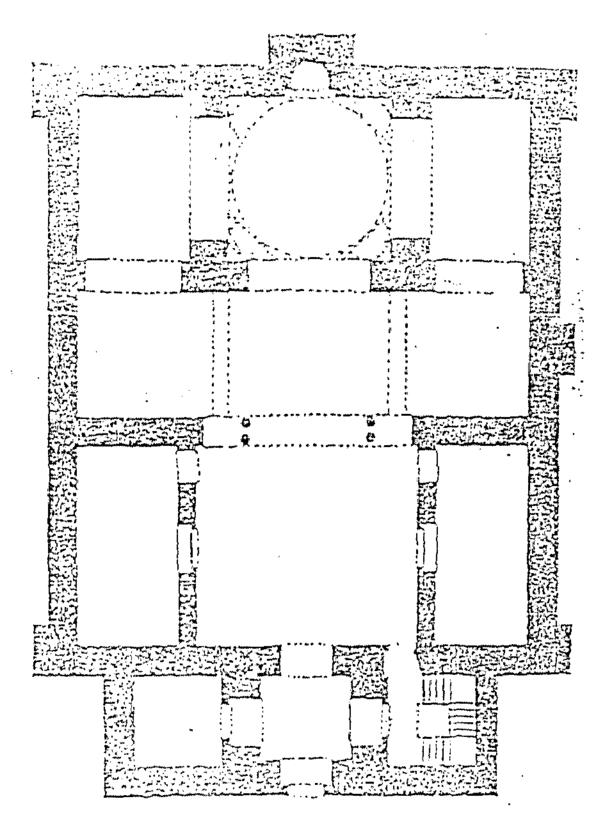
شكل (٩٢) خربوط ، الجامع الكبير ، المسقط الأفقي (عن بربارا فنستر)



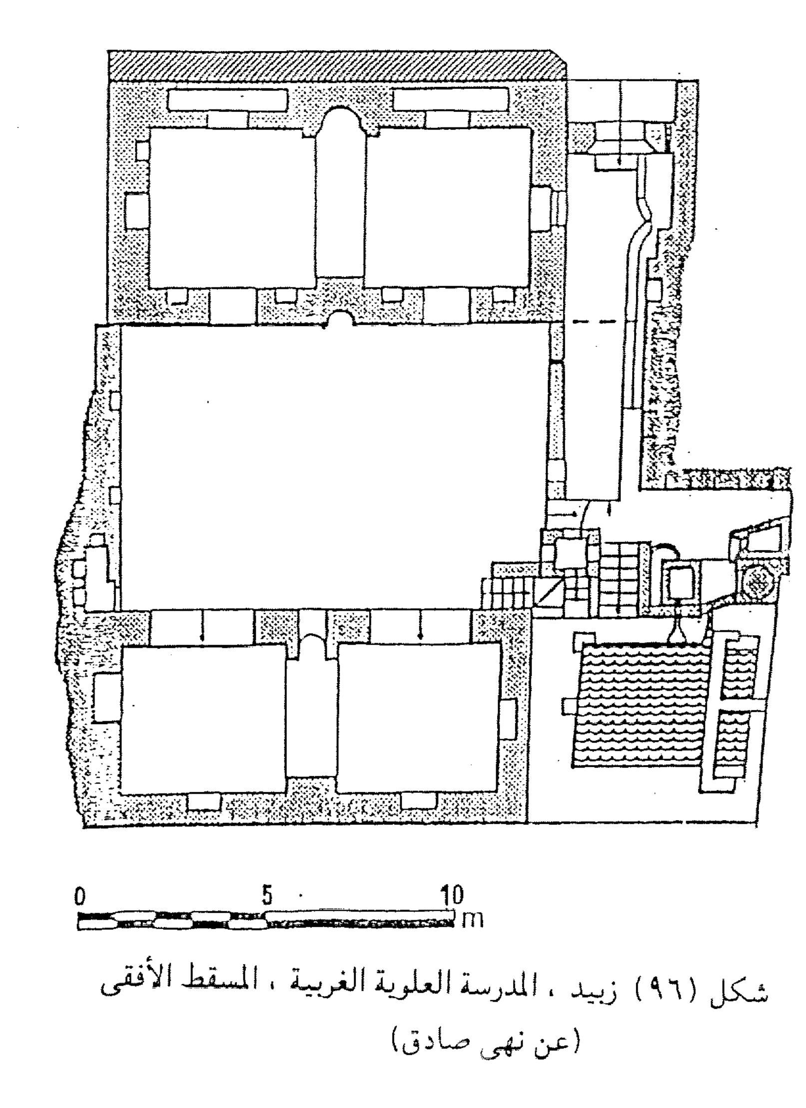
شكل (٩٣) ماردين ، المدرسة القاسمية ، المسقط الأفقي (عن بربارا فنستر)



شكل (٩٤) حلب ، المدرسة الكاملية ، المسقط الأفقى (عن كريزويل)

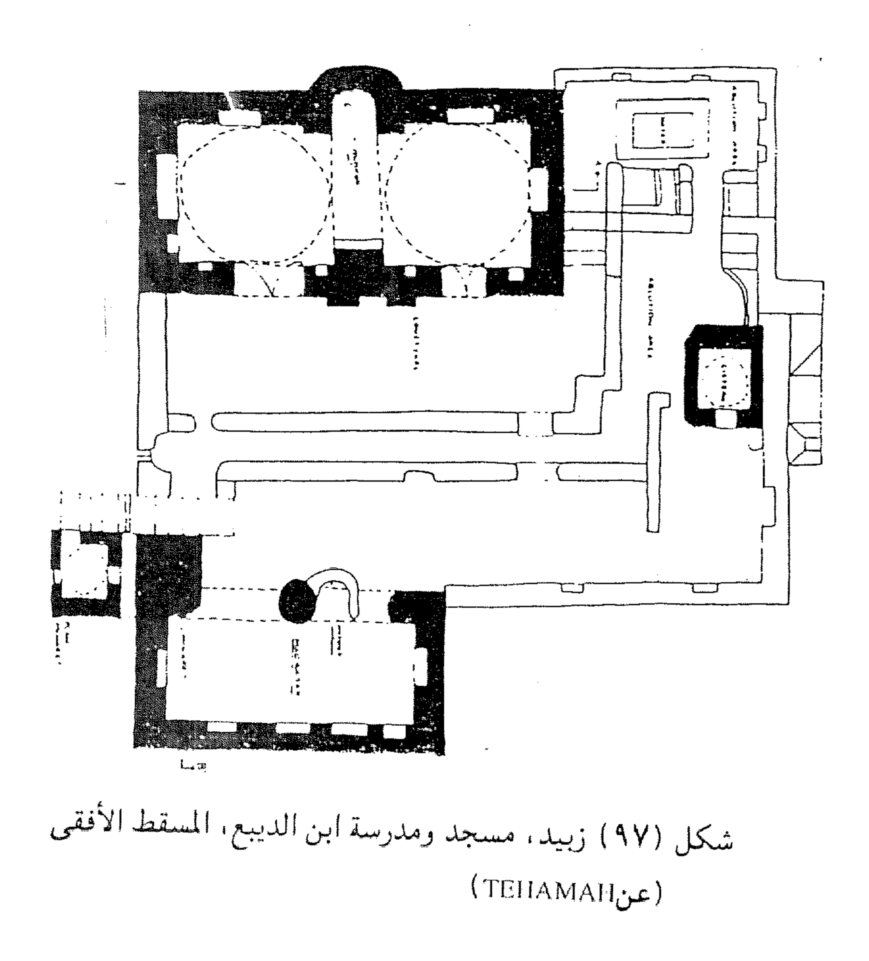


شكل (٩٥) القاهرة ، مشهد الجيوشى ، المسقط الأفقى (عن أحمد فكرى)



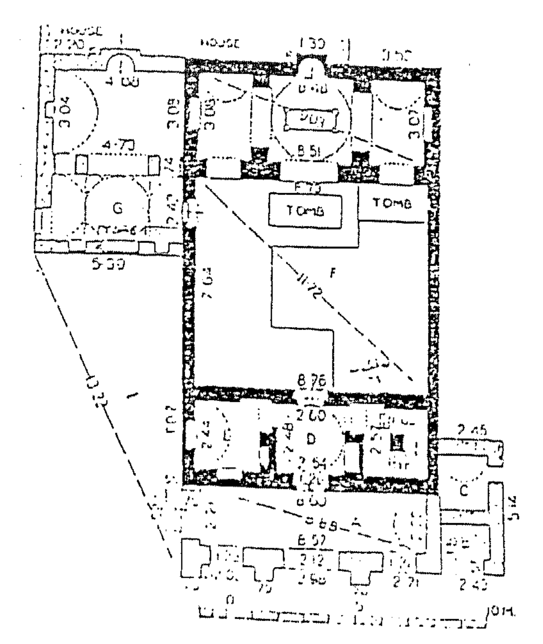
شكل (٩٦) زبيد ، المدرسة العلوية الغربية ، المسقط الأفقى

(عن نهى صادق)

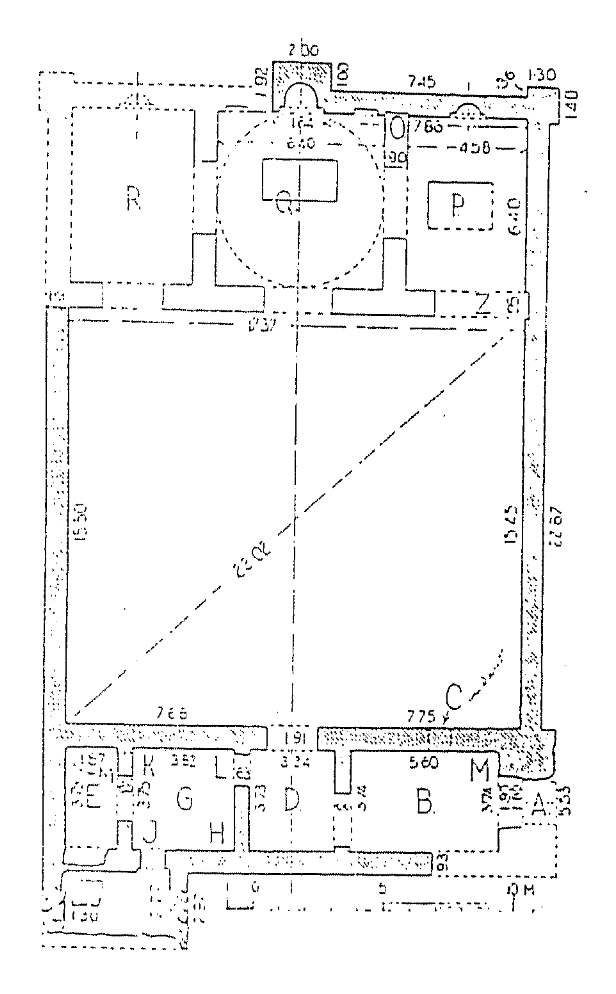


شكل (٩٧) زبيد، مسجد ومدرسة ابن الديبع، المسقط الأفقى

(عنTEHAMAH)

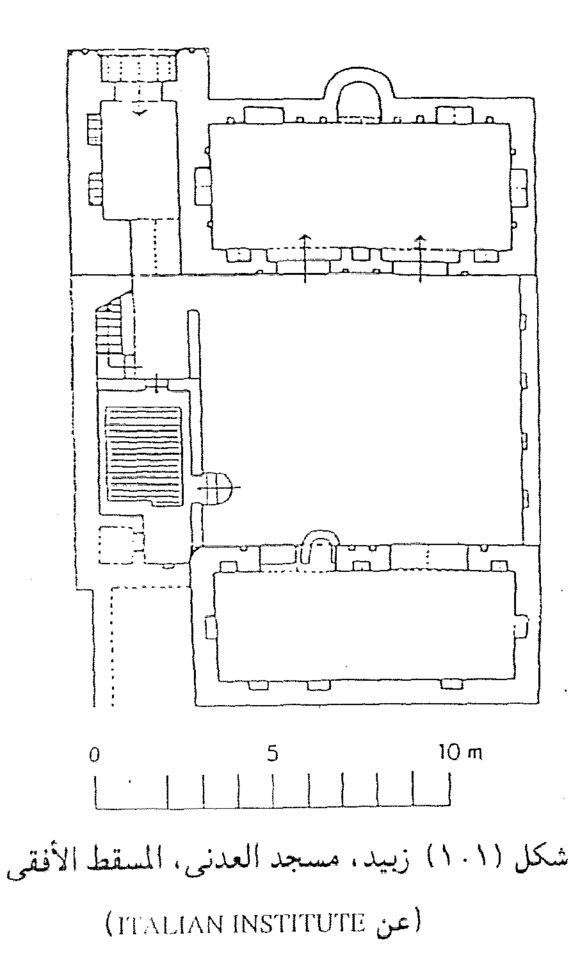


شكل (٩٨) أسوان ، أحد المشاهد ، المسقط الأفقى (عن كريزويل)



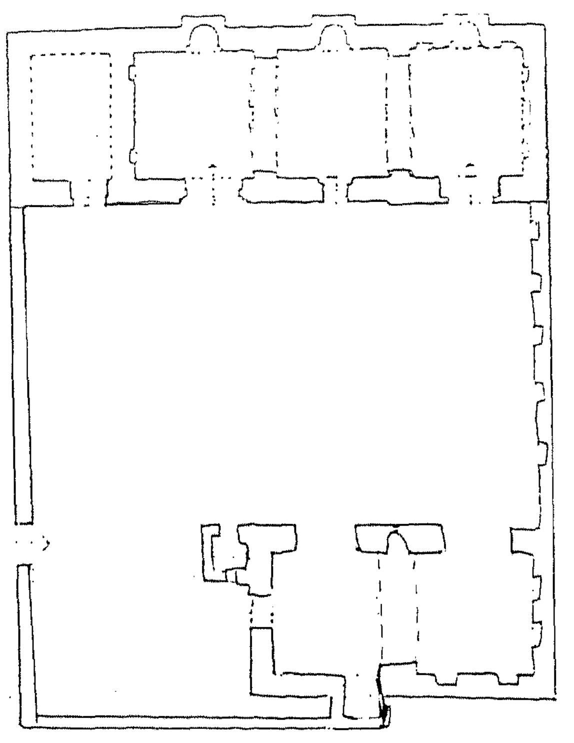
شكل (٩٩) أسوان ، مسجد خضرة الشريفة ، المسقط الأفقى (عن كريزويل

شكل(١٠٠) القاهرة، مشهد السيدة رقية، المسقط الأفقى



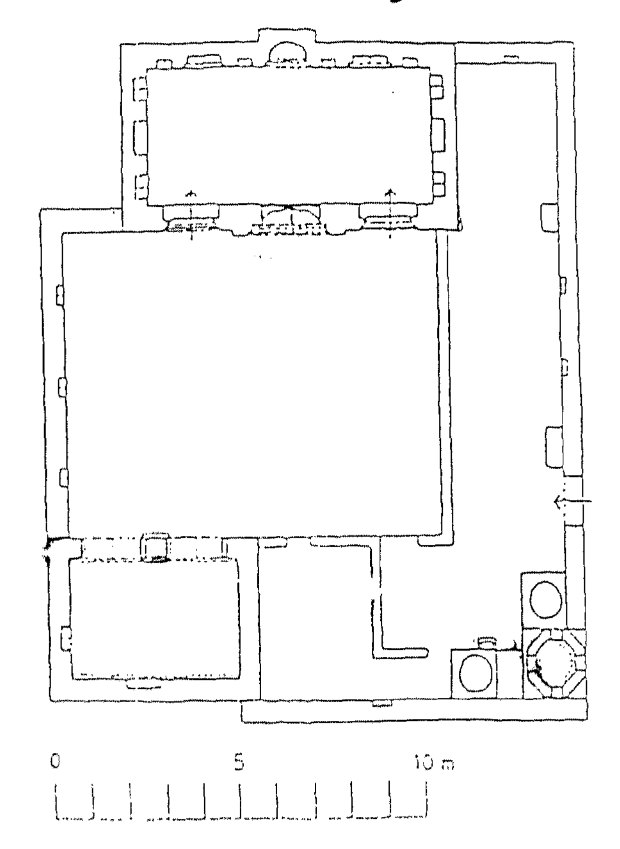
شكل (١٠١) زبيد، مسجد العدنى، المسقط الأفقى

(عن ITALIAN INSTITUTE)

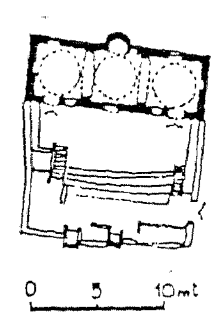


شكل (١٠٢) زبيد ، مسجد الصنوى ، المسقط الأفقى

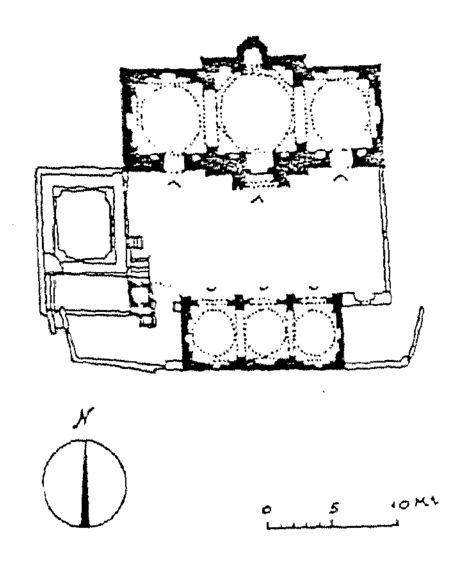
(عن ITALIAN INSTITUTE)



شكل (١٠٣) زبيد، مسجد الأهدل، المسقط الأفقى(عن ITALIAN INSTITUTE)

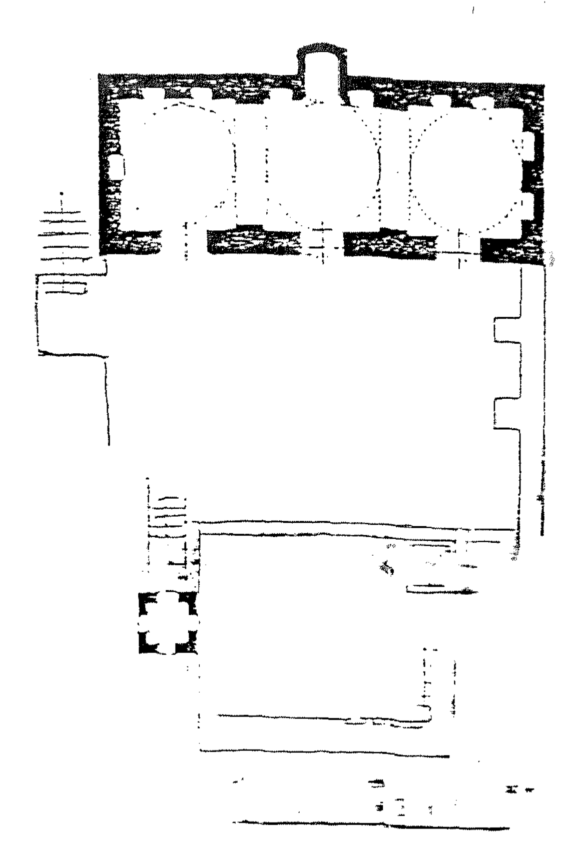


شكل (١٠٤) المتينة، مسجد ....، المسقط الأفقى(عن ITALIAN INSTITUTE)



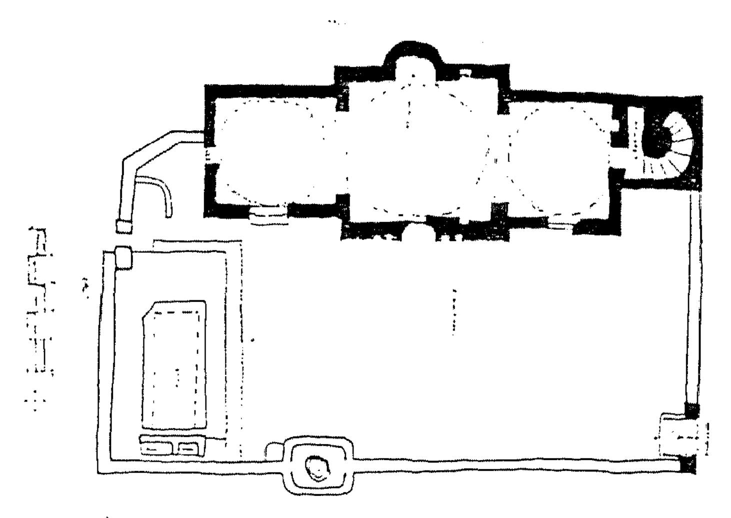
شكل (١٠٥) التحيتة ، مسجد المزجاجى، المسقط الأفقى

(عن ITALIAN INSTITUTE)



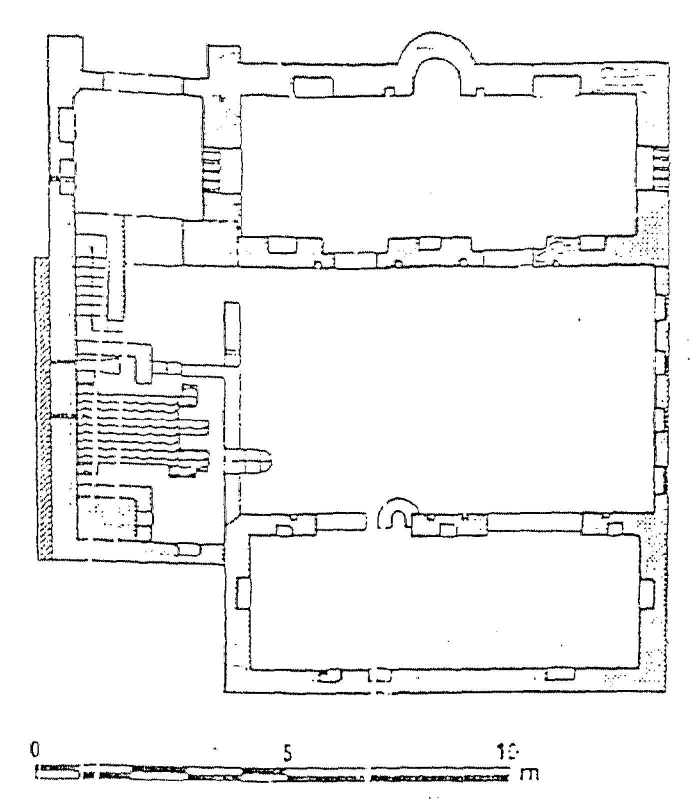
(١.٦ التحيتة ، مسجد الشيخ أبكر ، المسقط الأفقى

(عن ITALIAN INSTITUTE)

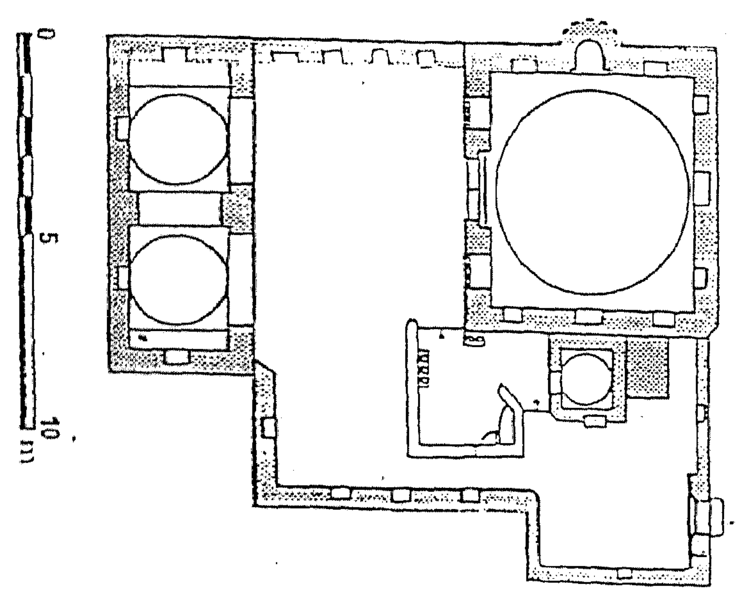


شكل (١.٧) الدريهمى ، مسجد عبد الله بن على ، المسقط الأفقى

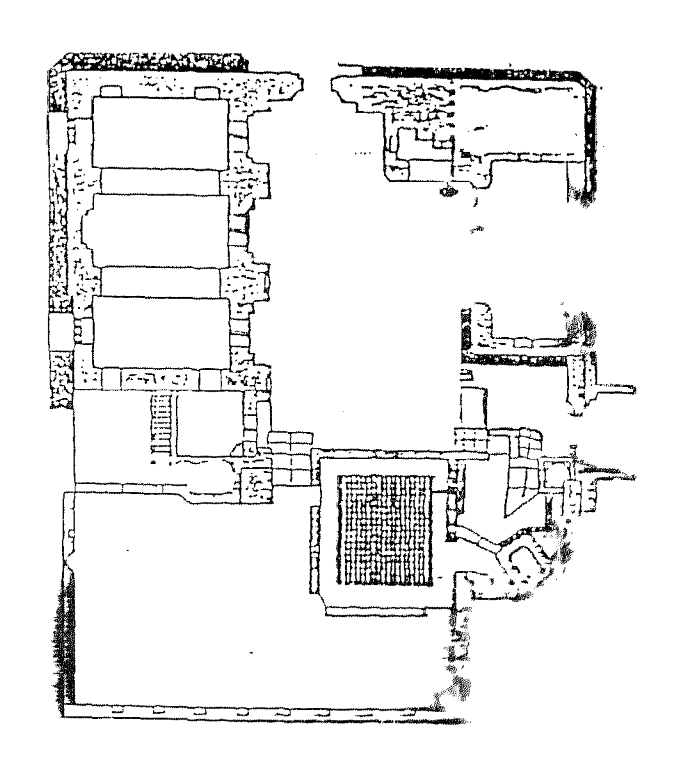
(عن TEHAMAH)

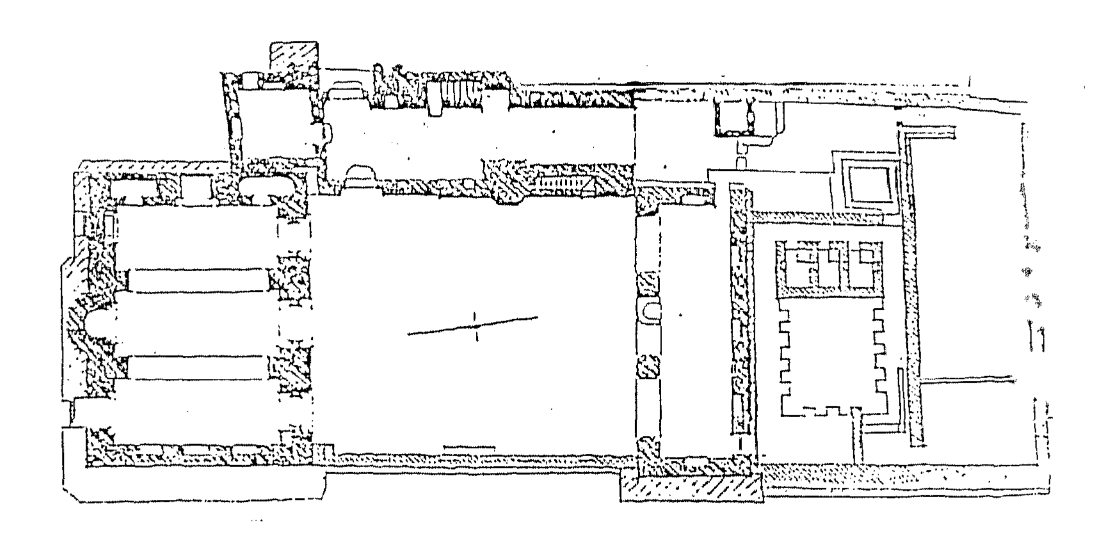


شكل (١٠٨) زبيد، المدرسة المنصورية العليا، المسقط الأفقى (عن سيف النصر)

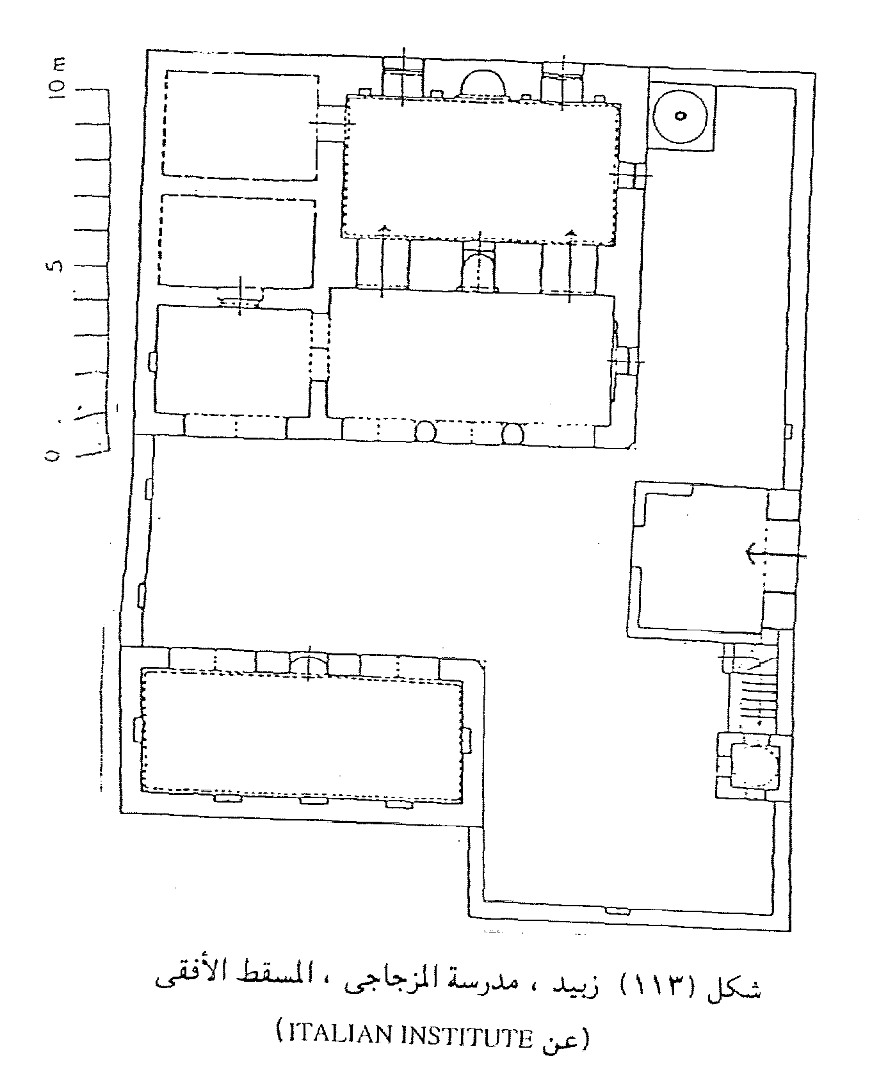


شكل (١٠٩) زبيد ، المدرسة الدعاسية ، المسقط الأفقى (عن نهى صادق)



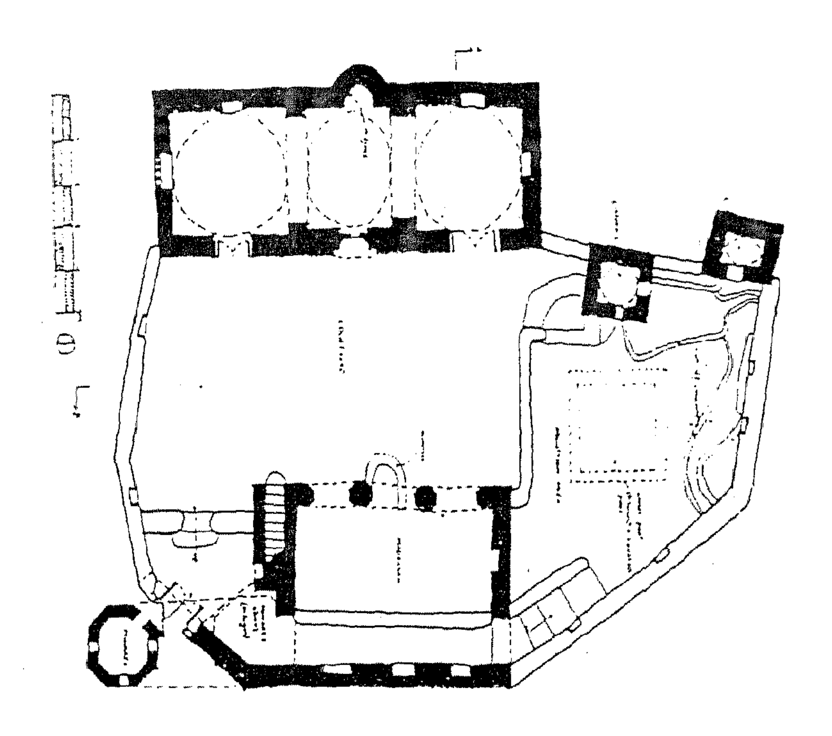


شكل (١١٢) زبيد ، المدرسة الوهابية ، المسقط الأفقى (عن سيف النصر)

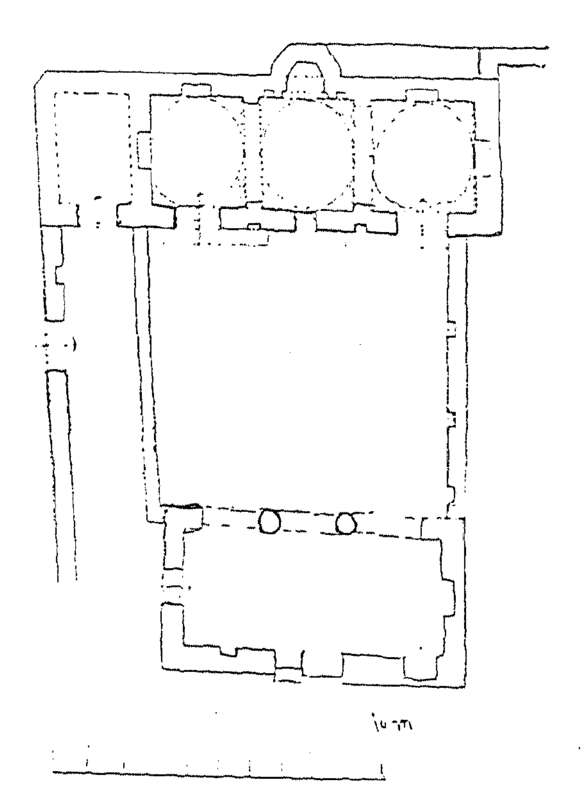


شكل (١١٣) زبيد ، مدرسة المزجاجى ، المسقط الأفقى

(عن ITALIAN INSTITUTE)

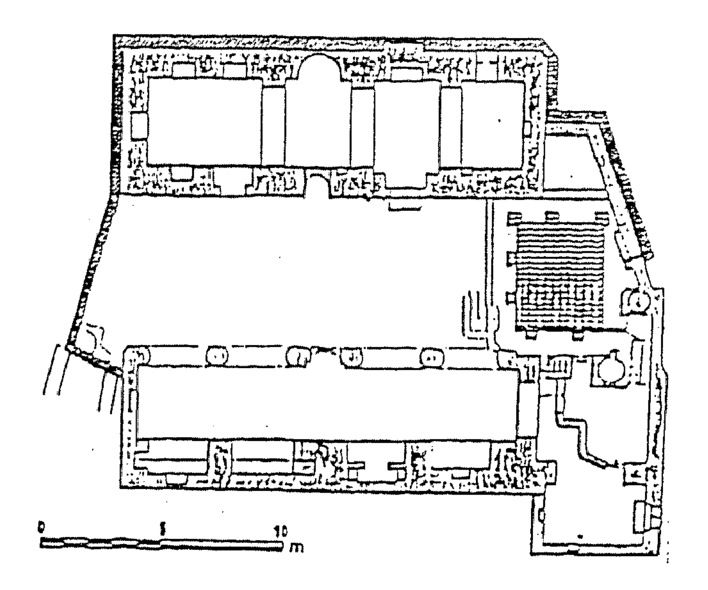


شكل (١١٤) زبيد، مسجد ومدرسة الذويدار، المسقط الأفقي (عن TEHAMAH)

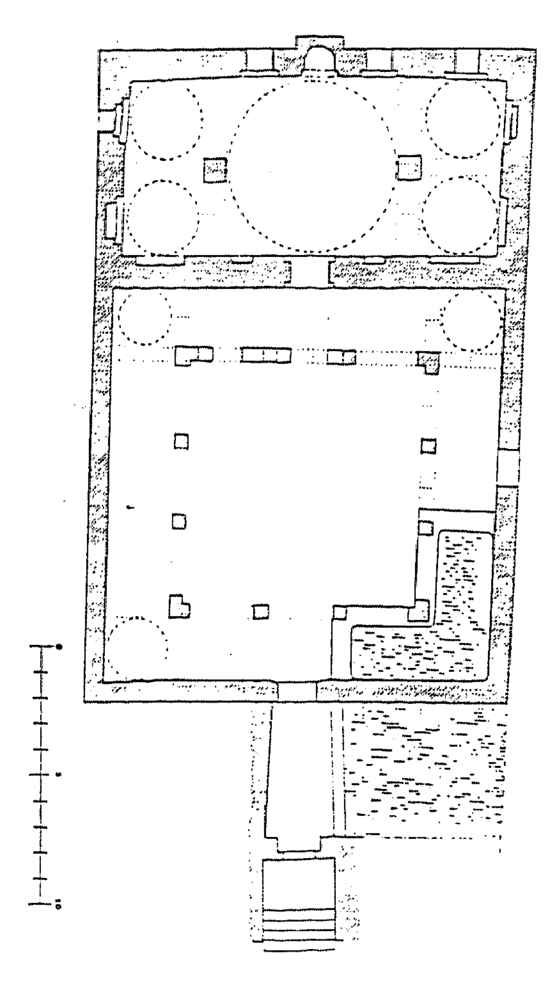


شكل (١١٥) زبيد، المدرسة الزكارية، المسقط الأفقي

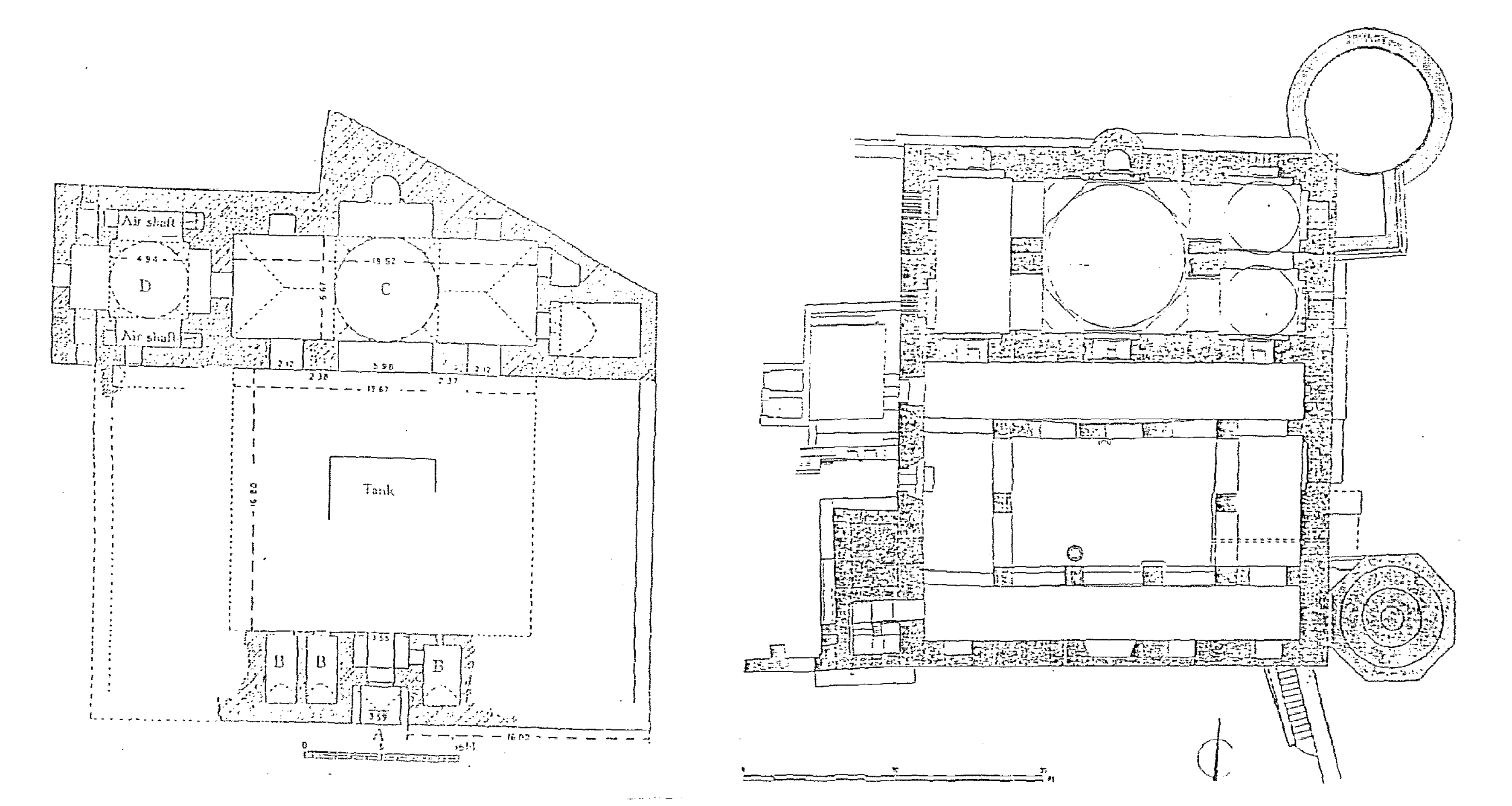
(عن ITALIAN INSTITUTE)



شكل (١١٦) زبيد، المدرسة العلوية الشرقية، المسقط الأفقي (عن نهى صادق)

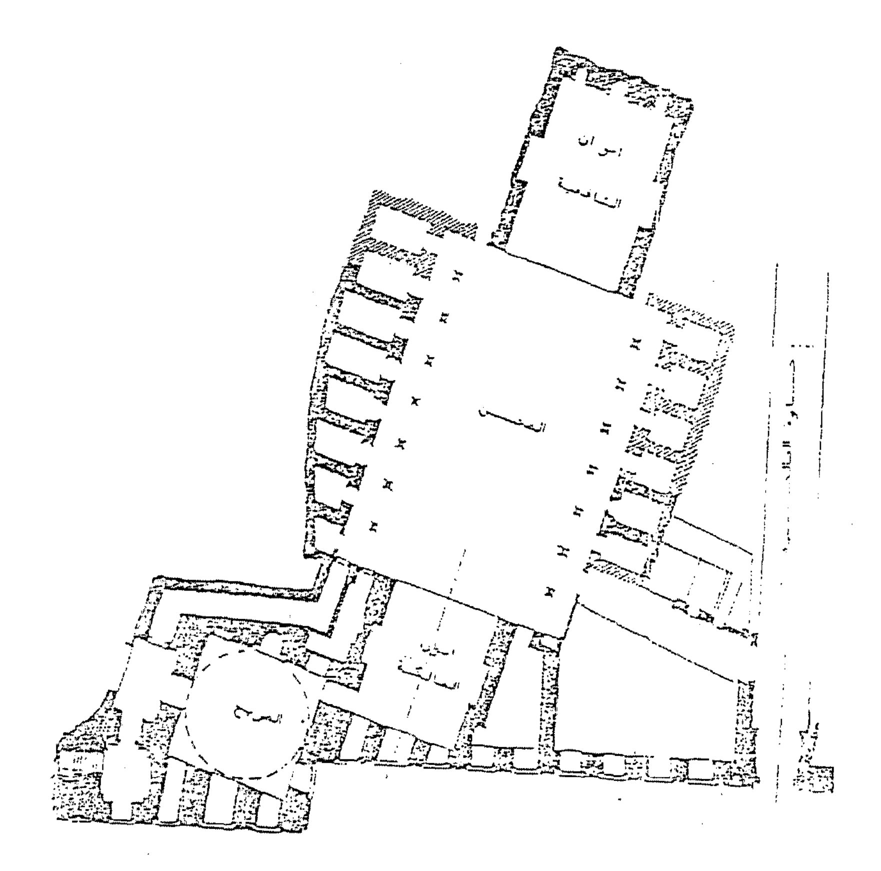


شكل (١١٧) إب، المدرسة الأسدية ، المسقط الأفقي (عن بربارا فنستر)

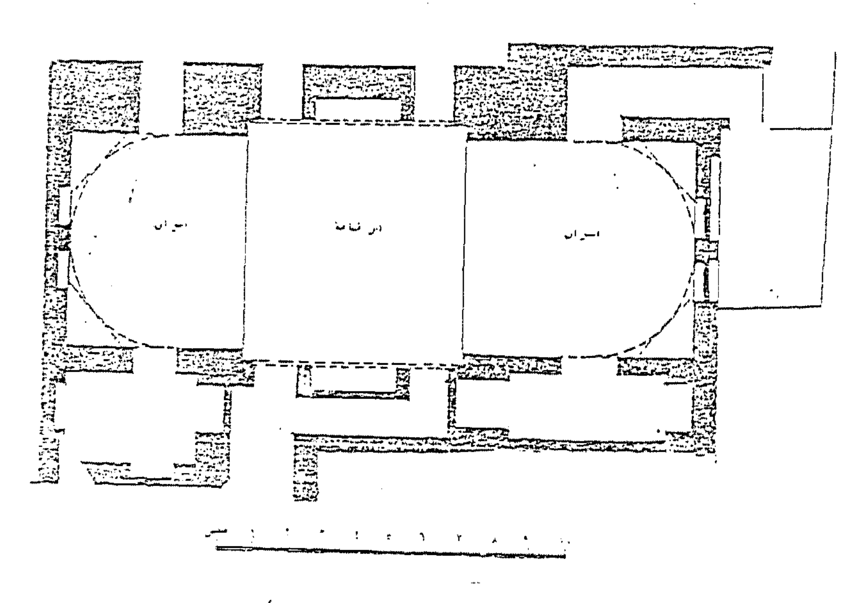


شكل (١١٨) زبيد ، المدرسة الأسكندرية ، المسقط الأفقى (عن سيف النصر)

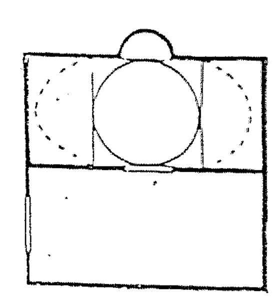
شكل (١١٩) حلب، المدرسة السلطانية ، المسقط الأفقى (عن كريزويل)



شكل (١٢٠) القاهرة ، المدرسة السلطانية ، المسقط الأفقى (فريد شافعى)

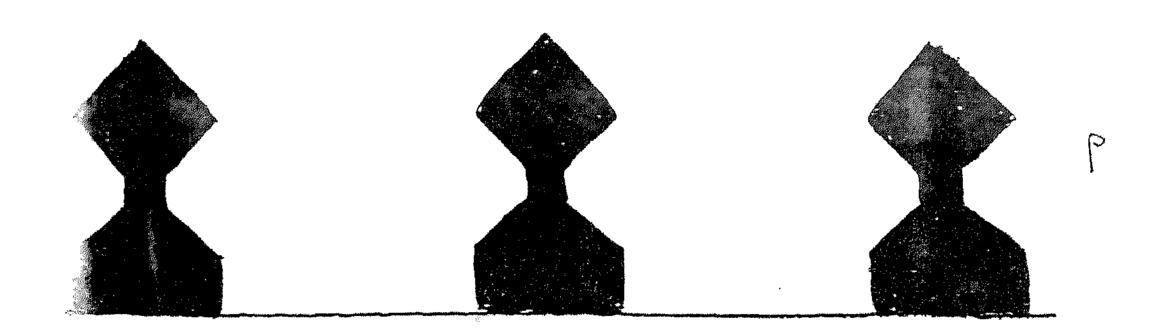


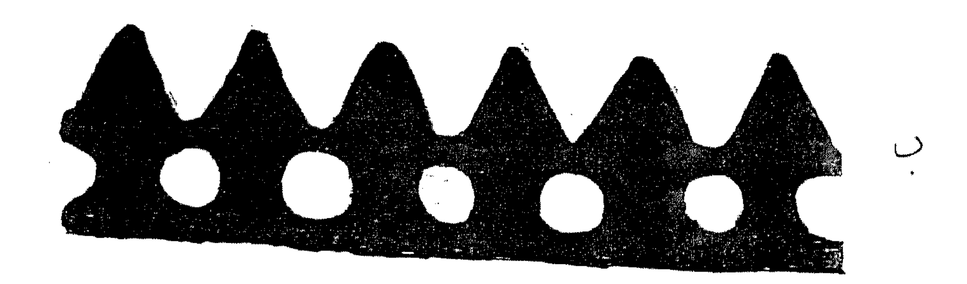
شكل (١٢١) القاهرة ، قاعة الدردير المسقط الأفقى (فريد شافعى)

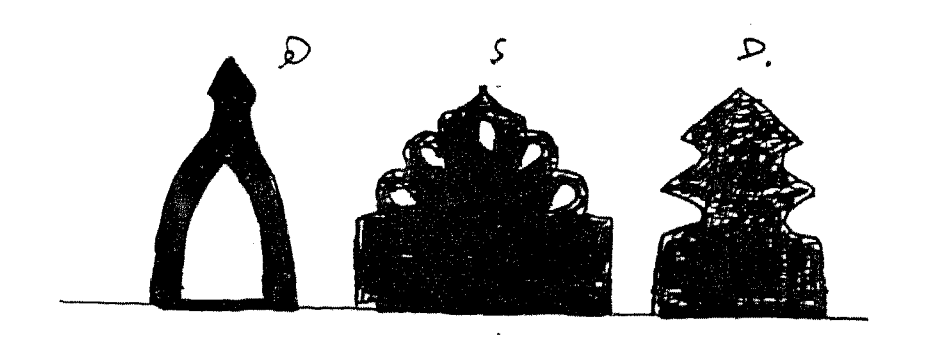


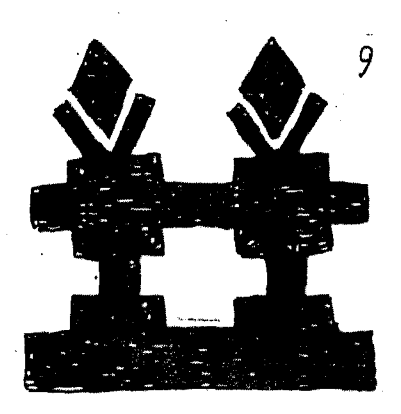
شكل (١٢٢) أسوان ، أحد المشاهد ، المسقط الأفقى (فريد شافعى)

شكل (١٢٣) حيس ، نموذجان للأركان المشطوفة









أ- الشرافات السهمية

ب- الشرافات الثلاثية

جـ- الشرافات الخماسية

د- الشرافات الخماسية المثقوبة

هـ- الشرافات الهندسية

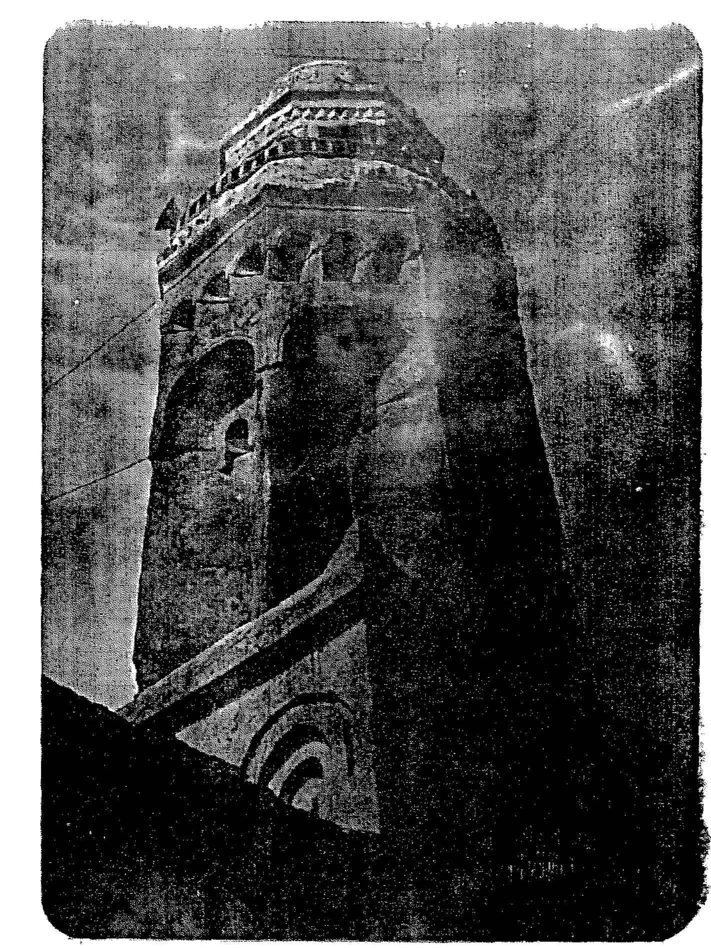
و- الشرافات الزخرفية

شكل (١٢٤) حيس ، نماذج لأنواع الشرافات التى تتوج المساجد والمدارس

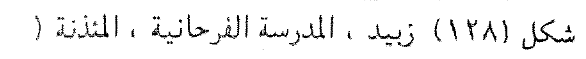


شكل (١٢٥) تعز ، المدرسة الأشرفية ، المئذنتان

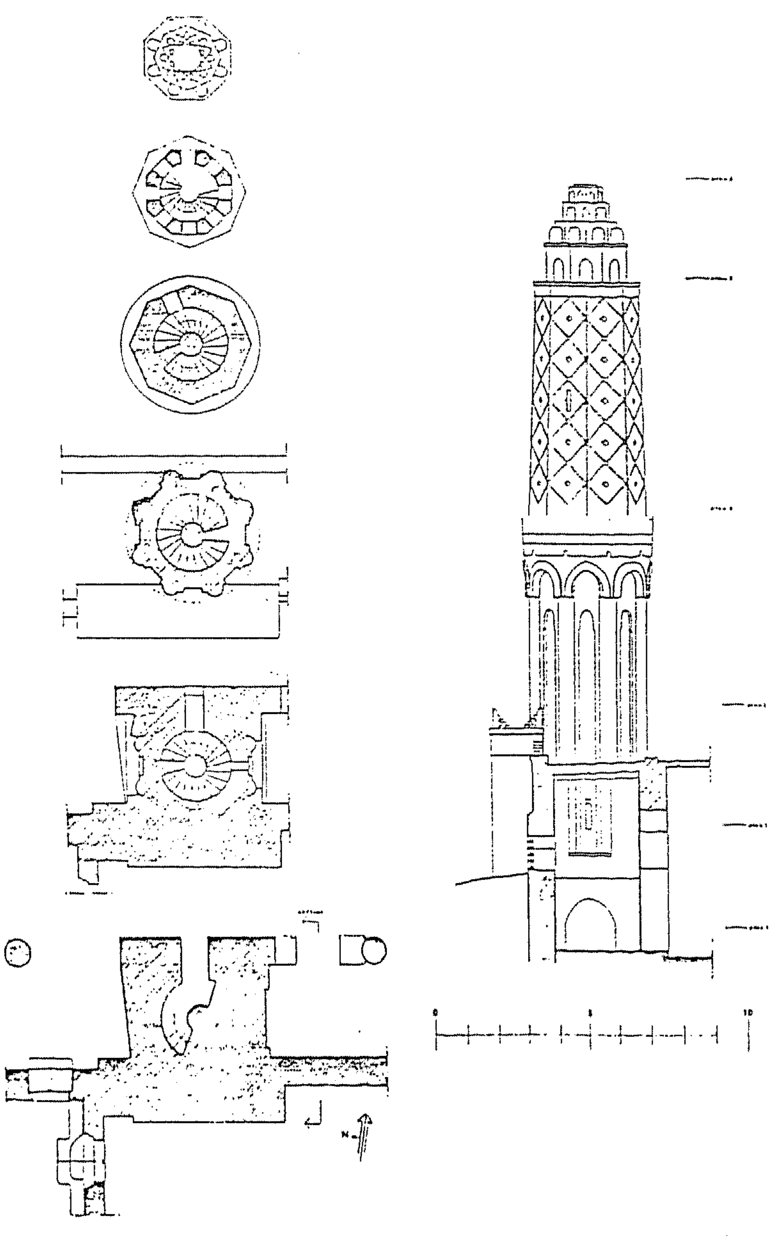
شكل (١٢٦) تعز ، المدرسة الظاهرية ، المئذنة (عن الأكوع)



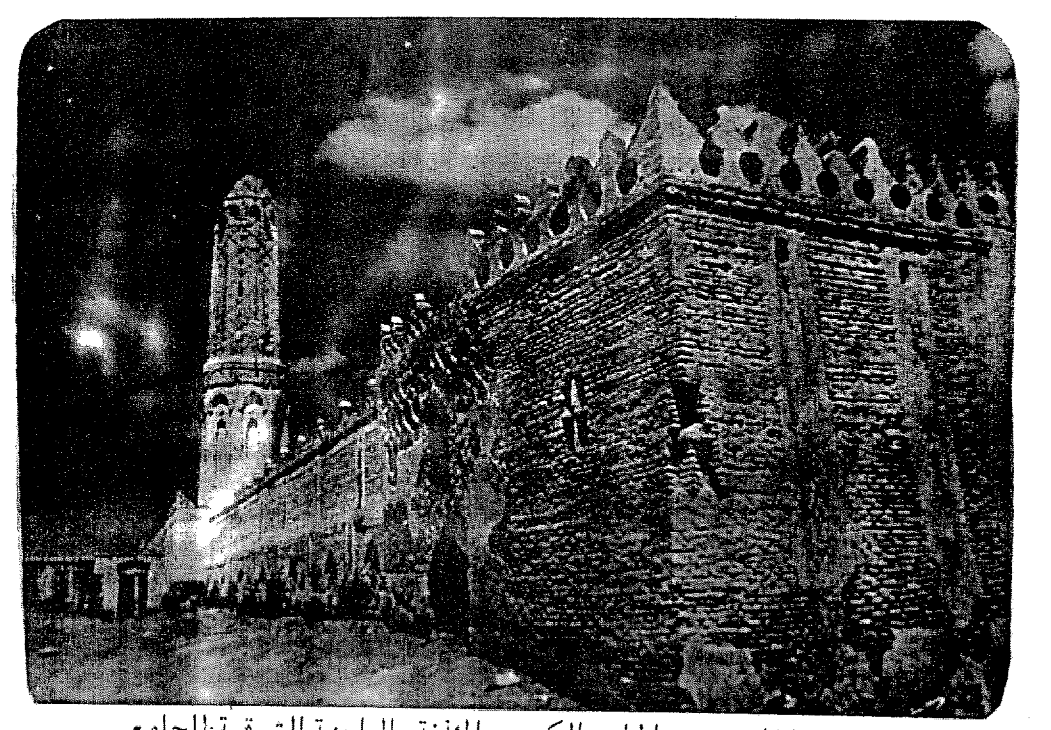
شكل (١٢٧) جبن ، المدرسة المنصورية ، المئذنة (عن المطاع)



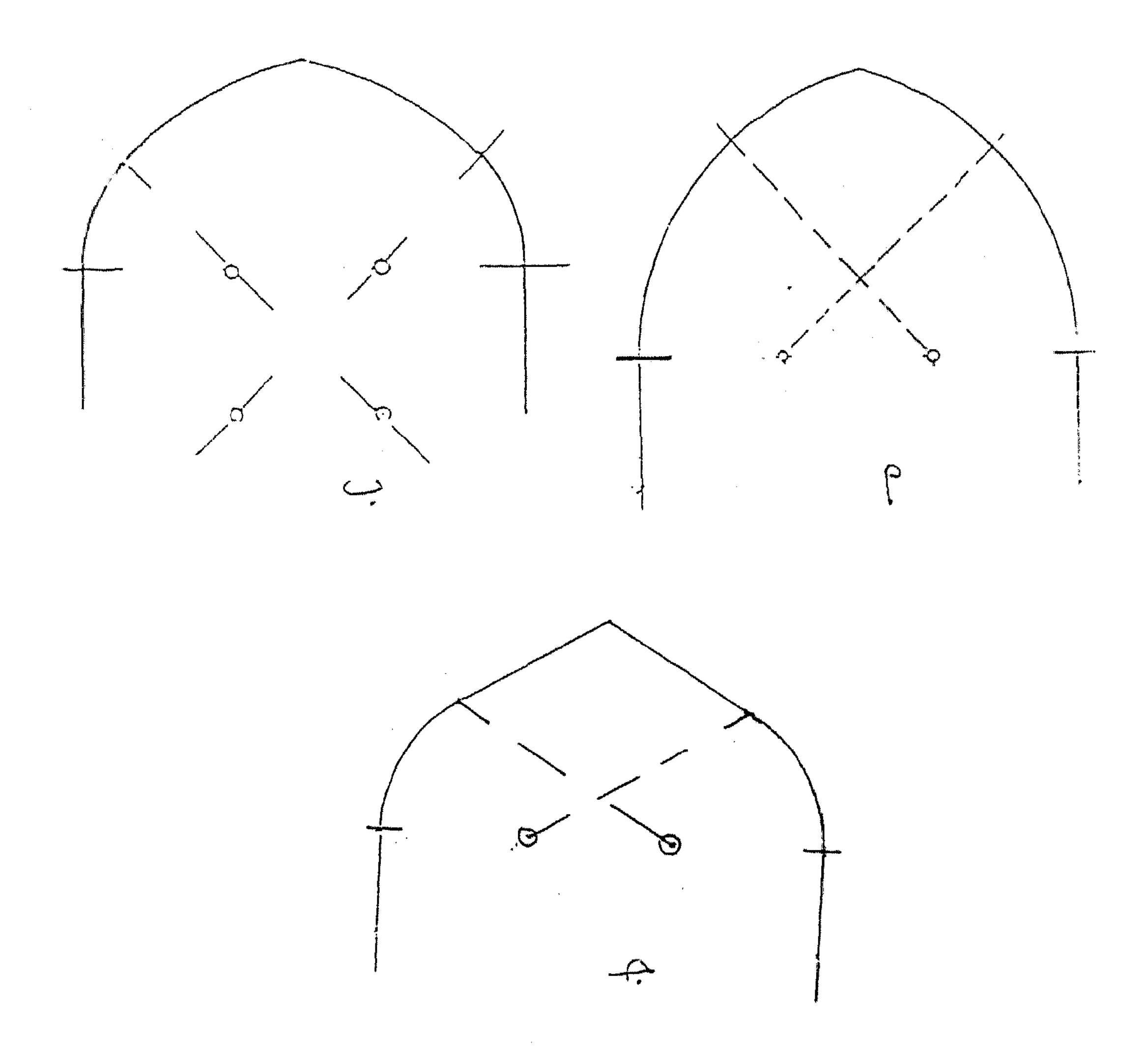
شكل (١٢٨) زبيد ، المدرسة الفرحانية ، المئذنة (... شيحة)



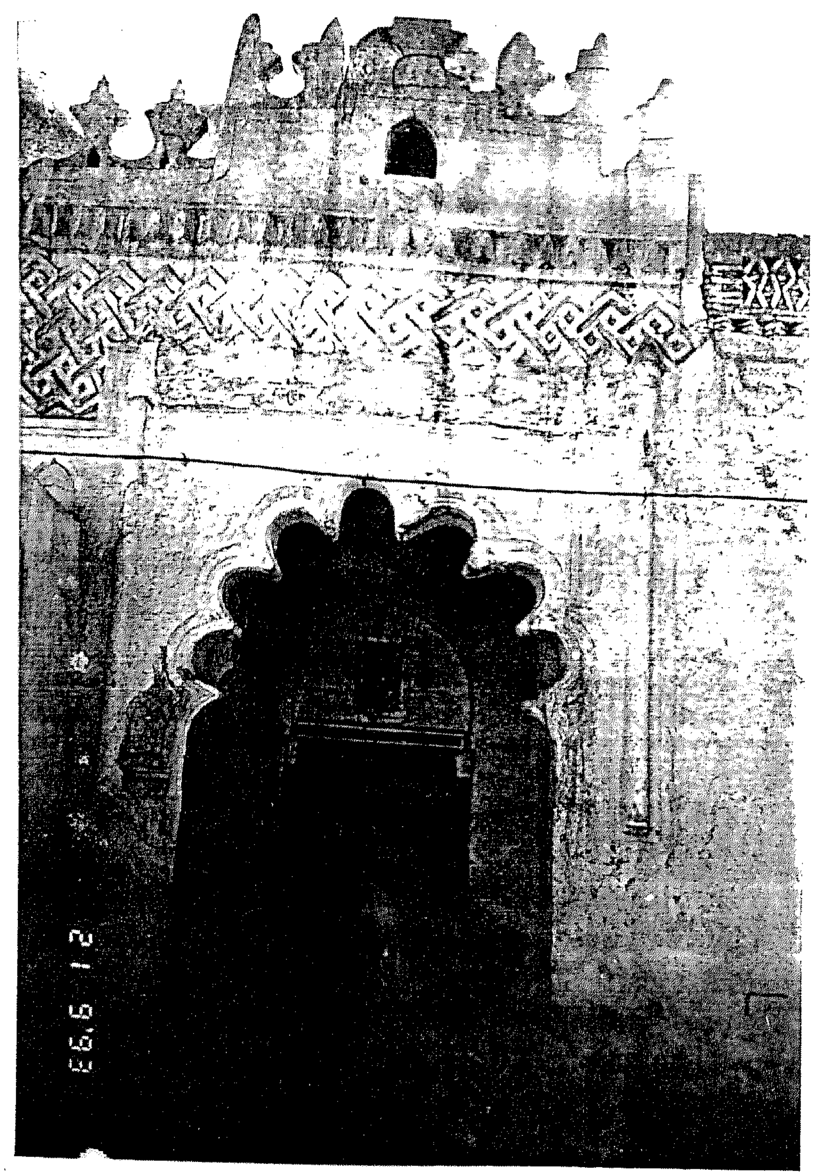
شكل (١٢٩) المهجم ، جامع المظفر) ، المئذنة (عن بربارا فنستر)



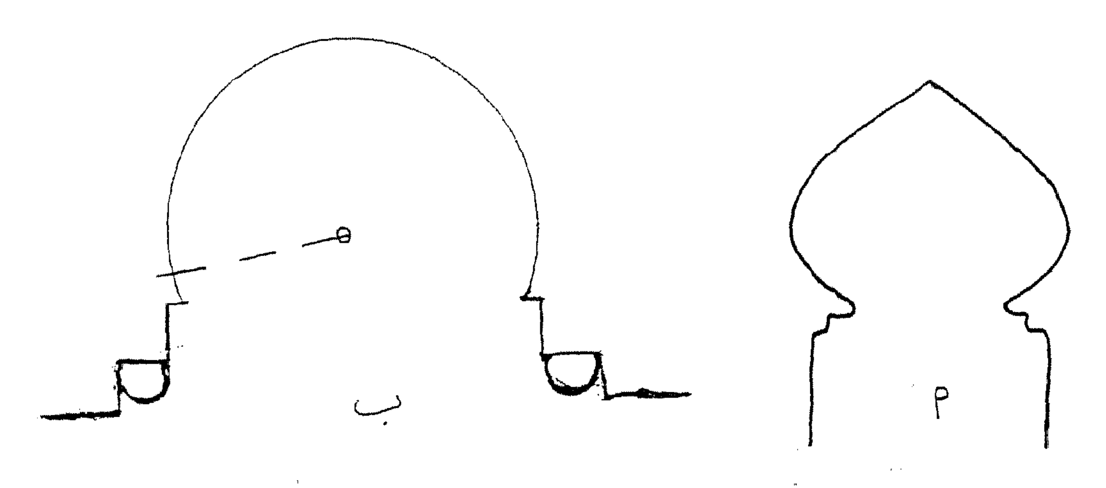
شكل (١٣٠) زبيد ، الجامع الكبير ، المئذنة والواجهة الشرقية للجامع



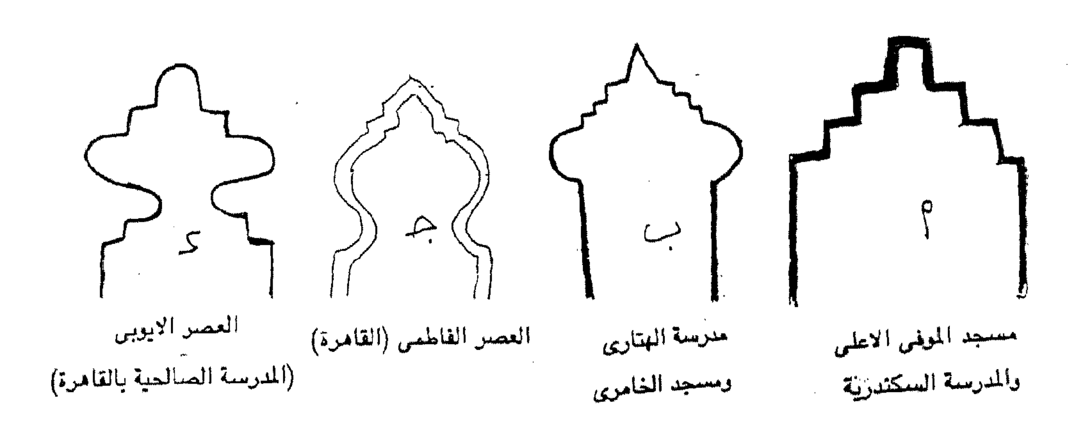
شكل (١٣١) حيس، نماذج لبعض العقود المستخدمة فى المساجد والمدارس

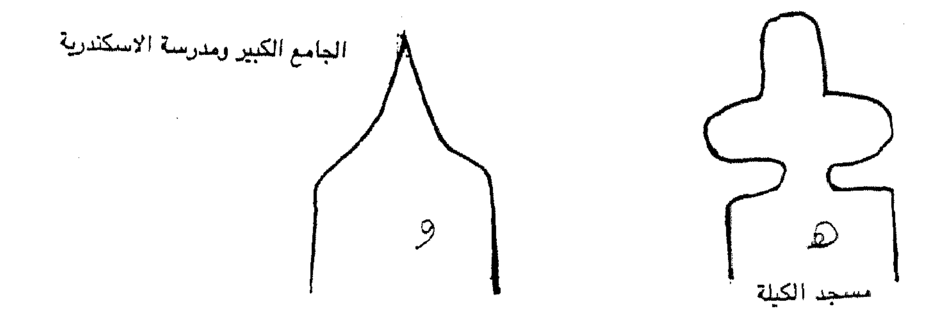


شكل (١٣٢) تعز، جامع المظفر، المدخل الغربي

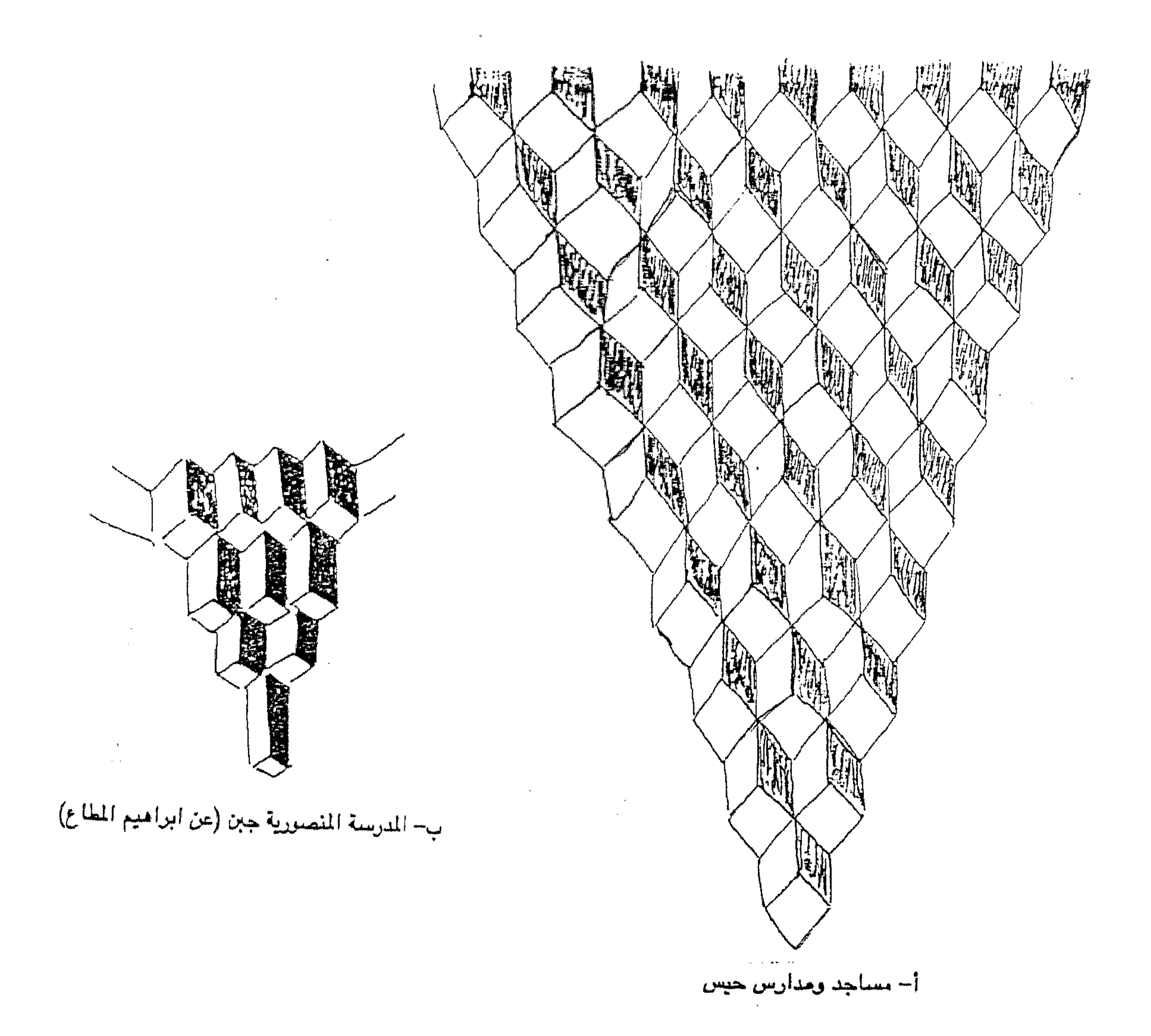


شكل (١٣٣) حيس ، نموذجان للعقد حدوة فرس





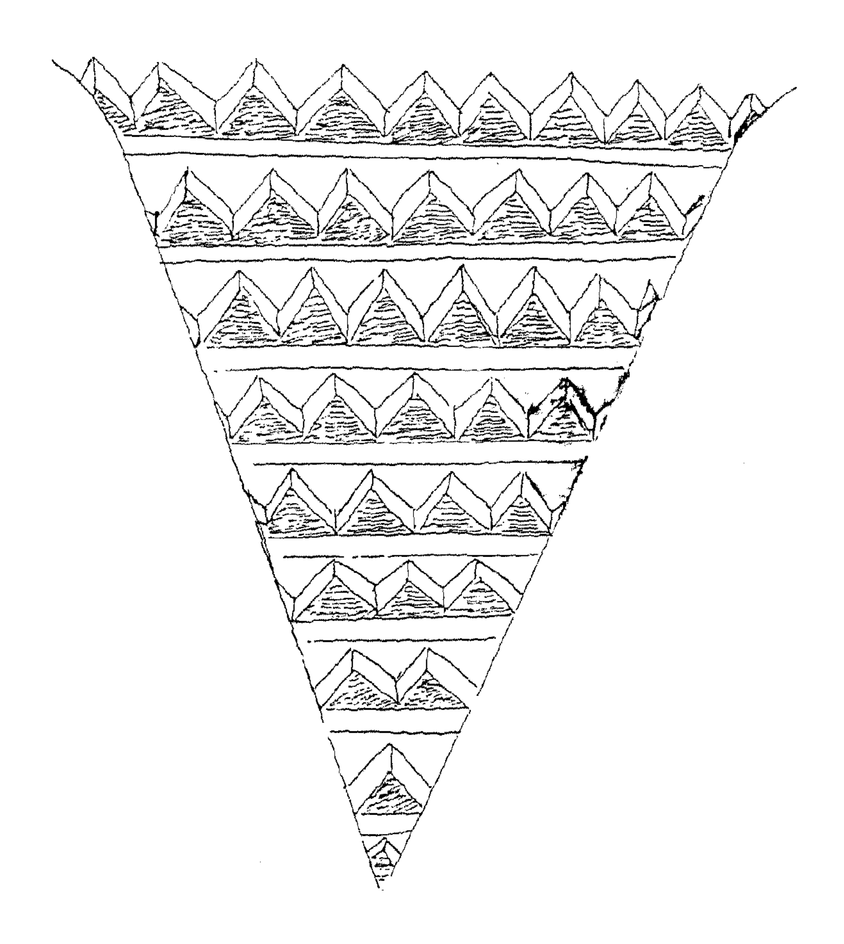
شكل (١٣٤) حيس ، نماذج لأنواع العقود التى تتوج الدخلات فى المساجد والمدارس ، والأمثلة المشابهة لها فى مساجد ومدارس القاهرة



ب- المدرسة المنصورية جبن (عن ابراهيم المطاع)

أ- مساجد ومدارس حيس

شكل (١٣٥) حيس ، تفريغ لمناطق الإنتقال المعروفة باسم مقرنصات عش النحل



شكل (١٣٦) جبس، تفريغ لمناطق الإنتقال المعروفة باسم المقرنصات



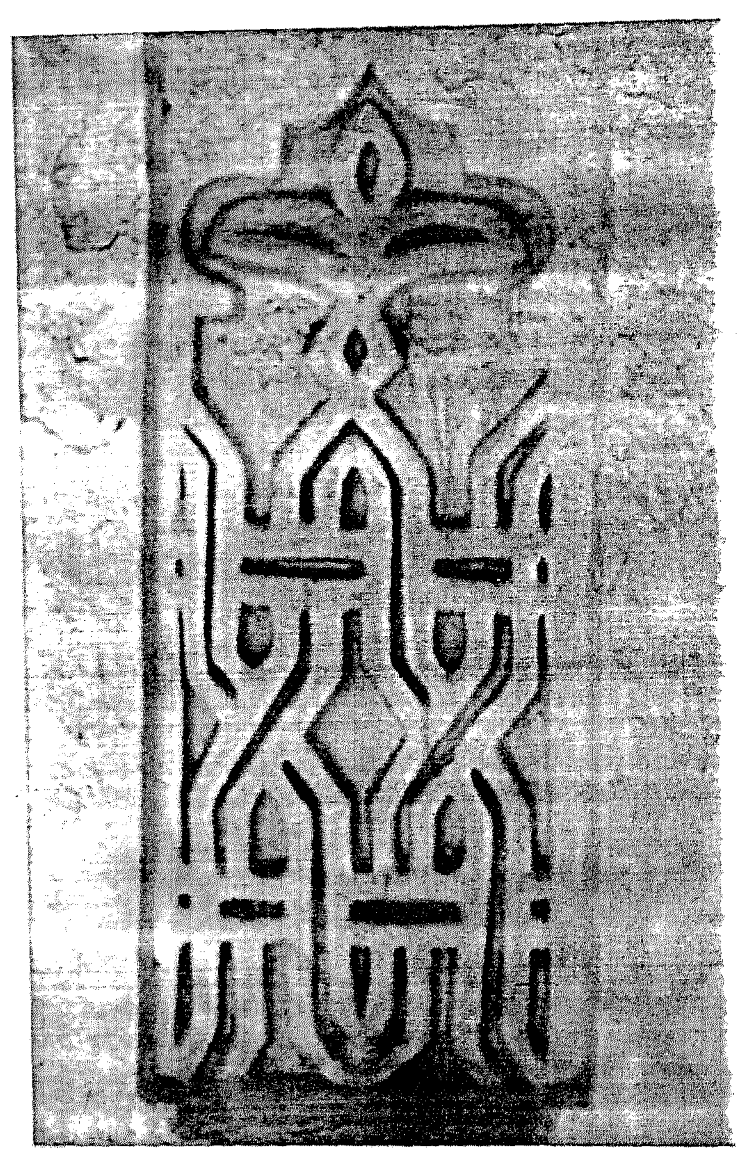
شكل (١٣٧) حيس، الجامع الكبير، زخرفة البخاريات على بقايا النبر

أ

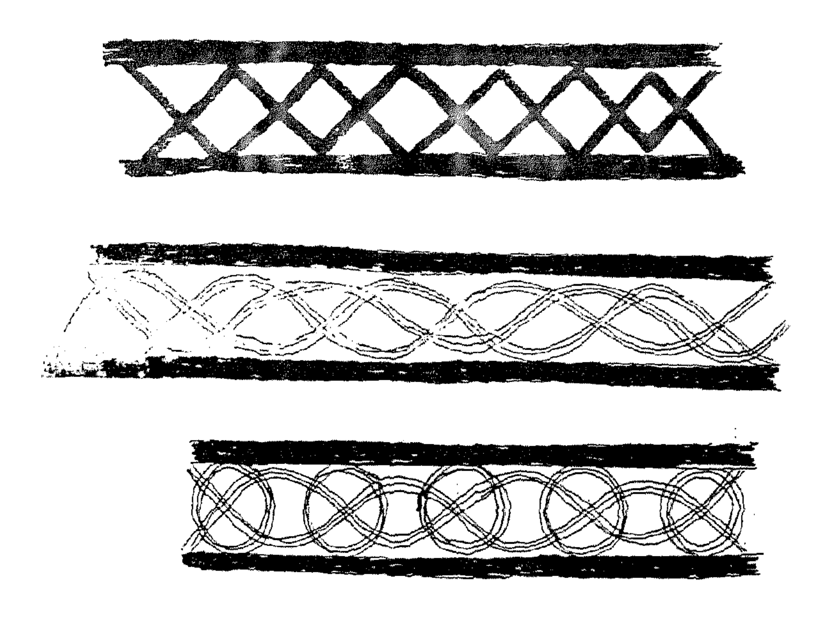
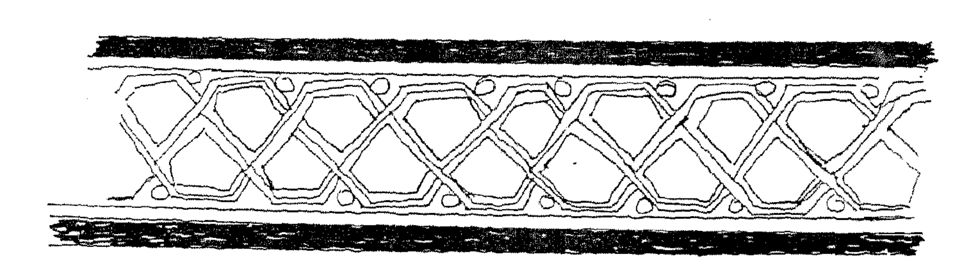
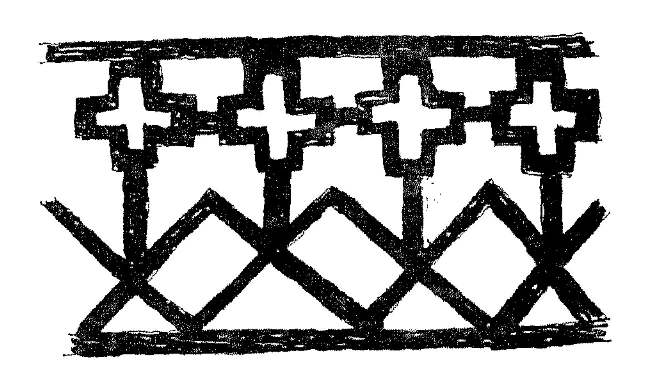
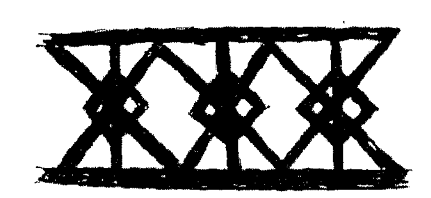
ب

ج

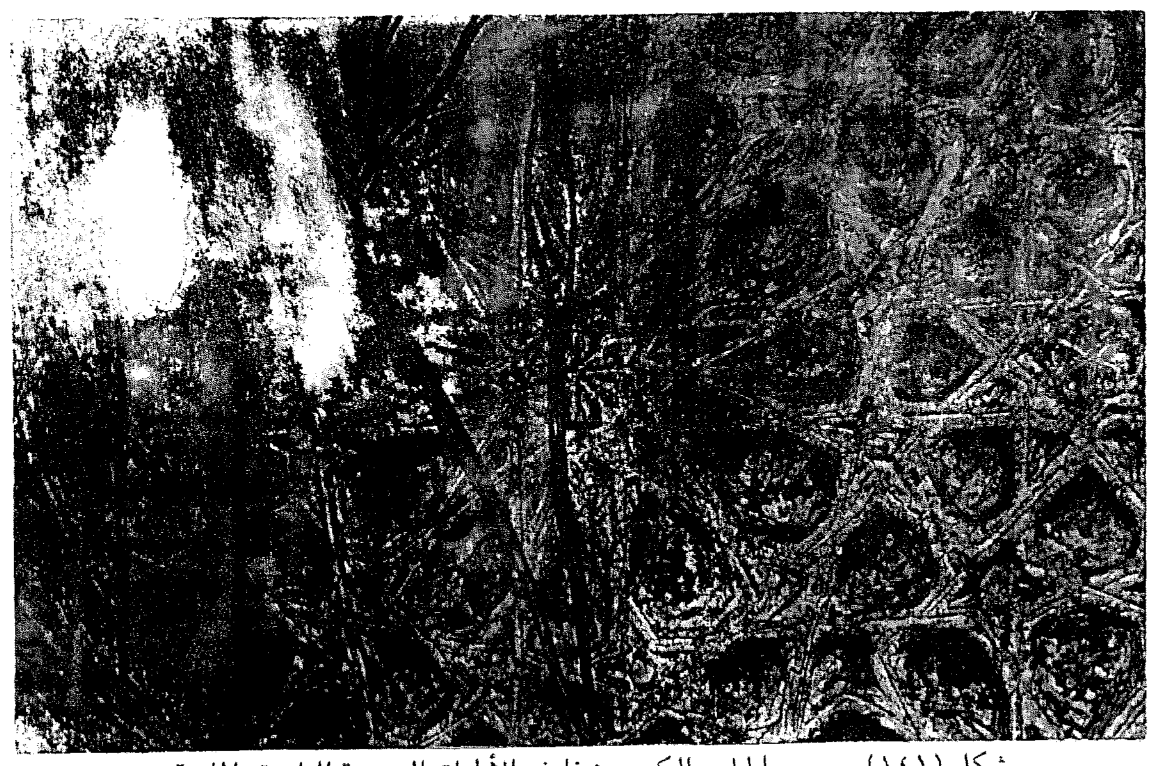
شكل (١٣٨) حيس ، نماذج للزخارف الهندسية على المساجد والمدارس



شكل (١٣٩) زبيد، المدرسة الوهابية ، زخرفة هندسية على قاعة الدرى

شكل (١٤٠) حيس ، نماذج للأشرطة الزخرفية الهندسية على المساجد والمدارس



شكل (١٤١) حيس، الجامع الكبير، زخارف الأطباق النجمية البارزة والملونة

شكل (١٤٢) زبيد ، المدرسة الياقوتية ، المسقط الأفقى (عن سيف النصر)

دار المصري للطباعة
ت: ٣٨٣٦٥١١ ــ الهرم

هـذا الكتــاب

تعد مدينة حيس اليمنية من المدن الصغيرة حجمًا القليلة سكانًا. لكن أهميتها التاريخية والأثرية والوظيفية تتجاوز حجمها وعدد سكانها.

فقد كانت من ناحية محطة على طريق الحج المعروفة بالجادة السلطانية ومحطة على طريق انتقال الملوك والسلاطين بين عاصمتى الدولة الرسولية آنذاك زبيد وتعز.

لذلك مثلت موقعًا استراتيجيًا مهمًا للأستيلاء على العاصمتين أو الدفاع عنهما.

وكانت من ناحية أخرى من المدن الصناعية المهمة التى تخصصت بصناعة الفخار والأوانى الخزفية حيث كانت المورد الأساسى لما تحتاجه اليمن من هذا الأوانى. أما أهميتها الأثرية فإن مدينة حيس تعد متحفًا مفتوحًا لآثار العصر الإسلامى بما تحتويه من منشآت متنوعة عسكرية - مدنية - ودينية. وكان لسكانها دورًا كبيرًا فى بقائها حفاظًا على أصالة المدينة المعمارية والوظيفية.

لذلك لاغرابة أن تحتضن مدينة حيس أقدم أثر باقى ع
حالته التى أنشأ عليها منذ أوائل الدولة الرسولية فضلاً
عشرات المساجد والمدارس التى ساهمت فى عملية التثق
والتعليم منذ بداية العصر الإسلامى.

الناشـ